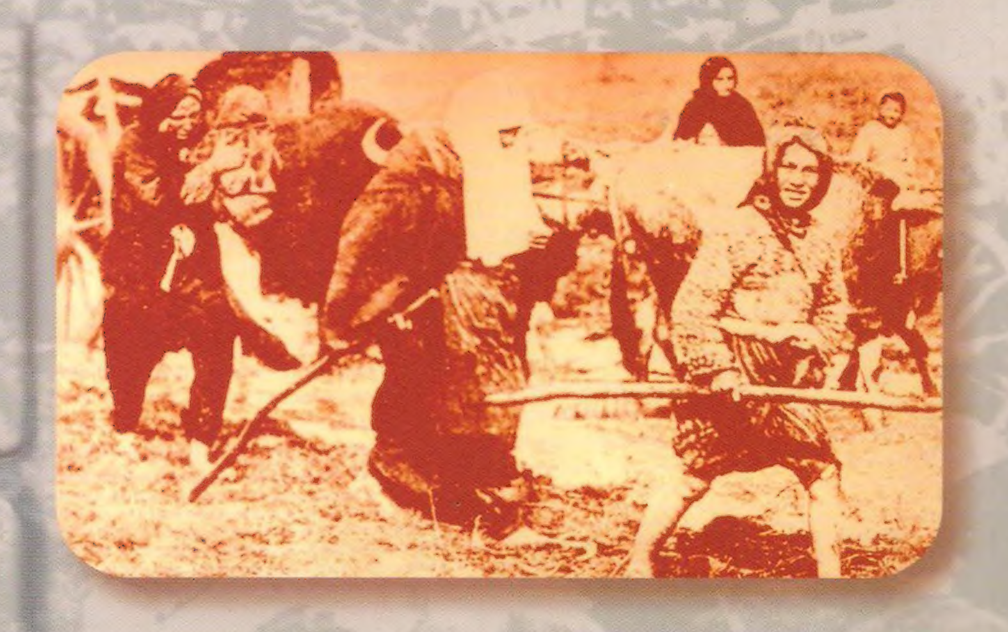
جستن مكارثي

الطرد والإبادة

مصير المسلمين العثمانيين

(1821 - 1922م)



ترجمة : فريد الغزي

الطرد والإبادة

مصير المسلمين العثمانيّين (1821-1922 م)



Suudi Arabistan Türkleri derneği

جمعية أتراك السعودية

Amro Turan

جَستِن مكارثي

الطرد والإبادة

مصير المسلمين العثمانيّين (1821-1922 م)

ترجمة: فريد الغزّي

المحتوى

مصورات

جداول

ملاحظات الناشر عن النص والمراجع في الكتاب

* المادة اللغوية بين الأقواس المزدوجة « » تشير إلى أنّ النصَّ مقتبسٌ .
* المادة اللغوية المكتوبة بين '' تشير إلى أنها اقتباس ضمن اقتباسٍ آخرَ .
* المـــادة اللغوية بين قوسين منفردين ‹ › تشير إلى المصدر الذي اقتبست منه النصوص المقتبسة.
* المــــادة اللغويـــة بين الفواصل المقلوبة " " تعني أنها اعتراضٌ على المحتوَى، من الكاتب الأصلي إذا كان النصُّ مقتبسًا ، أو من مؤلِّف الكتاب .
* المـــادة اللغوية بين قوسين كبيرين [ ] تشير إلى أنها ليست موجودة في النص الأصلي أو مؤلف الكتاب.

قَدْمُس للنشر والتوزيع

Suudi Arabistan Türkleri derneği

جمعية أتراك السعودية

Turan

شكر

أود أن أشـــكر الأشخاص والوكالات والمؤسسات الذين كان دعمهم ضـــروريّـــا لتألـــيف كتاب «موتٌ ونفيٌ». جرى تمويل البحث بشأن هذا الكتاب بمنحٍ من (وقْف الولايات المتحدة القوميّ للدراسات الثقافيّة/ United States National Endowment for the Humanities) للبحث في الحرب العالميّة الأولى وآثارهـــا، و(مؤسسة الدراسات التركيّة/ the Institute of Turkish Studies) للبحث في وفيات وهجرات الأتراك، وجامعة لويزفيل (Louisville). قدّمت جامعة لويفيل المساعدة الفنيّة، خصوصًا أعضاء قسم التاريخ ومكتب الإعارة للمكتبات التبادليّة ذوي الكفاءة الفائقة. وشكر خاص يستحقّه كلّ مـــن رِتّا هيتنجر (Rita Hettinger) ورِتّا جونز (Rita Jones) وليليا كوفتِنيك (Ljilja Kuftinec) وباربـــرا وينســـبر (Barbara Winsper) ودِبي جـــوردن (Debbie Jordan). وكـــان أمـــناء المكتبات والسجلات لأرشيف الولايات المـــتحدة القوميّ ومكتب السجل المدنيّ البريطانيّ ومكتبة الكونغرس والمكتبة البريطانيّة وأتاتورك كِتابليي (Atatürk Kitaplığı) مفيدين دائمًا. قدّمت كلّ مـــن جامعـــة بوازيتشي (Boğaziçi Üniversitesi) وكلية الدراسات الشرقيّة

والإفريقـــيّة (School of Oriental and African Studies) دعمًا وتبنّيًا كريمين عندما تولّيت البحث في اسطمبول ولندن على التوالي.

قـــرأ مخطوطة الكتاب كلّ من ألَن فِشر (Alan Fisher) وبول هِنز (Paul Henze) وهيـــث لوري (Heath Lowry) وستانفورد شو (Stanford Shaw)، وقـــدّم الجميع اقتباسات وصورًا عن مخطوطات ومقالات وكتب، وأحيانًا، تصحيحات مؤلمة لكنها صحيحة. استفاد من حكمتهم أكثر الكتاب. طبعًا، فإن الأغلاط والآراء تعود إليّ.

مقدمة

توصّلتُ إلى هذه الدراسة لوفيات وهجرة المسلمين من البحث في عدد سكان الإمبراطوريّة العثمانيّة إبّان الحرب العالمية الأولى. كان اهتمامي آنذاك يكمن ببساطة في التحقّق من عدد المسلمين الذين عاشوا في الأناضول وكيف تغيّر عددهم في القرنين التاسع عشر والعشرين. أدهشتني نتائج الدراسة، إذ لم يكن في قراءاتي السابقة عن التاريخ العثمانيّ ما يهيّئني لتلك الوفيات الكبيرة في تلك الفترة. ذكرت الإحصائيات أن ربع السكان المسلمين فُقدوا. لم أستطع أن أصدّق أن فقدانًا كهذا جرى تمويهه في التاريخ، إلاّ أن مراجعة البيانات مرة تلوَ الأخرى خلّفت الاستنتاج نفسه. ليس خلال الحرب العالمية الأولى فحسب، بل طوال القرن التاسع عشر أيضًا، تجشمت الشعوب المسلمة في الأناضول والقِرَم والبلقان والقفقاس خسائرَ هائلة في الأرواح. كانت خسائرهم جديرة ببحث إضافيّ.

هذا الكتاب هو ثمرة هذا البحث؛ تاريخ الوفيات والهجرة القسريّة للشعوب المسلمة. إنه يقدّم خسائرَ المسلمين بالتفصيل، لكنه من الخطأ التعامل مع هذه الخسائر كأنها حدثت في فراغ. إن الاجتناب السابق لأي

ذكر لخسائر المسلمين في عموم التاريخ لا يسوغ أيَّ زعمٍ مقابلٍ أن المسيحيّين لم يعانوا أيضًا. حدث كثير من الرعب والمعاناة المفهرسَين هنا خلال حروب عانتها الأطراف كلها. كثيرًا ما ترافقت خسائر المسلمين بتلك التي أصابت المسيحيّين. ذكرتُ، كلما كان الأمر ممكنًا، مصير المسيحيّين الذين كانوا في صراع مع المسلمين. ليس هذا على كلّ حال تاريخًا عامًا للشعوب العثمانيّة، ولا حتى تاريخ الوفيات لزمن الحروب كلها في منطقة واحدة. إن هذا تاريخ معاناة المسلمين، ليس لأن المسلمين عانوا وحدهم، بل لأن تصحيحًا للرؤية التقليدية الأحادية الجانب لتاريخ أتراك هذه المناطق ومسلميها أصبح ضروريًّا. أظن أيضًا أنه تاريخ قادر شرعيًا على الصمود وحده. إنها قصة وفيات هائلة وواحدة من هجرات التاريخ الضخمة.

1] الأرض المقبلة على الضياع

في عـــام (1800 م) كانـــت هـــناك أرضٌ إسلاميّة فسيحة في الأناضول والبلقان وجنوبيّ روسيا. لم تكن أرضًا حكم المسلمون فيها فحسب، بل هي أرض شـــكّل المســـلمون فيها الغالبية، أو أنهم، في أكثر البلقان وجزء من القفقـــاس، كانوا يشكّلون أقلية كبيرة. شملت هذه الأرض القرم ومناطقها النائية وأكثر منطقة القفقاس وشرقيّ الأناضول وغربيّها وجنوبيّ شرقيّ أورُبة مـــن ألبانـــيا والبوسنة حتى البحر الأسود، حيث كانت كلها تقريبًا ضمن الإمـــبراطورية العثمانيّة. وارتبطت بها جغرافيّـــا مناطق في رومانيا وجنوبيّ روســـيا حيـــث كان المسلمون أكثرية ضمن الشعوب المختلفة. بحلول عام (1923 م) لم يتبقَّ من الأرض الإسلاميّة إلاّ الأناضول وشرقيّ ثراقيا (Thrace) وقسم من جنوب شرقيّ القفقاس. اختفى مسلمو البلقان على نطاق واسع، موتى أو مجبرين على النزوح، وعاشت البقية في جيوب استيطانية في اليونان وبلغاريـــا ويوغوســـلافيا. فهـــر المصير ذاته مسلمي القرم وشماليّ القفقاس وإرمينية الروسية بسهولة، اختفى هؤلاء. مات ملايين المسلمين، أكثرهم من الأتراك، وفرّت ملايين أخرى إلى ما يُعرف الآن بتركيا. بين عامي (1821 م) و(1922 م) أُجـــبر أكثر من خمسة ملايين مسلم على مغادرة أراضيهم. مات

خمسة ملايين ونصف المليون مسلم، قُتل بعضهم في الحرب، وهلك بعضهم الآخر لاجئين من المجاعة والمرض.

لا يمكـــن فهم كثير من تاريخ البلقان والأناضول والقفقاس جيّدًا من من دون أخذ اللاجئين والقتلى المسلمين في الحسبان. ينطبق هذا على نحو خاص عـــلى تـــاريخ القومية (العصبية) والاستعمار. يُظهر المصور المعاصر للبلقان وجنوبيّ القفقاس بلدانًا ذات سكان متجانسين إلى حد ما، بلدان استُحدثت إبّـــان الحروب وفصلتها الثورات عن الإمبراطورية العثمانيّة. تحققت وحدة تلـــك الـــبلدان العرقـــية والدينية من خلال طرد سكانها المسلمين. وبكلمة أخـــرى، تأسســـت الدول الجديدة على معاناة سكانها الراحلين. وعلى نحو مشـــابه، جلـــب الاستعمار الروسيّ، الذي لا يزال كثيرًا ما يصوَّر على أنه مســـيرة "تمدّن" للثقافة الأوربّية، معه مقتل ملايين الجركس والأبخاز واللاز (Laz) والأتـــراك. تبدو القومية والاستعمار في مظهر أسوأ كثيرًا حين تظهر ضحاياهما على المسرح.

إن خسارة المسلمين جزء مهم من تاريخ الأتراك. لقد كانوا هم أكثر مَن لمـــس عواقب العصبية والاستعمار. في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية العثمانيّة تكافح لإصلاح ذاتها والحفاظ على وجودها دولةً حديثةً، اضطرت في البداية إلى أن تستنزف مواردها المحدودة لتحمي شعبها من القتل على يد أعدائهـــا، ثمّ إلى أن تحـــاول أن تقـــدّم الـــرعاية للاجئين الذين تدفقوا إلى الإمبراطورية عندما انتصر هؤلاء الأعداء. بعد تدمير الإمبراطورية العثمانيّة في الحـــرب العالمية الأولى، واجه أتراك ما يسمى الآن تركيا المشكلات نفسها؛ غزوًا ولاجئين ووفيات. نجا الأتراك، لكن أمّتهم تأثرت كثيرًا بأحداث القرن المنصرم. كانت الجمهورية التركيّة الجديدة أمّة من المهاجرين جاء مواطنوها مـــن بلغاريـــا واليونان ويوغوسلافيا وإرمينية وجورجيا وروسيا وأوكرانيا وأمكنة أخرى. مثل الإمبراطورية العثمانيّة قبلها، واجهت تركيا كل صعاب

دمج سكان مهاجرين والتغلب على الدمار الهائل لزمن الحرب في وقت كانت تعمل فيه على التحديث والبقاء. شكّلت تحديات هذا الكفاح سمة الجمهورية التركيّة.

مع الأهمية التاريخية لخسائر المسلمين، فإنها غير موجودة في الكتب المدرسية. إن الكتب المدرسية والتاريخية التي وصفت مذابح البلغار والأرمن واليونانيين لم تذكر المذابح المماثلة للأتراك. إن عدد المنفيّين والقتلى من المسلمين غير معروف. وهذا يخالف الممارسة الحديثة في مجالات أخرى من التاريخ. لقد أصبح بحقٍ غير وارد اليوم الكتابة عن التوسّع الأميركيّ من دون مراعاة الوحشية التي مورست ضدّ السكان الأميركيين الأصليين. إن مذبحة حرب الثلاثين عامًا يجب أن تكون جزءًا من أيّ تاريخ للتغيّر الدينيّ في أورُبة. لا يستطيع المؤرخون أن يكتبوا عن الاستعمار من دون ذكر قتل الإفريقيّين في الكونغو أو الصينيّين في حروب الأفيون. ومع ذلك، لم تجرِ في الغرب كتابة أو فهم تاريخ معاناة مسلمي البلقان والقفقاس والأناضول قط. جرت كتابة تاريخ البلقان والقفقاس والأناضول من دون ذكر أبطاله الرئيسين، السكان المسلمين.

إن المشهد "التقليديّ" لتاريخ البلقان والقفقاس والأناضول أقلّ من كامل، إن لم يكن مضلّلاً، لأن تاريخ الجماعات التي شكّلت الأقلية في الإمبراطورية العثمانيّة استُثني من سياق الكلام. القسم الأهم من سياق الكلام هذا هو معاناة المسلمين، التي حدثت في المناطق نفسها وفي الوقت نفسه الذي حدثت فيه معاناة المسيحيّين، والتي كثيرًا ما فاقتها. سُخر من القلّة التي حاولت أن تعدّل المشهد التقليديّ على أنها "مُنقِّحة"، وكأن التنقيح إثم أكاديميّ والدقة التاريخية القرينيّة لا علاقة لها بالموضوع. إن تنقيح تاريخ متحيّز وتغيير حكمة تقليدية ناقصة هما في الحقيقة من مهمات المؤرِّخ، والتنقيح في بعض مجالات التاريخ كتاريخ الشعوب العثمانيّة ضروريّ إلى حد

بعيد. إن التاريخ الذي ينتج عن عملية التنقيح هو تاريخ غير مفصول فيه، لأنه يروي قصة الأتراك كونهم ضحايا، وهذا ليس الدور الذي يصوَّرون به عادة. إنه لا يقدّم الصورة التقليدية للأتراك، وكأنهم جلّادون وليسوا ضحايا قط، تلك الصورة التي استمرت في تاريخ أميركا وأورُبة فترة طويلة في حين كان يجب نبذها منذ زمن بعيد هي والآثار الدخيلة الأخرى على التمييز العنصريّ في القرن التاسع عشر.

1/ 1] المسلمون

إن الأشخاص في هذا الكتاب من جماعات عرقيّة عديدة، لكنّهم توحّدوا بوساطة الدين، كالمسلمين. كانت الأكثرية تتكلم اللغة التركيّة. ومع ذلك، لم يكن من الممكن في أكثر الأحوال تحديد الجماعة العرقيّة التي كان ينتمي إليها كثير من المسلمين. لم تكن الإمبراطورية العثمانيّة تعترف رسميًا بالتقسيمات العرقيّة بين الناس، وكان المواطنون العثمانيّون مسجّلين في الإحصاء الرسميّ ويخضعون للتجنيد الإلزاميّ، وكانت الضريبة تُفرض عليهم بحسب جماعتهم الدينية. قد يكون المسلم العثمانيّ عضوًا في أيّ جماعة من الجماعات اللغوية العديدة، لكنّ تعيين هويته رسميًا لا يجري إلاّ بإعلانه أو إعلانها أن محمّدًا رسول اللّه. وبالطريقة نفسها، كان اليونانيّ عضوًا في كنيسة اليونان الأرثوذكس مهما كانت هويّته العرقيّة أو اللغويّة، وهكذا كان الأرمنيّ، أكان غريغوريًا أو كاثوليكيًا. كان تعيين الهوية شعبيًا يجري أيضًا بحسب الدين. حتى وقت قريب جدًا، كان الأتراك والألبان والبوسنيّون وكل الجماعات المسلمة الأخرى يسمّون أنفسهم بسهولة (مسلمين).

بسبب هذا التعيين للهوية بحسب الدين، من غير المعتاد على الإطلاق الكتابة عن المسلمين جماعةً متماسكة. إن الأناس قيد الدراسة هنا والذين

حدّدوا هويتهم كونهم مسلمين، جرى تصنيفهم من حكومتهم (مسلمين)، واضطُهدوا لأنهم كانوا مسلمين. ومع ذلك، فإن الأصل العرقيّ ليس اعتبارًا غير مهم. إن للأتراك المسلمين والألبان المسلمين تجاربَ مختلفة في حروبهم مع اليونانيّين والصرب. كان البوماك (Pomaks) المعروفون بالمسلمين الذين يتكلّمون اللغة البلغاريّة، عرضة لمعاملة خاصة من البلغار المسيحيّين. كان الجركس المنفيّون الذين استقرّوا في الأناضول يختلفون عرقيًّا عن الأتراك المقيمين. ولا يمكن تحليل النشاطات الكرديّة في شرقي الإمبراطورية العثمانيّة كما ينبغي ما لم يُنظر إليهم أكرادًا. بناءً عليه، من الضروريّ تعيين هوية سكان البلقان والأناضول والقفقاس كـ"مسلمين"، ولكن لا بدّ أحيانًا من النظر إليهم جماعة عرقيّة أيضًا.

كُتب كثير من الهراء عن الجماعات العرقيّة في الشرق الأوسط والبلقان. كثيرًا ما كانت تُسمّى كل الجماعات العرقيّة المختلفة (عروقًا) وكأن علامة ما في الدم أو على الروح وسمتهم إلى الأبد يونانيين أو ألبان أو أتراك أو أرمن. حين تُؤخذ هذه الجماعات العرقية في الحسبان هنا، فإنها تُصنّف على أساس اللغة. (الألبان) تكلّموا اللغة الألبانيّة. (البوماك) كانوا مسلمين يتكلّمون اللغة البلغاريّة. (الأتراك) بمن فيهم التّتار، تكلّموا اللغة التركيّة. الاستثناء الوحيد هو لهؤلاء الذين حدّدوا هويتهم بوضوح أعضاء في جماعة أخرى، كالأرمن الناطقين باللغة التركيّة (التركوفونيّين Turkophone) مثلاً.

1/ 1/ 1] أسباب التغيّر

كالأحداث التاريخيّة الأخرى، كانت الأسباب السياسيّة للتغيّر بين هؤلاء المسلمين مجموعة عمليات سياسيّة. التقت ثلاثة عوامل رئيس لتقرر مصير مسلمي أورُبة العثمانيّة والقرم والقفقاس والأناضول: ضعف الإمبراطورية



① أوربة العثمانية والأناضول في عام (1800 م)

العثمانيّة العسكريّ والاقتصاديّ، والوعي القوميّ بين الشعوب المسيحيّة العثمانيّة، والتوسّع الاستعماريّ الروسيّ.

الضعف العثمانيّ. لو استطاع العثمانيّون أن يدافعوا عن إمبراطوريتهم كما ينبغي لما حدثت وفيات المسلمين وهجرتهم بالتأكيد. ليس هناك إجماع بين المؤرّخين بخصوص أسباب الضعف العثمانيّ. ساهم الانحطاط البطيء لنظام الإدارة العثمانيّ التقليديّ في الضعف الداخليّ بالتأكيد، تمامًا كما أثّرت تغيّرات السوق تأثيرًا غير مؤات في الاقتصاد العثمانيّ. مثل شعوب أكثر العالم، شارك العثمانيّون على نحوٍ هامشيّ فقط في الثورات الفكريّة والعلميّة والصناعيّة التي أعادت تشكيل أورُبة وقوّتها. حين أدرك العثمانيّون ضعفهم، كانوا لا يملكون المال الكافي والسلطة الإدارية للقيام بتغيير سريع. ومع أن الضغط العسكريّ المتواصل من أعدائهم جعل التغيير السريع من الأمور الملحّة، لم يكن العثمانيّون قادرين على أن يحاكوا في أجيال قليلة ما احتاجت إليه أورُبة خمسمئة سنة لتحقيقه.

بحلول عام (1800 م) كانت حكومة الإمبراطورية العثمانيّة ضعيفة داخليًا، وغير قادرة على تمويل حتى النظام العسكريّ العثمانيّ التقليديّ والسيطرة عليه وجيش وبحريّة قادرَين على الوقوف في وجه أعداء الإمبراطورية طبعًا. بَنَت إصلاحات القرن التاسع عشر القوات المسلحة العثمانيّة إلى مستوى أتاح للعثمانيّين أن يُخضِعوا أعداءهم الداخليّين ويوسّعوا السيطرة المركزية للإمبراطورية، لكنهم لم يقدروا على الصمود في وجه أعدائهم الخارجيّين. كانت جيوش القوى الأورُبّيّة أكثر تدريبًا وأفضل تسليحًا وأكبر عددًا بكثير من القوات العثمانيّة. مطوّقةً بخصوم أقوياء، لم يكن للدولة العثمانيّة "فسحة للتنفس" لترتيب بيتها من الداخل. كانت هناك حاجة إلى الوقت لبناء دولة وجيش حديثَين. كانت هناك حاجة إلى الوقت لخلق الاقتصاد الصناعيّ الذي كان أساس الدولة القوية. لم يُتح أعداء

العثمانيّين، خصوصًا روسيا، لهم هذا الوقت. خاض الجيش العثمانيّ حروبًا في أعوام التالية: (1806–1812 م) و(1828–1829 م) و(1832–1833 م) و(1839–1840 م) و(1853–1856 م) و(1877–1878 م) و(1897 م) و(1911–1913 م) و(1914–1918 م) و(1919–1923م) إضافة إلى حوادث العصيان المسلّح الكبيرة في أعوام (1804 م) و(1815–1817 م) و(1821–1830 م) و(1866–1868 م) و(1875 م) و(1876 م) و(1896–1897 م). أُجبرت الجيوش التي كان يجب أن تكون في مرحلة التدريب على خوض الحرب باستمرار وهي غير مهيّأة، وهلك القسم الأعظم منها مرة تلوَ الأخرى. أُنفقت الموارد المالية الضرورية للتحديث في حروب تمخّضت عن خسارة أرض وما يقابلها من خسارة في دخل الدولة. وباختصار، كان الضعف العثمانيّ سبب خسائر العثمانيّين، والخسائر أبقت العثمانيّين أضعف من أن يكونوا قادرين على النهوض. إنه الضعف العثمانيّ الذي أتاح للعاملَين الآخرَين، الوعي القوميّ للأقليات العثمانيّة والتوسّعيّة الروسيّة، أن يؤديا دورهما.

1/ 2] العصبية / القوميّة والثورة

كانت العصبية/القوميّة في الإمبراطورية العثمانيّة من غير ريب استيرادًا فلسفيًّا من أورُبة الغربيّة، لكن تطوّرها في الإمبراطورية كان فريدًا. كانت مظاهرها الأولى أكثر ارتباطًا بالفكرة العثمانيّة عن أمّة معرّفة دينيًّا من القومية العرقيّة المشاهدة في الغرب. منذ بداية إمبراطوريتهم، سمح العثمانيّون بوجود طوائف مسيحيّة، كما سمحوا، وحتى تبنّوا، من خلال نظام الحكم الذاتيّ المحدود للملَل الدينيّة، الانفصال على أساس الدين. أُتيح لكل جماعة أو ملّة دينية حكَم ذاتيّ لامحدود. كانت المحاكم والمدارس وأنظمة الخدمات الاجتماعية في يد مسؤولين دينيّين. انعكس الانفصال القانونيّ على الحياة

اليومية لأعضاء المِلَل الذين عاشوا وعملوا معًا على إقصاء الجماعات الدينيّة الأخرى. لم تكن تلك السياسة لدى العثمانيّين الأوائل تقيّدًا بحكم الرسول محمد في التسامح مع المسيحيّين واليهود فحسب؛ لقد كانت تطبيقًا عمليًّا لمبدأ "فرِّق تَسُد". كانت النتيجة إمبراطورية انتمى فيها الحكّام إلى دين واحد، الإسلام، وبقيت الأديان الأخرى واحتفظت بهوية مستقلة قوية. لم تجري محاولة جديرة بالذكر لدمج أعضاء كلّ ديانة في "أمّة". نظرًا إلى عمق المشاعر الدينيّة وأهمية الدين للهوية الشخصية والجماعية، ربما كان من المستحيل توحيد الجماعات المتباينة من دون تحوّل دينيّ قسريّ، ولم يتّبع العثمانيّون سياسة كهذه. وخلال قرون الحكم العثمانيّ، تحوّل كثيرون إلى الإسلام، لكن التحوّل لم يجري تبنّيه والتحوّل القسريّ لم يكن موجودًا تقريبًا [الحالة الخاصة بالانكشاريّة على أيّ حال].

في نظام المِلَل الدينيّة، تقبّل العثمانيّون وجود طبقة الرعيّة من دون ولاء فطريّ للدولة. وتحت هذا النظام، لم يكن الولاء للدولة متوقّعًا ولا كان يُمنح عادةً. ما دام النظام العام محافَظًا عليه والضرائب مسدّدة، لم يكن العثمانيّون مكترثين كثيرًا بالمشاعر الشخصية نحو الحكومة. كان مستودع الولاء الحقيقيّ هو مِلّة الشخص الدينيّة. كان (العثمانيّ) تقليديًا وصفًا لحكّام الدولة، عضو (البيروقراطيّة) أو قائد عسكريّ، وليس جنسيّة. حين حاول الإصلاحيّون الأحدث عهدًا إحداث جنسيّة عثمانيّة، كان الوقت متأخّرًا جدًا. جرى تجميد العادات القديمة في التعيين الرئيس للهوية كيونانيّ أو أرمنيّ، حيث أصبحت الآن جنسيّات إضافة إلى أديان.

ومع تقدّم القرن التاسع عشر ونمو الوعي "القوميّ" بين المسيحيّين العثمانيّين، اتّخذت عصبية الأقليات العثمانيّة الطابع "العنصريّ" كالقومية الإيطالية أو الألمانية، لكن الارتباط القويّ بالدين لم يضمحل قطّ. تأسّس أكثر وعي اليونانيّين والبلغار والأرمن القوميّ على الهوية الدينيّة. لم يكن

ذلــك غريبًا، لأن الكنائس المسيحيّة ظلت قرونًا المستأمن الرئيس للثقافات المختــلفة لكــل جماعــة مسيحيّة. ربما يأكل المسيحيّون الأطعمة نفسها، ويعيشون في بيوت متطابقة في الشكل، وحتى يتكلّمون نفس اللغة كالأتراك المسلمين، لكنهم تعبّدوا وآمنوا على نحو مستقل.

لم يتلقَّ العثمانيّون إلاّ القليل من الاعتراف بالفضل على تقليدهم الطويل والفريد في التسامح الدينيّ. وعلى نحو معاكس لما هو متوقّع، دفع العثمانيّون ثمنًا باهظًا لهذا التقليد. استخدم الأجانب عذر حماية المِلَل والأخوّة المسيحيّة كذرائع للتدخّل في الشؤون الداخلية العثمانيّة. اعتمد أعضاء المِلَل المسيحيّة على هذا الشعور بالاستقلال الدينيّ ليشكّلوا قومية مناهضة للعثمانيّة.

أعطــى التغــيّر الاجــتماعيّ والاقتصــاديّ القرن التاسع عشر داخل الإمــبراطورية العثمانــيّة المســيحيّين شعورًا بالتفوّق وعَمّق امتعاضهم من حكّــامهم المســلمين. مدعومين بصلاتهم بالقوى المسيحيّة في أورُبة وبنظام تعلــيم متفوّق، استطاع المسيحيّون أن ينالوا نفعًا غير متكافئ من التحسّن الاقتصــاديّ للقــرن التاسع عشر. علّمهم المبشّرون وغيرهم شعور التفوّق والتماثل مع قوى الاستعمار الأورُبّيّة. ومع تقدّمهم اقتصاديًا، تاق كثير من المسيحيّين في واقع الحال إلى أن يماثلوا النجاح الاقتصاديّ بقوة سياسيّة. لكن ذلــك لم يُمنح لهم. كانت الإمبراطورية العثمانيّة إمبراطورية إسلاميّة سُمح للمسيحيّين أن يعيشوا فيها. كان المسلمون إحصائيًّا وسياسيًا مهيمنين. لا بدّ من أن الاستياء من الحالة السياسية كان قوة مهمة في قوميّة الجماعات العرقية المسيحيّة. ومع تقدّم المسيحيّين اقتصاديًّا، تقابل كبرياء المسيحيّين مع كبرياء المســلمين التقلــيدي، التي عدّت التفوّق أمرًا مفروغًا منه أيضًا على أساس الديــن وقــرون مــن الهيمنة. عندما برزت الفرصة لقلب الأحوال، جرى اغتنامها على الفور.

كـــان عنصـــر الدين في قومية/عصبية الأقليات ذا شأن بطريقتين: أولاً، غذّى حِدّة القوميّين المتصلّبة ووضوح الغاية لديهم. لم يقفْ الأعداء في وجه الطموحات القومية فحسب، بل وقفوا في وجه الله. وهذا جعل الهجوم على من احتُسب من الأعداء الأسهل لدى قوم أحدهم. أتاحت العنصرية الدينية التعرّف السهل إلى العدو أيضًا. وكما سنرى، كانت كلّ جماعة قومية تنظر إلى مسلمين على أنهم أعداء قوميّون. كان يجب عدم التسامح معهم كونهم جـــزءًا من الأمّة، لأنهم لم يكونوا إخوانًا بالعِرق، وعلاوة على ذلك، كانوا "كفّارًا". كان ذلك سببًا جوهريًا للترحيل القَسريّ للمسلمين الذي صاحَب كلّ ثورة قومية.

بـــدأت قصة خسائر المسلمين لمصلحة القومية الجديدة في القرن التاسع عشـــر بالـــثورة اليونانيّة عام (1821 م). ثار الصرب قبل ذلك، لكن كان لـــثورتهم التي كانت موجّهة ضدّ سوء حكم الانكشاريّة في صربيا في المقام الأول، قليل من سمات الثورات القومية التي كانت ستحدث في القرن التالي. كانـــت الـــثورة اليونانـــيّة أولى الحركات التي حدّدت هويّتها بقتل وطرد المســـلمين مـــن أرضهم. قدّمت الثورة اليونانيّة نموذجًا اتّبعته لاحقًا ثورات قومية أخرى ضدّ العثمانيّين.

1/ 2/ 1] حرب الاستقلال اليونانية

في عام (1861 م) كتب المؤرّخ جورج فِنلي (George Finlay):

في شهر نيسان من عام (1821 م) كان سكّان مسلمون، يزيد عددهم عـــلى عشـــرين ألـــف نفس، يعيشون مشتّتين في اليونان، ويعملون مســـتخدمين في الـــزراعة. قبل انقضاء شهرين، قُتل القسم الأكبر منهم، قُتل الرجال والنساء والأطفال من دون رحمة أو ندم. لا يزال الـــرجال المســـنّون يشيرون إلى أكوام الحجارة ويخبرون المسافرين، 'هناك وقف برج علي آغا، وهناك قتلناه وحريمه وعبيده'؛ ثمّ يتابع



② أوربة العثمانية عام (1800 م)

الرجل المسنّ سيره بهدوء ليحرث الحقول التي كانت يومًا تخصّ علي آغا، من دون أيّ تفكير في أن غضبًا انتقاميًا قادر على أن يلازم طريقه. كانت الجريمة جريمة أمّة، وأيّ قلق قد تتسبّب به يجب أن يكون في ضمير الأمّة، لأن الأعمال الصالحة التي يمكنها أن تُكفّر عنها يجب أن تكون أعمال أمّة[1].

بدأت الثورة اليونانيّة ضدّ الإمبراطورية العثمانيّة في آذار من عام (1821 م) بقتل عدد من موظفي الحكومة العثمانيّة، خصوصًا جامعي الضرائب. تبع ذلك هجوم شامل في شهر نيسان على أتراك موريا (Morea) في جنوبيّ اليونان حيث قَتل القرويّون ورجال العصابات اليونانيّون ببساطة كلّ تركيّ عثروا عليه. تمّت مهاجمة الجنود الأتراك والألبان العثمانيّين وقتلهم. استسلم بعضهم، كمسلمي كالافريتا (Kalavryta) وكالاماتا (Kalamata) لليونانيّين بعد حصولهم على وعود بالأمان. جرى قتلهم أيضًا. ذُبح على الطرقات كثير ممن لاذوا بالفرار، كأتراك لقونيا (Laconia) مثلاً[2]:

في غضون ذلك، هاجم السكان المسيحيّون وقتلوا السكان المسلمين في كل بقعة من شبه الجزيرة. جرى إحراق أبراج المسلمين وبيوتهم الريفيّة وتخريب ممتلكاتهم، ذلك لجعل عودة أولئك الذين فرّوا إلى المعاقل ميؤوس منها. منذ يوم 26 آذار وحتى يوم أحد عيد الفصح الذي صادف حلوله في عام (1821 م) يوم [22] نيسان، يُفترض هلاك [15] ألف نفس [مسلمة] عمدًا وتدمير قرابة ثلاثة آلاف بيت ريفيّ أو منزل تركيّ[3].

كانت الصيحة الوطنية للثورة التي أعلنها كبير الأساقفة اليونانيّ جيرمانوس (Germanos) «السلام للمسيحيّين! الاحترام للقناصل! الموت للأتراك!»[4]. الأتراك الوحيدون الذين نجوا هم أولئك الذين كانوا قادرين على اللجوء إلى المعاقل. لاذوا بالفرار مع أسرهم إلى بعض المناطق، كقلعة أثينا، حيث كان جند الحامية العثمانيّة. هناك، إما جرى تطويقهم وقتلهم في

السنهاية، وإما، في حالات نادرة، جرى إنقاذهم بوساطة القوات العثمانيّة. ومع استمرار الثورة اليونانيّة، كانت مناطق جديدة عرضة للهجوم وتكررت مذابح المسلمين. في ميسولونغي (Missolonghi) قُتل أكثر المسلمين بسرعة، لكن النساء التركيّات جرى أسرهنّ إماء للعائلات اليونانيّة الغنيّة. جرى تعذيب مسلمي فراتشوري (Vrachori) حتى الموت. أما اليهود الذين كان اليونانيّون ينظرون إليهم كفّارًا أيضًا، فلقد جرى قتلهم بالسرعة نفسها التي قُتل بها المسلمون[5].

حدثت أحداث مشابهة في رومانيا الأرثوذكسيّة الشرقيّة في المقام الأول، حيث حاول الثوّار اليونانيّون بقيادة ألكسندر إبسيلانتس (Alexander Ypsilantes) أن يُشعلوا ثورة ضدّ العثمانيّينَ قد تمتدّ لتشملَ كلّ البلقان (آذار عام 1821 م). معتمدين على مساعدة مفترضة من روسيا، استولى إبسيلانتس ومؤيّدوه على غَلَتْز (Galatz) وياسي (Yassy). وفي المكانين، «فوجئ الأتراك من كل الطبقات، التجّار والبحّارة والجنود، وقُتلوا بدم بارد»[6]. تبع ذلك قتل موظفين عثمانيّين وجنود وأتراك محليّين في المدن والجبال. لكن الروس، ربما مدفوعين بالروح المضادة للثوريّة لمؤتمر فيينا رفضوا مساعدة إبسيلانتس عسكريًا، واستجاب العثمانيّون بسرعة للمذابح. أُجبر إبسيلانتس على الهروب، وكانت ثورته إخفاقا[7]. كان "النجاح" الوحيد لثورته قتل الأتراك.

لم تكن وفيات الأتراك في اليونان وفيات إصابات زمن الحرب. جرى قتل كل الأتراك الذين أسرهم عصابات يونانيّة، بمن في ذلك النساء والأطفال، باستثناء عدد صغير من النساء والأطفال الذين جرى أسرهم للاستعباد. قُتل الأتراك على الفور، في مزاج الثورة والابتهاج برؤية الأسياد السابقين مهزومين، لكن القتل كثيرًا ما كان محسوبًا وبدم بارد. جمع كل سكان المدن والقرى الأتراك وأُجبروا على السير خارج المدن إلى أمكنة ملائمة، حيث جرى قتلهم[8]. في تريبولتزا (Tripolitza) على سبيل المثال:

مدة ثلاثة أيام، خضع السكان [الأتراك] البؤساء لشبق عصابة من الهمجيّين ووحشيتهم. لم يُستثنَ الجنس ولا السنّ. جرى تعذيب النساء والأطفال قبل قتلهم. كانت المذبحة ضخمة إلى درجة أن [قائد العصابة] كولوكوترونس (Kolokotrones) نفسه قال إنه عندما دخل القرية عبر بوابة الحصن، لم تطأ حوافر حصانه الأرض قط. كان درب انتصاره مفروشًا بالجثث. بعد انقضاء يومين، جرى جمع البقية البائسة من المسلمين على نحو متعمّد، إلى عدد يقارب الألفيّ نفس، من كلّ سنّ وجنس، إنما في المقام الأول نساء وأطفال، واقتيدوا إلى وهد في الجبال المجاورة حيث جرى ذبحهم كالماشية[9].

وهكذا، فإن عمليات القتل كانت أعمالاً سياسية مدروسة، وليس دفقًا من الكراهية فقط. كان يُنظر إلى أتراك اليونان على أنهم عقبة في طريق يونان مستقلّة ويونانيّة صرفة. افترض الثوريّون على نحو صحيح أن ولاءات أتراك اليونان كانت نحو الإمبراطورية العثمانيّة، وليس إلى (اليونان الجديدة). ستبقى أيّ أقليّة تركيّة نقطة لمّ شمل دائمًا لعاطفة مستقبليّة مؤيدة للعثمانيّين وربما لهجوم عثمانيّ يأتي لنجدة أتراك اليونان. سيشكّل الأتراك من غير ريب طابورًا خامسًا ضدّ الثورة اليونانيّة. كان الحلّ لهذه المشكلات هو الإبادة. عندما أجبرت القوى الأوروبّيّة العثمانيّين في النهاية على إحداث مملكة يونانيّة في موريا (بروتوكول لندن عام 1830 م) كانت مملكة يونانيّة خالية من الأتراك الذين عاشوا هناك قرونًا[10]. ومع أن تقديرات الوفيات غير دقيقة، فإنه يبدو أن أكثر من [25,000] مسلم قُتلوا على أيدي الثوريّين اليونانيّين[11].

قدّمت الثورة اليونانيّة نموذجًا للثورات المستقبليّة في البلقان. تكرّرت سياسة تخليص المناطق من سكانها الأتراك باسم الاستقلال الوطنيّ في حروب أعوام (1877–1878 م) و(1912–1913 م) و(1919–1923 م). كان هدف الحروب الأخيرة مماثلاً لهدف الثوريّين اليونانيّين في عام (1821 م) إحداث أمم موحدّة من خلال إبادة الجماعات العرقيّة والدينيّة التي تقف في الطريق. كانت كراهية الأتراك عاملاً حقيقيًا في عمليات القتل، لكنها كانت عاملاً

جـــرى صبّه في أهداف الاستقلال والقوميّة. كانت الرغبة في الاستيلاء على ممتلكات ومزارع الأتراك عاملاً لا يمكن طبعًا تجاهله.

1/ 2/ 2] العصبية/القوميّة والمسلمون

لا يمكن أن تُسمّى البواعث الأوليّة للثورة اليونانيّة بواعثَ قوميّة حقيقية. في ذلـــك الحين، في عام (1821 م) وما قبل، عدّ كثير من اليونانيّين أنفسهم شعبًا. علّم التاريخ وعظمة اليونانيّين القدامى اليونانيّين على نحو فريد شعور الانفصـــالية. كـــان الدافـــع الأعظم وراء الثورة على أيّ حال دينيًّا. شعر الثوريّون أن الروم الأرثوذكس الشرقيّين سوف ينضمّون إلى ثورتهم وربما إلى دولتهم الجديدة. كان الأساقفة والكهنة في طليعة الثورة، ومن غير المؤكّد إذا كـــان الـــنجاح الذي حظيت به الثورة ممكنًا لولا شعور عامة الناس بأنهم يتصـــرفون باســـم اللّه. ومع ذلك، فإن دم الثورة ونجاحها في النهاية فَعَلا فعلهما في خلق قوميّة يونانيّة. كانت مبادئها المرشدة استرداد الأراضي "غير المســـترَدّة" الـــتي لا تزال في قبضة الأتراك وإنشاء يونان كبرى وعاصمتها القسطنطينيّة، ولادة جديدة للإمبراطورية البيزنطيّة. كان أكثر سكان الأرض المطالـــب بها للإمبراطورية الجديدة من المسلمين، خصوصًا في ثراقيا وغربيّ الأناضول. تطلّبت دعوة القومية إزالة هؤلاء المسلمين.

وكمـــا سيتبيّن، فإن خلق أمّة من خلال طرد الأتراك ومسلمين آخرين كـــان مـــبدأً اتّبعه بعد ذلك البلغار والروس والأرمن. كان من سوء حظّ المجتمعات المسلمة في البلقان والأناضول والقفقاس أنها وقفت حجر عثرة في طريق القوميات الجديدة. تضاعف سوء حظّها بحقيقة أن القوة التي اعتمدت علـــيها، الإمبراطورية العثمانيّة، لم تكن لها القدرة على الدفاع عنها. كانت معانـــاة تلك المجتمعات من سخرية القدر، إذ لو كان الأتراك في أيام قوّتهم قوميّين من النوع اليونانيّ، لكان المسيحيّون هم الذين طُردوا تاركين وراءهم

أراضـــي كانـــت تركـيّة مسلمة بكلّ معنى الكلمة. بدلاً من ذلك، عانى العثمانـيّون وبقـي المسيحيّون. كثيرًا ما كانوا يعاملون المسيحيّين معاملة حسـنة، وفي أحيان كثيرة على نحو رديء، لكنهم سمحوا لهم بأن يستمروا بالـبقاء وأن يحافظوا على لغاتهم وتقاليدهم ودياناتهم. كانوا على حق حين فعلوا ذلك، لكن لو أن أتراك القرن الخامس عشر لم يكونوا متسامحين، لبقي أتراك القرن التاسع عشر على قيد الحياة في بيوتهم.

1/ 3] التوسّع الروسيّ

مـع ضـعفها، فإن الإمبراطورية العثمانيّة لم تتقلّص أو تنحدر من ثورة داخلـية. أمـا أنها ربمـا كانت ستنهار من ضغوط داخلية، كالرغبة في إصلاحات سياسية أو قومية غير مؤيّدة لشعوبها، فهو تخمين قد يكون جديرًا بالاهتمام، لكن الإمبراطورية في الحقيقة دُمّرت في حروب عالمية مع خصوم مـتفوّقين عسـكريًا، روسـيا في المقام الأول. قرّرت الحروب ذاتها مصير الشـعوب المسلمة للإمبراطورية، كانت معاناتهم حاضرة بُعَيد الهجوم على الإمـبراطورية واجتـياح وطنهم. في بعض المناطق، كشرقيّ الأناضول في الحـرب العالمـية الأولى، كان كثير من وفيات المسلمين نتيجة نزاعات بين الطوائف، لكن تلك النزاعات حدثت أيضًا جزءًا من الحرب العالمية.

بـدأ التوسّـع الروسيّ في القرن الرابع عشر حين استعاد الروس حكمًا وطنيًا من حاكميّة القبيلة الذهبية (Golden Horde). ومع نهاية القرن الخامس عشر، تولّى القيصر الروسيّ إيفان الثالث (1462–1505 م) الحكم على مملكة جرى تحريرها من السيادة الإسلاميّة. ثمّ انعكست عملية الإخضاع. بدأ إيفان الرهيـب (Ivan the Terrible) (1533–1584 م) إخضاع الأراضي شمال البحر الأسود، حيث كان أكثر السكان مسلمين ويتكلّمون اللغة التركيّة. استمرت الحروب مع التّتار القِرَمِيِّين الناطقين باللغة التركيّة ومسلمين آخرين في عهده

ومـــئة عام بعد ذلك. كانت الحروب وحشية، قادها مغيرون على الجانبين. مثل سابقاتها، حروب توسّع مشابهة إلى حد ما في إسبانيا، أدّى قادة يخدمون مصـــلحتهم الذاتـــية وتحالفات غير مستقرّة بين المسيحيّين والمسلمين دورًا، والأطراف لم تكن دائمًا واضحة المعالم. ومع ذلك، هُزم المسلمون في النهاية. مع حلول عهد بطرس الأكبر (1689–1725 م) كانت سلطة التّتار قد جرى إنقاصها وحصرها في منطقة صغيرة تتألف من القرم والمناطق النائية القريبة.

في ظـــل حكـــم بطـــرس وخلفائه، استمر التوسّع الروسيّ جنوبًا. كان التوسّـــع بحكـــم الأوضاع على حساب الحكام المسلمين والإخضاع كان إخضاعًا للشعوب المسلمة. ربما كانت الصعاب الملازمة لهذا الإخضاع أكثر وضوحًا لدى الروس مما كان يمكن أن يكون لدى غيرهم. كان الروس مدة قرنين تحت حكم أناس مستقلّين دينيًا وعرقيًا عن السكان الذين حكموهم. نجحوا في آخر الأمر في الإطاحة بما كانوا يعدّونه حكمًا أجنبيًّا. والآن، شرَع القياصـــرة بإخضـــاع مماثل لشعوب أجنبية ويمكنهم أنفسهم أن يتوقعوا في الـــنهاية ثورة من النوع نفسه ضدّ حكام أجانب. كانت الطريقة التي تبنّاها الروس كي يضمنوا أنهم لن يلقوا مصيرًا مماثلاً لمصير القبيلة الذهبية فعّالة، ولو أنهـــا قاسية: جرّدوا المناطق التي أخضعوها من المسلمين واستبدلوا المسيحيين بهـــم. لم تكن تلك السياسة استثنائية للروس؛ ففي الوقت الذي كان الروس يقومـــون فـــيه بأفعـــالهم ضدّ المسلمين على سبيل المثال، كان المستوطنون الأورُبّـــيون في أميركـــا الشـــمالية يفرضون سياسة مشابهة على الأميركيّين الأصليّين، ولا كانت سياسة طبّقها جميع القياصرة والحكام الروس. لم يكن الـــروس الذين أحسّوا بالتعاطف والاحترام نحو الشعوب المسلمة مفقودين. ومـــع ذلك، نظرًا إلى الأمر ظاهرة تاريخية، كان إخضاع الروس للمسلمين سياســـة جرى تطبيقها على نحو ثابت وفعّال مدة (150) عامًا. يعكس اليوم مصـــور الأعـــراق البشرية لجنوبيّ روسيا والقرم والقفقاس نجاح العمليات الروسيّة.

إن التحقيق في أسباب الاستعمار الروسيّ خارج نطاق هذه الدراسة. عزا العلماء الدافع الروسيّ للضمّ إلى كل شيء، من جنون الاضطهاد (نتيجة تذكّر هيمنة المغول) إلى الرغبة في مرافئ مياه دافئة؛ لكن التعليلات الأسهل، كمتطلبات الهيبة الاستعمارية والرغبة في مكافأة المناصرين بأراضٍ جرى الاستيلاء عليها، لا يمكن تجاهلها. كثيرًا ما كان الاستعمار هو المسوِّغ لنفسه. ومهما كان السبب الجوهريّ، فإن أكثر التوسّع الروسيّ كان على حساب الشعوب المسلمة. كان تتار القرم أول جماعة كبيرة من المسلمين تخضع لهجرة قسريّة. كانت تجربتهم مثقّفة، ليس بسبب معاناتهم فحسب، بل لأن تجربة التّتار أسّست نمطًا للتوسّع الروسيّ اللاحق.

1/ 3/ 1] هجرة تتار القرَم

يُعد التّتار القرَميُّون متحدّرين من قبائل توركيّة أتت إلى المنطقة بين أعوام (1000–1300 م) في موجات متنوعة من الفتوحات. ومع أن القرَميِّين في الحقيقة كانوا مستقلّين إلى حد كبير تحت زعامة الخان منهم، فإنّهم كانوا رمزيًا تابعين للسلطان العثمانيّ منذ أواخر القرن الخامس عشر فصاعدًا. قاتَل خانات القرَميِّين القياصرة الروس على نحو مستقلّ وكحلفاء/ تابعين للعثمانيّين. ومع ازدياد القوة الروسيّة، تضاءلت بالمقابل قوة التّتار. بعد إفساد ولاءات التّتار النوغيه (Nogay) في يديسان (Yedisan) (شمال شرقي القرم الأصلية) من الخان القرَمي في عام (1770 م) اجتاح الروس القرم في عام (1771 م) فارضين على القرَميِّين أن يقبلوا الهيمنة الروسيّة. في معاهدة كوجك قيانرجا (Küçük Kaynarca) عام (1774 م) تقبّل العثمانيّون حقيقة فقدان السلطة على القرم واعترفوا بها دولة مستقلّة، مع تضاؤل الأراضي، في ظلّ خان مقبول من الروس. باشر الروس في توطين مسيحيّين من الإمبراطورية العثمانيّة على الأراضي التي استولوا عليها من المناطق القرَمية القديمة. كان المستوطنون الجدد في الحقيقة قوات عسكرية أسّسها الروس.

حين ثار التّتار على الخان الذي نصّبه الروس، هاجمت تلك القوات العسكرية الجديدة التّتار وأحرقوا قفة (Kefe) ومدنًا قِرَمِيَّة أخرى، وقتلوا مئات الثوّار التّتار في المدن، مع زوجاتهم وأولادهم. جرت مطاردة آخرين في الجبال وقتلهم هناك[12]. دام استقلال القِرَمِيِّين حتى عام (1783 م) فقط، حيث أعلنت الإمبراطورة كاثرين العظيمة (Catherine the Great) ضمّ القرم بعد الاجتياحات الروسيّة الأخرى[13].

بدأت هجرة التّتار من القرم والمناطق المجاورة إلى الإمبراطورية العثمانيّة، مدفوعين بالرغبة في تجنّب الحكم الروسيّ، في عام (1772 م). لا يُعرف إلاّ قليل جدًا عن أعداد هؤلاء المهاجرين الأوائل، التي ربما كانت مرتفعة إلى حدود مئة ألف مهاجر[14]. بالمثل، لا يُعرف إلاّ قليل عن الضغوط الروسيّة التي دفعتهم إلى الفرار. من المعروف أن الذين بقوا أكثر من الذين فرّوا. في مطلع القرن التاسع عشر، ظلّ القرميّون والتّتار النوغيه العنصر السكانيّ السائد في أوطانهم. في النهاية، كان التّتار الباقون سيُطردون أيضًا من ديارهم. قدّم مارك بنسون (Mark Pinson) حجّة مقنعة بأن الضغط الرئيس على التّتار كان إداريًّا[15]. من خلال إجراءات "قانونيّة" وغير قانونيّة على السواء، استولى مالكو العقارات والرسميّون الروس على رقعات فسيحة من أراضي التّتار. كان يُرمى بالفلاّحين التّتار خارج أراضي أسلافهم على نحو منتظم. علاوة على ذلك، كان التّتار الذين بقوا للعمل في أراضي أسيادهم الجدد ضحية رسوم مضافة ومصادرات وعمل قسريّ. رفعت الحكومة الروسيّة ضرائب التّتار باستمرار، وتمت جباية ضرائب إضافية غير قانونية لجيوب المديرين. إضافة إلى ابتزازات الإدارة الرَوسيّة، استُخدم الجيش لمضايقتهم. على سبيل المثال، استقرّ جيش قوزاقيّ كاملاً على الساحل القرمي عقب الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1828–1829 م) وضايق القرى التّتاريّة في المنطقة[16].

أوصلت حرب القرم (1854–1856 م) وضع التّتار إلى الذروة. افترضت الحكومة الروسيّة، ربما على نحو صائب، أن تعاطف التّتار كان مع العثمانيّين وحلفائهم البريطانيّين والفرنسيّين وليس مع روسيا. لإحباط أيّ ثورة، أرسل الـــروس وحدات مسلّحة بين التّتار. أغار القوزاق وجنود آخرون على قرى تـــتاريّة وهدّدوا بإبادتها[17]. قُتل كثير أو أُجبروا على الفرار[18]. جرى نفي عدد غير معلوم إلى الداخل الروسيّ[19]. علّق جنرال روسيّ شهد الأحداث قائلاً:

> **مـــن بداية الحرب إلى نهايتها، حفر القوزاق القرى القرَمية، متّهمين القرَميّين باستمرار بمساعدة العدو، يعتقلونهم ثمّ يطلقون سَراحهم بعد دفَع الرشاوى؛ قُتل آخرون أو طُردوا[20].**

إن مســـاعدة تتار القرم للحلفاء خلال حرب القرم كانت في الواقع في حدهـــا الأدنى. كان التّتار شعبًا منزوع السلاح كاملاً من دون أمل بثورة فعّالـــة[21]. ومـــع ذلك، أوضحت الحكومة الروسيّة بصراحة مباشرةً بعد الحرب أن التّتار غير مرغوب فيهم. في عام (1856 م) أمر القيصر ألكسندر (Tsar Alexander) بتســـهيل هجـــرة التّتار. كان أكثر الضغط الذي مورس عـــلى التّـــتار ما يمكن أن يسمّى اليوم "نفسيّـــا"، تأسيس مجتمعات لنشر المسيحيّة، شائعات عن مخطّط ترحيلٍ جماعيّ إلى الشمال، إجراءات "ترويس" في التعلـــيم واللغة الإدارية، وما شابه ذلك. وعلى نحو محدّد أكثر، فُرضت ضـــرائب جديدة على أراضي التّتار، وأراضٍ أخرى جرى الاستيلاء عليها، وطُرد تتار آخرون من الأرض[22]. بشأن تتارٍ القرم، كانت العلامة المشؤومة وجـــود عشرات آلاف التّتار النوغيه في القرم الذين طُردوا من ديارهم شمال القـــرم وغـــربها والذين كانوا يمرّون عبر القرم في طريقهم إلى المرافئ وإلى الإمبراطورية العثمانيّة. خُيِّر النوغيّون بين مغادرة أراضيهم إلى مناطق أخرى لـــيس مـــرغوبًا فيها كثيرًا في روسيا والهجرة إلى الإمبراطورية العثمانيّة. لا يستطيع إخوانهم التّتار في القرم إلاّ أن يتوقّعوا أن دورهم سيأتي قريبًا[23].

استمرّت هجرة التّتار النوغيه إلى عام (1860 م). انضم التّتار القِرَميُّون إلى الهجرة الجماعية[24]. أتوا إلى إمبراطورية عثمانيّة غير مهيّأة لاستقبالهم. صرّح مراقبو هجرة القرميّين الجماعية بأن المال لم يكن كافيًا، والخيام غير كافية، والطعام غير كافٍ، ووسائل النقل غير كافية[25]. كانت الأوضاع الصحيّة بين اللاجئين المحشورين في مخيّماتهم يُرثى لها. ربما كان يموت ما بين (50—60) شخصًا يوميًا في مجيدية (Mecidiye) وهو مركز رئيس لتجميع وتوطين التّتار المنفيّين[26]. كان الوضع مشابهًا في المناطق الأخرى التي استقبلت اللاجئين. لم تعد القرم أرضًا إسلاميّة. هاجر (300,000) تتري[27] على الأقل، تاركين أراضيهم ليشغلها سلاف ومسيحيّون آخرون. عاش القسم الصغير المتبقّي من التّتار بعد الحرب العالمية الثانية، حيث وضع ستالين حدًا لوجود التّتار في القرم بترحيل كلّ من تبقّى منهم[28].

ما لا يُصدّق أنه مع معاناتهم الشديدة، حقّق التّتار نجاحًا هو الأفضل بين الشعوب المسلمة التي طردها الروس من ديارها. ما بدأه الروس مع التّتار كان له أن يستمرّ بوحشيّة أكبر بكثير في القفقاس والبلقان. لحمل التّتار على الفرار، جرى تطبيق أسلوب الضغط الإداريّ، والمعاملة الجائرة، وأحيانًا العنف الجسديّ. اضطرّ التّتار، العُزُل وغير المحميّين والذين يمتلكون المسوّغ للخوف على دينهم وثقافتهم وحياتهم، إلى الفرار. نادرًا ما كان الروس في الحقيقة يوجّهون الحراب إلى ظهورهم ويطردونهم بالقوة؛ لم تكن هناك حاجة إلى ذلك. وكما كانت ستبرهن الأحداث في القفقاس، فإن التّتار كانوا على حقّ في افتراض أن الحراب كانت جاهزة وسوف تُستخدم إذا تطلّب الأمر ذلك.

1/ 4] الحروب والإبعادات القادمة

تعثّر الحكام الروس في سياسة الهجرة من القرم. تبنّاها بعضهم في منتصف القرن التاسع عشر علاجًا نهائيًا لمسألة المسلمين الذين يعيشون في ظل الحكم

الروسيّ ولأسباب اقتصادية واستراتيجية واضحة. كان آخرون غير متأكّدين، بسبب الخسارة الاقتصادية القصيرة المدى التي صاحبت رحيل العنصر الزراعيّ الرئيس للقرم في المقام الأول. ومع ذلك، جرى التعويض عن الخسارة بعد رحيل التّتار، وأصبحت الأراضي القرَمية جزءًا ذا قيمة من روسيا السلافيّة، لأن النبلاء الروس استولوا على ممتلكات ضخمة. تعلّم في المستقبل صنّاع السياسة الروس درسًا. في الفتوحات التي تلت، كان الطرد القسريّ للشعوب أداة فعّالة في السياسة الروسيّة. بخلاف التّتار القرَميّين، لم يكن هؤلاء المسلمون مستعدّين للرحيل من أجل ضغوط إدارية في الدرجة الأولى؛ في رأيهم، كانت الضغوط التي مورِست عليهم أشدّ عنفًا؛ مذابح ونهب وتدمير بيوت وقرى.

كانت الوساطة التي من خلالها أفضت القومية والاستعمار إلى فقدان مسلمي البلقان والأناضول والقفقاس هي الحرب. كانت كلّ الحروب، باستثناء حرب واحدة، حروبًا مع الإمبراطورية الروسيّة، وهُزم المسلمون في كل الحروب باستثناء الحرب الأخيرة. بدأت الحروب في الغرب بالثورة اليونانيّة عام (1821 م) والحرب الروسيّة التركيّة في عامي (1828–1829 م). واستمرّت بحرب القِرَم في الأعوام (1853–1856 م) والحرب الروسيّة التركيّة في عامي (1877–1878 م) وحروب البلقان في عامي (1912–1913 م). وفي الشرق، بدأت الحروب المدروسة هنا بالحروب الروسيّة الفارسيّة والروسيّة التركيّة في الأعوام (1827–1829) ثمّ حرب القِرَم وحرب عامي (1877–1878 م) والحرب العالمية الأولى. إضافة إلى طرد المسلمين بسبب هذه الحروب، حارب الروس المسلمين القفقاس وطردوهم من ديارهم في ستّينيات القرن التاسع عشر. كانت الحرب الأخيرة، حرب الاستقلال التركيّة (1919–1923 م) هي الحرب الوحيدة التي انتصر فيها المسلمون.

في كلّ حرب من حروب القرنين التاسع عشر والعشرين، قُتل مسلمون وطُرد مسلمون من ديارهم. مات ملايين المسلمين وأُبعد ملايين آخرون.

كانت كلّ حرب مختلفة عن الأخريات، لكن تأثير الحروب في المسلمين كان متساويًا، قُتلوا أو طُردوا من ديارهم بأعداد كبيرة. لم تكن هزائم العثمانيّين مسائلَ عسكرية واقتصادية فحسب؛ كانت مناسَبة لتحولات ضخمة في السكان ولوفيات كثيرة. خلال العملية، لم تكن وفيات المسلمين هي الوفيات الوحيدة، مع أن عدد القتلى المسلمين قزّم أعداد القتلى اليونانيّين أو البلغار أو الأرمن. لجميع شعوب البلقان والأناضول والقفقاس، كان القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين عصر الرعب. عانت كلّ الجماعات ويلات الحرب والمجاعة والمرض التي صاحبت الحرب، وعانت الهجرة القسرية للخاسرين. يروي الفصل التالي على نحو انتقائيّ تاريخ هجرة المسلمين ووفيّاتهم. إن الوصف الانتقائيّ لمعاناة المسلمين مناسب، لأن انحسار الأرض الإسلامية والإبعادات كانت أحداثًا تاريخية متواصلة، تُقدّم صورة تاريخية مترابطة. علاوة على ذلك، إن عدم فهم مصير المسلمين يجعل فهم التاريخ الكلّيّ للإمبراطورية العثمانيّة وروسيا، وكذلك تاريخ الشعوب غير المسلمة للإمبراطوريّتين، أمرًا مستحيلاً.

2] شرقيّ الأناضول والقفقاس

إن روسـيا نصـف قرد ونصف دبّ. إنها تقلّد أورُبة في الممالك الأجنبـيّة، ولكـن في الوطـن يُشعَر بكفّ الدبّ في كلّ مكان (إيفان غولوفِـن/ Ivan Golovin)[1].

كـان أكثر ما سُمّي تاريخ القفقاس وشرقيّ الأناضول في القرن التاسع عشـر ومطلـع القرن العشرين في الواقع دعاية في المقام الأول من جماعات عرقيّة تنافست في السيطرة على المنطقة. وبينما كان مألفو هذا التاريخ أكثر مـن مسـتعدين لتضخيم خسائر جماعاتهم، بدا أنهم لم يكونوا مدركين أن جماعات العدو تجشمت خسائرَ أيضًا. أدّى ذلك إلى رغبة في تصنيف المعارك بمجـازر والحـروب 'إبـادة جماعـية'. إن الطريقة الأخرى لفعل ذلك هي الاعتراف بأن الجانبين كانا يطلقان النار وبأن الجانبين لقيا حتفهما.

وفي غياب تاريخ دقيق، على المرء أن يتّكل على المصادر الأصلية. لسوء الحظّ، إنها هي الأخرى ناقصة إلى حدّ كبير لأجل دراسة عن مسلمي شرقيّ الأناضول والقفقاس. لا تصبح السجلات الحكومية العثمانيّة متاحة إلاّ شيئا

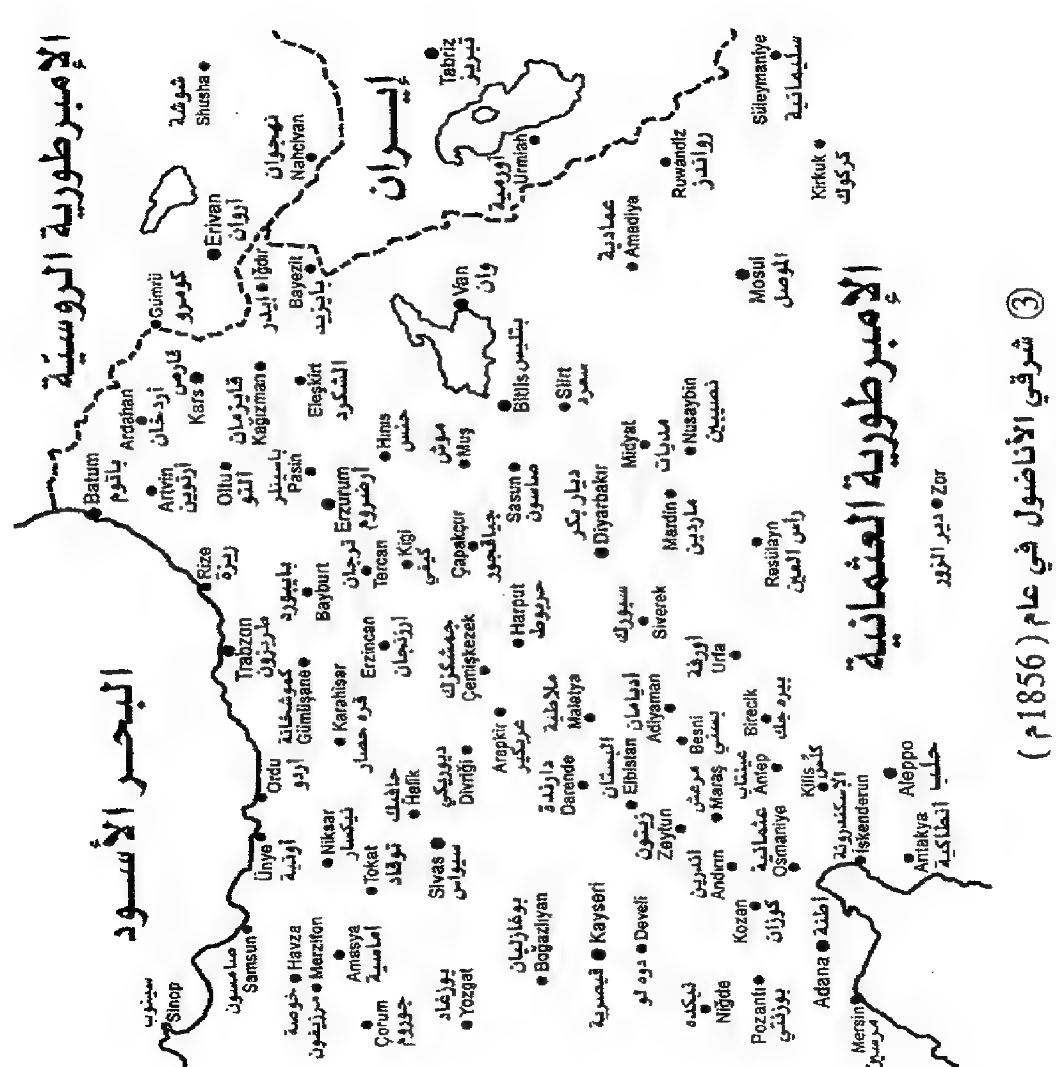
فشيئًا ببطء وبجهد جهيد، والحالة مع السجلات الروسيّة مشابهة. كان القناصل الأوربّيون معدودين وعادةً متحيّزين بشدة، ونادرًا جدًا ما شاهدوا الأحداث التي نقلوها فعليًا. لذلك، يجب جمع الأدلّة عن شرق الإمبراطورية العثمانيّة باجتهاد، وتشديد الباحث يجب أن يكون على الحقائق الملاحظة وليس على التأويلات والتحليلات المعاصرة التي كثيرًا ما كانت تُنتقص بشكل خطير بسبب التحيّز.

ابتدأت المنطقة الجغرافية المدروسة في هذا الفصل من السهب شمال سلسلة جبال القفقاس وامتدت جنوبًا لتشمل كل شرقيّ الأناضول، ثمّ شرقًا لتشمل أذربيجان الفارسيّة وغربًا حتى إقليم سيواس (vilâyet of Sivas) على الأقل[2]. كانت منطقة شاسعة ومتعددة اللغات. كان المسيحيّون ممثّلين في المقام الأول بالأرمن المنتشرين في كل المنطقة، وبالجورجيّين في وطنهم، وبالكلدانيّين والنسطوريّين في الجبال الجنوبية. كان اليونانيّون بأعداد مهمة فقط على ساحل البحر الأسود. من جنوبيّ القفقاس (عبر القفقاس/ Transcaucasia)، واليوم الجمهورية الإرمينيّة والجمهورية الأذربيجانيّة وقسم من جورجيا) إلى الجبال شماليّ العراق، كان المسلمون من الأتراك والكُرد. كان الأتراك الأذر الذين عاشوا في أذربيجان (منطقة جنوب شرقيّ القفقاس وشمال غربيّ إيران) مسلمين شيعة في المقام الأول. وشكّل الأتراك السنّة غالبية السكان في أقصى جنوبيّ القفقاس وفي كل شرقيّ الأناضول باستثناء الجنوب الشرقيّ، حيث عاشت جماعات من الأتراك السنّة في المدن وبعض المناطق الريفية. وبينما كان الكُرد بدوًا وأنصاف بدو في المقام الأول، فإن الكُرد الزراعيّين والحضر عاشوا في مدن الجنوب الشرقيّ وقراه. تواجدت القبائل الكرديّة في كل شرق الأناضول، مشكّلة كتلة متآزرة في منطقة الدرسم (Dersim) (جنوب غربيّ أرزنجان Erzincan) وإقليم وان (Van Vilâyeti) وشماليّ العراق وجنوبيّ غربيّ فارس.

كان السكان المسلمون لجبال القفقاس والمنطقة الساحلية الشرقية للبحر الأسود والمنطقة الساحلية الشمالية الغربية لبحر قزوين يتشكّلون مما يسمّى عادةً القبائل القفقاسيّة. في مطلع القرن التاسع عشر، كان الجركس، الذين انتشروا ذات مرة فوق أراضٍ أوسع، السكان الرئيس لشمال غربيّ القفقاس. قبائل مختلفة قطنت في داغستان (Daghestan) (جبال وساحل وسط غرب قزوين)، الشيشان والآندي (Andis) والآفار (Avaris) والأتراك الأذر. في الغرب، قطن اللاز (من جماعة اللغة الجورجيّة) في المناطق الساحلية قرب باتوم (Batum) وفي الجنوب من ريزة (Rize). وقطن الأبخاز (وهم أيضًا جماعة لغوية جورجية) في المنطقة الساحلية شمالاً، مركزها سخمقلة (Sukhum kale). كان عدد من القبائل الأخرى، كثير منها مرتبط بجماعات أكبر، منتشرًا في كل القفقاس. ومع أن الهجرة كانت ستغيّر بعد ذلك أنماط الاستيطان إلى حد كبير، فإن المسلمين في عام (1800 م) كانوا من غير ريب أكبر جماعة دينية. كان المسيحيّون أكثرية في جورجيا وأجزاء صغيرة من الأناضول فحسب.

بدراسة القفقاس وشرقيّ الأناضول، يدرك المرء أنه يمكن، بل يجب، أن يكون التعامل معهما منطقة واحدة، مع الحدود السياسية. طوال فترة المئة سنة لهذه الدراسة، لا يمكن فهم تاريخ وشعوب القفقاس وشرقيّ الأناضول على نحو منفصلٍ. ظلّت الصلات بين شعوب المنطقة اقتصاديًّا واجتماعيًّا ولغويًّا ودينيًّا قوية حتى عشرينيات القرن العشرين، وربما إلى ما بعد ذلك.

لفهم مدى التقارب في تاريخ شعوب "الجنوب الروسيّ" و"الشرق العثمانيّ"، ليس على المرء إلاّ أن ينظر إليهم جماعات دينية، لا على أساس حدود سياسية. من المستحيل النظر إلى الأرمن الأناضوليّين كما لو أنهم ليسوا مرتبطين حميميًّا بأرمن أروان (Erivan). عبَر أكثر مما ينبغي من المهاجرين من الإمبراطورية العثمانيّة إلى روسيا، وأكثر مما ينبغي من الأساقفة



③ شرقي الأناضول في عام (1856م)

مـــن نطاق سلطة اسطمبول إلى تلك التابعة إلى أجه ميادزين (Echmiadzin) وإيّابًا، وعبَر أكثر مما ينبغي من الثوريّين الحدود المرة تلوَ الأخرى كي يُصنّف الأرمن بدقة أرمن أتراكًا وأرمنًا روسًا بأيّ معنى إلاّ المعنى السياسيّ. والأمر نفسه كان صحيحًا بشأن المسلمين، خصوصًا أتراك وأكراد جنوبيّ القفقاس وشرقيّ الأناضول. ومع أن أكثر هجرات المسلمين كان على هيئة نزوح من جـــنوبيّ القفقـــاس إلى شرقيّ الأناضول، فإن هجرات كبيرة كانت جارية لأغـــراض الـــتجارة والعمل والأسرة. عبَر البدو المسلمون الحدود السياسية بحـــرّية. جلبـــت تدفقـــات جديدة من المهاجرين عنوةً أخبارًا عن القفقاس لإخوانهم المسلمين في الشرق. من الواضح أن الأرمن في ظل الحكم الروسيّ والعـــثمانيّ كانوا يرون بعضهم إخوة، مهما كانت جنسيّتهم. والأمر نفسه صـــحيح عـــند المسلمين. من غير المؤكد إذا كان مفهوم الجنسية، بالمقارنة بالانتماء الدينيّ، توطّد على نحو كبير في أيّ من القفقاس أو شرقيّ الأناضول قبل عشرينيات القرن العشرين. في الشرق، شعر المسلم القفقاسي بأنه أقرب إلى مسلم أناضوليّ منه إلى أرمنيّ قفقاسي، تمامًا كما نسب الأرمنيّ الأناضوليّ الشـــرقيّ نفســـه إلى أرمن القفقاس، وليس إلى المسلمين الأناضوليّين. لهذا الســـبب، من السخف التحدث عن جماعة كبيرة من رعايا روسيا المسلمين الموالين لها في القفقاس أو عن رعايا الإمبراطورية العثمانيّة الأرمن الموالين لها في شـــرقيّ الأناضـــول. في كلتا المنطقتين كان هناك مسلمون وأرمن جرى دمجهم في المنظومة السياسية ويمكن عدّهم رعايا موالين أو حتى وطنيّين. ومع ذلك، كان أكثر الأرمن والمسلمين فلاحين أو بدوًا لم يعرفوا انتماءً حقيقيّـــا فوق قبيلة أو قرية، إلاّ انتماءهم الدينيّ. إن انتماءهم الرئيس لجماعاتهم الدينية برهنت عليه حروب القفقاس وشرقيّ الأناضول المرة تلوَ الأخرى.

ظهـــر تعـــاطف الأرمن والمسلمين علانية في زمن الحرب. لم يكن هناك ريـــب فيما يتعلّق بولاء كلّ جماعة. ومع حقيقة أن بعض المسلمين قاتل إلى

جانب الروس، خصوصًا في حرب القرَم[3]، وأن كثيرًا من أرمن الطبقة المتوسطة دعموا الحكومة العثمانيّة، فإن الأرمن والمسلمين على السواء في الشرق افترضوا أن مكانهم كان جانب إخوانهم في الدين. كان هذا صحيحًا في القفقاس وشرقيّ الأناضول معًا. في القفقاس، استجاب المسلمون لنداءات العثمانيّين للثورة ضدّ أسيادهم الروس في زمن الحرب وقاتلوا كعصابات وقوات نظامية ضدّ أسيادهم الروس، كما صرّح دبليو إي دي ألِن (W. E. D. Allen):

> **[في الحرب العالمية الأولى] كانت هناك عناصر مختلطة إلى حد بعيد في وديان تشورة (Çoruh) وألتو-تشاي (Oltu-çay): ساد المسيحيّون (الأرمن) في مدن أرتوين (Artvin) وأردنجه (Ardanuch) وأردخان (Ardahan) وألتو (Oltu) بينما كان المسلمون هم الأكثرية في الريف؛ اشتمل هؤلاء المسلمون على جماعات من أصول جورجية، كاللاز والأجار (Acars) وعلى الأتراك وبقايا القبائل التّتريّة القديمة والشركس الذين استوطنوا بعد عام (1864 م) على ما كان آنذاك الجانب التركيّ من الحدود. بصرف النظر عن أصولهم العرقيّة، أثبت جميع المسلمين أنهم نوعًا ما جاهزون لمساعدة الأتراك، خصوصًا عندما أتوا جيشًا غازيًا. وهكذا، دافع شركس ساريقميش العليا (Upper Sarikamiş) بصلابة عن أكواخهم الحجرية الجبلية إلى جانب السائلين الأتراك، وقدّم سكان النجاد الفقراء كميات ضئيلة من الطعام لفرق حافظ حقّي العسكرية خلال زحفها اليائس عبر جبال اللّه أكبر [في غزوها المشؤوم لجنوبيّ القفقاس][4].**

بدأ بعض الأرمن يتصرفون مساعدين للسياسة الروسيّة والجيش الروسيّ مبكّرًا مع مطلع القرن الثامن عشر، في عهد بطرس الكبير. بدأ يقوى اتّكال الأرمن على روسيا وأملهم في مساعدات من هذا الجانب منذ غارات الروس الأولى على القفقاس. منذ حكم بطرس الكبير ، حين أسّسوا قوة عسكرية ليساعدوا غزو القياصرة المنطقة[5]، تعهّد الأرمن القفقاس بالولاء

والدعـــم للقياصـــرة الروس. خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دعم الرسميّون الأرمن العلمانيّون والمؤمنون الغزو الروسيّ لحاكميّات المسلمين في القفقـــاس والإطاحـــة بحكامها المسلمين. في الوقت ذاته، عمل الأرمن أولاً جواســيس للــروس ضدّ حكّامهم المسلمين، أي الإمبراطورية الفارسيّة[6]. حـــين كانت مدينة دربند (Derbend) تحت الحصار الروسي عام (1796 م) أرسل سكانها الأرمن إلى الغزاة معلومات عن مصادر الإمداد المائيّ للمدينة، مـــا أتـــاح للـــروس أن يهزموا خان دربند[7]. صرّح رئيس أساقفة أرمنيّ، أرغوتنسكي-دولغوروكوف (Argutinskii-Dolgorukov) علانية (تسعينيات القـــرن الثامن عشر) بأمله وإيمانه أن الروس «سيحرّرون الأرمن من حكم المســـلمين»[8]. الرعايا الأرمن للإمبراطوريّتين الفارسيّة والعثمانيّة، وكذلك الأرمن الذين يعيشون في الإمبراطورية الروسيّة، قاتلوا إلى جانب الروس ضدّ بـــلاد فـــارس والإمـــبراطورية العثمانيّة في حروب أعوام (1827–1829 م) وحرب القِرَم[9].

أبـــدى الأرمن في الأناضول العثمانيّة أولاً ولاءهم للقضية الروسيّة أيضًا بعمـــلهم جواسيس للروس. عبَر الأرمن من الأناضول الحدود وقدّموا تقاريرَ عـــن تحـــرّكات القوّات العثمانيّة في جميع حروب شرق الأناضول. ساعد الأرمـــن الأناضوليّون الجيوش الروسيّة الغازية في عام (1827 م)؛ تبع الجيش الروســـيّ حين غادر عدّة آلاف إلى خارج الأناضول. خلال حرب القِرَم، قدّم الأرمن معلومات استخباراتية من مدينة قارص (Kars) المحاصرة للروس. مهّـــد المرشدون الأرمن من الأناضول العثمانيّة الطريق للغزاة الروس في عام (1877 م). رحّـــب أرمن وادي الشكرد (Eleşkirt Valley) بالجيوش الروسيّة الغازيـــة في عام (1877 م) وعندما انسحب الروس، غادر الجميعِ معهم[10]. وكما سيتبيّن، كان الأرمن في شرقيّ الأناضول والقفقاس حلفاء للروس في الحرب العالمية الأولى.

بدأ اتّكال الثوريّين الأرمن في الأناضول على الروس يصبح واضحًا بحلول منتصف القرن بالثورة في الزيتون (Zeytun). عندما كانت هناك حاجة إلى موارد مالية لتقوية دفاعات زيتون ضدّ العثمانيّين في عام (1854 م) بينما كان العثمانيّون يقاتلون الروس في حرب القِرَم، حاول الثوار الأرمن الحصول على مساعدة مالية من الروس[11]. في عام (1872 م) كتب أرمن وان (Van) كونهم "جالية" إلى نائب الإمبراطور الروسيّ للقفقاس يطلبون المساعدة ضدّ حكومتهم. طالبوا بأن يُصبحوا من الرعايا الروس، وعلى نحو محدّد أكثر، بدؤوا يجمعون أسلحة[12]. توالت الاتصالات بين الأرمن العثمانيّين والإمبراطورية الروسيّة ضمن نشاطات الجماعات الثوريّة الإرمينيّة الرئيس، خصوصًا الطاشناق (Dashnuks) و(Dashnaktsuthiun). كانت إرمينية الروسيّة مركزًا لتجميع الأسلحة والتنظيم الثوريّ الموجّهَين ضدّ العثمانيّين[13]. سهّلت علاقة الثوريّين بالكنيسة الإرمينيّة نشاطاتهم إلى حد بعيد. كونها هيئة، اجتازت الكنيسة في واقع الحال الحدود العثمانيّة الروسيّة، لأن مركزيها كانا في أجه ميادزين في إرمينية الروسيّة، وفي اسطمبول؛ تنقّل رجال الدين والأساقفة والأفكار بحرّية بين نطاقيّ السلطة الكنسيّة. مستخدمين تسهيلات الكنيسة، حافظ رجال الدين الثوريّون على الاتصالات بين الثوريّين في جنوبيّ القفقاس والأناضول والحكومة الروسيّة والثوريّين. إن وجود الكهنة والأساقفة في الحركة الثوريّة الإرمينيّة[14] جمع مُرتكَزيّ الهوية الإرمينيّة معًا، الكنيسة والقومية العصريّة. كما أعطى مباركة دينيّة للقومية العلمانيّة وقدّم القومية الإرمينيّة في إطار دينيّ يفهمه القرويّون الأرمن الأناضوليّون الشرقيّون بسهولة. علاوة على ذلك، قدّم رسميّو الكنيسة مساعدة عملية للثورة. على سبيل المثال، حوّل رئيس دير للرهبان باغرات فاردابيت تافاكليان أو «آكي» (Bagrat Vardapet Tavaklian, or "Akki") دير ديرك (Derik) على الجانب الفارسيّ للحدود العثمانيّة الفارسيّة، إلى مستودع أسلحة ونقطة تسلّل لثوريّين أرمن يعملون في الإمبراطورية العثمانيّة[15].

يفسّر امتداد شرقيّ الأناضول والقفقاس كثير ما بدا عنفًا عفويّــًا اندلع في المنطقــتين. تعامل التاريخ التقليديّ مع كلّ تفجّر عنف بين الطوائف في شـــرقيّ الأناضـــول أو القفقـــاس حدثًا منعزلاً. بمعزلٍ عنً سياقها التاريخيّ والجغـــرافيّ، فإن التعليل الوحيد للنزاعات هو أنها كانتً نتيجة تدفّق مشاعر لاعقلانـــيّة. لأن هجمات الأرمن على المسلمين لم تُؤخذ في الحسبان إلاّ ما ندر (هجمات المسلمين على الأرمن فحسب) كان من السهل على المعلّقين أن يصـــوّروا المســـلمين متوحّشين شعروا بين فينة وأخرى بالحاجة إلى قتل المســـيحيّين. في الحقيقة، هاجم الأرمن المسلمين تمامًا كما هاجم المسلمون الأرمن، وأحيانًا من دون استفزازٍ واضح أو مسوّغٍ مباشر. كان ذلك أحيانًا تدفّقًـــا لكراهية لاعقلانيّة، ولكنّ ما كان اعتياديّـــًا أكثر هو أن ينشأ ذلك عن وعي الجانبين لتاريخهما. بسبب هذا التاريخ وبسبب معرفة الأحداث في القفقاس والأناضول، علم الأرمن والمسلمون على السواء أن إخوانهم كانوا يقتلون بعضهم بأعداد كبيرة. وعلموا أن الطرفين أُجبرا على أن يفرّ أحدهما مـــن الآخر أو يلاقي حتفه، مرة أخرى بأعداد كبيرة، وعلموا أنه إذا انتقلت الحرب بين الطوائف إليهم، فسوف يلقَون مصير نفسه إخوانهم في الدين، ما لم يهزموا أعداءهم. هذه نبوءة إرضاء الذات التقليدية، قَتَلَ الطرفان لأن كلّ طـــرفٍ كان على علم بأن الطرف الآخر سوف يقتله، وهي معقولة ضمن هذا السيّاق.

خلاصة القول، لفهم تاريخ العداوة بين الأرمن والمسلمين، على المرء أن يـــنظر إلى القفقاس وشرقيّ الأناضول كلها، منطقة كاملة قاتل فيها الأرمن والمسلمون من أجل السيادة مدة مئة عام.

2/ 1] التوسع الروسي

بطـــرق عديـــدة، شكّل التوسّع الروسيّ في القفقاس أساسًا للعداوة بين الأرمـــن والمســـلمين. في هذا، كما في طرق عديدة أخرى، كانت منطقتا

القفقاس وشرقيّ الأناضول مرتبطتَين معًا، لأن الاثنتين كانتا مراحلَ في توسّع الإمبراطورية الروسيّة بقضم الأرض. في فترة مبكّرة تقريبًا من الفتوحات الروسيّة، بدا الجورجيّون والأرمن حلفاء طبيعيّين في التوسّع الروسيّ. خشيَ الجورجيّون، شعب مسيحيّ أرثوذكس في جنوب وسط القفقاس، هيمنة الإمبراطورية الفارسيّة أو العثمانيّة. دفع هذا الخوف والألفة الدينية المألوفة مع الروس المسيحيّين الأرثوذكس الحكام الجورجيّين إلى أن يصبحوا أولاً حلفاء القياصرة ثمّ رعاياهم. كان الوضع الأرمنيّ مختلفًا: مبعثرين في كل جنوبيّ القفقاس وشرقيّ الأناضول، لم يكونوا بأكثرية واضحة في أيّ منطقة كبيرة في عام (1800 م). عاش الأرمن في الأرض نفسها كالمسلمين وادّعوا أنها أرضهم. كانت هذه الحقيقة هي التي جعلتهم يتحالفون مع الروس، إذ من دون مساعدة روسيّة كان نَيْل وطنٍ أرمنيٍّ غير ممكن.

يمكن المرء بالإدراك المؤخَّر أن يركّب نموذجًا عن الاحتلال الروسيّ للقفقاس. كان الهدف الظاهريّ استبدال رجحان سكاني مسيحي وسياسي روسي بهيمنة المسلمين السكانية والسياسية في القفقاس كما في القرم. كان لسياستهم السكّانية دعامتان: خروج المسلمين الجماعيّ ونزوح عناصر مسيحيّة، السلاف شمال القفقاس، والأرمن إلى جنوب القفقاس ومن ثمّ إلى الأناضول. وكما هي الحال في أكثر نماذج كهذه، كان الواقع أكثر تعقيدًا. وكما في القرم، كان القياصرة غير موحَّدين في الهدف، وآمال الأرمن في الاستقلال جعلتهم أحيانًا أدوات غير جديرة بالثقة لطموحات الاستعمار الروسيّ. وكالقوى الاستعمارية الأخرى، بدا أول وهلة أن الروس توسّعوا في الحقيقة من خلال الرغبة في حماية التجار والمستوطنين الذين ارتحلوا إلى أراضٍ أجنبية، بدلاً من خلال خطة منسّقة للتوسّع. على أيّ حال، لا شكّ في أن طرد المسلمين أصبح في النهاية سمة للتوسّع الروسيّ في القفقاس. حيثما قاومت الأكثريات المسلمة الفتح والحكم الروسيّ بقوة، جرى إخراجها عنوةً

بوساطة ضغط حكوميّ وعنف تحذيريّ. في المناطق التي أخضعها الروس، جرت مصادرة المساجد وكذلك مؤسسات الأوقاف التي دعمت الدين الإسلاميّ والمؤسسات الخيريّة والمدارس الإسلاميّة[16].

يقدّم الغزو الروسيّ لحاكميّات الكنجا (Ganja) (سُمّيت من جديد أليزابيتبول Elizavetpol) مثالاً جيدًا للسياسة الروسيّة المبكّرة. هاجم الروس كنجا في عام (1803 م) وهزموا خانها. أُتيح للقوات الجورجيّة الإضافية في الجيش الروسيّ وللروس أنفسهم ذبح المسلمين[17] في إقليم كنجا[18] أو أنهم شُجّعوا عليه. بُذل كلّ جهد عقب الفتح للحطّ من شأن أسلوب الحياة الإسلاميّة، ما جعل المسلمين يشعرون بأن ليس لهم مناص إلاّ الفرار[19]. جرى تشجيع الأرمن بعد ذلك على الانتقال إلى الأراضي التي تحت السيطرة الروسيّة. على سبيل المثال، جذب القيصر بول (Paul) الأرمن إلى جورجيا بعد الاحتلال الروسيّ لها بتقديم شروط مغرية جدًا للقادة الأرمن للانتقال إلى أراضٍ روسيّة في عام (1800 م)[20]. جاء الأرمن إلى حاكميّات قرة باخ (Karabagh) أيضًا بعد أن احتلها الروس[21].

2/ 1/ 1] عشرينيّات القرن التاسع عشر

بدأ الصراع الذي دام قرنًا من الزمن بين المسلمين والأرمن جديًا في الحروب الروسيّة الفارسيّة والروسيّة التركيّة الأعوام (1827–1829 م). ظهرت كلّ المعالم الأسس لهذه الحرب الطويلة في تلك الحروب الأولى، غزو روسيّ للأراضي العثمانيّة، الأرمن يقفون جانب الغزاة، وفيات كبيرة بين المسلمين، نزوح قسريّ للمسلمين، واستبدال سكّانيّ فعليّ للمسلمين والأرمن.

بدأ في حروب أعوام (1827–1829 م) في الشرق استبدال ضخم للسكان، استهلّه طرد الروس مسلمي منطقة أروان. استفاد جورج بورنوتيان

(George Bournoutian) من المصادر الفارسيّة والروسيّة ليقدّر التغيّر السكانيّ في حاكميّات أروان نتيجة الاحتلال الروسيّ. استنتج أن قرابة (26,000) (30%) من مسلمي الحاكميّات لاقوا حتفهم أو هاجروا، بناءً على التقرير السكّانيّ الروسيّ[22]. يضيف بورنوتيان إن (45,000) أرمنيّ كانوا قد وصلوا حديثًا إلى أروان بحلول عام [1832 م] «ولكن لم يحدث حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بعد أن جاءت حروب أعوام (1855-1856 م) و(1877-1878 م) الروسيّة التركيّة بأرمن إضافيّين من الإمبراطورية العثمانيّة، أن أسّس الأرمن أكثرية حقيقية في المنطقة»[23]. وهكذا، جاءت أكثرية أرمنيّة لتتحوّل إلى ما هي الآن الجمهورية الإرمينيّة، أكثرية صنعها الروس. كانت أروان، منطقة الجمهورية الإرمينيّة الحالية تقريبًا، حتى عام (1827 م) إقليمًا إيرانيًّا بأكثرية مسلمة (أتراك في المقام الأول). أتاحت إبادة السكان المسلمين أو نزوحهم القسريّ للروس أن يؤهِلوا المنطقة من جديد بأرمن من إيران والإمبراطورية العثمانيّة.

لحق بالروس عندما رحلوا عن الأناضول عام (1829 م) عدد كبير من الأرمن المقيمين في الأناضول. أدرج أحد التقديرات (90,000) بأنه عدد الذين غادروا[24]، ربما كانت مبالغة بعض الشيء، لكنها دالّة على تحرّك كبير للمسيحيّين إلى القفقاس الروسيّة. ذكر إتش إف بي لِنش (H.F.B. Lynch) أن (10,000) أسرة أرمنيّة من إقليم أرضروم (Erzurum) «لحقت بالروس إلى خارج تركيا في عام (1829 م)» لتنضم إلى (40,000) أرمنيّ كانوا قد أتوا من بلاد فارس حديثًا[25]. عقب حرب القِرَم، رحل عن شرقيّ الأناضول عدد كبير آخر من الأرمن. وجدت اللجنة الأورُبيّة التي فوّضتها معاهدة لتثبّت الحدود بين روسيا والإمبراطورية العثمانيّة، أن القرى الإرمينيّة «نصف مأهولة» وصرّحت بأن المسلمين ينظرون إلى الأرمن موالين للغزاة الروس[26].

لا يمكـــن الأحداث في أروان أن تكون غابت عن انتباه المسلمين في ما تـسبقّى من شرقيّ الإمبراطورية العثمانيّة. حتى وإن لم يكونوا تأثّروا أنفسهم بالحروب، فإن قرويّي شرقيّ الأناضول وسكان المدينة لا بدّ من أنهم لاحظوا تدفّق اللاجئين وسمعوا قصصهم عن النشاطات الروسيّة في الحروب. لا بدّ أن النـــيات الروســيّة كانت واضحة لدى أتراك شرقيّ الأناضول وأكرادها، وكذلك أولئك الذين في القفقاس.

2/ 1/ 2] النزوح القسريّ من القفقاس

قبل الغزو الروسيّ، كان السكان المسلمون في منطقة القفقاس مؤلّفين من أتراك في أذربيجان وأروان، وقبائل مسلمة في بقية المنطقة. كانت الجماعات القبلـــية الأكـــبر هـــي الجركس (الشركس) والأبخاز والشيشان الإنغوش والداغستان[27]. كانت الجماعات الصغيرة مرتبطة عادة بالجماعات الأكبر، وكـــان الجركس خصوصًا مقسّمين إلى قبائل صغيرة. كان الجميع مستقلّين إلى حدّ كبير عبر التاريخ، متقبّلين أحيانًا الحكم الأعلى الاسميّ للعثمانيّين أو الفـــرس، لكنهم لم يتخلّوا قط عن استقلالهم. لم يتغلغل الحكم العثمانيّ أو الفارســـيّ قط في الحقيقة أبعد من السواحل والحاكميّات أو الممالك الجنوبيّة (كجورجيا أو أروان).

أبـــدت روسيا اهتمامًا لإخضاع القفقاس منذ عهد بطرس الكبير الذي اســـتولى عـــلى دربـــند وباكو (Baku) في عامي (1722–1723 م). كانت نجاحـــات بطرس على أي حال قصيرة الأجل، إذ أخرج الروس من المنطقة بـــالقوة نـــادر شاه من بلاد فارس، الذي استرجع دربند وباكو من خلال معـــاهدة كنجا في عام (1735 م). لم يستولِ الروس على المدينتين على نحو مؤكـــد حـــتى عام (1812 م)[28] إضافة إلى مدينة ومنطقة كنجا. أصبحت جيورجـــيا دافعـــةَ جزيةٍ روسيّة في عام (1783 م)[29]. بعد أن هزمت بلاد

فـــارس عام (1828 م) والإمبراطورية العثمانيّة عام (1829 م) فرضت روسيا قبول العثمانيّين والفرس لفتحها أخلكلك (Akhalkalak) وإقليم أروان.

باســـتثناء مديـــنتي بـــاتوم وبـــوتي (Poti) ومناطقها النائية، كانت كل الممـــتلكات القفقاسيّة للاتحاد السوفييتي السابق اسميّـــًا في يد الإمبراطورية الروسيّة بحلول عام (1829 م)[30] ولكن أكثر المناطق لم تكن تحت السيطرة الروســـيّة. كان الداخل الجبليّ الواسع للقفقاس مأهولاً بقبائل لم تُهزم قط، ولا تقبّلـــت الحكم الروسيّ في أي وقت مضى. استولى الروس على مناطق حدوديّة شمالية من أراضي القبائل في ثلاثينيّات القرن التاسع عشر، لكنهم لم يستطيعوا مقاومة المقاومة القفقاسيّة الشرسة وفتح الداخل. بعد عام (1836 م) تهـــدّد الوجـــود الروسيّ في القفقاس على يد القائد اللامع شامل (Shamil) وأتـــباعه من الشيشان والداغستان الموالين بتعصّب[31]. استطاع شامل أن يدمـــج أتـــباعًا مـــن قبائل متباينة بتركيبة من النهضة الإسلاميّة وإخضاع (الأرســـتقراطيات) التقليدية التي قاومته. كان قائدًا موهوبًا ولا يرحم، لكن أكـــثر دعمـــه اعـــتمد على تصميم القبائل القفقاسيّة على مقاومة السيطرة الروسيّة. خلال أربعينيات القرن التاسع عشر، صمد سكان الجبال المسلمون ضدّ الروس وحدهم، ولو أنهم هُزموا في معركة أحيانًا. كان القفقاس مقاتلين شرسين، ولاسيما عندما كانوا يقاتلون دفاعًا عن بيوتهم وأُسرهم. لم يتخلوا عـــن أيّ موقع، وكذلك فعل الغزاة الروس. ومع ذلك، كان الروس يشنّون حـــربًا على شعوب بأسرها، نساء وأطفالاً إضافة إلى المقاتلين الرجال، بينما كان المسلمون القفقاس يقاتلون جيش نظامي"[32].

وصف (الكونت) ليو تولستوي (Count Leo Tolstoy) الذي شاهد نفسه المجزرة في القفقاس، الاحتلال الروسيّ لقرى المسلمين القفقاسيّة:

جرت العادة أن تُهاجَم القرى في أثناء الليل، عندما، بسبب المباغتة، لا يتســـنّى الوقت للنساء والأطفال للفرار، وكان الرعب الذي تلا

> **تحت جنح الظلام حين اقتحم الجنود الروس البيوت بمجموعات مؤلّفة من اثنين وثلاثة شديدًا إلى حد لم يجرؤ أيّ معلّق رسميّ على وصفه[33].**

لم يستطع الروس أن يبدؤوا بالإنقاص النهائيّ لسكان الجبال القفقاس إلاّ بعد أن كانت هزائم العثمانيّين في الشرق في حرب القِرَم أزالت أيّ تهديد من هذا الموقع. ففي عام (1857 م) شنّوا هجومهم الأخير على شامل. هُزمت القبائل الشيشانيّة والداغستانيّة المُنهكة أخيرًا واضطرّ شامل إلى أن يستسلم (25 آب عام 1859 م). وهُزم الجركس بعد ذلك.

بحلول شهر أيّار من عام (1864 م) كانت السيطرة الروسيّة على القفقاس تامة. جاء مع النصر تنفيذ سياسة التروح القسريّ الروسيّة، أكثر ضراوة بكثير من أيّ شيء رأته العين في القرم. مع أن عددًا من الشيشان نزح إلى الإمبراطورية العثمانيّة، إلاّ أن أراضي الجركس الخصبة هي التي كانت تغري الروس إلى أبعد حد، والذين صمّموا على تحويل غربيّ القفقاس وشماليها إلى أرض مسيحيّة، موالية لإمبراطوريتهم. تبنّى الروس طريقة الهجوم والقمع التي جعلت بقاء الجركس في بيوتهم أمرًا مستحيلاً. نُهبت القرى ثمّ دُمّرت. أُخذت المواشي وكلّ شيء ضروريّ للبقاء. كانت الطريقة الروسيّة منظومة تقليدية للتروح القسريّ وسوف تتكرّر مرة بعد مرة في القفقاس والبلقان؛ دمِّر البيوت والحقول ولا تترك خيارًا إلاّ الفرار أو الموت جوعًا[34].

أُعطي المسلمون القفقاس أحيانًا خيارَ التروح إلى مناطق أخرى في الإمبراطورية الروسيّة والبقاء تحت الهيمنة الروسيّة أو الرحيل إلى الإمبراطورية العثمانيّة:

> **بعد أن استولت مفرزة روسيّة على قرية طوبة (Toobah) على نهر سوباجي (Soobashi) المأهولة بقرابة مئة أبادزخيّ (Abadzekh) [قبيلة من الجركس] وبعد أن سلّم هؤلاء أنفسهم أسرى، قُتل هؤلاء جميعًا على أيدي القوات الروسيّة. كانت من ضمن الضحايا امرأتان بحالة**

مـــتقدّمة من الحمل وخمسة أطفال. كانت المفرزة التي نحن بصددها تنـــتمي إلى جـــيش (الكونت) إفدوكيموف (Count Evdokimoff) ويقال إنها تقدّمت من وادي بشيش (Pshish).
وبينما القوات الروسيّة تُحرز تقدّمًا على الساحل، لم يُسمح للسكان الأصليّين بالبقاء هناك بأيّ حال من الأحوال، لكنهم كانوا مُكرهين عـــلى إمـــا أن يـــنقلوا أنفسهم إلى سهول كوبان (Kouban) أو أن يهاجروا إلى تركيا[35].

في الواقع، سيق الجركس إلى موانئ البحر الأسود. انتظروا وسط أوضاع موحشـــة، بتلك الخسارة الكبيرة في الأرواح، القوارب العثمانيّة لتنقلهم إلى طربـــزون (Trabzon) أو سمسُـــن (Samsun)[36]. حُرم وطنهم السابق من سكانه، ليجري ملؤه بالمهاجرين القادمين من روسيا السلافيّة. رُوي أن المرء يمكن أن يسير يومًا كاملاً في أجزاء من القفقاس كانت مأهولة في السابق من دون أن يلتقي بشخص حيّ[37]. لم يُخفِ الروس خطّتهم وطرائق تنفيذها. وكما نقل (اللورد) نابيير (Napier) السفير البريطانيّ في سان بيترسبرغ (St. Petersburg) «كانت لغة الصحف الرسمية في روسيا بشأن هذا الموضوع لغة النصر وليس الضمير»[38]. في النهاية، استوطن السلاف ومسيحيّون آخرون في أكثر الأراضي الجركسيّة[39].

2/ 1/ 3] الأبخاز

تـــباطأ طـــرد رجال القبائل المسلمين من القفقاس في حين درس الروس مكاســـبهم وعزّزوا سيطرتهم العسكرية على نجاد القفقاس. ثمّ، وبعد ثلاث ســـنوات عـــلى الفرار الجركسيّ الرئيس، طُرد الأبخاز، الذين كانت قراهم الصـــغيرة ممركـــزة على منطقة سخمقلة (Sukhum Kale) أيضًا من بيوتهم. كانت طرائق الترحيل القسريّ التي فُرضت على الأبخاز في عام (1867 م) هي ذاتهـــا تقريبًا التي استُخدمت سابقًا. جاء الجنود الروس إلى القرى الأبخازيّة،

أحـــرقوا البيوت، وسرقوا الماشية والأمتعة الأخرى، وتركوا للأبخاز ما يكاد يكفـــي للعـــيش[40]. لم يكن الأبخاز في وضع يسمح لهم بأن يُبدوا مقاومة فعّالة، وأخفقت بسرعة كلّ المحاولات في هذا الاتجاه. كانت النيات الروسيّة تجـــاههم كمثيلاتها تجاه جميع مسلمي القفقاس، كما برهن القنصل البريطانيّ غِفرد بالغريف (Gifford Palgrave) الذي تجوّل في منطقة أبخازيا (Abhazia) ممتطـــيًا ظهر جواد ليجمع المعلومات. وجد بالغريف أن ثلاثة أرباع مسلمي أبخازيا والمناطق المحيطة مستعدّون للهجرة. كان مقتنعًا بأن الروس عزموا على فـــرض الـــنزوح لا ليتخلّصوا أقاليمَ قيّمة من سكانها المسلمين فحسب، بل «ليُربكوا الحكومة التركيّة التي على سواحلها عدد كبير صامت من إخوة في الدين جائعين ومُعدِمين، فتعترف بعجزها عن فعل شيء»[41] أيضًا.

فـــرض الـــروس فرار عدة آلاف من الأبخاز، لكنهم سمحوا لعدد كبير بالبقاء. يبدو أنهم تعلّموا من تجاربهم مع التّتار القِرَميّين والجركس أن للترحيل جماعـــيًا أثـــرًا عكسيّـــًا في اقتصاد المنطقة. وبينما جرى تشجيع الهجرة أو فرضها على المسنّين والنساء والأطفال، جرى الاحتفاظ بالرجال ذوي البنية القوية الضروريّين للاقتصاد واستخدامهم في العمل القسريّ. لا يُعرف العدد الدقـــيق لهؤلاء الذين جرى الاحتفاظ بهم. زعم القادة الأبخاز إن عدة آلاف أُجبروا على البقاء، بينما أُجبرت أسرهم على الرحيل[42]. طُردت أُسر كاملة أحـــيانًا؛ وفي بعضـــها الآخر، أُجبر الرجال القادرون على العمل على البقاء بينما رحلت أُسرهم. في كلتا الحالتين، رحلت الأُسر الأبخازيّة من القفقاس ولم تعد الأمّة الأبخازيّة موجودة عمليّـــًا. بقي قسم صغير فقط. وكما دون بالغريف، «من المؤلم جدًا مشاهدة الانقراض، في ذاته، لأمّة كانت جريمتها الوحيدة أنها ليست روسيّة»[43].

هـــناك كـــثير من الجدل بخصوص أعداد الجركس وآخرين طُردوا من أراضيهم في القفقاس. لم تُجرَ إحصاءات دقيقة للمسلمين التّتار أو الجركس،

لذلك لا يستطيع المرء معرفة عدد الذين رحلوا. بتحليل تقديرات مختلفة[44]، مـــن المعقول القول إن ما يقرب من (1,2) مليون قفقاسي هجروا الأراضي التي فتحها الروس؛ عاش منهم (800,000) ليستقرّوا في مقاطعات عثمانيّة[45].

تدبّرت الإمبراطورية الروسيّة أمر أن تصبح الأراضي الإسلاميّة التي جرى الاســـتيلاء علـــيها مأهولة بمن تعدّهم سكانًا أكثر تجانسًا. تمامًا كما أصبح الـــروس والأوكرانـــيّون الســـكان الرئيسين للقرم، استولى الروس وسلاف آخـــرون والقـــوزاق على أكثر الأراضي الجركسيّة والأبخازيّة السابقة[46]. ســـجّل الإحصـــاء الرسميّ الروسيّ الأول الذي يمكن الاعتماد عليه حقّـــًا، والذي أُجري في عام (1897 م) التحوّل؛ المسيحيّون يفوقون المسلمين عددًا بمقدار أكثر من عشرة إلى واحد[47].

2/ 1/ 4] الأوبئة

كـــان المرض الذي أدى إليه سوء التغذية أسوأ عدو للجركس والقفقاس الآخرين الذين طُردوا من بيوتهم. حُشِرَ الجركس بكل ما في الكلمة من معنى في قوارب في موانئ تخضع للسيطرة الروسيّة. لم تُقدَّم لهم مساعدة أو مؤن[48]، وعند أول مرفأ عثمانيّ، طربزون، لقي عدد كبير منهم حتفه بسبب الجدري والتـــيفوس والأســـقربوط. في شتاء عام (1863 م) كان يموت يوميّـــًا في طربـــزون مـــن عشرين إلى خمسين جركسيّـــًا[49]. بحلول أسوأ أيام الربيع الـــتالي، كـــان يموت (500) في اليوم[50]؛ ربما مات (30,000) في طربزون وحدهـــا[51]. ساهم أولئك الذين هبطوا موانئ أخرى، كسمسُن وسينوب، بوفيات مماثلة. كان يموت في سمسُن في ذروة الهجرة خمسون لاجئًا في اليوم[52].

كانت الإمبراطورية العثمانيّة غير مهيّأة إطلاقًا لهجرة الجركس القسريّة. كانـــت الأوضاع الصحيّة في الإمبراطورية على غير ما يرام حتى في أحسن الأحـــوال[53]، ولم يسمح الفقر الشامل للإمبراطورية إلاّ بالقليل من ناحية

المساعدات المالية أو مؤن الغوث[54]. غير إرسال ما تيسّر من أطباء وأدوية، لم يستطع العثمانيّون فعل أيّ شيء آخر. على أي حال، لم تكن هناك علاجات شافية للجدري أو التيفوس. كان العلاج الوحيد إزالة المهاجرين من مخيّمات البحر الأسود وبعثرتهم في كل الإمبراطورية[55]. استمرّت وفيات الجركس من دون أيّ انخفاض بينما أرسلهم العثمانيّون قُدمًا من موانئ البحر الأسود إلى مناطق أخرى من الإمبراطورية لإعادة توطينهم. أظهرت سجلات الوفيات معدّل وفيّات بسبب المرض على سفن النقل يصل إلى حد الثلث، وأحيانًا أكثر. وفقًا لأحد التقارير، وُضعت مجموعة مؤلفة من (2718) جركسيًّا على سفينة في سمسُن متوجّهة إلى قبرص؛ مات (202) بين سمسُن واسطمبول، حيث غادر السفينة (528)؛ وتابع (1988) الرحلة إلى قبرص، مات منهم (637) في أثناء الرحلة[56]. يصف تقرير آخر من قبرص أيضًا مصير حمولة السفينة من الجركس المذكورين آنفًا: «يُتوقّع أن يموت نصف الذين هبطوا من السفينة، وفي الحقيقة، تراوحت الوفيات اليومية من ثلاثين إلى خمسين»[57].

كانت الحكومة العثمانيّة حتى وصول الأبخاز إلى موانئ البحر الأسود بحالة استعداد أفضل. ومع المشكلات المالية المتواصلة، استطاع العثمانيّون أن يعاملوا الأبخاز بعناية أكبر، وكانت الوفيات الناجمة من المرض طفيفة بينهم. كانت أعداد اللاجئين أقل بكثير من الهجرة السابقة، وكان لهذا أثر مفيد بالتأكيد[58].

[5 /1 /2] تأثيرات الهجرة في الإمبراطورية العثمانيّة

كان لتدفّق مئات الآلاف من المهاجرين القفقاس تأثير كبير طبعًا في حياة أولئك المقيمين أصلاً في الإمبراطورية. كان التأثير الفوريّ الأكبر هو انتشار المرض في موانئ البحر الأسود للإمبراطورية. في طربزون، جلب الجركس معهم التيفوس، وبلغت الأوضاع حدًّا من السوء جعلت السكان كافة يفرّون

مـــن المدينة إلى حين[59]. كانت التجارة مشلولة على نحو كامل والخبز غير كاف. كان الخبز المتوافّر حتى أقلّ منه في الأوقات العادية في سمسُن، حيث أغلـــق جمـــيع الخبّازين أفرانهم وفرّوا من التيفوس والجدري اللذين جلبهما الجركس[60].

يُبـــيّن معـــدّل الوفيات الناجمة من المرض في طربزون بين كانون الأول ومنتصف شباط عام (1864 م) (الجدول 1) أن السكان المحليّين، مع أنهم لم يعـــانوا وفـــيات بحجـــم وفيات المهاجرين، كان لديهم مع ذلك كثير من الأسباب ليبقوا فزعين.

الجدول (1)

عدد الوفيات الناجمة من مرض في طربزون (Trabzon)

من 1 كانون الأول عام (1863 م) وحتى 17 شباط عام (1864 م)[61]

المهاجرون	(3000)
الأتراك المحلّيون	(470)
اليونانيّون المحلّيون	(36)
الأرمن المحلّيون	(17)
الكاثوليك المحلّيون	(9)
الأوربّيون	(6)

كانـــت تشـــاهَد معدّلات وفيات مماثلة لمقيمين أصليين مسلمين حيثما جـــرت إعـــادة توطـــين الجركس. في البداية، جرى إيواء اللاجئين معًا في مخـــيّمات وأبنية رسمية وتجارية. جرى توزيعهم بعد ذلك على كل الأرياف، ينشرون المرض الذي التقطوه في المخيّمات:

> **وصل (2000) مهاجر من الجركس (الذين انتشرت بينهم الإسهالات والتـــيفوس) إلى عشاق (Ushak) في شهر حزيران. جرى إيواؤهم في الـــبداية في فنادق وفي مساكن السكان الأصليّين المكتظّة، جرى بعد**

ذلـــك توزيعهم ضمن القرى في شمال شرق المدينة. أدى احتكاكهم بالسكان إلى ظهور أعراض معوية ثمّ إلى التيفوس. في فترة ستّة أشهر (مـــن حزيـــران إلى تشرين الثاني) نُقل (500) مصاب محمّديّ، مات منهم مئتان؛ ومئة مسيحيّ مات منهم عشرون فقط[62].

عمّ الإحساس بتأثيرات هجرة الجركس قرى كل أنحاء الإمبراطورية. لم يكـــن لدى العثمانيّين موارد مالية أو طاقة بشرية إدارية ليشرفوا على توطين القـــادمين الجـــدد؛ لذلك، كان الأمر معهودًا به إلى الإدارات المحليّة لتقدّم الإمدادات اللازمة للمُرسَلين إليها. جرى بناء المساكن وتقديم الحبوب، من خـــلال عمـــل ونفقة القرويّين، ولا بدّ من أن الأمر بدا لهم وكأن المطلوب مـــنهم أن يدفعـــوا ثمن معاناتهم الشخصية، إذ انتشر نبأ السلب من جانب الجـــركس بســـرعة. وطبعًا، كان هناك استياء من أي دفعات إضافية جرى انـــتزاعها من الفلاّحين، لكن الدفع للذين كان هناك سبب للخوف منهم، الذيـــن يجـــري توطيـــنهم بالقرب منهم، لا بدّ وأنه بدا مفرطًا حتى لدى القـــرويّين الأناضوليّين والبلغار والسوريّين الذين عانوا طويلاً وجرت إعادة توطين الجركس عندهم[63].

ســـبّب استيلاء الروس على موانئ قفقاسية واستبدال المسيحيين بمسلمين في المدن والمناطق النائية تعطّلاً اقتصاديّـــًا كبيرًا. كان أكثر التجارة التقليدية لشرقيّ البحر الأسود في أيدي التجّار المسلمين، وفعلت روسيا ما في وسعها للـــتأكّد من أن تجارة المسلمين توقّفت. كثيرًا ما كانت التصرفات الروسيّة عنيفة وقاتلة. دمّر الروس القوارب الساحلية العثمانيّة، ما سبّب تضرّر أنماط صـــيد السمك والتجارة التقليدية[64]. لكن أكثر الأفعال الروسيّة ضد تجارة المسلمين كان إداريّـــًا. في زمن هجرة الأبخاز، فُرضت ضرائب غير قانونية عـــلى تجّـــار أتراك يقيمون في مدن على طول ساحل البحر الأسود. أُخبر التجّار بأنه إذا لم تُدفع الضرائب، فسوف يُطرَدون مع الأبخاز[65].

2/ 1/ 6] الجركس في الإمبراطوريّة العثمانيّة

استقرّ التّتار القِرَمِيِّين بسرعة في الحياة الاعتيادية للإمبراطورية العثمانيّة. ما إن تجاوزوا صدمتهم الأوليّة، حتى ذهبوا إلى المزارع التي وفّرها الحكومة العثمانيّة وشرعوا في أسلوب حياتهم الزراعيّ من جديد. كانت لغتهم وعاداتهم تختلف قليلاً عن مثيلاتها عند الأتراك الآخرين من حولهم، وجرى استيعابهم. كانت الاختلافات الوحيدة بينهم وبين إخوانهم الأتراك الذكريات التي عُلّمت لأطفالهم. لم يكن الأمر كذلك عند الجركس.

لم يكن الجركس ناطقين باللغة التركيّة، ولا كانوا زراعيّين في المقام الأول. بخلاف التّتار، كانوا لغويّاً دخلاء بحاجة إلى استيعابهم في لغة وعادات الإمبراطورية. استقرّ أكثرهم في أسلوب حياة بنائيّ، خصوصًا أولئك الذين مُنحوا أراضيَ خصبة في البلقان وغربيّ الأناضول. لجأ بعض الآخرين، الذين جرى توطينهم في أمكنة لا يتيسّر العيش فيها إلاّ بشقّ الأنفس، إلى الإغارة وسيلة للرزق، وعانى نهبهم كلّ من كان حولهم، مسيحيّين ومسلمين على السواء. في حين قدّم التّتار مساهمة إيجابية للإمبراطورية، كانت مساهمة الجركس، على الأقل في بداية حياتهم في الإمبراطورية، مساهمة متنوعة. ما كان من الممكن القول إنهم "استقرّوا" كجزء مألوف من الحياة الاجتماعية التركيّة إلاّ بعد وقت من الزمن.

2/ 1/ 7] ذكرى الاستعمار الروسيّ

كان وضع سكان الإمبراطورية المسلمين في حالة ترقّب مستمرّة أحد أكبر تأثيرات الأفعال الروسيّة في القفقاس. كان الروس قد أزالوا شعوبًا مسلمة بالقوة لاستبدال المسيحيين بهم. لا يمكن هذه السياسة إلاّ أن تُخلّف انطباعًا قويّاً على مسلمين هم أنفسهم في طريق توسّع روسيّ مستقبليّ.

كــانوا سيرون عما قريب أن السياسة مستمرّة. وكان الثوريّون المسيحيّون العثمانــيّون ســيرون أيضًــا أنه من المحتمل أن السياسة الروسيّة عملت في مصلحتهم. وكما سيتبيّن في الفصول القادمة، أصبح هذا الإدراك من جانب المسلمين العثمانيّين والمسيحيّين العثمانيّين على السواء جزءًا مهمًا من التاريخ الدمويّ لصراعات بين الطوائف كانت قادمة.

2/ 2] الوضع في الشرق العثمانيّ

لم تحكــم الإمــبراطورية العثمانيّة في الحقيقة في أكثر شرقيّ الأناضول. كانــت الدولــة عاملاً مهمًا وتطفّليّــا في حياة جزء من السكان الشرقيّين فقــط، سكان المدن والمناطق الريفية القريبة من المدن والمناطق الحدودية في المقام الأول. في أكثر المناطق الريفية، عمل العثمانيّون جامعي ضرائب حيثما كان ذلك ممكنًا وقوة عسكرية محتملة حيثما كان ذلك ضروريّــا على نحو قاطع.

كان الخطر الرئيس، ومن ثم العامل السياسيّ الرئيس في الشرق العثمانيّ، الوجــود المتواصل للعناصر النهّابة التي كانت تتربّص منتظرة الأوضاع التي تتــيح لها العمل بحصانة. كانت تلك العناصر من القبائل الكرديّة البدوية أو أنصاف البدوية على الأخص، وكان نشاط السلامة العامة الرئيس للحكومة العثمانيّة السيطرة على تلك القبائل. لم يكن لدى العثمانيّين الطاقة البشرية أو المــوارد المالية ليراقبوا نشاطات الكُرد على نحو مستمرّ، لهذا، سيطروا عليهم بوســاطة منظومة الرشاوى العثمانيّة النموذجية المقرونة بالقوة. كان زعماء القــبائل يُستوعبون في النظام العثمانيّ مع مظاهر الحفاوة والمناصب والمال. كــان يُســمح للقبائل الكرديّة في الأوقات الهادئة تقريبًا بأن تعالج أمورها بنفسها. احتفظوا بأراضٍ زرعها مزارعون مستأجرون مسلمون ومسيحيّون، وأداروا "صــناعات" ســوقيّة في الحِرف اليدوية والمواد الغذائية، واحتفظوا

بقطعـــان كبيرة من الحيوانات، كلّ ذلك من دون تدخّل من الدولة. أرسل العثمانـــيّون قـــوات عسكرية فقط حين تمرّدت القبائل الكرديّة فعليّـــاً أو تورّطت في غارات نهب[66]. نتج من حملات كهذه حين كانت ناجحة شنق شيخ القبيلة المتمرّدة أحيانًا. ولكن كثيرًا ما أفضت إلى نقل الشيخ عنوةً إلى اسطمبول أو مكان آخر مع معاش تقاعديّ كبير، حيث لا تتعقّد مشكلات العثمانـــيّين بضغينة قتل مستمرّة. ظلّت الحالة الأساس في الشرق كما هي. كـــي تحدث تغيّرات حقيقية، كان على الجيش أن يبقى في الأقاليم الشرقية، جاعلاً الكُرد في حالة كبح متواصل.

على المرء أن يكون حذرًا حين تعريف الكُرد بأنهم عنصر شغب. أولئك الذين كانوا قوة شغب كانوا جماعات قبليّة، وولاءاتها كانت قبليّة. من الخطأ تعميم أي هوية "كرديّة" بينهم. حين أبدت القبائل تعاونًا، كان ذلك بدافع الفـــائدة المشتركة، ليس الولاء العرقيّ الذي لا دليل عليه. كذلك، لم يكن أكـــثر الـــناطقين باللغة الكرديّة في حالة ثورة في أيّ وقت. كانوا مزارعين ورعـــاة مع مشاعر نحو الدين والدولة مماثلة أساسًا لمشاعر المزارعين والرعاة الأتراك عرقيّـــاً. كان رجال القبائل المتمرّدة أعداءً لحياتهم وأسباب عيشهم تمامًـــا كمـــا كانوا أعداءً لحياة وأسباب عيش الناطقين باللغة التركيّة. حين تجـــري دراســـة رجال القبائل الكُرد المسبّبين للفوضى هنا، فإن المقصود في الوصف ليس أولئك الكُرد الذين يشكّلون الأكثرية بالتأكيد.

ومـــع أن الأرمن في الشرق كانوا خاضعين في كثير من الأحوال لحكم كـــرديّ في الـــريف وللحكومة العثمانيّة في المدن، فإنهم استفادوا أيضًا من ضـــعف العثمانـــيّين لينالوا حكمًا ذاتيّـــاً عمليّـــاً. كثيرًا ما كانت القرى الإرمينـــيّة في المـــناطق الجبلية للجنوب الشرقيّ متحرّرة فعليّـــاً من السيطرة الخارجية. كان ذلك صحيحًا في منطقة زيتون على نحو خاص. دفع الأرمن في زيـــتون جـــزية للعثمانيّين بتذمّر أحيانًا، كما فعلوا في السابق مع العرب

والبيزنطيّين وآخرين، لكنهم حكموا أنفسهم. خلال القرن التاسع عشر، ظلّ التوتّر عاليًا بين سكان زيتون والعثمانيّين بخصوص دفعات الجزية. نجح العثمانيّون جزئيًّا فقط في جني الضرائب أو الجِزى المحدّدة بالمواجهات المسلحة[67].

كان التحمّل العثمانيّ للحكم شبه الذاتيّ للأكراد والأرمن دالاً على ضعف الدولة العثمانيّة. بانشغالهم في حروب مصيريّة في الشمال والغرب، أُجبر العثمانيّون على أن يرتضوا بهدوء محدود في الشرق.

أصبحت العيوب في طريقة الحكم في الشرق العثمانيّ واضحة في أوقات الحرب على نحو خاص. في وقت السلم، كان جنود ودرك الحامية العثمانيّة كافين عادةً لضمان شيء يقارب النظام العام. كانوا يستطيعون فرض سلطتهم لأنه في النهاية كان الجيش العثمانيّ يقف خلفهم. مع الحرب، كان الوضع يتغيّر جذريًا. كان يجري سحب الدرك (شرطة الشرق العثمانيّ) ليشكّلوا العمود الفقريّ للجيوش العثمانيّة التي تقاتل الروس. ومن ثم، كان الأمن اليوميّ للمنطقة مهدّدًا. علاوة على ذلك، لم يعد هناك جيش متيسّر للتهديد بقوة محتملة. إلى هذا الفراغ في السلطة، دخلت القبائل الكرديّة أولاً ومن ثمّ الثوريّون الأرمن.

تنافست القبائل الكرديّة مع العثمانيّين في السيطرة كلّما شعرت أن هناك فرصة للنجاح. قاتل رجال القبائل الكرديّة القوات العثمانيّة في حروب كبيرة في أعوام (1834 م) و(1836 م) و(1847 م) و(1879 م) وفي نزاعات ثانوية طوال القرن التاسع عشر. لم تكن نيّتهم تأسيس دولة، إنما بسهولة أن يكونوا مستقلّين عن السلطة المركزية. في بعض الأحيان، كانت العدوانية التي تبديها العشائر الكرديّة نحو بعضها هي وحدها التي أعطت العثمانيّين الفرصة لفرض سلطتهم على أساس سياسة فرّق تسُد. خلال حرب القِرَم، ثار أكراد الموصل ضد الحكومة تمامًا لأن القوات العثمانيّة كانت على الجبهة وغير

قـادرة عـلى التدخّل[68]، وفي الحروب العثمانيّة الروسيّة التالية كان وضع الكُـرد، في أحسـن الأحـوال، متأرجحًا. بعضهم قاتل فعلاً إلى الجانب العـثمانيّ، مع أنهم كانوا ذوي فائدة عسكرية محدودة[69]. آخرون وبساطة "لم يشـتركوا" في الحروب. حتى أن بعضهم هاجم وسرق القوات العثمانيّة حين سنحت له الفرصة. طوال الفترة، أظهرت القبائل الكرديّة وهي جماعة أن ولاءاتها كانت لقبائلها وليس لأي حكومة، ولا حتى لإخوانهم المسلمين.

كانـت الحرب الروسيّة التركيّة في عامي (1877–1878 م) الحد الفاصل في شـرقيّ الأناضـول. كان تأثيرها على المسلمين والمسيحيّين على السواء شديدًا. تعمّقت الطموحات الإرمينيّة بالعيش في ظلّ سيادة مسيحيّة، وحتى ربمـا في ظلّ حكم ذاتيّ أرمنيّ. جرى انتزاع جزء مما عدّه الأرمن وطنًا لهم، مـنطقة قارص–أردخان (Kars-Ardahan) من العثمانيّين، وكان هناك سبب وجـيه للظن أن بقية إرمينية ستصبح قريبًا في أيدي الروس. كان هناك أيضًا تدهور في سيطرة الحكومة العثمانيّة على أقاليمها الشرقيّة. كان ذلك نتيجة مباشـرة لـلحرب، الـتي غيّرت توازن القوة في الشرق. وجدت الحكومة العثمانـيّة الـتي أُفقرت وأصبحت الآن من غير عديد من الأقاليم الأورُبّية المولّدة للإيرادات، أنه من المستحيل تمويل الاحتياجات الأمنية للشرق. مات في الحـرب كـثير مـن الجنود والدرك الذين كانوا يوفّرون الأمن العام في الأحوال العادية.

يصـف مبشّر أميركيّ وقنصل بريطانيّ لمدينة بتليس (Bitlis) الوضع قبل الحرب وبعدها بالوصف التالي. في الحالتين، أراد ممثّلو الحكومة العثمانيّة أن يحمـوا شـعبهم وفعلوا ما في وسعهم في هذا الصدد. نجحوا قبل الحرب؛ وأخفقوا بعدها:

> **[بتلـيس في عام (1876 م) قبل الحرب] في مطلع هذا الشهر، كانت تنضج مؤامرة لذبح المسيحيّين . . قدّم بعض المتآمرين طلبًا إلى شيخ**

مقـــيم للحصـــول على موافقته ودعمه. قاوم الأخير المخطط بعناد؛ وأعلـــن إنـــه، إذا حـــاولوا تنفيذه فإنه سيُظهر سخطه بإحراق بيته ومغـــادرة المديـــنة! عنى ذلك الكثير لأنه يحظى باحترام تبجيليّ من المسلمين. ثمّ عُرضت المؤامرة على تركيّ شهير آخر، علي آغا، الذي أبـــدى استنكاره الواضح أيضًا، وأعلن أنه، إذا حاولوا تنفيذها، فإنه سيســـتدعي إلى بيـــته خمسمئة من أتباعه ويقوم بتسليحهم بالبنادق ويفرض على المتآمرين مواجهتهم في قتال مميت.

أخبر المتآمرون المفتي بعد ذلك بالمؤامرة الذي أبدى استنكارًا واضحًا مماثلاً للاثنين اللذين ذكرهما.

وصـــل خـــبر الأمـــر أخيرًا إلى أفيديس أفندي (Avedis Effendi) الأزكَبـــيد (azkabed) الســـابق للأرمـــن الذي برفقة أمين الخزانة الحكوميّ، رفع القضية إلى القائمّقام وطرح عليه عواقب مذبحة كهذه إذا ما تُركت تحدث. طمأنهما القائمّقام بأنه لا حاجة إلى أن يعتريهما أيّ خوف، وأنه سيتدبّر الأمر حيث لا تُنجز مؤامرة كهذه.

يخـــبرني مُخبري، جوهانز آغا (Johannes Agha) العضو البروتستانتيّ لـــلمجلس، بـــأن القائمّقـــام يخفر الشوارع، كلّ ليلة، مع حرّاسه المسلّحين، ليحرس المدينة ضد النهّابين والسفّاكين[70].

[بتلـــيس في عام (1879 م) مباشرة بعد الحرب] أثنى الجميع، المسلم والمسيحيّ، على القائمّقام، رشيد أفندي، وقالوا إنه كان دائمًا توّاقًا لأن يفعل الصواب ويقمع الفوضى ويعمل على إقامة عدل نزيه. أثنى على أدائه الجيد أحمد أفندي، عضو في المجلس. لكنه لسوء الحظّ قادر عـــلى إنجاز القليل جدًا. إن القوة التي تحت إمرته صغيرة جدًا. لديه أربعون دركيّـــا فقط يرافق بهم المسافرين والبريد، ويجمع الضرائب، ويحافظ على النظام. والنتيجة أن الكُرد يرتكبون جرائم السرقة حتى ضـــمن حـــدود المديـــنة نفسها والقائمّقام غير قادر على منعهم أو معاقبتهم[71].

وجدت الحكومة العثمانيّة أنه من الصعب ضبط الأمن في شرق وجنوب شرق الأناضول حتى في الأحوال الجيدة. كان العثمانيّون قادرين في الأوقات

الجيدة على أن يحموا المناطق المهدَّدة من البدو الكُرد بقوات الجيش النظاميّ والدرك. في أوقات الأزمة الداخلية والحرب، مع روسيا على نحو خاص، من ناحـية ثانية، سُحبت القوات العثمانيّة بعيدًا وأصبح السكان المدنيّون عرضة بدرجة أو بأخرى للغارات والابتزازات الكرديّة.

لأن القـوات العثمانيّة سُحبت من الأقاليم الشرقية لتخوض حرب عامي (1877–1878 م) بدأت قوة الحكومة المدنية العثمانيّة في الشرق تتلاشى[72]. حتى في مدن كبيرة كبتليس، كما رأينا، نال الكُرد ما أرادوا. في عام (1877 م) زحـف أكـراد المتقنلي (Motkanlı) في بتليس بسهولة إلى سجن وحرّروا واحـدًا منهم كان ينتظر حكمًا قضائيّـًا لقتله أحد الأرمن. كادوا ينهبون المديـنة أيضًـا، لكـن قبيلة أخرى من الكُرد انطلقت لتنقذ سكان المدينة. تصـرّف المنقذون لأن المدينة كانت السوق الوحيدة للمحصول الذي تبيعه القبيلة لتجّار المدينة[73]. كانت القبائل الكرديّة قوة مسلّحة وقابلة للتحرّك، ومتوارية جيدًا في الجبال. كانوا ينتقلون من نطاق سلطة إقليمية عثمانيّة إلى أخـرى بسهولة، وكذلك عبر الحدود وإلى بلاد فارس[74]. بعد ذلك، بعد الحرب العالمية الأولى، وجد البريطانيّون في شماليّ العراق، المزوّدون بالطائرات وأسلحة حديثة أخرى، أن قهر الكُرد مستحيل تقريبًا[75].

هـناك مثل جيد للوضع في جميع أنحاء شرقيّ الأناضول نجده في منطقة مديـات (Midyat) في أثـناء حرب عامي (1877–1878 م) وبعدها وصفه القنصل البريطانيّ تْرُتر (Trotter) مباشرة بعد الحرب. بحسب القنصل، كانت الحكومـة قـبل الحرب قادرة على ضبط الزعماء الكُرد. في أثناء الحرب، وبوجـود القـوات النظامية بعيدًا على الجبهة، لم يكن هناك وسيلة لفرض الـنظام[76]. فعـلاً، كان هناك خوف من أن تثور القبائل الكرديّة. كانت النتيجة شنّـًا متواصلاً للغارات والغارات المضادة بين القبائل الكرديّة وحالة من الفوضى العامة في المنطقة. كانت منطقة مديات مقسّمة إلى معسكرات

مسلّحة متنوعة. دافعت كلّ قرية عن نفسها، بما في ذلك القرى المسيحيّة. لم يكن أحد آمنًا بعيدًا عن قريته. كان المسيحيّون والمسلمون على السواء مسلّحين ودافعوا جميعًا عن أنفسهم. أشار تُرُتر إلى قرية تلرمَن (Tellerman) الإرمينيّة على نحو خاص، قرية «مؤلّفة من مئة منزل تقريبًا وتقع في سهل جنوبيّ غربيّ ماردين (Mardin)». وُصفت القرية بأنها «مسلّحة جيدًا وتصمد وحدها بين جيرانها العرب والكُرد والجركس»[77]. كانت قرى الكُرد المستوطنين مماثلة تمامًا، بكلمة أخرى، «مسلّحة جيدًا وتصمد وحدها» وطبعًا، فإن حالة التأهّب المتواصلة للحرب أدّت إلى معارك بين المسلم والمسلم وبين المسلم والمسيحيّ. في معرِض دفاعهم عن الحاجة إلى تسليح أنفسهم، أعلن الأغوات الكُرد لإحدى القرى «كانت قوة الشرطة المكلّفة حماية المنطقة مؤلّفة كاملة من أربعة رجال، وهو عدد غير كافٍ على نحو واضح ومضحك كونهم يسيرون بمحاذاة إقليم حلب، وهم علىً احتكاك بالعرب والكُرد والجركس»[78].

بالسخط النموذجيّ لقنصل بريطانيّ، ومفترِضًا يقينًا أن المسؤولين العثمانيّين ليس لديهم أي فكرة عما يجري، نبّه تُرُتر حاكم إقليم دياربكر (Diyarbakir Vilâyeti) عن الوضع في مديات. أخبره الحاكم بفظاظة بأنه لا يملك رجالاً كي يرسلهم. فرّ من الخدمة نصف قوته الصغيرة أصلاً حين تلقوا راتبهم بعملة ورقيّة عديمة القيمة، و«لن تجد من هم من الحمق حيث يحلّون محل أولئك الذين ذهبوا[79]. وكانت تلك النقطة الأساس للمشكلة. لم يكن هناك مال لدفع رواتب الشرطة، ولا مال لدفع رواتب الجنود. كان الوضع هو نفسه في جميع أنحاء الشرق[80]. على سبيل المثال، كان المال في خزينة إقليم أرضروم قليلاً إلى درجة أن الوالي اضطرّ إلى أن يقترض رأسمال من مواطني أرضروم الأغنياء ليُقدّم لقوات الحامية هدية العيد التقليدية. كانت الهدية التي قدّمها راتب شهر، جزءًا من رواتب أربع سنوات كانت

مـــتأخرة الدفـــع[81]. لا عجب ورواتب جنود كهذه أن يكون الجنود غير فعّالين وليس هناك إلاّ قليل منهم.

صـــرّح السفير البريطانيّ لِيَرد (Layard) بحقٍ بأن العثمانيّين لا يمكنهم أن يـــأملوا في تحسين الوضع في حين أن كل مواردِ الحكومة المالية تُستهلك في الدفاع ضدّ «الموقف التهديديّ لروسيا حتى الآن[82]. لا يمكن فعل إلاّ القليل مـــا دام استولى الروس على أراضٍ عثمانيّة، وسبّبوا خسائرَ فادحة للعثمانيّين في الحرب، وجعلوا المحافظة على جيش كبير ضروريًّا.

مع أن كل شرائح السكان عانت، إلاّ أن كثير من الغارات كان على نحو خـــاص شديد الوقع على الأرمن. على سبيل المثال، كان العثمانيّون يضعون دائمًا كتيبة من القوات النظاميّة في تشميشقزق (Çemişkezek) قرب حربوط (Harput) قبل حرب عامي (1877–1878 م). لم يستطيعوا أن يفعلوا ذلك في أثناء الحرب. نتيجة لذلك، دخلت القبائل الكرديّة إلى المنطقة ونهبت القرى، القرى الإرمينيّة على نحو رئيس[83]. ولكن من الخطأ الظنّ أن الأرمن كانوا الأهـــداف الوحيدة للنهّابين الكُرد؛ لم يكونوا انتقائيّين إلى هذه الدرجة في اختـــيار ضـــحاياهم. وكما نقل موظّف قنصليّ بريطانيّ أُرسل ليتحرّى عن الكُرد:

> **من كلّ ما سمعته ورأيته، إن جميع قبائل النجد الكرديّة، من دياربكر إلى الســـليمانيّة، ليســـت طيّعة تقريبًا. ليس لأنهم يرفضون دفع أي ضـــرائب، أو لا يطيعون قانون التجنيد الإلزاميّ فحسب، بل إنهم ينهـــبون ويقـــتلون حسب مشيئتهم، والذي يجرؤ على أن يمتنع عن إعطـــائهم أيّ شـــيء، فسوف يفقد حياته وممتلكاته بالتأكيد. ومع ذلـــك، يجب ألاّ أغفل عن ذكر، في حالات كثيرة استرعت انتباهي خلال رحلاتي، المحمّديّين والمسيحيّين على السواء عانوا نهب الكُرد. لم توفّـــر قبائل الروشكوتان (Rushcootan) والشيخ دودان (Sheikh Dodan) والصاســـون (Sasoun) والموكتو (Mooktu) التي تسكن في**

الجبال بين دياربكر وموش (Moosh) مسيحيّاً ولا محمّديّاً؛ وبينما كنت في إقليم دياربكر، قتل هؤلاء اللصوص ما لا يقل عن ثلاثة زعماء محمّديّين من أجل ممتلكاتهم[84].

إن الأدلّة في هذه المرحلة ضعيفة حتى توحي بأن الكُرد فضّلوا أن يهاجموا مسيحيّين على مسلمين، مع أنه من الواضح أنهم فضّلوا اللقاطة من الغنيّ عليها من الفقير وفضّلوا أن يهاجموا الضعيف. ربما يفسّر الغنى التقريبي للمجتمع الأرمنيّ لماذا بدا الأرمن أنهم كثيرًا ما كانوا أهدافًا لهم. لم يكن الجيش والدرك العثمانيّ في الشرق لحماية الأرمن من الكُرد فحسب. كانوا كأي قوة شرطة، ليحموا المواطنين من بعضهم. ولم تكن الحماية من القبائل للأرمن وحدهم. كان الفلاّحون الأتراك وحتى أكراد آخرون ضحية للقبائل الكرديّة[85].

قبل ثمانينيّات القرن التاسع عشر، كانت القبائل الكرديّة في الحقيقة تشكّل تهديدًا عسكريّاً للنظام المدنيّ للإمبراطورية العثمانيّة أكبر بكثير من تهديد الثوّار الأرمن. في أثناء حرب القِرَم على سبيل المثال، تطوّع شيخ قبيلة كرديّ في إقليم الموصل أن يجمع قوة كبيرة من الكُرد للقتال ضد الروس. أُعطي (50,000) قرش ليدفع رواتب رجاله ويزوّدهم بالمعدّات. ما إن جرى جمع (1500) من رجاله، حتى تمرّد هؤلاء، وهاجموا موظّفين حكوميّين عثمانيّين في الجزيرة، وشنّوا غارات في كل المنطقة. لم يجرِ إخماد هذا التمرّد إلاّ بعد الحرب[86]. في عام (1878 م) تمرّد أكراد الدرسم في أثناء الحرب أيضًا[87].

في عام (1879 م) انتشرت الثورات الكرديّة لتعمّ كل جنوب شرقيّ الأناضول حيث شكّلت تهديدًا خطيرًا لإمبراطورية أضعفتها الحرب الروسيّة الحديثة. لم يُظهر الثوّار ولاءً يُذكر لأحد إلاّ أفراد قبيلتهم. كان أكثر القرى التي دمّرها الثوّار قرى كرديّة موالية للسلطان أو مرتبطة بقبائل منافِسة[88].

أغـــار الكُرد حتى على العوّامات التي تجلب الطعام في اتجاه مجرى النهر إلى المناطق المبتلاة بالمجاعة في جنوب شرقيّ الأناضول عام (1879 م) ما أدّى إلى موت عدد غير معروف من الكُرد (الذين كانوا سيتلقون الحبوب) جوعًا[89].

كان العثمانيّون، بمساعدة قبائل كرديّة محليّة موالية، قادرين دائمًا في آخر الأمـــر على التعامل مع الكُرد عسكريّـــًا[90]، وهو أمر كثيرًا ما كان يُنكر عليهم، بسبب الضغوط الأوروبّية، حين ثار الأرمن. إن الأوروبّيين ذاتهم الذين اشـــتكوا بمـــرارة كـــلما سجن العثمانيّون ثوّارًا من الأرمن[91] أبدوا تذمّرًا متواصـــلاً من أن العثمانيّين لم يستخدموا القوة الكافية في التعامل مع القبائل الكرديّة.

يجب ألاّ يظن المرء أن المسلمين هم وحدهم الذين اشتركوا في السرقات والفوضى المدنيّة. نقل القنصل البريطانيّ بيليوتي (Biliotti) في رحلة تحرٍّ عام (1879 م) أن الهجمـــات الإرمينيّة على المسلمين ليست مجهولة[92]. كانت الجالية الإرمينيّة في زيتون معروفة بغاراتها على نحو خاص.

2/ 2/ 1] الجركس

من الواضح أن وجود الجركس في شرقيّ الأناضول كان مثيرًا للفوضى. حيث جرى الوصول إلى تسوية مؤقّتة مضطربة بين الكُرد والأرمن والحكومة العثمانـــيّة، يدخل الآن عنصر جديد، غير قادر على أن يُدخل نفسه بسهولة في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية التقليدية[93]. كان الجركس الذين وصلوا إلى الشـــرق العـــثمانيّ هـــم كلّ ما تبقّى من شعبهم، خشّنتهم حروبهم مع الروس. كانوا مُعدمين إلى حد مخيف، وليست مفاجأة أنهم دُفعوا إلى النهب في ســـبيل بقائهم. تشير الأدلّة على حياتهم المألوفة أكثر في وطنهم إلى أنهم شعب ذو مبادئ، ويعيشون وفقًا لقواعدهم الخاصة، وربما، غير متورّطين في هـــذا النوع من النشاطات التي دُفعوا إلى ممارستها عقب طردهم. ولكن، في

شرقيّ الأناضول وباسم البقاء إلى حد كبير، هاجم بعض اللاجئين الجركس قــرى مسلمة ومسيحيّة وأقدموا على نهبها. قيل إن الكُرد يخشون الجركس أيضًا[94]، وقد جرى إرسال جنود عثمانيّين لنزع أسلحة النهّابين الجركس، بـــنجاح محـــدود[95]. وطـــبعًا، من المحتمل، قياسًا بطبيعة الشائعة، أن سمعة الجـــركس أســـوأ بكثير من الواقع، إذ لم تذكر الرسائل الرسمية القنصليّة إلاّ مـــثيري المتاعـــب. لم يكـــن الأورُبّيون ميّالين إلى مراعاة تاريخهم ولا إلى التعاطف مع إملاقهم.

أمـــا الجركس الذين مُنحوا أرضًا جيدة فقد استقرّوا بالتأكيد ولم يُسمع منهم شيء. ومع ذلك، كانت سمعة الذين كانوا نهّابين كافية لتسبب فزعًا في القـــرى. لم يرغب أحد، مسلمًا أو مسيحيًّا، بمستوطنة جركسيّة في منطقته. حين كان يُخطّط لواحدة، أو حتى يُشاع عنها، كان زعماء القرية المسلمون يحـــتجّون إلى الموظّفـــين المحلـــيّين. كان الأرمن يحتجّون أكثر إلى القناصل الأورُبّيين وحتى إلى السفارات الأجنبية[96].

أفسد نقل أعداد كبيرة من الجركس إلى شرقيّ الأناضول التوازن العرقيّ التقليديّ في المنطقة بالتأكيد. حتى إن بعض المناطق أصبح "جركسيّـــًا"، أي إن الجركس كانوا أكبر جماعة منفردة بين السكان[97]. قدّر القنصل البريطانيّ في طربزون، بيليوتي، أعداد سكان مناطق استوطن فيها مهاجرون مسلمون من القفقاس. مع أن أرقامه كانت أكثر قليلاً من تخمينات تقريبيّة، فإنها تدلّ عـــلى التغـــيّرات السكانية المحدودة الناجمة من المهاجرين. يقدّم الجدول [2] تقديرات بيليوتي لمقاطعة جهارشنبة.

الجدول (2)

عدد سكان قضاء جهارشنبة نحو عام

(1880 م) بتقديرات القنصل البريطانيّ بيليوتي[98]

الأسر	
مسلمة (أصليّة)	(3000)
يونانيّة	(716)
أرمنيّة	(1828)
جركسيّة	(5000)
أبخازيّة	(130)
لازيّة	(149)

2/ 3] الخلاصة

في القـــرن التاسع عشر، أفسدت الاجتياحات الروسيّة والنفي القسريّ للمســـلمين القفقـــاس الـــتوازن في القفقاس والشرق العثمانيّ. لم يكن هذا الـــتوازن مُرضـــيًا بمعـــايير أواخر القرن العشرين. مُكتنَفة بأعداء خارجيّين واقتصاد ضعيف، لم تكن الحكومة العثمانيّة قادرة على ضبط أمن شعبها كما ينـــبغي. لكن الشرّ الذي حلّ محل التوازن التقليديّ كان أسوأ بكثير. طُرد أبناء شعب كاملاً من بيوتهم إلى مخيمات للاجئين، حيث ماتوا بأعداد كبيرة، وانـــتهى بهم المطاف إلى مناطق لم يكن سكانها يرغبون في استقبالهم. وبدلاً مـــن مساعدة الوضع، ساهمت الهجمات الروسيّة على العثمانيّين في تدهور النظام المدنيّ إلى درجة أكبر بسبب انتقال الجيش العثمانيّ بعيدًا، والتي كانت القوة الوحيدة التي، مهما كانت غير كافية، حافظت على السلم. ربما كان أســـوأ تأثير للاجتياحات الروسيّة خلْق قطبيّة مسلمة–أرمنيّة، عَرفًا لارتياب وعداوةٍ متبادلَين أدّيا في النهاية إلى هلاك الجماعتين.

3] بلغاريا

لا أستطيع أن أصل إلى أيّ استنتاج آخر إلاّ أن الروس ينفّذون سياسة ثابتة لإبادة العنصر المسلم[1].

بدأت الحركة الثورية البلغاريّة التي كانت ستنتهي بتأسيس دولة بلغاريّة وموت أو طرد أكثرية المسلمين البلغار، بأعمال منفردة ضد الحكومة العثمانيّة. قاتلت جماعات صغيرة من البلغار ضد العثمانيّين في الثورات الصربيّة واليونانيّة. انضمّ متطوّعون بلغار إلى الروس حين اجتاحوا البلقان في أعوام (1806 م) و(1811 م) و(1829 م) وقاتلوا جانب الروس في حرب القِرَم. اندلعت ثورات صغيرة ضد السلطة العثمانيّة في بلغاريا في أوقات مختلفة من القرن التاسع عشر. ومع ذلك، لم يحدث أن نجح الثوريّون، من خلال قوة روسيا، نيل في الاستقلال البلغاريّ إلاّ بعد اندلاع حرب عامي (1877–1878 م) الروسيّة التركيّة.

يمكن القول إن حرب عامي (1877–1878 م) بدأت ب«الأهوال البلغاريّة» الشهيرة لعام (1876 م) الذي بدأ في الحقيقة بمذبحة المسلمين البلغار. في الثاني من شهر أيار عام (1876 م) استغلّ الثوريّون البلغار الذين

أخفقوا إخفاقًا شديدًا في محاولات سابقة لتأجيج ثورة ناجحة ضد الإمبراطورية العثمانيّة، الضعف العسكريّ العثمانيّ وانشغال العثمانيّين بعصيان مسلّح في البوسنة ليثوروا مرة أخرى. رفعوا الراية الثوريّة في وسط بلغاريا في مدن كوبريفشتيتسا (Koprivshtitsa) وباناغيوريشتي (Panagiurishte) وكليسورا (Klisura)[2]. ربما لم يُدخل منظّمو الثورة في حساهم الانتقام التركيّ الذي تلا. ومع ذلك، كان العمل الثوريّ البلغاريّ من البداية ذبحًا للمسلمين في المقام الأول. في باناغيوريشتي، «احتشدت الجماهير المنفعلة في الساحة، وأنشد الناس أغانيَ ثوريّة، واستمعوا لخُطب ملتهبة من بنكوفسكي (Benkovski) [زعيم ثوريّ] ثمّ تفرّقوا ليقتلوا الأتراك المسالمين حيثما وُجدوا»[3]. قُتل ما يقرب ألف قرويّ مسلم[4].

في وقت الثورة البلغاريّة، كان عدد القوات النظاميّة المتوافرة قليلاً لإخمادها، وخشي العثمانيّون من أن تمتدّ ما لم يجرِ قمعها بسرعة. لذلك، قرّروا أن يزوّدوا الجركس والمسلمين الأصليّين، من الأتراك في المقام الأول، بالأسلحة وأن يستخدموهم جندًا غير نظاميّين ضد الثوّار. تبيّن بعد ذلك أن ذلك كان خطأً كبيرًا. كان الجركس على نحو خاص عنصرًا غير جدير بالثقة. يمكن الاعتماد عليهم لتوفير قوة عسكرية ضد المتمرّدين، ولكن لا يمكن السيطرة عليهم على نحو كاف. استنتاجًا من قرون من تقليد في القفقاس، نادرًا ما أطاع الجركس أوامرَ غير أوامر زعماء قبائلهم. علاوة على ذلك، لا بدّ من أنهم اكتسبوا ارتيابًا، ربما كراهية، من المسيحيّين بسبب تجارهم في حروب القفقاس وإبعادهم القسريّ عن وطنهم. وكان الجركس أيضًا عرضة للتعذيب وأعمال وحشية أخرى على أيدي بلغار يقاتلون في صربيا والبوسنة[5]. برأيهم، كان تعرّف العدو سهلاً. لا بدّ من أنه اتّضح أن الروس الذين هم على معرفة بهم ويشعرون بالكراهية نحوهم منذ أمد طويل، والبلغار لا يختلفون كثيرًا عن بعضهم. والجركس أيضًا شعب عوّده تاريخه

الحديث على حياة إغارة أشبه بالحرب[6]. اتّخذ الجركس تسجيل العثمانيّين لهم في المعركة ضد الثوّار البلغار رخصة للتصرّف بحسب تقاليدٍ نشأت في أثناء حروبهم مع الروس[7].

ربما أدرك المتمرّدون البلغار أن إطلاق العنان للجركس كان خطوة يمكن أن تعمل لمصلحتهم في آخر الأمر. ضمنوا بإحراقهم دائمًا قرية جركسيّة على الأقلّ أن الجركس سوف يرتكبون أعمالاً وحشية كأخذ بالثأر[8]. في مناطق في بلغاريا حيث توطّدت الثورة، ارتكب المتمرّدون أعمالَ عنفٍ، ضد نساء مسلمات على الأخص[9]، بقصدٍ واضحٍ هو إثارة انتقامٍ[10].

رأى الجند غير النظاميّين الذين كانوا عادةً من الأتراك الذين أقاموا في أحياء كان البلغار يتمرّدون فيها، خطرًا حاضرًا في الثورة البلغاريّة. إن الذين ذبحهم الثوريّون البلغار كانوا من المسلمين الأتراك، كحالهم أنفسهم. لا بدّ من أن مشاعر الانتقام عندهم امتزجت بمخاوفهم مما يمكن أن يحدث لهم ولأسرهم لو نجحت الثورة البلغاريّة. ربما يكون من الخطأ، على أي حال، افتراض كثير من التفكير المدروس منهم. لم يكن خوض المعارك في حروب البلقان قط وفقًا لقوانين "الحروب الحضاريّة". لا بدّ من أن كثيرًا من أولئك الذين تسجّلوا في القوات غير النظامية، مثلهم مثل نظرائهم بين المتمرّدين البلغار، كانوا من الصنف الذي شعر بأن النهب وإهانة السكان المدنيّين كانا جزءًا طبيعيّـًا من الحرب. فعلاً، يبدو أن المتمرّدين المسيحيّين البلغار والقوات غير النظامية على السواء عدّوا أن أفعالاً كهذه ميزة للحرب مرغوب فيها. حذت نشاطات القوات غير النظامية حذو النمط المعتاد لأيّ نهب في زمن الحرب؛ بكلمة أخرى، ما إن أصبحوا مسؤولين، حتى سرقوا من أعدائهم. على سبيل المثال، جرى استدعاء الجند غير النظاميّين قرب برغوس (Burgas) ليهزموا (2000–3000) متمرّد، ما إن جرى ذلك، حتى نهبوا أيضًا خمس قرى بلغاريّة[11].

وبينما كانت المجازر البلغاريّة من عمل الجركس وجند عثمانيّين غير نظاميّين آخرين في المقام الأول، فإن قيادة الجيش التركيّ لم تكن أسمى من أن تأمر بتدمير القرى وقتل الأبرياء ل"تُلقّن درسًا" للبلغار. كانت تلك الأعمال الوحشية من طبيعة الإرهاب التحذيريّ، كان يُنتظر من البلغار أن يروا ماذا كان في انتظار أولئك الذين تمرّدوا أو دعموا المتمرّدين، ومن ثم لا يقومون أنفسهم بأيٍ من الأمرين، بدافع الخوف. كانت أكثر مجزرة معروفة هي الهجوم على بلدة بوي أجك (Boyacık) في شهر أيار من عام (1876 م) بقيادة الجنرال العثمانيّ شفقت باشا[12] (Şevket Paşa) حيث مات بحسب التقارير [166] رجلاً و[8] نساء و[12] طفلاً (186 من أصل 1300 إنسان في البلدة)[13]. أُرسل شفقت باشا من أدرنة (Edirne) لقمع المتمرّدين في منطقة بوي أجك، ومن الواضح أن المجزرة كانت بمنزلة عبرة لأولئك المتمرّدين من المنطقة[14].

مع حالات عنف تحذيريّ كهذه، يبدو أن الحكومة العثمانيّة وقواها النظامية فعلوا ما في وسعهم على نحو عام للحدّ من الإضرار بالسكان المدنيّين. بالتفحّص، تجد هذا معقولاً. لو أدرك المتمرّدون أن مذابح المسلمين للمسيحيّين قد تؤدي إلى تدخّل أوروبّيّ، لما كان بوسع العثمانيّين إلاّ وأن يدركوا ذلك أيضًا. لم يكن لديهم رغبة في تدخّل أوروبّيّ، خصوصًا روسيًا. اعتقل الولاة والجنرالات العثمانيّون الجند غير النظاميّين المذنبين. اعتقل درويش باشا (Derviş Paşa) مثلاً، جندًا غير نظاميّين نهبوا قرية مسيحيّة، فأعدم خمسة من المتّهمين علانية، وعاقب [65] متّهمًا بالفَلَق[15] [جلد بالعصا على أخمصي القدمين]. حاكمت الحكومة العثمانيّة وأعدمت قتلة من القوات غير النظامية في أمكنة مختلفة من بلغاريا[16]. كثيرًا ما منعت القوات النظامية والشرطة العثمانيّة الجركس من نهب قرى بلغاريّة مسالمة، حتى أن قوات الدرك العثمانيّة زوّدت القرويّين البلغار بالسلاح لتتيح لهم حماية

أنفسهم[17]. في أحد الأمثلة، أُرسلت مفرزة قِوامها [300] جندي عثمانيّ من قرن أباد (Karnabad) لتقوم بحماية بلغار من جركس كانوا ينهبون قريتهم. اضطرّ الجنود إلى إطلاق النار على الجركس الذين لم يتوقّفوا عن نهبهم إلاّ بهذه الطريقة[18].

حدث مصادفةً أن الجنود الذين أُرسلوا من قرن أباد ضدّ الجركس كانوا يمرّون أصلاً عبر قرن أباد في طريقهم إلى الجبهة في البوسنة، وهكذا، كانوا في متناول يد القائمّقام لإرسالهم ضدّ الجركس. كانت تلك حالة مصادفة؛ نادرًا ما كان جنود كهؤلاء هناك لتنفيذ مشيئة الحكومة. كثيرًا ما كان يُترك الولاة العثمانيّون المحلّيون بنيات حسنة وحدهم[19]. إن الأوامر على ورق لجمع الأسلحة من الجند غير النظاميّين والجركس ولمعاقبة المذنبين أمر مختلف تمامًا عن إرسال رجال فعليّاً للقيام بالمهمة. يوضّح ذلك مشكلة العثمانيّين الأساس في بلغاريا ومناطق أخرى: ببساطة، لم يكن لديهم الطاقة البشرية العسكرية ليحموا بلادهم أو مواطنيها[20]. على سبيل المثال، كانت بلدة برغوس المهمة، قرب المنطقة التي بدأ منها التمرّد، من دون حماية في الواقع أثناء العصيان المسلّح لعام (1876 م). كانت القوات التي يُفترض أن تدافع عنها تقاتل بعيدًا في مكان آخر. صرّح نائب القنصل البريطانيّ في برغوس، بروفي (Brophy) أنه «إذا فطن الجركس أو القوات غير النظامية أو المتمرّدون لفكرة إبادة المسيحيّين أو المسلمين، وإحراق ونهب البلدة» فإن البلدة لن تكون قادرة على الدفاع عن نفسها[21].

آملين أن يستطيعوا الاستفادة من مشاكل العثمانيّين مع الثورات في البوسنة وبلغاريا، اجتاحت صربيا والجبل الأسود (Montenegro) الإمبراطورية العثمانيّة في شهر تمّوز من عام (1876 م)[22]. وبينما نجحت قوات الجبل الأسود، هزم العثمانيّون الصرب والمتطوّعين الروس والبلغار الذين قاتلوا إلى جانبهم بسرعة. بقيت القوات العثمانيّة النظامية منهمكة مرة أخرى، وهذه

المـــرة تقـــاتل الصرب. بحلول شهر أيلول من عام (1876 م) وقد حصل فعلاً الانتصـــار في الحـــرب مع صربيا، بدأ العثمانيّون يرسلون قوات نظامية إلى الأمكـــنة التي عانت أسوأ نهب على يد الجركس والقوات غير النظامية. سبق السيف العَذَل للتأثير في الرأي العام الأوربّيّ.

كانـــت "الأهـــوال" الـــبلغاريّة في الواقع هي ردّ فعل المسلمين الحقيقيّ والرهيـــب للعصـــيان المســـلّح وقتل المدنيّين المسلمين. ولكن التقارير عن "الأهـــوال" وصـــلت إلى إنغلترا وبقية أورُبة على نحو فيه كثير من الإثارة والمبالغة. كان أكثر ما نُقل غير صحيح[23]. على سبيل المثال، كانت إحدى القصـــص الـــتي دغدغت القراء البريطانيّين إلى حدّ بعيد حكاية بيع الفتيات المســـيحيّات للرقّ أو ضمّهنّ القسريّ إلى حريم المسلمين. ويبقى ما أحدثته تلـــك الروايات من خيال جامح في عقول مواطني مانشستر (Manchester) وبرمنغهام (Birmingham) متروكًا للتخمين ليس إلاّ. كان السخط شديدًا. عـــلى أي حال، لم يحدث بيع للنساء. لم يجد القناصل الأورُبّيون الذين بحثوا بتفصـــيل تام عن بيع واختطافات كهذه، أيّ شيء من هذا القبيل[24]. لكن إملاءات المناورات السياسية وانتشار الصحف جعلت تلك الروايات جذّابة، وجـــرى تصـــديقها عـــلى نطاق واسع. راجت على نحو كبير في أورُبة، خصوصًا في إنغلترا، وحرّكت تيّارًا كبيرًا من التعاطف مع المسيحيّين البلغار بين الإنغليز[25].

لـــو أن الأهوال البلغاريّة لم تجذب تعاطف البريطانيّين، لكان من المحتمل ألاّ تقـــع الحـــرب. كان الروس أدركوا أنهم لن يستطيعوا أن ينتصروا ضدّ تحالف عـــثمانيّ بـــريطانيّ. لكـــن تحالفًـــا كهذا، النتيجة المألوفة لسياسة بريطانيّة نحوَ العثمانـــيّين مـــنذ حرب القرَم، كان محكومًا عليه بالإخفاق من السخط الشعبيّ البريطانيّ تجاه مذابح الأتراك للبلغار. منفعلاً بالتعاطف والميل الدينيّين والانتهازيّة



④ أوربة العثمانية عام (1877م)

السياسية لوليم غلادستن (William Gladstone) [سياسيّ بريطانيّ] وصحافة حزب الأحرار البريطانيّ، جعل الرأي العام في بريطانيا تقديم بنيامين دزرايلي (Benjamin Disraeli) [رئيس وزراء بريطانيا] المساعدة للأتراك مستحيلاً، مع رغبته الشخصية في فعل ذلك. كانت النتيجة النهائية مجزرة للمسلمين في أعوام (1877–1879 م) أضخم بكثير من أي مجزرة للبلغار في عام (1876 م).

حين انتهى العصيان المسلّح، كان هناك بين [3000][26] و[12000][27] قتيل مسيحيّ بلغاريّ، وكذلك أكثر من ألف مسلم بلغاريّ[28]. لم ينجح الثوريّون البلغار مباشرة. إلاّ أن أخطاء العثمانيّين وأفعالهم الشريرة والصحافة الأوربّية هيّأت الأحوال لهزيمة عثمانيّة نهائية وبلغاريا مستقلّة.

كان السبب المباشر للحرب الروسيّة التركيّة في عامي (1877–1887 م) هزيمة صربيا على يد العثمانيّين. ومع أن الروس حاولوا ثنيَ الصرب عن الدخول في الحرب، إلاّ أن تأييد مناصري حركة وحدة السلاف الروس للصرب كان قويّاً. علاوة على ذلك، لم تكن نيّة الروس لمستقبل البلقان تتضمّن إمبراطورية عثمانيّة منبعثة من جديد جعلها أقوى هزمها لدولة سلافيّة تستلاءم أكثر مع الأهداف الروسيّة دول بلقانيّة صديقة وطيّعة. استطاعت روسيا إذاً أن تجبر العثمانيّين على هدنة غير مؤاتية مع صربيا في (31 تشرين الأول عام 1876 م) قبل أن تُهزم القوات الصربية هزيمة منكرة. ومع ذلك، لم تستطع روسيا إقناع الحكومة العثمانيّة بقبول الخطة الروسيّة بتقسيم أكثر أورُبة العثمانيّة إلى دويلات مسيحيّة متمتّعة بالحكم الذاتيّ[29]. وجدت الإمبراطورية العثمانيّة، مسرفة في الثقة إلى درجة خطيرة بدعم دزرايلي والبريطانيّين، نفسها قوية بما يكفي لمقاومة المطالب الروسيّة. جرت المفاوضات ببطء حتى شهر آذار من عام (1877 م) لكن العثمانيّين رفضوا أن يذعنوا. خطّطت روسيا للحرب. في اليوم الخامس عشر من تمّوز، فاوض الروس في معاهدة بودابست النمسا، حيث وافق النمساويّون على أن يكونوا

محــايدين في حربٍ روسيّة تركيّة مقابل قبول الروس بضمّ النمسا البوسنة-الهرسك (Bosnia-Herzegovina). وبهذا أصبحت خاصرة الروس محميّة.

أعلنت روسيا الحرب في (24 نيسان عام 1877 م). مع عواطف دزرايلي والملكــة فكــتوريا (Victoria) المؤيّــدة للأتراك، منع الرأي العام الحكومة الـبريطانيّة من تقديم المساعدة للعثمانيّين. تُرك العثمانيّون ليقاتلوا وحدهم. عــبر الجيش الروسيّ نهر الدانوب (Danube) قرب غَلَتْز في (22 حزيران عام 1877 م). وفي [27] حزيــران، عــبرت النهر قوات روسيّة أكبر بقوة عند سيستوفا (Sistova) وبدأت (في 30 حزيران) بالتقدّم نحو طرنوة (Tirnova). سقطت طرنوة في [7] تمّوز. جرى الاستيلاء على ممرّ شيبكا (Shipka Pass) على جبال البلقان في [19] تمّوز. في الشمال، استسلمت نيكبولي (Niğbolu) (نــيكوبولِس Nicopolis) [16] تمّوز، بعد أن فرّ رجالها إلى بلونا (Plevna). قاوم الحصن في بلونا الهجوم الروسيّ الأول في 20 تمّوز وكان باستطاعته أن يقــاوم الهجمــات اللاحقة حتى العاشر من كانون الأوّل، لكن ريف شمال وسط بلغاريا كان تحت السيطرة الروسيّة منذ منتصف تمّوز.

كــان احــتلال بلغاريا من تمّوز إلى كانون الأوّل من عام (1877 م) في مــأزق. تقدّم الروس عبر دوبرجا (Dobruja) لكن شمال شرق بلغاريا كان تحــت السيطرة العثمانيّة من سيليستريا (Silistria) جنوبًا. احتفظ العثمانيّون بخطّ الدفاع الجنوبيّ لجبال البلقان. بسقوط بلونا في العاشر من كانون الأول، تغــيّر الوضــع برمّته. سقطت صوفيا (Sophia) في الرابع من كانون الثاني، وبــازارجق التّتريّة (Tatar Pazarcık) في 14 كانون الثاني، وفيليبة (Filibe) (فيليبّوبولِس Philippopolis) في 17 كانون الثاني، وأدرنة في 20 كانون الثاني. لم تستســلم حصون شملا (Şumla) وكتائبها وفارنا (Varna) وبرغوس، ولو أنها لم تكن قادرة على التأثير في نتيجة الحرب، إلاّ بعد فترة طويلة من إبرام الهدنة.

3/ 1] مسلمو بلغاريا- النزوح القسريّ والموت

في أكثر الحروب، كان النصر السريع لطرف يعني حدًّا أدنى من الخسائر في الأرواح البشريّة. لكن هذا لم يحدث في الحرب الروسيّة التركيّة في عامي (1877–1878 م). ضمنت أهداف الحرب للفاتحين الروس لبلغاريا إصابات بليغة بين صفوف المدنيّين المسلمين. يمكن تصنيف وفيات المسلمين البلغار في أربع فئات: إصابات ساحة المعركة؛ القتل العمد من البلغار والقوات الروسيّة؛ إنكار ضروريات الحياة أدى إلى الموت جوعًا والموت من المرض؛ ووفيات بسبب وضع اللاجئين من المسلمين البلغار.

3/ 1/ 1] الإصابات المدنيّة الناجمة من المعركة

ساهمت الإصابات بين صفوف المدنيّين الناجمة من المعركة على نحو محدود في وفيات المسلمين الإجماليّة في حرب عامي (1877–1878 م). في حرب القرن التاسع عشر، حين عانى المدنيّون كثيرًا من خلال الحرب المباشرة، كان ذلك عادةً في حالات الحصار وقصف المدن. إن حصار رِتشموند (Richmond) في عامي (1864–1865 م) وحصار باريس في عامي (1870–1871 م) مثلان تقليديّان. كان حصار المدن وقصفها نادرَين تقريبًا في حرب عامي (1877–1878 م). قصف الروس نيكبولي فترة وجيزة، كذلك كان الأمر في بلدات أصغر، ولكن الحصارات الطويلة كانت فقط في مدينتي روسجك (Rusçuk) وبلونا حيث استتبع ذلك حدوث وفيات كثيرة بين المدنيّين[30]. سقطت مدن صوفيا وطرنوة وفيليبة وبازارجق وأورخانية (Orhaniye) وأدرنة بسهولة، من دون خسائر كبيرة في صفوف المدنيّين. كانت سيليستريا وبازارجق محتلّتَين من الروس بعد الهدنة، من دون معركة، ولم يُسلّم العثمانيّون مدن شملا وبرغوس وفارنا إلاّ بعد فترة طويلة من نهاية الحرب. في الريف، كان السكان المسلمون، مع أنهم كثيرًا ما كانوا غير

قادرين على الفرار بعيدًا، قادرين على الأقل على الفرار من المواقع القريبة من الحـــرب. إن السرعة التي قهرت بها الجيوش الروسيّة العثمانيّين كانت تعني أيضًا أنه كانت هناك معارك قليلة تقريبًا يمكن المدنيّين من خلالها أن يصابوا بـــالأذى؛ لذلك، كانت خسائر المسلمين المدنيّين نتيجة للحرب طفيفة. لا تـــتحدّث أي مصـــادر معاصرة عن خسائر عالية في صفوف المدنيّين نتيجة للمعركة.

3/ 1/ 2] الهجمات على المدنيّين المسلمين

مـــنذ الأيـــام الأولى للاجتياح الروسيّ لأورُبة العثمانيّة، قتلت القوات الروســـيّة مدنيّين من الأتراك العُزّل. ربما يمكن الطعن في الأدلّة على الأعمال الروسيّة الوحشية إذا كانت مبنيّة فقط على روايات اللاجئين الأتراك، مع أن للآلاف من الروايات وزنها كونها أدلّة. ولكن أكثر الأدلّة على مجازر المدنيّين الـــتي ارتكبها الجيش الروسيّ أتى من روايات أطراف محايدة (ليست كلها بأيّ حال من الأحوال مطبوعة على أن تتّخذ موقفًا ودّيًا من العثمانيّين[31]) راقبت القتال واستجوبت لاجئي حرب عامي (1877–1878 م) وكذلك من تقاريـــر عثمانـــيّة رسميّة. لم يحدّد الذين نجوا من الهجمات هوية مهاجميهم فحســـب، بل إن طبيعة الجراح صنّفت المهاجمين جنودًا روسًا. نقل أعضاء الصـــحافة الأورُبّية الذين راقبوا الحرب أفعال الجيش الروسيّ ضدّ القرويّين واللاجـــئين المســـلمين. كانت ملاحظات المراسلين على نحو يجعلها توافق بسهولة على الإثم الروسيّ:

> **شملا، 20 تمّوز عام (1877 م)**
>
> **اجتمع الموقّعون الذين يمثّلون الصحافة الأجنبيّة، في شملا. إنهم يظنون أن مـــن واجبهم أن يضيفوا تواقيعهم إلى موجز جماعيّ للتقارير التي أُرســـلت إلى صـــحفهم عـــن أفعال لاإنسانيّة ارتُكبت بحقّ السكان المسلمين الأبرياء في بلغاريا. صرّح المُوقّعون بأنهم شاهدوا بأمّ أعينهم**

الأطفـــال والنســـاء والمسنّين، في رازغراد (Razgrad) وشملا، الذين أُصـــيبوا بجراح بوساطة حراب وسيوف. لم تكن جراحًا يمكن عزوها إلى مخاطـــر المعركة. قدّم الضحايا روايات عن معاملة مرعبة مارستها القـــوات الروســـيّة، وفي كـــثير من الأحيان، البلغار أيضًا. صرّح الموقّعـــون بأنه جرى قتل كل السكان المسلمين في العديد من القرى إمـــا في أثـــناء فـــرارهم وإما في قراهم المنهوبة. كان يصل كلّ يوم كـــثيرون من ذوي الإصابات الحديثة. يعلن الموقّعون أدناه أن العدد الأكـــبر مـــن الضحايا هم من النساء والأطفال الذين أُصيبوا بجراح ناجمة عن الحربة.

وقّعهـــا ممثّلو (مانشستر غارديان/ Manchester Guardian)، (كولنيخ زايتنغ/ Kölnische Zeitung)، (ستاندرد/ Standard)، (فرانكفورتو زايتـــنغ/ Frankfurter Zeitung)، (جورنـــال ديه ديبا/ Journal des Debats)، (مورنيـــنغ بوست/ Morning Post)، (ريبوبليك فرانسيه/ République Français)، (بِســـتر لويـــد/ Pester Lloyd)، (فيـــنو تاغســـبلات/ Wiener Tagsblat)، (إلّستريتد لندن نيوز/ Illustrated London News)، (نـــيو فـــراي بريس/ Neue Freie Presse)، (تايمز/ Times)، (مورنـــنغ أدفرتايـــزر/ Morning Advertiser)، (نيويورك هـــرَلد/ New York Herald)، (سكتسمن/ Scotsman)، (إجيبيترتزي غـــرافي/ Egypeterczy Graphie)، (فينر فورستدت زايتنغ/ Wiener Worstadt Zeitung)، (ديلي تليغراف/ Daily Telegraph)، (مانشستر إكسامِنر/ Manchester Examiner)[32].

من الواضح من هذا التقرير وتقارير مشابهة كثيرة أخرى أن قاتلي المدنيّين المســـلمين كانوا في أحيان كثيرة من القوات الروسيّة. قدّمت الجراح التي لا يمكن أسلحة أخرى أن تُحدثها إلاّ حراب سلاح الفرسان شهادة على صدق إصـــرار اللاجئين على زعمهم. مع بعض الاستثناءات، كان المسؤولين عن ذلـــك القوزاق[33] الذين هاجموا قرى وقتلوا كوحدات. تبدو أعمال القتل والاغتصاب والتدمير التي ارتكبتها الوحدات الروسيّة إجمالاً أنها كانت تنفيذًا

لأوامر صادرة من القيادة الروسيّة. ومع أن أدلّة وثائقيّة على هذه الأوامر لم تُكتشف بعد، فإن الأدلّة الظرفيّة تشير إلى أن الأفعال الروسيّة كانت منهجيّة إلى حدّ لا يمكن معه أن تكون نوعًا من الأعمال الوحشية ذات التحريض الفرديّ المشاهدة في جميع الحروب فقط. لم تكن من فعل جنود يفتقرون إلى قيادة ضبّاط ويندفعون على نحو مستقلّ كالمسعورين[34].

كان الهدف الرئيس من وراء قتل القوات الروسيّة المدنيّين نشر الذعر بين القرويّين الأتراك، الذي سيؤدّي بهم إلى الفرار من طريق الجيوش الروسيّة الزاحفة. ومن ثم، يصبحون عائقًا أمام الجيش العثمانيّ. كان نجاح الروس في ذلك كبيرًا جدًا. شغلت الطرق حشود من اللاجئين الأتراك وأعاقت حركة القوات العسكرية. استولى اللاجئون المسلمون على عربات السكّة الحديدية التي كانت ستنقل قوات وذخائرَ إلى الجبهة[35]. في بلونا، وُضع حدّ لآخر هجمة لعثمان باشا وآخر فرصة للنجاة حين منع وجود اللاجئين المسلمين على أرض المعركة وصول التعزيزات إلى قوات رأس الحربة في هجوم كسر الطوق[36]. إضافة إلى إعاقة الجيوش العثمانيّة، حمى فرار المسلمين الخطوط الخلفية وخطوط الإمداد للروس من أنصار العثمانيّين. والأهم من ذلك، ضَمن جلاء الأتراك عن الأرض وجود بلغاريا بأكثرية سلافيّة ساحقة بعد الحرب[37]. كانت مهاجمة أتراك بلغاريا نتيجةً عمليّة ومدروسة وقاسية للسياسة العسكرية الروسيّة.

كانت الطرق التي استُعملت لإنهاء وجود المسلمين في بلغاريا طُوِّرت قرونًا قبل الحرب الروسيّة التركيّة في عامي (1877–1878 م). ما كان مطلوبًا هو الجمع بين القتل والخوف حيث يؤدّي ذلك إما إلى قتل المسلمين صراحةً وإما إلى هروبهم من قتلٍ وشيك. لتحقيق ذلك، كانت القوة الأكثر ملاءمة في الجيش الروسيّ هي القوزاق. كانت أساليب القوزاق استُكملت في حروب القفقاس. كانوا يحاربون "حروبًا قذرة" لقرون، وكانوا يستفيدون

من جميع ميزات سلاحِ فرسانٍ قادر على الحركة إلى حد بعيد في عمليّاتهم ضد المدنيّين. جعل هذا منهم أداة فعّالة في تنفيذ الأهداف الروسيّة في البلقان. بعد فترة وجيزة من تولّيهم تدمير القرى وتقليص اللاجئين، أصبح القرويّون الأتراك يذكرون اسمهم "القوزاق" برهبة. كانت الشائعات عن دنوّهم تكفي لجعل اللاجئين الأتراك ينطلقون هربًا إلى الطرقات، كما هو مخطّط له تمامًا.

لو كان لدى الروس وقت غير محدود وطاقة بشرية كافية لتنفيذ أهدافهم، لما كانوا بحاجة إلى إصدار أوامر محدّدة للقوزاق بخصوص اللاجئين الأتراك والقرى التركيّة. كان يمكن ببساطة عندئذ إعطاء القوزاق إجازة ليفعلوا ما يشاؤون بالأتراك، لكن ذلك سيكون بمنزلة استخدامٍ غير فعّال للطاقة البشرية العسكرية، إذ إنه سيتيح للقوزاق أن يجولوا ويشنّوا غارات تبعًا لمشيئتهم في حين أن هناك ضرورة لوجودهم في المعركة. في الحقيقة، يبدو أنه كان هناك منهج واتّساق في هجمات القوزاق، وهذا يقتضي تخطيطًا من سلطة مركزية. كثيرًا ما كانت هجمات القوزاق على قرى تركيّة منسّقة مع قرويّين بلغار محلّيّين، حيث يشترك القوزاق والبلغار في خطة مشتركة يقوم القوزاق فيها بمحاصرة القرى حيث لا يستطيع أحد النجاة، ثمّ يدخل البلغار لينهبوا ويقتلوا[38]. على سبيل المثال، استولى القوزاق على أسلحة القرويّين الأتراك في قرية هِدِبيه (Hıdıbey) على نحو سلميّ وسلّموا الأسلحة إلى البلغار الذين قاموا بعدها بقتل جميع رجال القرية الأتراك السبعين إلاّ خمسة عشر منهم، في حين عمل القوزاق على منع نجاة أحد. كان الخمسة عشر الذين نجوا فرّوا فور رؤيتهم للروس. وفي بوكلوملوك (Büklümlük) استولى القوزاق ثانية على أسلحة الأتراك وسلّموها إلى البلغار. قام القوزاق "بإحكام الطوق حول البلدة" لمنع الفرار. وضع البلغار جميع الرجال في حظيرة للقشّ وجميع النساء والأطفال في بيوت. جرى تكديس القشّ في الحظيرة والبيوت وأُضرمت فيها

النار. أطلق البلغار النار على كلّ من حاول الفرار من المباني[39]. استطاع قليل جدًا منهم النجاة من الهجمات، لكن تلك القلّة كانت كافية لإذاعة الخبر على إخوانهم الأتراك. في الواقع، كان في مصلحة الروس أن ينجو أحدهم ليروي القصة.

يقدّم إهلاك أتراك مدينة أسكي صغرى (Eski Zagra) مثلاً واضحًا عن الدور الروسيّ في نهب وقتل الأتراك ومسلمين آخرين في بلغاريا. كالعادة، جمع الروس أسلحة الأتراك حين دخلوا البلدة. ووُزّعت تلك الأسلحة على البلغار فيها. وكما نقل القنصل البريطانيّ دوبوي (Dupuis) «تلا ذلك وصول أربعمئة بلغاريّ مسلّح من قريتي دربند (Derbent) ويني محلّة (Yeni Mahalle) حيث قاموا بهجوم شامل على بيوت ومتاجر اليهود والأتراك. في اليوم ذاته، انطلق الروس والبلغار بعد ذلك إلى القرى وبيوت المزارع وأضرموا فيها النار؛ في غضون ذلك، يشاهد ضابط روسيّ ويراقب العمليات من خلال منظار ميدان»[40].

3/ 1/ 3] القوزاق

ما لم يجد الباحثون أوامر الحرب لحرب عامي (1877–1878 م) في المحفوظات الروسيّة، لن يكون هناك مجال لمعرفة الأوامر المحدّدة الصادرة إلى القوزاق. يمكن المرء أن يستنتج أن نشاطات القوزاق، كما جرى رصدها، لم تكن منسجمة مع النشاطات المستقلّة للوحدات غير النظامية. في العمليات المشتركة مع البلغار، ما كان يُسرق من الأتراك كان يبقى في أيدي البلغار. لو لم تكن نشاطات كهذه تحت إمرة سلطة عليا، فإنه من غير المؤكد أن القوزاق كانوا سيكبحون الأتراك ويحمون البلغار، بدلاً من أن يأخذوا الغنيمة لأنفسهم. ما كان باستطاعة القوزاق أن يكونوا مغيرين وحدهم، يبحثون عن غنيمة. لو كانوا وحدهم، هل يستطيع المرء أن يتصوّرهم، مرة

تِلــوَ الأخــرى، يحاصرون القرى بأسلوب عسكريّ صحيح منتظرين بهدوء بيــنما يقوم البلغار، لا القوزاق أنفسهم، بالاغتصاب والنهب والقتل؟ هذا ليس أسلوب القوزاق، إلاّ إذا كانوا تحت انضباط عسكريّ.

كــثيرًا ما عمل القوزاق بالتواطؤ مع بلغار محليّين. هذا لا يعني طبعًا أن القوزاق لم يتصرّفوا وحدهم قط. كما ذُكر أعلاه، قَتل القوزاق من الأتراك قــرويّين في القرى ولاجئين. في قرية مُدرِّسلي (Müderrisli) قام بقتل خمسة وثلاثين تركيّــًا مئة وخمسون قوزاقيّــا بأنفسهم، حيث جمعوهم في ساحة القــرية أولاً، ثمّ أطلقوا النار عليهم. سرق بلغار من مُدرِّسلي وقرى أخرى البيوت التركيّة حصرًا[41]. حدث الأمر ذاته في قرى يني محلّة[42] وأوستروجا (Ustruca) وقادسلة (Kadisle) وبنبنار[43] (Binbunar) وأخرى كثيرة. شاهد القنصــل البريطانيّ بلانت (Blunt) في أدرنة لاجئين ناجين أنقذهم القوات الجركسيّة والتركيّة من القوزاق. كان بينهم عدد كبير من النساء والأطفال، بعضهم لم يتجاوز السنة والسنتين وثلاث السنوات من العمر، مصابين بجراح مـــن حراب وسيوف سلاح الفرسان[44]. السجلات المحفوظة حافلة بتقارير مـــن موظّفـــين قنصليّين ورجال صحافة والحكومة العثمانيّة عن تدمير قرى وأعمال قتل ارتكبها القوزاق[45].

3/ 1/ 4] الجيش النظامي الروسي

يصعب في كثير من الأحيان تحديد إذا كانت وحدات عسكرية نظامية، مقارنـــة بـــالقوزاق، هـــي المسؤولة عن عديد من الهجمات على مسلمين مســالمين. ليس هناك شحّ في المعلومات عن هجمات 'الروس'[46] على قرويّين ولاجئين. على سبيل المثال، وصف العثمانيّون مجزرة أربعمئة مسلم في قرية خضـــر بيه (Hidr Bey) في قضاء أسكي صغرى على أيدي الروس[47]. في حـــالات كـــثيرة، اتُّهمت «طليعة الجيش الروسيّ» بإحراق ونهب قرى تركـــيّة وارتكاب مجازر فيها. فمثلاً، دمّرت «طليعة رتل عسكريّ روسيّ»

قرى في قزنلق (Kızanlık) وأقضية يني صغرى، بما في ذلك بلوان (Balvan) وملكوج (Malkoç) ويني محلّة وأسكجة (Eşekçi) وقتلت المقيمين فيها[48]. على أي حال، من الصعب عادة تصنيف مرتكبي هذه الأعمال وحدات جيش نظاميّ. يمكن في بعض الحالات فقط أن يتأكد المرء من أنها من أعمال جيش نظاميّ. على سبيل المثال، دُمّر مستشفى ستافورد هاوس (Stafford House) في روسجك، الذي كان يُديره محايدون بريطانيّون ويعالج مسلمين، على نحو متعمّد فعلاً بوساطة المدفعية الروسيّة[49]. ذكرت الحكومة العثمانيّة أيضًا أن المدفعية الروسيّة قصفت قرية تركيّة قرب طرنوة[50] ما أدى إلى احتراقها وإن سلاح الفرسان الروسيّ باغت رتلاً من اللاجئين وقام بأعمال قتل واغتصاب[51]. ربما كان الأخير سلاح فرسان قوزاقيًا. أحرق الجيش النظاميّ الروسيّ بالتأكيد قرى للمسلمين كانت في طريقه[52]، وقصفت المدفعية الروسيّة قرى مسلمة مأهولة ليست ذات أهمية عسكرية[53]. في بعض الحالات، تصرّفت وحدات من الجيش النظاميّ بطريقة القوزاق نفسها المذكورة آنفًا تقريبًا، طوّقت القرى التركيّة بينما قام البلغار بالنهب والقتل. جرى استخدام جنود نظاميّين وسلاح المدفعية، لعزل قرية بلوان (Bolvan) في شماليّ بلغاريا مثلاً، حتى يتمكّن البلغار من قتل جميع القرويّين. سجّل البريطانيّون حوادثَ مشابهة في خمس قرى أخرى في المكان والزمان ذاتهما (تمّوز 1877 م)[54]. نهبت كتيبة مشاة روسيّة في كانون الأول من عام (1878 م) بعد انتهاء الحرب بفترة طويلة، قرية برنجيك (Buruncuk) التركيّة[55]. نقل جنود روس في المنطقة نفسها بعض الأتراك من قرى أخرى لاستخدامهم في أعمال سُخرة، لكن الأتراك لم يعودوا قط[56].

بعد انتهاء المعركة بزمن طويل حين بات مسلمو بلغاريا لا يشكّلون أيّ تهديد عسكريّ بأيّ معنى من المعاني، كان الجنود الروس لا يزالون يعتدون على الأتراك بهدف إجبارهم على الرحيل. على سبيل المثال، جرى توقيع الهدنة في (31 كانون الثاني عام 1878 م) ولكن بعد ثلاثة أشهر، في (2 أيّار

عام 1878 م) دخل خمسون ومئة جنديًا روسيًا إلى قرية قرة أغاج (Kara Ağaç) واستولوا على أسلحة القرويّين من دون مقاومة، ثمّ اعتقلوا وحبسوا جميع الذكور البالغين، واغتصبوا النساء ونهبوا القرية. اقتيد الرجال إلى قرية مجاورة، حيث جرى تعذيبهم وبيع البضائع المسروقة[57].

3/ 1/ 5] البلغار

كان الثوريّون البلغار الحلفاء المألوفين للروس. شكّلوا طابورًا خامسًا عاديًا خلف خطوط العثمانيّين، يعطّلون خطوط الإمداد ويقتلون الجنود العثمانيّين المنسحبين[58]. لكن فائدتهم الرئيس للروس كانت تكمن في أهدافهم وهي إبادة السكان المسلمين وطردهم؛ أهداف شاركوا الروس فيها. نادرًا ما كان هناك ضرورة لأوامر محدّدة. لم يكن يحتاج الروس إلاّ إلى توزيع الأسلحة على البلغار ثمّ الانصراف[59]. بتجنّبهم ممارسة أي وظيفة ضبط أمن في الأراضي المحتلّة، ضمن الروس أن المسلمين سيهاجَمون ويُقمعون. هذا لا يعني أن جميع البلغار عاملوا المسلمين على نحو سيّئ. لا يمكن أن تكون أكثرية البلغار قد اشتركت في المجازر والاغتصابات وأعمال وحشية أخرى رافقت الغزو الروسيّ. على أي حال، لم تساعد حيادية أولئك البلغار المسلمين في شيء. هل يُنتظر من فلاّحين بلغار أن يجازفوا بحياتهم في كثير من الأحيان لينقذوا مسلمين من بلغار آخرين، خصوصًا وأن أولئك البلغار كانوا ينعمون بمباركة الجيش الروسيّ المحتلّ؟. علاوة على ذلك، كان البلغار سيستفيدون أكثر من غيرهم بكثير إذا ما غادر المسلمون قراهم. سوف يحصدون محصول المسلمين ويستولون على أراضيهم[60]. ومع ذلك، فإنه من الخطأ أن يُصنّف البلغار، جميعًا، قتلة للأتراك. قد تذكر الوثائق المحفوظة "البلغار" مضطهدين للأتراك فحسب، ولكن على الأرجح كان المسؤول إلى حد بعيد مجموعتان من البلغار فقط، الثوريّون الذين أُثبتت

كراهيتهم للمسلمين من قبل، وأولئك الأفراد والقرويّون الذين رأوا مصلحة اقتصادية في الاستيلاء على حقول المسلمين وممتلكاتهم.

تملأ الأمثلة عن أعمال البلغار الوحشية ضد الأتراك النشرات الدبلوماسيّة مع تفصيلات بيانية عن قتل جماعيّ واغتصاب ونهب. بعد تعليقه على أعمال السلب والاعتداءات الوحشية الليلية في إحدى القرى، علّق ممثّل بريطانيّ، «حالات كهذه هي القاعدة، لا الاستثناء»[61]. شاهد مراقبون أوربّيون (مراسلون من [المورنِنغ بوست]/ the Morning Post) و([التايمز]/ the Times) و([الديلي تلغراف]/ the Daily Telegraph) مئة وعشرين جثّة ملقاة في العراء في قرية أوكلنلي (Oklanlı) (الآن: لكهنلي Lagahanlı)، حيث احتُجزت نساء تركيّات في بيوت، واغتُصبنَ على مدى عشرة أيام، ثمّ أُحرقنَ وهنّ على قيد الحياة[62]. في بعض الحالات، أُدخل بلغار في الجيش الروسيّ فعلاً، وسُلّموا بزّات نظاميّة وأسلحة، واستُخدموا في اضطهاد الأتراك[63].

كان البلغار الذين اضطهدوا مسلمين قرويّين فقط في أكثر الحالات، وكانوا أحيانًا قرويّين عاش أسلافهم جنبًا إلى جنب مع مسلمين في قرى مختلطة مئات السنين. ربما كان دافعهم الجشع إلى حد أبعد من الكراهية أو القومية. بدأ النمط المألوف لهجمات بلغاريّة صرفة على المسلمين، مقارنة بما ذُكر سابقًا عن المشاركات البلغاريّة القوزاقيّة، بسرقة الماشية[64]. كما لو أن نجاح عملياتهم والافتقار إلى العقاب منحاهم الشجاعة، فارتقوا إلى الابتزاز وسرقة الممتلكات الشخصية والأموال. كان الفعل الأخير جمعًا بين الضرب المبرّح والاغتصاب والقتل، ما أدّى بثبات تقريبًا إلى فرار المسلمين[65].

> **[من القنصل كالفرت في أدرنة إلى السفير لَيرد، 19 تشرين الثاني عام 1878م)]**
>
> **أكره الفلاحون المسلمون على العيش في الأعمّ الأغلب في إسطبلات ومراحيض خارجية وحظائر مكشوفة، بعد أن سُلبت أراضيهم**

وبيوتهم وماشيتهم وممتلكاتهم الأخرى (عملية استمرّت يومًا بعد يوم وشهرًا بعد شهر) والآن، وقد وصلوا إلى حالة التسوّل، يخضعون لسلب متكرر ودقيق أكثر فأكثر، يجري تنفيذه أحيانًا بوساطة التعذيب ووضع مكسواة مُحمّاة على الضحايا (كما في الحالات الحديثة في خضرجا Khidirdja وتركمنلر Turkmenler) أو بالضرب المبرّح حتى الموت (كما جرى في كوستيك Keustik، حيث ارتكب الفعل ضابط في الدرك الروسيّ البلغاريّ). في غضون ذلك، تبقى البلطة والسكين والهراوة البلغاريّة نشطة في كل مكان. إنها حقيقة واقعية أن كلّ مسيحيّ حرّ في الاعتداء على أي فتاة أو امرأة تركيّة ساعة يشاء، وأن المسيحيّين يمارسون الرخصة الممنوحة لهم إلى أقصى حدّ، مضيفين، في حالة سلمنة (Slimnia) الحديثة (حيث توجد حامية روسيّة) إهانة وسخرية إلى حد الحنق، باستعراض ضحايا وحشيتهم علانيةً على صوت موسيقى مزمار القربة. جرى احتجاز اللاجئين الأتراك العائدين، المستعبَدين الآن، في الحالة الحديثة وربما القائمة لسوفلار (Souflar) للعمل في صنع القرميد لأسياد بلغار تحت إشراف مراقبين مسلّحين بالسياط. كلّ ذلك مع حصانة مطلقة للمذنبين (لم يعاقَب مسيحيّ واحد حتى الآن ونادرًا ما اعتُقل بلغاريّ واحد لأيّ إساءة لتركيّ) ولامبالاة من جانب السلطات الروسيّة التي ليس من الظلم وصفها بالراضية[66].

يجب النظر إلى أفعال البلغار ضد الأتراك في سياق ثورة عام (1876 م) والأهوال البلغاريّة التالية. كان تقليد الهجمات على قرويّين عاجزين بدأ بهجمات على مسلمين خلال الثورة وتواصل بهجمات على البلغار في الأهوال البلغاريّة. من الصعب التكهّن بنفسيّة الرجال الذين وقعوا في هذه الحروب غير الإنسانية بين الطوائف، لأن الأدلّة ناقصة. كان بعضهم يترك مذكّرات تصف مزاجهم عندما قتلوا ضحايا أبرياء. يمكن المرء أن يفترض أن هجمات البلغار على المسلمين كانت تُغذى، جزئيًّا على الأقلّ، من الخوف بأن على المرء أن يبيد أعداءه قبل أن يبيدوه. أضف إلى ذلك، أن سُعر

الحرب حوّل أشخاصًا مسالمين إلى جزّارين في بلاد كثيرة مع جانب بلغاريا. لا يمكن تجاهل التأثيرات السلبية للعصبية المتطرّفة؛ إذا كان شعب المرء أفضل من غيره من الشعوب وفي طريقه إلى العظَمة، إذًا ما هو الموقع الذي يجب أن يُحـــدَّد لآخـــرين يقفون في طريق نجاح قوميّ؟ في هذا السياق، في أوقات استشعار الخطر، قد يبدو التخلص من أولئك الذين ليسوا من الأمّة سليمًا، أو على الأقلّ مناسبًا. لم يكن البلغار منفردين في فهمهم للقومية بهذه الطريقة.

3/ 1/ 6] السرقة والتدمير أدوات سياسيّة

اســـتخدم الروس النهب وتدمير ممتلكات المدنيّين أدوات حرب. كانت نيّتهم التأكد من أن الأتراك البلغار لن يجدوا شيئًا يستطيعون العودة إليه. منذ بداية احتلالهم، دمّر الروس قرى تركيّة بأسلوب «يبدو أن الغزاة انهمكوا فيه على نحو منهجيّ»[67]. في هذا، كما في أمور أخرى، قام البلغار بمساعدتهم، حيـــث أحرقوا ما لا يستطيعون الاستفادة منه بأنفسهم[68]. ليس للإحراق المتعمّد لقرى هجرها سكانها أيّ مغزى من الناحية العسكريّة أو الاقتصاديّة، إلاّ ضمانًا لعدم عودة هؤلاء السكان[69]. وهكذا، دمّر الروس والبلغار قرى كاملة، واستولوا على الماشية وكل الأملاك المنقولة، وجرى فعلاً محو الوجود الـــتركيّ. في المدن، أُفرغت الحوانيت والبيوت. دُمّرت في كثير من الأحيان مـــبانٍ كـــان يمتلكها أتراك. في يني صغرى، أُحرق خمسون منزلاً تركيّـــًا وكذلـــك الجـــامع والمباني الحكوميّة[70]. أُحرق العديد من المتاجر والمنازل التركـــيّة واليهوديّة في أسكي صغرى[71]. جرى إحراق جميع المنازل التركيّة الـــتي لم يحتلها بلغار وتسويتها بالأرض[72]. ومع ذلك، كان البلغار في أكثر الأحيان يستولون على الممتلكات في المدن والريف. جرى إنجاز ذلك بسياسة الأمر الواقع. فرّ المسلمون مع وصول القوات الروسيّة مباشرة. في المناطق التي لم يفـــر المســـلمون منها في أول الأمر، قتلت عصابات بلغاريّة المالكين أو

روّعتهم إلى حدّ الفرار. استولى جيرانهم البلغار، أو بلغار من قرى أو مدن أخرى، على بيوتهم ومتاجرهم. حدث الشيء ذاته في المزارع. ما كان تركيًّا أصبح الآن بلغاريًّا[73]. جاء الأمل الوحيد للأتراك في الإنصاف من المحاكم البلغاريّة المحدثة حديثًا أو من جلسات الاستماع الوديّة للروس. لم يحصلوا على إنصاف ولا على عطف[74].

مع أنه من الصعب فصل سياسة متعمّدة عن غياب للانضباط العسكريّ فقط، فإن نشاطات الجند الروس تبدو أنها كانت جزءاً من السياسة الروسيّة في محو الوجود التركيّ والإسلاميّ في بلغاريا. استولى الجنود الروس وحلفاؤهم البلغار على جميع الممتلكات التركيّة المنقولة وأتلفوا في كثير من الأحيان ما تبقّى، باستثناء الممتلكات التي استولى عليها البلغار. أما المدن المأهولة بعدد كبير من السكان، مثل فيليبة، فجرى نهبها: «نائب القنصل اليونانيّ في فيليبّوبولِس، إم ميتالاس، . . يعلن أن القوات الروسيّة والبلغار نهبوا المدينة كاملة ويرتكبون الأعمال الوحشيّة بكل أنواعها»[75]. بعد أن استولى الروس على فيليبة، «نُهب كلّ بيت تركيّ في المدينة كاملاً، حتى الأبواب وإطارات النوافذ؛ جرى تحويل الجوامع إلى مراحيض عامة[76]. استمرّ الجنود الروس في نهب أدرنة أسابيع بعد سقوطها، «بالأخص الحيّ التركيّ»[77].

3/ 1/ 7] عمليّات الانتقام

مع أن البلغار كثيرًا ما كانوا المرتكبين للمجازر لا ضحاياها، فإن هناك مجازرَ للبلغار ارتكبها المسلمون في الحرب الروسيّة التركيّة في عامي (1877–1878 م). كانت تلك المجازر قليلة تقريبًا، وكانت التقارير عن أعمال وحشية في الصحافة الأوروبّية أكثر مما حدث من أعمال وحشية[78]، لكن المسلمين هاجموا البلغار. نهبت القوات المسلمة القرى المسيحيّة، اليونانيّة

والبلغاريّة على السواء. وكما في الأهوال البلغاريّة، يبدو أن أكثر المذنبين كانوا من الجركس. كثيرًا ما كان الجركس يهاجمون القرى في أثناء انسحابهم مع الجيش النظاميّ العثمانيّ. نهب الجركس القرى المسلمة والمسيحيّة على السواء[79]، ويبدو أن أكثر النشاط الجركسيّ كان من نوع النهب[80]. لا شكّ في أن مجازرَ أخرى كانت ستقع للمسيحيّين لو كان هناك متّسع من الوقت وفرصة متاحة. بسبب التراجع السريع للقوات العثمانيّة، لم يكن لدى الجركس الوقت الكافي ليفعلوا أيّ شيء سوى الفرار. ومع ذلك، حين سنحت الفرصة، قُتل بلغار. ربما قُتل أربعمئة بلغاريّ في عثمان بازار (Osman Pazarı) وجورنا[81] (Curna). حين تراجع الروس مؤقّتًا عن قزنلق، قُتل عدد غير معروف من البلغار في عملية انتقام لقتل مسلمين ويهود جماعيًا في المدينة في وقت سابق[82]. ومع أن الأعمال الوحشية من هذا النوع التي أُبلغ عنها في أثناء الانسحاب العثمانيّ كانت قليلة تقريبًا، إلاّ أنه لا بدّ من أن تكون هناك أعمال وحشية ظلّت مجهولة لدى المراقبين القنصليّين الأورُبّيين[83].

كان بعض التقارير عن مجازر ارتكبها المسلمون إما غير صحيحة وإما مبالغًا فيه إلى حد كبير[84]، كما كانت الحال مع الأهوال البلغاريّة. تحرّى القنصل البريطانيّ بلانت أحد هذه التقارير ووجد أن الذين قُتلوا في المجزرة المزعومة كانوا ثوريّين من الذكور فقط، لم يكن هناك نساء أو أطفال، وأظن أن ذلك كان في الحقيقة معركة بين الجنود العثمانيّين والمتمرّدين[85]. بخلاف إجماع التقارير على مذابح المسلمين، كان هناك تضارب بخصوص الهجمات ضد البلغار التي كان ينقلها بلغار لم يكونوا متواجدين على أرض الحدث[86]. كانت المذابح الفعلية للبلغار في الأحوال العادية من نوع الأخذ بالثأر. وكما هي الحال في عمليات الانتقام في كثير من الأحيان، كان الأبرياء، بدلاً من المرتكبين الأصليّين للجرائم، هم الضحايا. قتل الجركس إجمالاً (135) من

الرجال والنساء والأطفال الجركس في كونتلي محلّيسي[87] (Günetli Mahallesi). بينما كان الجيش العثمانيّ والسكان المسلمون لمدينة يني صغرى يهجرون المدينة، قَتل «رجال ذوو سمعة رديئة» عددًا من البلغار وأحرقوا السوق[88].

هناك خاصتان تميّزان قتل البلغار من قتل المسلمين. الأولى هي العدد الصرف للقتلى. إن الروايات المسجلة عن أعمال وحشية إسلاميّة قليلة، بينما هناك آلاف الروايات عن أعمال وحشية بلغاريّة. والثانية هي نوع الجريمة المرتكَبة. بخلاف الوحدات الروسيّة التي تمتّعت ب"مباركة" رسمية، إن لم يكن بأوامر، للشروع، كان الجنود والمدنيّون المسلمون المذنبون يتصرفون بدافع الجشع والكراهية الشخصيّتين. ليس لأن الحكومة العثمانيّة لم توافق على أفعالهم فحسب، بل لأنها عاقبتهم بشدة أيضًا[89]. في حالة مجزرة غونتلي محلّيسي المذكورة آنفًا، أُلقي القبض على خمسة عشر زعيم فتنة جركسيًّا وجرت محاكمتهم علانية. تضمنّت عقوباتهم الموت والسجن والجَلد علانية (للذنوب الأصغر)[90]. يبدو أن العثمانيّين حاولوا حماية بلغار غونتلي محلّيسي، ولم تحدث مهاجمة القرية إلاّ بعد أن سُحبت وحدات الجيش النظاميّ التي كانت تحميها إلى الجبهة[91]. هناك أمثلة عديدة للجهود العثمانيّة في حماية المسيحيّين[92]، وكذلك للعقوبات المفروضة على الذين هاجموا بلغارًا ويونانيّين. سجل العثمانيّين والمسلمين يتألّق، مع أنه بعيد عن الكمال، مقارنة بالسجل الروسيّ لأعمال قتل جماعيّ وهجرة قسريّة مدعومة من الحكومة، ولدعم أعمال وحشية ارتكبها البلغار.

3/ 1/ 8] اللاجئون

بدأ تحرّك اللاجئين المسلمين حتى قبل أن يعبر الروس نهر الدانوب. أمرت الحكومة العثمانيّة مواطني المناطق الرئيس للجبهة الشمالية بأن يغادروا

المناطق العسكرية ويحرقوا اللوازم الحربية، بما في ذلك الأغذية والأعلاف التي يمكن أن يستخدمها الغزاة الروس[93]. ولكن يبدو أن فئة قليلة فقط تحرّكت في ذاك الوقت. يبدو أن المسلمين قاوموا أوامرَ كهذه في الفترة التي سبقت البدء الفعليّ للمعارك، لما كان ينطوي عليه الأمر من خسائر شخصية كبيرة. أنهى الاجتياح الروسيّ كلّ هذا التواني. غادر المسلمون على عجل حين أدركوا المخاطر على أنفسهم وأُسرهم[94].

فرّ اللاجئون أولاً باتجاه المدن الكبرى والقواعد العسكرية العثمانيّة، آملين في أن يكونوا في مأمن وأن تقوم السلطات بإطعامهم. وحين انهزمت الجيوش العثمانيّة بسرعة أمام الروس في الأشهر الأولى من عام (1878 م) وانسحبت، بدأ اللاجئون رحلتهم من جديد. اتجه اللاجئون من طرنوة جنوبًا عبر جبال البلقان. فرّ اللاجئون من دوبرجا وشمال شرقي بلغاريا إلى منطقة شملا-فارنا، حيث صمد الجيش العثمانيّ حتى بعد الحرب. ذهب اللاجئون الأتراك من غربي بلغاريا إلى صوفيا أو إلى البوسنة وأسكوب (Üsküp). اتّجه اللاجئون الأتراك من الوسط البلغاريّ إلى أسكي صغرى وفيليبة. لم يصل كثير من اللاجئين إلى المدن قط، ولم تبق العديد من المدن الملتجَأة آمنًا فترة طويلة. تقدّم الجيش الروسيّ سريعًا عبر البلقان، مجبرًا اللاجئين على الفرار أمامه، ومستقدّمًا على أرتال اللاجئين في الخُطا أحيانًا. استقرّ اللاجئون في مكان واحد في كثير من الأحيان لكنهم غادروه حين قُتل عدد منهم[95]. كلما سقطت مدينة، تابع كثير من اللاجئين رحلتهم إلى مناطق تمنّوا أن تكون أكثر أمانًا. إضافة إلى لاجئي المناطق التي جرى فتحها أولاً، انضمّ إلى الهجرة الجماعية لاجئون من مناطق جرى فتحها حديثًا أجبرتهم المذابح والمعاملة السيئة من جانب الروس والبلغار على ترك قراهم. بحلول آذار من عام (1878 م) حين أنهت معاهدة سان ستيفنو (Treaty of San Stephano) الحرب، كان اللاجئون متجمّعين في مناطق معدودة: شملا-فارنا (230,000

تقريبًا) وبرغوس (20,000) وجبال رهودوبة (Rhodope Mountains) (100,000) وكوماجنة (Gümülcine) (50,000) واسطمبول (200,000)[96]. تنقّل الكثيرون منهم عددًا من المرات. على سبيل المثال، سلك اللاجئون في كوماجنة وعلى مقربة منها عمومًا طريقًا من قراهم إلى أسكي صغرى، أو بازارجق التترية، أو مدن أخرى، ثمّ إلى فيليبة، ثمّ إلى جبال رهودوبة، وأخيرًا عبر الجبال إلى غربيّ ثراقيا (كوماجنة وساحل بحر إيجه). عندما سقطت صوفيا، فرّ اللاجئون المتجمّعون هناك، برفقة سكان المدينة الأتراك، إلى أسكوب، وبازارجق التّترية، وسالونيجة (Salonica) من طريق قسطنديل[97] (Kustendil). اضطرّ أتراك قسطنديل إلى الرحيل في آخر الأمر، لكن كثيرين منهم توانوا طويلاً فقتلهم المتمرّدون البلغار على الطرق إلى أسكوب وقومانوة[98] (Kumanova).

إضافة إلى اللاجئين في المراكز الكبرى في نهاية الحرب، كان هناك كثيرون آخرون مبعثرين عبر بلغاريا وغربي ثراقيا. لم يكن باستطاعتهم أن يواصلوا الرحلة، أو ربما وجدوا ملاذًا مع مسلمين آخرين في مناطق كانت آمنة على الأقلّ مؤقتًا. جرى إجلاء عشرات الآلاف بحرًا إلى الأناضول وقبرص وسورية بوساطة الحكومة العثمانيّة. عبر آخرون اسطمبول برًّا إلى الأناضول.

بلغة الخسائر في الأرواح والمعاناة العامة، كان نزوح اللاجئين المسلمين من بلغاريا واحدًا من الأفظع في التاريخ. كانت هناك عوامل فريدة لبلغاريا في عامي (1877–1878 م) ضاعفت من المكابدات النموذجية التي ترافق أيّ نزوح للاجئين: معاملة الروس والبلغار الوحشية للاجئين، وحقيقة أن النزوح كان بدأ في الشتاء على نحو رئيس، وعدم قدرة الإمبراطورية العثمانيّة على تقديم العون الكافي للاجئين.

كانت المجازر التي ارتكبها الروس والبلغار الدافع الأساس وراء فرار الأتراك. دفعهم الخوف المسوّغ إلى الرحيل بسرعة، آخذين معهم ما

يستطيعون حمله أو تحميله على عربات ليس إلاّ. نظرًا إلى أن الحصاد كثيرًا ما يكون انقضى في الوقت الذي رحلوا فيه، فإن مخزونًا كبيرًا من الحبوب كان متوافرًا، لكن اللاجئين لم يستطيعوا حمل إلاّ القليل. لم يكن هناك درب ملائم للفرار. مشى اللاجئون، وقادوا عربات تجرّها الثيران، وحيث أمكن، تسلّقوا القطارات للهرب جنوبًا. تجمّع الذين لم يستطيعوا مواصلة السير في محطّات القطارات وانتظروا. تجمّع في خاصكوي (Hassköy) شمال غرب أدرنة أكثر من [8000] لاجئ في كانون الثاني، ينتظرون القطارات من دون ملجأ لتنقلهم بعيدًا[99]. انتظر في محطة فيليبة[100] [15,000]؛ في جورلو (Çorlu) (20,000)[101]؛ إلى آخره. حين أصبح الريف أقلّ أمانًا وشتاء عام (1877 م) أشدّ وطأةً، انطلق اللاجئون في موازاة السكك الحديدية إلى الأمان التقريبي للمحطات التي يحرسها جنود عثمانيّون. تجمّد كثير منهم حتى الموت بقرب السكك الحديدية، وأصبح المراقبون تدريجيًّا معتادين على رؤية أكوام من الأجساد على طول خطوط السكة الحديدية[102]. جثم اللاجئون معًا للدفء وتجمّدوا معًا في الموت، بينما تجمّد آخرون خارج مباني المحطة[103]. حين وصلت القطارات، تسلّقوا كيفما اتّفق، المقصورات وأسطح الحافلات والحافلات المسطّحة المكشوفة[104]. كان همّهم الوحيد هو النجاة:

> **يمكن إلى حد ما تصوّر مشقّة هؤلاء الناس المساكين عندما أُخبركم بأنه في كلّ محطة كانت هناك حشود من الناس تنتظر وأوامرها موقّعة، جاهزين للقفز إلى أيّ ركن أو زاوية يجدونها. لأجل ذلك، كان الأطفال والنساء غير راغبين في مغادرة الحافلات، مخافة أن يفقدوا أمكنتهم، حتى لضرورات الطبيعة. كان الهواء، بناءً عليه، في بعض عربات النوم المغلقة، يفوق التصوّر وربما كان السبب في كثير من الوفيات التي حدثت والمرض القائم الآن. تجلّى كلّ مرض تقريبًا، من الجدري فنازلاً[105].**

علق عدد كبير من اللاجئين الأتراك خلف الخطوط الروسيّة المتقدّمة بسرعةَ. كثيرًا ما وقع هؤلاء اللاجئون على الطريق عرضة لهجمات القوزاق

والبلغار[106]. كانت السرقة والاغتصاب شائعين. لم يبقَ لهم كثير في بلغاريا المحتلّة. إذا ما توقّفوا في قرى، بعيدًا عن أنظار المراقبين الأورُبّيين[107]، كابد اللاجئون جميع الأهوال المذكورة سابقًا. وإذا ما توقّفوا في مدن كبيرة، كان مصيرهم في كثير من الأحيان الموت جوعًا والمرض. على سبيل المثال، تجمّع [5000] لاجـــئ في فيليبة بحلول شهر تمّوز عام (1877 م): «نهب المتمرّدين [البلغار] كثير منهم على نحو كامل، وقلّة كانت تملك أسباب العيش»[108]. بعـــد تمّوز، وصل لاجئون آخرون إلى فيليبة، لكن كثيرين رحلوا ثانيةً حين اقـــترب الروس. في كانون الثاني، انتظر القطارات تحت الثلوج ما يقرب من (15,000) في محطة فيليبة[109]. تبقّى في فيليبة بحلول أيّار من عام (1878 م) نحو (2000) لاجـــئ تركيّ و«عاشوا في خرائب البيوت التي دمّرها البلغار»[110]. واجه لاجئو فيليبة الاعتداء والقتل، وأُجبروا على أعمال سخرة غير مأجورة، وجرى اغتصاب وخطف الشابات التركيّات. كان التيفوس متفشّيًا، وأدخل الروس ضحايا التيفوس عنوةً إلى مخيّم في مستنقع خارج المدينة، حيث لاقوا حتفهم. كان الوضع العام مماثلاً في مدن أخرى.

أرّخ القناصل والمراسلون الأورُبّيون مكابدات ووفيات اللاجئين المسلمين الـــبلغار بتفصيل مخيف[111]. حين فرّ اللاجئون، كان أعداؤهم (إضافة إلى الروس والبلغار) البرد والجوع. فرّوا في أواسط شتاء البلقان، من دون طعام في كـــثير مـــن الأحيان، وماتوا جوعًا أو تجمّدوا حتى الموت: «عثر موظف سكة حديدية ألمانيّ على طفلة صغيرة ضمن كومة من أربعمئة رجل وامرأة وطفل تجمدوا حتى الموت على التلال قرب بازارجق التّترية، كانت الوحيدة عـــلى قيد الحياة من بينهم جميعًا»[112]. ما كان يمتلكه اللاجئون من ثياب صـــادرته القـــوات الروســـيّة والبلغار في كثير من الأحيان. علّق القناصل باستمرار على عدد اللاجئين العراة، بمن فيهم النساء والأطفال:

في كوملجـــنة (Gumurdjina) أكثر من (50,000) لاجئ أُدرجوا في كُتـــب الكوناك (Konak) علاوة على بِضع آلاف لم يجرِ إدراجهم،

عشر عليهم [الممثّل البريطانيّ كَلِن (Cullen) كما ذكر القنصل العام فوسيت (Fawcett)] في الجبال، منهَكين إلى درجة لا يستطيعون معها السير عدة ساعات إلى المدينة للحصول على الحصة الهزيلة التي تتصدّق بها الحكومة. كثير من هؤلاء كانوا يموتون من الحمّى التيفيّة والزحار، وكان آلاف ينامون في شوارع المدينة العامة بحالة لا توصف من البؤس والقذر والمرض. ولكن، إذا كانت أوضاع الذين في كوملجنة سيئة، فإنه وجد أوضاع البؤساء التعساء في الجبال أسوأ إلى حد لامتناه. بعيدًا عن المساعدة، كان آلاف النساء والأطفال يموتون موت المجاعة البطيء. في مكان واحد فقط، وجد نساءً وفتيات تتراوح أعمارهنّ بين (14–65) عامًا، جائعات معًا وعاريات كما ولدتهنّ أمّهاتهنّ، سقطت عن أجسادهنّ الخرق البالية كليّةً.[113]

. . كان يصل يوميًّا كثيرون من قرى نهبها الروس والبلغار أو أحرقوها ويشتكون (حتى أستعمل كلمات السيد كَلِن حرفيًّا) «المعاملة التي يتلقونها من هؤلاء الهمج». ويضيف «إن الروايات المتواصلة التي أتلقّاها عن وحشية الروس والبلغار كانت تفوق تقريبًا أيّ شيء سمعتُ عنه أو رأيته في أيّ وقت في هذه الحرب المروّعة، ومع أنني، كما تعرف، شاهدتُ كثيرًا، لا أستطيع أن أصل إلى أيّ استنتاج آخر إلاّ أن الروس ينفّذون سياسة ثابتة لإبادة الجنس المسلم».[114]

ومع أنه ربما من الصعب إعادة تتبّعها، يجب إعطاء الحالة النفسيّة للاجئين بعض الأهمية. لم يفكّر أحد في ذلك الوقت فيما نسمّيه نحن اليوم التأثيرات النفسية الضمنية لمأزقهم. مع ذلك، علّقت التقارير المعاصرة على موقفهم الذي تغيّر إلى حد بعيد. لوحظ أنهم كانوا متوانين وأحيانًا حتى هادئين، كما لو كانوا مراقبين سلبيّين على أحكام إعدامهم. علّق القناصل الأوروبّيون على نحو خاص على تأثيرات الإملاق فيهم. علّقوا تكرارًا، بذهول، على وجود نساء مسلمات عاريات على الطرقات، أو جاثمات في الشوارع والأزقّة، إذ حتى ثيابهنّ أُخذت منهنّ. شرحوا لقرّائهم الأوروبّيين كم كان لا يُصَدّق البتّة

أن تـــرى نساءً مسلمات سافرات، فكيف وهن عاريات على الملأ. لا يمكن المغـــالاة في توكـــيد التأثير النفسيّ لهذا الإذلال. إن التأثير النفسيّ لفقدان الرجال المسلمين لا بدّ من أنه كان هائلاً أيضًا. لم تكن التقارير عن جماعات من اللاجئين تراوحت مقدار الأرامل فيها بين [60–70%] غير مألوفة[115]. في المجـــتمع الذي كانت سلطة الرجال فيه قوية، لا بدّ من أن تكون الأُسر تأثرت بفقدان الذكور. إن بقاء اللاجئين يعود في المقام الأول إلى قوة النساء المسلمات البلغاريات.

لـــيس هناك ريب في أن اللاجئين الذين ماتوا من المرض كانوا أكثر من أولـــئك الذين قتلهم الروس والبلغار. كان التيفوس والحمّى التيفيّة وفي كثير مـــن الأحيان الجدري تظهر حيثما حثم اللاجئون معًا. من أصل (45,000) لاجـــئ في أدرنة، كان هناك (16,000) مصاب بالتيفوس مات منهم (100–120) يوميّـــًا[116]. كابد مئات الآلاف الذين قدموا إلى اسطمبول على نحو مخـــيف. صرّح الأطباء الأوربّيّون الذين، بناءً على طلب الباب العالي، قوّموا الوضـــع، بأنه بحلول شهر نيسان من عام (1878 م) وصل (160,000) لاجئ إلى اسطمبول، نُقل منهم (60,000) إلى مناطق أخرى، ومات منهم (18,000)[117]. مات واحد وعشرون لاجئًا يوميّـــًا على الشاطئ الآسيويّ للمدينة وحده[118]. مـــن أصـــل (4000) لجـــؤوا إلى جامع آياصوفيا (Ayasofya) مات [25–30] يوميّـــًا[119]. كان عجز الإمبراطورية العثمانيّة عن توفير الرعاية الطبيّة للضحايا واضحًا. لم يكن هناك قط ما يكفي من الأطباء أو الأدوية في إمبراطورية لم يكن لديها سوى (169) طبيبًا في المستشفيات حتى عام (1895 م)[120].

3/ 2] بلغاريا بعد الحرب

مع بعض الاستثناءات، حدّد شهر أيّار من عام (1878 م) نهاية هجمات الجـــيش الروسيّ المباشرة على القرى المسلمة. تحوّل الرأي العام في بريطانيا

وأمكنة أخرى في أورُبة الغربية إلى الجانب العثمانيّ على نحو مثير، وكان لهذا التحوّل تأثير في الروس الذين رغبوا في تعزيز مكاسبهم، لا مواصلة الحرب. على أي حال، كانت الحاجة إلى عمل روسيّ إضافيّ مباشر ضئيلة، لأن المسيحيّين البلغار نجحوا إلى حد بعيد في مواصلة الضغط على المسلمين البلغار. عملت القوات الروسيّة المحتلّة على إطلاق يد البلغار، وفعل الروس ما في وسعهم لإعاقة بحث الانتهاكات أو تدخّل القناصل أو المراسلين أو الوكالات الخيرية البريطانيّة أو الفرنسيّة[121]. علّق القنصل البريطانيّ بروفي في برغوس بأن الروس، أنفسهم، توقّفوا عن مهاجمة الأتراك، لكنهم كانوا يستخدمون البلغار المحلّيين أدوات لسياستهم في إخراج الأتراك من بلغاريا[122]. مع أن تحليل بروفي للسياسة الروسيّة العامة كان صحيحًا، إلاّ أن الروس في الحقيقة ما زالوا يهاجمون القرى التركيّة، على نحو محدود، ويساعدون البلغار في مهاجمة قرى المسلمين بعد نهاية الحرب. حين اكتشف الإنغليز أن القوات الروسيّة ساعدت البلغار في تدمير قرية تيمورجيلر (Demirciler) وقتل سكانها في تشرين الثاني من عام (1878 م) أعلنت الحكومة الروسيّة "استنكارها الشديد" للحادثة. في إحدى الحالات القليلة جدًا التي جرى فيها توزيع العقوبات، حُكم على جنرال مسؤول عن قوات روسيّة تتحمّل المسؤولية بالتوقيف مدة عشرين يومًا[123]. حتى كانون الأول من عام (1878 م) قدّم الروس مساعدة عملية لبلغار بهدم بيوت كان يملكها أتراك قد فرّوا، ما جعل عيش اللاجئين العائدين في قراهم القديمة شبه مستحيل، واستمرّ البلغار في ظلّ حماية روسيّة في تدمير بيوت وقرى تركيّة حتى أوائل عام (1879 م)[124]. وإذا ما عادوا، لم يُسمح للأتراك ببناء بيوت جديدة[125].

في ظلّ الاحتلال الروسيّ، عُهد إلى المسيحيّين البلغار بتولّي أعمال الحكومة الاعتيادية. اختار الروس كونهم رسميّين أولئك الذين دعموا الاجتياح والاحتلال الروسيّ إلى أبعد حد، أي، أولئك الذين ثاروا في وجه

الحكومة العثمانيّة. كثيرًا ما كان هؤلاء هم البلغار ذاتهم الذين كانوا شهيرين بالمذابح. واصلوا نشاطاتهم المناهضة للأتراك بصفاتهم الرسمية الجديدة، مدعومين بسلطة الدولة وجيش محتلّ. لم يجد الاحتكام إلى الروس نفعًا، لأن الروس إما لم يفعلوا شيئًا أو دعموا المذنبين علَى نحو فعّال[126].

في بلغاريا المحتلّة، وبعد ذلك في بلغاريا وروميليا الشرقيّة، كان القانون في أيدي الشرطة والمحاكم البلغاريّة، لم تشتمل أي واحدة منهما على أتراك. كانت المحاكم والشرطة وسائلَ فعّالة بيد الدولة التي كانت غايتها الوحيدة من الأتراك البلغار هي التأكد من رحيلهم عن البلاد. ومن ثم، لم يتوقّع الأتراك أيّ دعم من أدوات الدولة نفسها التي كان يجب نظريًّا أن تحميهم[127]. كانت الشرطة البلغاريّة في المدن شهيرة بنهب الأتراك والاعتداء عليهم[128]. سرق الدرك وقتلوا مواطني قرى تركيّة واغتصبوا نساء قرى تركيّة[129]. لم تكن هناك استغاثة من إرهاب الشرطة هذا. حين لاقى قرويّو ينيكوي (Yeniköy) الاغتصاب والقتل وجرى نهب القرية، نجا رجلان تركيّان وأبلغا الشرطة بما حدث، فأُلقي بهما في السجن[130]. لم تكن المحاكم التي أُحدثت لتحكم في قضايا القانون، تعمل ضد الأتراك فحسب، بل كانت جاهلة عمومًا بأيّ قاعدة من قواعد القانون[131]. كتب القنصل بروفي، «منذ بداية الاحتلال الروسيّ وحتى الآن لست على علم بحالة واحدة اتُّهم فيها بلغاريّ بأقوى الأدلّة بالسرقة أو القتل أو الاعتداء على نساء، وعوقب بالسجن أكثر من بضعة أيام»[132]. يائسين من مساعدة الحكومة العثمانيّة، لجأ القرويّون واللاجئون الأتراك إلى القناصل الأوربّيين، من أمثال بروفي، مرارًا طلبًا للمساعدة[133]. غير قادرين على مساعدتهم، لم يكن في وسع القناصل إلاّ أن يحتفظوا بقوائم عن «أعمال النهب والاعتداءات»، مثل قائمة نموذجيّة عن «الخسائر في الممتلكات في قرى دكزلرة (Denislere) وأرنافوتلر (Arnavoutler) وغبيوه (Ghebeoh) وكيوانليك (Kyvanlik) وكيافر (Giaffer)

وألتجاك درة (Altchak Dere) ودكزكوي (Deniskeui)» (215 ثورًا وبقرة، 74 حصانًا، 632 ضأنًا، 33 جاموسًا، 13,526 قرشًا)[134] أو أي قائمة من مئات القوائم عن قرى منهوبة. ومع ذلك، وبحسب تقرير القنصل البريطانيّ إف آرجيه كلفرت في فيليبة، «إن الاعتداءات الأكثر فداحة على اللاجئين الأتراك أصبحت حديثًا أكثر من أيّ وقت مضى؛ ما أعلمه عنها وحدي يملأ كتابًا ضخمًا؛ ومع ذلك، ليس هناك من شكّ في أن ما أطّلعُ عليه لا يشكّل جزءًا من عشرين من الاضطهادات التي تحدث»[135].

بعد الهدنة مع العثمانيّين، دعم الروس نظريًّا إعادة توطين اللاجئين الأتراك في قراهم القديمة. بحسب أحكام مؤتمر برلين، التي أقرّ بها الروس رسميًّا، يجب أن يستعيد اللاجئون العائدون بيوتهم وأرضهم وممتلكاتهم وألاّ يكونوا عرضة للمضايقة. كان الحل الروسيّ لمشكلات التجمّع الكبير للاجئين في شملا الذين استبدّ بهم المرض، على سبيل المثال، «دعوهم يعودون إلى وطنهم»[136]. كانت الصعوبة أن الروس لم يوفّروا حماية للأتراك العائدين الذين كانوا ومن ثم تحت رحمة أبناء بلدهم البلغار. ما أن اختفى اللاجئون عن أنظار المراقبين الأوربّيين، حتى اختلف الوضع كلّيةً عما ضمنته المعاهدات الدوليّة. من دون حماية من المصدر الوحيد القادر على تقديمها، أي، الروس، كان اللاجئون العائدون تحت رحمة البلغار على نحو مطلق[137]. وجد اللاجئون الذين عادوا إلى بيوتهم أنها مدمّرة أو أنها في أيدي البلغار، من دون أمل في استعادة أصحابها لها[138]. مع الضمان الروسيّ بأن اللاجئين سيُطعَمون على الأقلّ، فإنهم تُركوا ليموتوا جوعًا[139]. لم يُعد البلغار أساسًا شيئًا من محصول الأراضي التركيّة. لم يكن لدى العائدين طعام أو مأوى أو أرض. كانت التقارير عن مصير العائدين تنتهي بشكل دائم بكلمات مثل «عاد الناجون إلى أدريانوبلة (Adrianople)»[140]. كانوا يواجهون على الطريق بهجمات العصابات البلغاريّة[141].

تعاملــت الســلطات الروسيّة مع معرفة أوربة المتزايدة بوضع المسلمين البلغار بأن حاولت التغطية على الحقائق. كانت لجان التحقيق تواجَه بانتظام بتعتــيم وتصلّب روسي"[142]. حين يُسألون عن حالة الأتراك البلغار، كان المســؤولون الــروس ينكرون أي معرفة بمذابح، حتى في الوقت الذي كانوا يرسلون فيه مفرزة دفن خاصة سريّة لتحفر قبورًا مخفيّة بتكتّم للاجئين أتراك مقتولين[143].

كــان لأولــئك اللاجئين الذين عادوا إلى بيوت في المدن فرصة أكبر في الــبقاء على قيد الحياة، ولكن فرصة ضئيلة في المكوث. كانت أول مجموعة من اللاجئين ابتعدت عن الحماية العثمانيّة في شملا، قاصدة العودة إلى منطقة رازغراد،عرضــة لســرقة ممتلكات اللاجئين حال انطلاقهم. بعد ذلك أُخذ منهم أكثر ثياهم أيضًا. ما إن وصلوا إلى رازغراد حتى أُجبروا على المكوث في مسالخ عامة[144] أيامًا من دون طعام وبقليل من الماء:

> في المســلخ، أُبلــغ اللاجئون ب: 1) لن يستطيع الذين اشتركوا في الحرب الصربيّة أو الأخيرة البقاء في البلد. 2) طُلب بتصلّب من جميع الذيــن سُــمح لهــم بالبقاء أن يقدّموا ضمانة بلغاريّة على أمانتهم وفضيلتهم!. 3) لن يُسمح ببقاء الذين كانت قراهم في مناطق جبلية أو محــرَّجة، بحجّة أنها مواقع استراتيجية، حتى ولو قدّموا الضمانات المســتلزمة. 4) عــلى الذين شغل بلغار بيوهم أن يرحلوا، حتى ولو قدّموا ضمانات. 5) طُلب من جميع الذين يُعرف عنهم أنهم موسرون أن يغــادروا البلد . . بعد ذلك، دخل المدينة مواطنو رازغراد الذين أُخبروا بأن باستطاعتهم البقاء، لكنهم لم يستطيعوا حيازة بيوهم. من أصــل ســبعة أحياء تركيّة في رازغراد، كان البلغار يشغلون خمسة مــنها؛ خُصّــص الحيّان الآخران للقوزاق. لم يجد العديد منهم سوى خرائــب بــيوهم الــتي دُمّرت أو أُحرقت؛ أُحرق منزل أحمد آغا حلوجــيزادة (Ahmed Agha Helvajyzade) في الواقــع بحضوره . . وحدث الأمر ذاته للمهاجرين من أسكي جمعة وعثمان بازار[145].

بحسب نائب القنصل البريطانيّ كلفرت، عرض الروس مرورًا آمنًا إلى البيوت لجميع المسلمين الذين لجؤوا إلى جبال الرهودوبة، حيث كانوا يشكّلون مصدر تهديد مستمرّ للروس من حرب عصابات. استفاد من العرض "عدة آلاف" كانوا جائعين ويعانون البرد في الجبال. ما إن أصبحوا على الطريق، حتى هاجمهم الروس والبلغار– أُطلقت النار على بعضهم، وأُخذت ثياب بعضهم الآخر وتُركوا ليموتوا في الثلوج. يظن كلفرت أن جميع النساء الشابات اغتصبهنّ الجنود الروس والبلغار[146]. لهذا السبب وما شابهه من «أعمال وحشية، رفض اللاجئون المتبقّون مغادرة الجبال ونظّموا هناك ثورة عصابات»[147].

علّق القنصل بروفي على مصير كثير من اللاجئين الذين استطاعوا العودة، مقارنًا وضعهم بوضع اللاجئين المسيحيّين تحت السيطرة العثمانيّة:

> قدّموا التماسًا إلى السلطات المحلية بأن يُسمح لهم بدخول ممتلكاتهم من بيوت وأراضٍ، وجرى إعلامهم بأنهم سيحصلون على ردّ محدّد خلال خمسة أيام؛ أرسل بعد ذلك أولئك المعدمون على نحو قاطع منهم التماسًا مناشدين فيه تزويدهم بحصصٍ من الطعام تكفي لاستمرار الحياة: كان ردّ المجلس [البلغاريّ] 'أنهم سوف يرسلون كتابًا إلى طرنوة بشأن الموضوع وسيُعلمون الأتراك عندما يصل الردّ: 'أعطتهم السلطات الروسيّة ردًّا أكثر صراحة وأقلّ سخرية' إنه ليس لديهم أوامر'.
>
> كونها تصرّفًا متباينًا تمامًا مع تصرّف السلطات الروسيّة البلغاريّة هذا، ربما أذكر الحقيقة التالية التي ألمحت إليها على نحو مختصر في رسالتي إلى سعادتكم المؤرّخة من القسطنطينية في (22 كانون الثاني عام 1878 م). حين، وخلال الهلع وإخلاء برغوس، كان الآمر هاموند (Hamond) من سفينة صاحبة الجلالة (تورتش/ Torch) يوظّف قواربه من الصباح حتى المساء في إجلاء المسيحيّين الهائمين عن الشاطئ، نفد مخزون سفينته، وقدّمنا هو وأنا طلبًا إلى الحاكم التركيّ نطلب منهَ أن يبيعنا بَسكويتًا من مخازن الحكومة؛ استفسر

عن الكمية المطلوبة، وأعطانا الكمية الضرورية، نحو [1940] رطلاً، رافضًا أي دفعة، لأنها "أليست لمواطني السلطان المسيحيّين؟"، عارضًا أي كمية أكبر قد نحتاج إليها، وطالبًا فقط وصل استلام يحدّد الغرض الذي أُعطي البسكويت من أجله.

لا أكاد أحتاج إلى أن ألفت نظر سعادتكم إلى الفرق الواضح، في هذه الحالة على الأقلّ، بين السلطات الروسيّة-البلغاريّة المسيحيّة والسلطات العثمانيّة المسلمة (تتصرف كل واحدة منهما "من دون أوامر") حين يتعلّق الأمر بأناس من دين آخر: ولكن يجب أن أشير إلى أن الروس باحتلالهم برغوس (بعد خمسة أيام من توقيع الهدنة) وضعوا يدهم على جميع مخازن الحكومة التي تتضمّن حبوبًا تصل قيمتها إلى [40000] جنيه إسترليني، ومن ثم فإن إنقاذ عدد لا حصر له من الأتراك البائسين من الموت جوعًا كان نوعًا من السخاء الرخيص[148].

وجد أولئك المسلمون الذين بقوا في بلغاريا وبعض اللاجئين الذين استطاعوا العودة بطريقة أو بأخرى جهازًا حكوميًّا من صنع روسيّ وإدارة بلغاريّة. لم يُصمّم الجهاز لمحاباة البلغار الثوريّين والتمييز ضد الأتراك فحسب، بل أيضًا لجعل المسلمين المتبقّين يغادرون بلغاريا. بعد الاحتلال الروسيّ مباشرة، كان يُدير كل بلغاريا حكام روس، مع معاونين بلغار. ما إن قسم مؤتمر برلين بلغاريا إلى قسمين، حتى وجد الأتراك فرقًا ضئيلاً بين بلغاريا الأصليّة وروميليا الشرقية. أُحدثت روميليا الشرقية إقليمًا عثمانيًّا مستقلاً تحت سلطة حاكم عام مسيحيّ، أليكو باشا (Aleko Paşa). من الناحية النظرية، أشرفت لجنة روميليا الشرقية التي استُحدثت طبقًا لمعاهدة برلين وتتضمّن مندوبين أورُبيّين، على الحكومة. في الواقع، كما شهد أعضاء اللجنة، «أبدى الحاكم العام ازدراءً لقرارات اللجنة» خصوصًا حين كان الأمر يتعلّق باللاجئين والقرويّين الأتراك[149]. لم يستطع أعضاء اللجنة الذين يفتقرون إلى قوة عسكرية تقف خلفهم، أن يفعلوا شيئًا سوى الاحتفاظ

بسجلات عن الإساءات للأتراك ورفع الشكاوى على نحو دوريّ إلى سلطات روميليا الشرقية[150]. على سبيل المثال، قدّم المندوب الفرنسيّ احتجاجًا رسميًا على حالة اللاجئين في فيليبة وقال: «من الواضح أن معاملة اللاجئين هي نتيجة سياسة من الحكومة لإبادة العنصر التركيّ»[151].

عملت الحكومة ضدّ الأتراك في دولة بلغاريا وروميليا الشرقيّة على السواء، بوحشية أحيانًا، وببراعة ماكرة في أوقات أخرى. على سبيل المثال، أُبلغ المسلمون في روميليا الشرقيّة بأنهم سيُجبَرون على الالتحاق بالميليشيا وارتداء بزّاتها العسكرية التي تحمل شارات على شكل صلبان مسيحيّة[152]. كما أُبلغهم المسؤولون المحلّيون بأن على النساء المسلمات أن يرتدين زيّ النساء البلغاريّات، أي، من دون الغطاء الإسلاميّ النموذجيّ[153]. قد تبدو هذه الأمور سهلة مقارنة بالعقوبات الجسدية الأشد، ولكن الأمر بدا للمسلمين البلغار وكأنه بداية الاعتداء على الدين والعفّة الذي كانوا يتوقّعونه بوصول المسيحيّين للسلطة مباشرة. لا شكّ أن أحداث السنتين السابقتَين أعطتهم سببًا للخوف. أُضيفت إلى هذه الضغوط النفسية تهديدات نفسية أخرى ذات طبيعة مقنعة. عاش المسلمون في جوّ من التهديد والخوف المتواصلَين. أجرت "الجمَعيات الرياضيّة" البلغاريّة تدريبات مع الميليشيا وصرّحت الجماعتان علانية بمخطّطاتهما النهائية بشأن الأتراك[154]. لم يُسمح للأتراك بحمل أسلحة شخصية، بينما جرى تزويد البلغار بالمسدّسات. كانت تُطلق "طلقات تحذيريّة" على نحو اعتيادي على بيوت الأتراك. وجد القنصل بروفي بأنه «في جزء البلقان الذي لا يزال السكان الأتراك متآزرين فيه استمرّت طلقات البنادق التي يطلقها البلغار في واقع الأمر من الغروب حتى الفجر». حتى الروس اعترفوا لبروفي أن الغاية من الطلقات هي التسبّب في نزوح تركيّ[155].

كان الضغط النفسيّ الذي مارسه البلغار للنزوح ناجحًا في واقع الحال، لأن المسلمين أدركوا أن الموت كان افتراضًا قائمًا في أيّ وقت.

3/ 2/ 1] اليهود

شارك يهود بلغاريا مصير المسلمين. ذكرت التقارير من مدن بلغاريّة على نحــو منتظم معاناة (الأتراك واليهود) على أيدي البلغار والروس. حين جرى الاستيلاء على أسكي صغرى، قُتل المسلمون واليهود على السواء، وأُحرقت بــيوتهم، وتحوّل الناجون من الجماعتين إلى لاجئين. دُنّست الجوامع وكنيس أسكي صغرى[156]. إن أفضل مثل للطريقة التي عومل بها اليهود البلغار كان في قزنلق. ففي هذه المدينة، كان اليهود والمسلمون عرضة للنهب والتعذيب والقــتل مــن الــبلغار إلى أن أنقذهم القوات العثمانيّة غير النظامية. كتب القنصل بلنت:

> **علاوة على ذلك، أكّد لي وجهاء أتراك من قزنلق أن اليهود في بعض الحــالات عــانوا همجيّة البلغار حتى أكثر من المحمّديّين. ويجب أن أضــيف أيضًــا أن اليهود يتحدّثون بلغة الامتنان العميق بخصوص تصــرّف القوات الجركسيّة غير النظامية التي أنقذهم ورافقتهم من قزنلق إلى أسكي صغرى. يقولون إن اليهود تلقّوا من القوات رعاية وحمايــة مساويتين لما منحته القوات للاجئين [الأتراك]؛ وإنه بفضل بسالة وتفاني القوات، بكل ما في الكلمة من معنى، جرى إنقاذ حياة الجميع من خطر وشيك.**

لاحــظ بلانــت تقريــرًا يشير إلى أن نصف يهود قزنلق قتلهم البلغار والقوزاق بعد أيام من الاغتصاب والنهب[157].

مَثل اليهود كمثل المسلمين، أجبرهم البلغار والروس على أن يتحوّلوا إلى لاجئين وعاملوهم بالمعاملة السيئة نفسها. على سبيل المثال، أُوقفت عشرون أسرة لاجئة يهوديّة عائدة وقُذفت بالحجارة في جرلوة (Carlova) على مرأى من السلطات الروسيّة والبلغاريّة[158]. وكالمسلمين، رُفض السماح للعائدين اليهود بالدخول ثانيةً إلى مدنهم أو أنهم وجدوا بيوتهم مشغولة أو مدمّرة[159]. قوبــل في محطــة القطارات يهود يمبولي (Yamboli) العائدون إلى مدينتهم

«هتافات جميع بلغار المدينة تقريبًا 'عاش قيصرنا ألكسندر! اذهبوا عنا أيها الأتراك واليهود! بلغاريا للبلغار!'»[160]. روي أن اللاجئين اليهود من قزنلق وأسكي صغرى وأمكنة أخرى في بلغاريا كانوا «أراملَ وأيتامًا في المقام الأول»[161].

كان اليهود في بلغاريا سكان مدن على وجه الحصر، ومن ثم فإنهم نجوا من مذابح القرى. ومع ذلك، يبدو أنّ الجالية اليهوديّة الصغيرة عانت معاناة مسلمي المدن ذاتها. كان أحد أسباب معاناة اليهود لاساميّة المسيحيّين من غير ريب. ربما يكون السبب الآخر امتداد كراهية المسيحيّين ل«المسلمين الكافرين» إلى أيّ «كافرين» في متناول اليد. ومن المحتمل أيضًا أن اليهود عانوا بسبب الألفة السلميّة لليهود والمسلمين في أورُبة العثمانيّة، علاقة تفهّمها المسلمون واليهود والمسيحيّون على السواء. من الواضح أن العثمانيّين شعروا بهذه الألفة، وإلاّ لما كانوا أرسلوا أرتالاً من الجنود لإنقاذ يهود قزنلق. يبدو أن المسلمين، بمن فيهم الجركس والتّتار، عاملوا اليهود أصدقاءً[162].

3/ 2/ 2] أعداد اللاجئين

كانت التقديرات المعاصرة لأعداد اللاجئين غير دقيقة في كثير من الأحيان. لم يستطع أحد أن يحصي اللاجئين بدقة في أثناء فرارهم على الطريق. ومن ثم، يجب النظر إلى تقديرات عدد اللاجئين «على الطريق بين كذا وكذا» بحذر. وبسبب حاجة اللاجئين الماسّة إلى المساعدة، كان بإمكان وكالات مثل (الصندوق الإنسانيّ البريطانيّ/ The British Compassionate Fund) أن تحصي أولئك الذين استلموا أي مساعدة ضئيلة كانت متوافرة. عندما استقرّ اللاجئون فترة، كان بإمكان الأورُبّيين والعثمانيّين على السواء أن يحصوا عددهم بدقة معقولة. علاوة على ذلك، كانت الحكومة العثمانيّة قادرة في الحقيقة على تسجيل اللاجئين في بعض المراكز[163]. كانت

تقديرات اللاجئين الأتراك الذين وصلوا إلى مدن كبرى هي أدقّ ما يمكن أن تقدّمـــه إحصائيات كهذه في كثير من الأحيان[164]. كانت التقديرات التي جرت في نهاية الحرب وبعدها، حين كان اللاجئون الناجون جاثمين على نحو مُتراصّ أكثر، أفضل من التقديرات التي جرت في وقت سابق. يدرج الجدول [3] أعـــداد اللاجئين كما جاءت في المصادر الأوربّية، وفي بعض الحالات، العثمانيّة أيضًا. (لأن اللاجئين تنقّلوا من مكان إلى آخر، كثيرًا ما كان يجري إحصاء الأشخاص ذاتهم أكثر من مرة في الجدول 3).

الجدول (3)

اللاجئون الأتراك* بحسب تقدير مصادر مختلفة

بين عامي (1877—1880 م)

أسكي جمعة (Eski Cuma)	(5000)	20 تّموز (1877 م)[165]
	(15,000) أسرة	19 آب (1877 م)[166]
أسكي صغرى	(30,000)	3 آب (1877 م)[167]
بازارجق	(20,000)**	17 تشرين الثاني (1877 م)[168]
فيليبة	(5000)	30 تّموز (1877 م)[169]
	(15,000)	شباط (1878 م)[170]
	(7000)	20 كانون الأول (1879 م)[171]
فارنا	(8000)	31 كانون الثاني (1878 م)[172]
	(30,000)	8 شباط (1878 م)[173]
برغوس	(20,000—15,000)	13 آذار (1878 م)[174]
شملا	(200,000)	2 آذار (1878 م)[175]
	(200,000)	29 حزيران (1878 م)[176]
أدرنة	(3000)	4 آب (1877 م)[177]
	(10,000)	19 آب (1877 م)[178]

	(30,000)	15 نيسان (1878 م)[179]
	(60,000)	24 نيسان (1878 م)[180]
	(40,000)	29 أيّار (1878 م)[181]
	(45,000)	8 آب (1878 م)[182]
	(28,000)	26 أيّار (1879 م)[183]
منطقة رهودوبة	(100,000)	8 تمّوز (1878 م)[184]
اسطمبول	(150,000)	28 شباط (1878 م)[185]
	(200,000)	4 آذار (1878 م)[186]
أسكوب	(22,500)	10 أيّار (1880 م)[187]
سنجق يني بازار (Yeni Pazar Sancak)	أقل من (10,000)	10 أيّار (1880 م)[188]

* داخل المدن وعلى مقربة منها، ما لم يشر إلى غير ذلك.

** بمن فيهم عدد صغير من البوماك والجركس.

3/ 3] الوفيات والنزوح

عندما اندلعت حرب عامي (1877–1878 م) الروسيّة التركيّة، كان (1,5) مليون مسلم يعيشون في مناطق كانت مقبلة على أن تصبح بلغاريا وروميليا الشرقيّة.

الجدول (4)

عدد سكان بلغاريا* المسلمين عام (1877 م)

إقليم أدرنة	(432,303)
إقليم تونا (Tuna)	(1,069,580)
المجموع	(1,501,883)

* الأجزاء من إقليمَي أدرنة وتونا التي شكّلت بلغاريا وروميليا الشرقيّة[189]

كان مسلمو بلغاريا يتكلّمون اللغة التركيّة في المقام الأول، مع عدد من البوماك[190]، أو المسلمين الذين يتكلّمون اللغة البلغاريّة، والجركس. شكّل المسلمون [37%] من العدد الإجماليّ للسكان. كانوا موزّعين في كل المنطقة. وكما هو متوقّع في منطقة عاشت فيها سويّة شعوب مختلفة مئات السنين، فإن الاستيطان كان مختلطًا، مع مقدار عالٍ من القرى البلغاريّة التركيّة المختلطة. لم يكن هناك مركز واحد للسكان المسلمين. ومع ذلك، شكّل المسلمون الأكثرية في السنجقَين الشماليَّين روسجك وطلجة[191] (Tulça) (حاليًا: الدوبرجا) وفي أقضية أيدوس (Aidos) ويابو (Yabo) وخاصكوي وقزنلق الجنوبية. ومن ثم، فإن المراكز المزدحمة بالسكان المسلمين كانت في الشمال وفي الجنوب.

في أقل من ثلاث سنوات، من عام (1877 م) إلى عام (1879 م) طُرد نحو مليون مسلم بلغاريّ من بيوتهم، كثيرون منهم كانوا من الجركس والتّتار الذين أُبعدوا عن روسيا في وقت سابق. عاد بعضهم، لكن أكثر من (500,000) أصبحوا هاربين دائمين من وطنهم (الجدول 5). أسوة بمسلمي القرم والقفقاس قبلهم، استقرّوا فيما تبقّى من الإمبراطورية العثمانيّة، حيث عطّلوا معيشة أولئك المقيمين أصلاً وحافظوا على بغض متّقد لمضطهديهم المسيحيّين. استقرّ بعضهم فيما تبقّى من أورُبة العثمانيّة، مقدونيا وثراقيا، حيث سيُجبرون هم أو أُسرهم على الفرار منها مرة أخرى في حروب البلقان.

لم تكن المناطق المُدرجة في الجدول (3) هي الأوطان النهائية للاجئين الأتراك البلغار. إن أكثر الذين كانوا في أورُبة العثمانيّة في عام (1879 م) بقوا هناك.

الجدول (5)

اللاجئون الأتراك من بلغاريا* الباقون على قيد الحياة في عام (1879 م)

(تقديرات)

يقيمون في	العدد
إقليم أدرنة	(105,000)
إقليم سلانيك	(60,000)
إقليما كوسوفو ومناستر (Manastır)	(140,000)
اسطمبول†	(120,000)
آسيا العثمانيّة	(90,000)
المجموع	(515,000)[192]

* أي، المنطقة المستقبليّة لبلغاريا وروميليا الشرقيّة.

† بما فيها البلدان الآسيويّة التابعة.

حـــوّل وجودهـــم، في موازاة نزوح بلغار من أقاليم عثمانيّة إلى بلغاريا وروميلـــيا الشـــرقيّة[193]، مناطق إقليم أدرنة، على نحو خاص، من أكثرية مسيحيّة إلى مسلمة. جميع اللاجئين تقريبًا الذين كانوا في اسطمبول في عام (1879 م) اســـتقرّوا في سوريّة الكبرى والأناضول بعد ذلك، حيث انضمّوا إلى لاجئين ناجين آخرين (ربما 65,000 في الأناضول و25,000 في سوريّة[194]) كانوا أُرسلوا في وقت سابق.

الجدول (6)

حساب خسائر المسلمين في بلغاريا (1877–1879 م)

مسلمًا وفقًا للإحصاء البلغاريّ في عام (1887 م)	(672,215)
مسلمًا نازحًا من بلغاريا إلى الإمبراطورية العثمانيّة (1879–1887 م)	+(52,731)
لاجئ حيّ حتى عام (1879 م)	+(515,000)
مسلمًا بلغاريّـــًا حيّـــًا حتى عام (1879 م)	(1,239,946)

(1,501,883)	مسلمًا بلغاريًّا في عام (1877 م)
(1,239,946)−	مسلمًا بلغاريًّا حيًّا حتى عام (1879 م)
(261,937)	مفقودًا (17%)

حين جرى حساب أولئك المسلمين الذين بقوا في بلغاريا وأولئك اللاجئين الذين نجوا، كانت البقيّة هم الذين لقوا حتفهم. الأرقام في الجدول (6) غير دقيقة، لكن رقم المفقودين كبير إلى درجة أن أي حسابات لأعداد أقلّ لن تؤثر كثيرًا في الاستنتاج المستخلَص هنا. نحو (260,000) مسلم بلغاريّ قُتلوا أو ماتوا بسبب المرض أو الجوع أو البرد، نتيجة معاملة البلغار والروس لهم. بحلول عام (1879 م) كان (17%) من مسلمي بلغاريا لقوا حتفهم؛ (34%) كانوا لاجئين دائمين. بطريقة أو بأخرى، غادر بلغاريا أكثر من نصف المسلمين[195].

3/ 4] تحليل نهائي: تعليقات القنصل كلفِرت

شاهد إدمُسند كلفرت انكشاف المأساة التركيّة في بلغاريا، أولاً كونه نائب قنصل بريطانيّ في فيليبة، ثمّ قنصلاً بالنيابة في أدرنة. ككثيرين من الرسميّين القنصليّين، كان قبل الحرب الروسيّة التركيّة لعامي (1877–1878 م) شديد الانتقاد للإخفاقات الحكوميّة العثمانيّة. شاهد خلال الحرب وبعدها ما هو أسوأ بكثير. كان كلفرت كاتبَ تقارير دقيقًا ترفّع اهتمامه بالمعاناة البشرية عن التحيّز الدينيّ والقوميّ. تُشكّل تحليلاته للاحتلال الروسيّ والحكومة البلغاريّة، فيما يلي أحد الأمثلة لها، اتّهامًا محكَمًا لمضطهدي المسلمين البلغار.

أدريانوبلة

16 أيلول عام (1878 م)

صاحب السعادة،
المُحترَم بحقّ،
السّير هنري لِيَرد، جي سي بي
.. تسمح الحكومة الروسيّة للمسيحيّين بأن يأخذوا حقّهم بالقوّة وأن يزوروا الأحياء التركيّة حاليًّا كيفما اتّفق مع إراقة دماء وسلب ونهب من دون تمييز. إن النتيجة هي أمام العالم الآن. آملُ أنا، الذي لم أكن متردّدًا يومًا في شجب سوء الحكم المحلّي التركيّ، أن أُصدَّق عندما أصرّحُ بأن الحالة البغيضة للأمور السائدة الآن هي من نوع أكثر انتشارًا وقسوةً وهمجيّةً وعلى نحو لا يضاهى من ذاك الذي كان مقصودًا ظاهريًّا بداية؛ أنا أتحدّث، طبعًا، عن النظام التركيّ المألوف، الذي هو وحده يمكن تطبيق المقارنة العادلة عليه. إذا كانت الأهوال التي حدثت في آيار عام (1876 م) سيستمرّ الإلحاح عليها، فيجب التذكّر أنها كانت نتيجة السخط والذعر اللذين ولّدهما تقارير عن أعمال وحشية خسيسة ارتكبها البلغار ضد أناس مسالمين، وأن حقيقة الطراز المتميّز من الأعمال الوحشية، في المرحلة التالية للمأساة في البلقان فوق مفليس (Muflis) في منطقة قزنلق، شهد عليها عدة أطبّاء إنغليز قاموا بفحص أجساد الضحايا. من ناحية ثانية، إن الأعمال الوحشية التي مورست على المقيمين المسلمين في منطقة قزنلق نفسها، ليس لأنهم لم يقوموا بأيّ استفزاز فحسب، بل ووقفوا إلى جانب البلغار وحموهم من التحرّش خلال المشكلات الأولى؛ والمحاولات المتعمّدة والناجحة جزئيًّا لإبادة الذكور البالغين من السكان الأتراك لهذه المنطقة بإعدامات بالجملة وبدم بارد، يجب أن تُعَدّ على الأقلّ توازنًا مقابلاً لمذابح البلغار في منطقة بازارجق التترية، حيث كان هناك استفزاز لا يمكن إنكاره.

إن التجاوزات التي ارتكبها المسلمون في مناطق شمال البلقان، بحسب علمي، وكما أُخبرت في البلقان الجنوبيّ أيضًا، وفوق ذلك في

الرهودوبة في الوقت الحاضر، كما نُقل مؤخرًا، اقتصرت على مضايقة القرى المسيحيّة. أما المسيحيّون في ظلّ الحكم الروسيّ البلغاريّ، من ناحية أخرى، فقد صبّوا جام غضبهم من دون تمييز على كل السكان المسلمين، وبهدف معلَن هو التسبّب في طردهم من البلاد.

من ناحية ثانية، لو وضعنا الحوادث الاستثنائيّة الناجمة من أسباب استثنائيّة بخصوص الأتراك جانبًا، واتّخذنا الوضع المألوف للبلد قاعدة للمقارنة، لاستطعتُ أن أقول إنه في حين حدثت حالات سرقة واغتيال لمسيحيّين على نحو إفراديّ في ظلّ الحكم التركيّ، فإن قرى مسلمة كاملة هي الآن عرضة لتلك المعاملة؛ وفي حين كانت للسلطات التركيّة على الأقلّ فضيلة التصريح بالرغبة في تقديم تعويض، فإن الحكم الروسيّ في تركيا لا يقدّم حتى هذا التنازل للرأي العام.

إن حالات اعتداءات الأتراك على الإناث المسيحيّات، في الأوقات العادية، أقلّ حدوثًا بكثير مما يُظن عمومًا في الوطن. عندما تحدث حالة واحدة من هذا النوع فإنها تُحدث اضطرابًا في كل الإقليم. منذ الاحتلال الروسيّ، ليس من المبالغة القول إن البلغار في المناطق الريفية يعتدون ساعة يشاؤون على النساء والفتيات التركيّات جملةً.

أصبح رفاه الفلاحين البلغار الماديّ في ظلّ الحكم التركيّ حقيقةً مسلّمًا بها، وروح حسن الضيافة لدى التركيّ على نطاق شعبيّ أو فرديّ يُضرب به المثل. والآن، وبعد أن هيمن البلغار، فإن هدفهم (وفي هذا، أقول بأسف، يشاركهم قسمٌ ليس بصغير من سكان الريف اليونانيّين) هو تدمير التركيّ بكلّ ما في الكلمة من معنى وإخراجه من وطنه في أورُبة. بحرمان الفلاحين المسلمين من مورد رزقهم المستقلّ الوحيد، وهو مواشيهم، وتجريدهم من جميع أموالهم وممتلكاتهم الشخصية، فإنه من الواضح أن القصد هو دفعهم إلى التخلّص من حقولهم العديمة الفائدة أو هجرها وإلى ترحيل الأتراك

الذيـن يبقون في البلد إلى منزلة عمّال حقل، مكانة حياة غير معروفة حتى اليوم عند جميع السكان باستثناء جزء صغير منهم.

من ناحية أخرى، فيما يتعلّق بإهانات في أمور ذات صلة بالدين، أستطيع أن أجزم بخبرة سنوات عديدة أن حالات من هذا النوع كانت نادرة الحدوث في ظلّ النظام التركيّ، في العصر الحديث على أي حال. عومل كهنة الدين باحترام دائم. حتى إشارة ازدراء تافهة كإطلاق طلقة على كنيسة فارغة تشغل جمهور الإقليم بكامله وتصبح شأنًا رسميًا. في ظلّ الحكم المسيحيّ الحالي، لم يفلت مسجد واحد من عشرة من التدمير، حتى في مدينة أدريانوبلة هذه.

إذا كان سلوك الأتراك بطريقة شخصية نحو المسيحيّ الأصليّ متعجرفًا أحيانًا أو من نواحٍ أخرى بغيضًا (لم يكن هذا مألوفًا) فإنه لم يتّخذ تحت أيّ حال من الأحوال الأنماط الجبانة والساخرة التي اتّخذها السبلغار نحو العنصر السائد منذ عهد قريب؛ كما في قرق كليسا (Kirk Kilisse) حيث تعوّدوا إكراه المسلمين على حملهم على ظهورهم والطواف بهم في الشوارع.

أخيرًا، فيما يتعلّق بالدوائر الحكوميّة، بإجماع دوليّ، إن الفساد والارتشاء التركيَّين في أسوأ حالاتهما هما النقاء بعينه مقارنة بنظيرَيهما الروسيَّين المحليَّين.

باختصار، بعد أن كان لي الشرف في تقديم المذكور آنفًا، كشفت نتائج النظام الروسيّ في تركيا الأوربّية في كلّ وجهة نظر عن طبيعة أحقر على نحو متميّز من طبيعة سوء الحكم التركيّ التي ناسبت روسيا دافعًا، أو ذريعة، للحرب الأخيرة.

يُشرّفني أن أكون، مع فائق الاحترام، سيدي، خادم سعادتكم المتواضع والأكثر إطاعة.

إدمُند كلفِرت

القنصل بالنيابة[196].

4] الشرق، من عام (1878 م) حتى عام (1914 م)

كانت الفترة التي مهّدت السبيل للحرب العالمية الأولى فترة استقطاب متزايد في الشرق. أدّت الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) إلى استبدالات حقيقي جديدة للسكان المسلمين إلى الأناضول والأرمن إلى القفقاس. إن المساعدة التي قدّمها المسلمون القفقاس في زمن الحرب للعثمانيّين والأرمن الأناضوليّون للروس عزّزت أولويّة الانتماء العرقيّ والدينيّ على الولاء للحكومات. في الأناضول، فاقم الهياج الثوريّ الأرمنيّ والغارات الكرديّة الكراهية والانقسامات بين الأرمن والمسلمين. في القفقاس، تجلّت الكراهية والانقسامات نفسها بطريقة دمويّة في أثناء ثورة عام (1905 م).

4/ 1] الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877 و1878 م)

بدأت الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) على نحو سريع في الشرق. في اليوم الذي أُعلنت فيه الحرب، (24 نيسان عام 1877) عبرت القوات الروسيّة الحدود العثمانيّة[1]. حشد العثمانيّون قواتهم الدفاعيّة قرب أردخان، لكنهم هُزموا في أيّار. بحلول حزيران، كان الروس أمام مدينة

قارص وبدؤوا بمحاصرة تلك المدينة القلعة. في الغرب، دار الروس حول جبل أراراط (Ararat) واستولوا على بايزيد (Bayazit) بحلول الأول من حزيران عام (1877 م). تقدّموا إلى وادي الشكرد (Eleşkirt) حيث رحّب بهم عدد كبير من سكان الوادي الأرمن. لكن القوات العثمانيّة بقيادة أحمد مختار باشا استطاعت أن توقف زحف الروس وتجبرهم على التراجع مؤقّتًا. تقدّم الأتراك داخل الأراضي الروسيّة قرب أيدر (İğdir) حيث أوقف الروس من ناحيتهم تقدّمهم. بحلول تشرين الأول، تقدّم الروس ثانيةً وانتصروا في معركة كبرى عند الأجادك (Alacadağ). سقطت قارص في (18 تشرين الثاني عام 1877 م). تراجعت القوات العثمانيّة التي مُنيَت بخسائر فادحة باتجاه أرضروم التي سقطت في (31 كانون الثاني عام 1878 م). وهكذا، هُزمت القوات العثمانيّة على نحو كامل في الشرق مع بداية عام (1878 م).

كانت الاستراتيجيّة العثمانيّة التي شكّلت أكبر تهديد للروس في أثناء الحرب هي التحوّل بحرًا إلى أبخازيا. قام العثمانيّون في (12 أيّار عام 1877 م) بإنزال قوات في شمال سخمقلة. فرّت الحاميات الروسيّة الصغيرة. تبعت ذلك إنزالات أخرى، تضمّنت فرقًا من الجركس والأبخاز الذين كانوا فرّوا إلى الإمبراطورية العثمانيّة قبل عشر سنوات وعزموا على إثارة أبناء شعبهم الذين بقوا في القفقاس ضد الروس، ونجحوا في ذلك. انضمّ أبخاز من المناطق الساحلية إلى الجنود العثمانيّين في مواجهة الروس. مع انتشار خبر الإنزالات العثمانيّة، اندلعت أيضًا ثورات وسط مسلمي الشيشان وداغستان. ومع بعض النجاح في استدراج جنود روس من أرض المعركة الرئيس إلى الجنوب، أخفق الاجتياح العثمانيّ وكذلك الثورات في الشيشان وداغستان. كانت القوات الروسيّة في المنطقة قوية أكثر مما ينبغي، وكان المسلمون القفقاس الذين بقوا بعد الترحيل في ستّينيّات القرن التاسع عشر أقلّ مما ينبغي لدعم ثورة فعّالة. تُظهر حقيقة استعداد المسلمين القفقاس للثورة ضد الروس ثانية،

مـــع التوقعات الضعيفة، مرة أخرى الأساس الدينيّ للولاء في القفقاس. مال أرمـــن وادِي الشكرد وقارص إلى الغزاة الروس ومسلمو القفقاس إلى الغزاة الأتـــراك. أظهـــر كـــلّ مـــن الطرفين أن ولاءاته لإخوانه في الدين، وليس للحكومات التي كانت نظريّـــا بمنزلة وليّ أمره.

4/ 1/ 1] المصادر

إن المعلومات عن المسرح الشرقيّ للحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877 و1878 م) مخـــتلفة تمامًـــا عـــن معلومات الحرب في بلغاريا، بسبب النقص المـــتفاوت للمراقبين في الشرق. بينما كان القناصل الغربيّون في كل المناطق العســـكرية الأورُبّـــية (غَلَتْز وصوفيا ونيش Niş وروسجك وفيليبة وأدرنة وسلانيك وأسكوب، إلى آخره) كان القناصل قلّة في الشرق. كانت أقرب المنشـــآت القنصلية إلى المنطقة العسكرية في طربزون وأرضروم وتفليس (Tiflis) بعـــيدة جـــدًا عن أكثر المعارك. علاوة على ذلك، كان القنصل البريطانيّ، زوراب (Zohrab) في أرضـــروم مـــتطرفًا بشدة ويفتقر إلى مهارات المراقبة المتوقّعة من دبلوماسيّ. حين غادر أرضروم في أثناء الحرب، انقطعت التقارير القنصـــلية البريطانيّة من أرضروم تمامًا. ومن ثم، جاءت المعلومات القنصلية الأكمـــل عن الجبهة الشرقية للحرب من القناصل البريطانيّين الأقل ميلاً في تفليس وطربزون.

لم يكـــن العثمانـــيّون بين عامي (1877 و1878 م) في موضع يسمح لهم بتســـجيل كثير عما هو الأهم هنا: نزوح اللاجئين. لكنهم اهتموا في واقع الحال بمذابح الروس وحلفائهم للمسلمين. ومع ذلك، اضطرّوا حتى في هذه الحالة إلى الاعتماد على معلومات قام بتجميعها مراسلون ومراقبون أورُبيّون. هناك بعض الأدلّة على أعمال روسيّة ضد المسلمين على الجبهة الشرقية تماثل تلك التي جرت على الجبهة الغربية في عامي (1877 و1878 م). لم يجرِ في الواقع

نقل أيّ شيء تقريبًا عن تأثيرات الحرب في المدنيّين. كان هذا مغايرًا تمامًا لمراسلات الموظّفين القنصليّين والصحفيّين عن الحرب في بلغاريا.

4/ 1/ 2] الأفعال الروسيّة والإرمينيّة في الحرب

بدأت الحكومة الروسيّة في أثناء الحرب وربما قبلها تستغلّ انفصالية الأرمن الدينية والعرقيّة الابتدائيّة في الأناضول[2]. على سبيل المثال، مع أنهم لم يُجنَّدوا في القوات المسلحة العثمانيّة في ذلك الوقت، كان باستطاعة المسيحيّين التطوّع للخدمة العسكرية في أوائل عام (1877 م) قبل أن تبدأ الحرب. في أرضروم، تطوّع [84] مسيحيًّا في اليوم الأول للتسجيل. لم يتطوّع أحد بعد ذلك، لأن القنصل الروسيّ أخبر الأساقفة اليونانيّين والأرمن بأنه يجب إعاقة تسجيل كهذا. انصاع الأساقفة وأتباعهم للأمر[3].

ربما كان أفضل مثال على أعمال الروس الوحشية في حملتهم العسكرية في القفقاس الاستيلاء على أردخان، المدينة التي استسلمت لهم بسلام[4]. ومع أن الاستسلام كان على نحو سلميّ، فإن القوات الروسيّة، أكثرها من القوزاق والكاراباباك (Karapapaks) (جماعة مسلمة هرطقيّة) الذين يؤدّون الخدمة العسكرية الروسيّة، قتلت ما يقدّر بثلاثمئة من الحامية العثمانيّة وعددًا أكبر بكثير من المدنيّين. تحدّثت البرقيات الروسيّة عن [800] جثة تركيّة على الأرض في المدينة وجثث كثيرة أُلقيت في الوهاد[5]. نقل القنصل البريطانيّ في تفليس، ريكتس (Ricketts) أن أكثر أفراد الحامية العثمانيّة في أردخان، التي استسلمت سلميًّا، جرى قتلهم كما نهب المدينة (12,000) جنديّ من الجيش النظاميّ الروسيّ[6]. عوملت أردَميش (Ardamiş) بطريقة مماثلة، وكانت الخسائر في أرواح المدنيّين كبيرة في المدينتَين[7]. تحدثت المصادر العثمانيّة أيضًا عن المذبحة، مضيفةً إن القرى التركيّة خارج أردَهان لقيت هي الأخرى النهب وأن كثيرًا من سكان منطقة أردخان الأتراك فرّوا إلى قارص والأمان (القصير الأجل)[8].

لا يبدو أن تجربة قارص كانت بقسوة تجربة أردخان. سُمح للجند الروس بنهبها حين سقطت مدة ثلاثة أيام، لكن نشاطاتهم كانت على ما يبدو مقتصرة على السرقة في الدرجة الأولى[9]. كانت أعمال اغتصاب الأسرى وتعذيبهم من الأمور الشائعة[10].

عومل الجنود العثمانيّون الذين استسلموا معاملة همجية، كما كتب القنصل البريطانيّ ريكتس: «حالة الأسرى الأتراك الذين جاؤوا من مركز القيادة يُرثى لها. من أصل [700] غادروا قارص، بقي [400] على الطريق إما أمواتًا أو مصابين بالحمّى»[11]. كتب ريكتس أيضًا أن معاملة الروس الهمجية لأسرى الحرب العثمانيّين كان يجب أن تكون متوقّعة، بسبب معاملتهم المماثلة للأسرى الأتراك في الحرب السابقة[12]. بشأن معاملة الروس للجنود الأتراك، لاحظ المراسل تشارلز وِليَمز أن الروس «ساعدهم أصدقاؤهم الأرمن في قتل الجرحى»[13].

دفعت الأفعال الروسيّة بعد الاحتلال المسلمين إلى ثورة غير ناجحة. ازدادت النشاطات الإرمينيّة ضد المسلمين كلّ يوم ولم يفعل الروس شيئًا لحمايتهم، صورة مشابهة أكثر مما ينبغي لما كان يحدث في بلغاريا حتى تكون مصادفةً أو نقلاً رديئًا. أخفقت ثورة المسلمين طبعًا، لأنها قامت بدافع اليأس من دون أيّ أمل حقيقيّ في النجاح.

حين استولى الروس على أرضروم، استغلّ أرمن المدينة الحكم المسيحيّ للإساءة إلى المسلمين. أدرك الروس ذلك، وبذلوا جهدًا، على الأقلّ بحسب روايتهم، في أن يعاقبوا الأرمن المذنبين. من غير المعروف إذا كان ضابطًا جديرًا بالثقة أم لا، لكن حقيقة أن قائد قوة شرطة أرضروم الذي عيّنه الروس كان أرمنيًا لا بدّ من أنها سبّبت خشية معيّنة عند المسلمين[14]. كتب القنصل البريطانيّ في طربزون أن [6000] أُسرة تركيّة فرّت من أرضروم مع نهاية صيف عام (1878 م) وأنه إذا بقي الروس، فسوف يفرّ المسلمون

المتبقّون أيضًا[15]. علّق السفير لِيَرد «كما أنه ليس هناك شك في أن الأرمن أفادوا أنفسهم من الحماية التي تلقوها حين احتلّ الروس أرضروم ليتحرّشوا بالسكان المحمّديّين ويعاملوهم بقسوة ويُهينوهم، فإنه ليس من المألوف أن يلجأ المسلمون إلى الثأر لأنفسهم بعد رحيل حُماتهم»[16]. وبالتالي، كان هناك من الأسباب ما يكفي للظن بأن مسلمي أرضروم سيثأرون حين أُعيدت المدينة إلى العثمانيّين بعد معاهدة السلام. استطاع العثمانيّون في الحقيقة أن يحافظوا على النظام، وقام الجند العثمانيّون بحماية المسيحيّين[17]، لكن المسلمين المحلّيّين لا بدّ من أنهم تعلّموا ما يمكن أن يتوقّعوه في ظلّ الحكم الروسيّ والأرمنيّ.

4/ 1/ 3] النزوح

عبر من روسيا إلى الإمبراطورية العثمانيّة عشرات آلاف المسلمين مباشرة قبل الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) وخلالها؛ كان كثير من أولئك الذين عبروا الحدود برًا من الكُرد[18]. خلال الحرب ومباشرة بعدها، كان سبب أكثر التروح الأرمنيّ من الأراضي العثمانيّة إلى الروسيّة الخوف من القبائل الكرديّة، وليس من الحكومة العثمانيّة أو الأتراك المحلّيّين. أصبح كثير من الأرمن حلفاءً للروس أثناء الحرب. أما وقد حان الوقت لرحيل الروس، شعر كثير من الأرمن بضرورة الرحيل أيضًا[19]. قيل إن من ألفين إلى ثلاثة آلاف أُسرة أرمنيّة غادرت وادي الشكرد وحده وتبعت القوات الروسيّة إلى الأراضي الروسيّة بعد الحرب[20]. غادر آخرون من مناطق أخرى في الشرق[21]. ربما عبر الحدود ما يقرب من [25,000] أرمنيّ[22]. تجاوز العدد الإجمالي للنازحين المسلمين (60,000) في أثناء الحرب[23].

أتى مسلمون كثيرون آخرون من جنوبي القفقاس إلى شرقي الإمبراطورية العثمانيّة بعد الحرب، في المقام الأول من مناطق قارص–أردخان التي جرى

التخلي عنها للروس، مع بعض اللاجئين من أورُبة العثمانيّة. (جرى الاحتفاظ بسجّلات مفصّلة عن النازحين، لكن عُثر عليها جزئيًّا فقط في المحفوظات)[24].

بحلول عام (1881 م) أحصت الحكومة العثمانيّة (27,712) لاجئًا في إقليم سيواس وحده[25]. في كل مكان من الشرق، أتى اللاجئون إلى إمبراطورية منهكة من الحرب وحتى أقل قدرةً من ستّينيّات القرن التاسع عشر على تقديم المساعدة للمهاجرين[26]. لا بدّ من أن يكون العدد الإجماليّ للاجئين المسلمين من القفقاس في أثناء وبعد الحرب مباشرة أكبر من (70,000).

إضافة إلى الأتراك المُرحَّلين، كان عدد كبير من لاجئي المناطق التي احتلها الروس حديثًا من الكُرد، وعدد آخر كان من سكان الجبال القفقاس الذين أُعيد توطينهم في الإمبراطورية العثمانيّة بعد أن طردهم الروس والذين اضطرّوا للارتحال مرة أخرى الآن. ما إن استقرّوا بعيدًا جنوبًا، حتى تورّطوا في نزاع مع الأرمن الذين يسكنون في مناطق وان وأرضروم. كانوا السبب في عدة احتجاجات قام بها الأرمن[27]. بخلاف مستوطنات في مناطق من غربي الأناضول، كان عدد سكان الجركس "الجدد" الذين استقرّوا في شرقي الأناضول قليلاً تقريبًا. ومع ذلك، كان الجركس جماعة ذوي شأن، لأن أعدادهم في الشرق كانت تتعزّز منذ ستّينيّات القرن التاسع عشر إلى أن أصبحوا أقليّة ذات شأن هناك، ولأنهم جلبوا معهم كراهية كبيرة للمسيحيّين القفقاس الذين رؤوا فيهم من دون ريب أناسًا سلبوهم بيوتهم القديمة. كان مسيحيّو شرقي الأناضول من الأرمن في المقام الأول.

اللاز: كان اللاز شعبًا مسلمًا تكلّم لغة متفرّعة من اللغة الجورجيّة وعاش في المنطقة الساحلية الجنوبية الشرقية للبحر الأسود، في ما هي اليوم جورجيا (منطقة باتوم) وتركيا. كان وطنهم جزءًا من الإمبراطورية العثمانيّة حتى بداية الفتوحات الروسيّة. ومع أنهم جماعة صغيرة تقريبًا، فإن الجنود اللاز

قاتلوا ببطولة حين اجتاح الروس منطقتهم في أعوام (1828 م) و(1853 م) و(1877 م). كانت هجرة اللاز إلى الإمبراطورية العثمانيّة، مثل الهجرة الجركسيّة السابقة، حركة شعب كامل تقريبًا. قاتل اللاز الروس في الحرب بصفتهم قوات غير نظامية ضمن الحدود الروسيّة وخافوا على وضعهم لو وقعوا تحت الهيمنة الروسيّة. خاف اللاز بحق سوء معاملة الروس لهم الذين دمّروا جزءًا من أرضهم في أثناء الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م)[28].

بعد أن منحت معاهدة برلين الروس مناطق باتوم وقارص وأردخان، بدأ اللاز هجرة جماعيّة من بيوتهم التقليدية إلى الساحل ومن ثم توجّهوا على متن السفن إلى الإمبراطورية العثمانيّة. عاجزين عن العثور على من يشتري أراضيهم، دمّروا بيوتهم وقطعوا أشجارهم المثمرة وانطلقوا بهجرتهم الجماعية إلى باتوم والقوارب[29]. استقرّوا باختيارهم في منطقة البحر الأسود، بسبب تشابهها مع منطقة موطنهم وقربها الجغرافيّ من لازستان (Lazıstan) الروسيّة التي كانوا يأملون في العودة إليها[30]. وضعت الحكومة العثمانيّة التوّاقة إلى توزيع عبء المهاجرين الجدد على أي حال، عددًا كبيرًا من المهاجرين اللاز في شمال غربي الأناضول، في إقليم خداوندكار (Hüdavendigâr) (بورصة Bursa) وسنجق إذميد[31].

مع أن الروس جعلوا بقاء اللاز في وطنهم مستحيلاً، فإنهم جعلوهم يكابدون عملية الرحيل أيضًا. كتب القنصل البريطانيّ في تفليس عن باتوم في عام (1880 م):

> **عزم مجمل السكان المحمّديّون تقريبًا يتشكّلون كما قيل من (10,000) أسرة و(60,000) نفس على الهجرة إلى تركيا، وفي الأكثر غادروا الأراضي الروسيّة الآن ما لم تكن أعاقتهم الشكليات المثيرة للغيظ، التي عليهم أن يخضعوا لها على أيدي الموظّفين الحكوميّين الروس (الأرمن) المشغولين بابتزاز المال والممتلكات الشخصية منهم بالتشكيك في ألقابهم، وحرمانهم من جوازات السفر وإجراءات**

مضـــايقة أخرى. في الحقيقة، تصف تقارير مُخبريّ، الذين يتكلّمون جميـع لغـات البلد جيّدًا، الوضع كمسرح جماعي للظلم والسلب والنهب[32].

استطاع الموظّفون الحكوميّون الروس والأرمن في المنطقة أن يُغنوا أنفسهم عـلى حسـاب الـلاز بحرمانهم بسهولة من حقّ بيع ممتلكاتهم إلاّ بموافقة الحكومة. أُعطيت الموافقة فقط لمبيعات إلى نقابة موظّفي الحكومة[33].

وجد اللاز، مثل النازحين الآخرين قبلهم، أن العثمانيّين لا يملكون القدرة على التعامل مع أعداد كبيرة من اللاجئين من القفقاس. استلم أكثر اللاجئين أرضًـا، لكنهم لم يتلقوا أيّ شيء آخر. لم يكن لدى الحكومة كثير لتعطيه بعد خسائر العثمانيّين الحديثة في الحرب الروسيّة. كان اللاجئون اللاز غربي الأناضـول في وضع جيد عمومًا، وإذا ما استطاعوا أن يجدوا بزور حبوب فإنهم يتكيّفون على نحو معقول، أفضل بكثير من الجركس[34]. لم يجد أولئك في الشرق إلاّ الدعم القليل في منطقة أتلفتها الحرب[35].

لم يكن استيطان اللاز في الأناضول العثمانيّة مرحّبًا به دائمًا من مسلمي المناطق المُعدَّة للاستيطان أو مسيحيّيها. كان جزء من ردّ الفعل هذا تحاملاً؛ كـان لـلاّز سمعـة العناصـر المثيرة للفوضى التي تجاوزت إثارتهم الفعلية للمشكلات إلى حد بعيد. في الحقيقة، كانت الشكاوى الفعلية عن سرقات وسوء تصرّفات أخرى من اللاز قليلة جدًا[36]. ومع ذلك، كان الظن الرائج أن المـنطقة الـتي تستقبل مهاجرين من اللاز تصبح غير آمنة. كان السبب المعقـول أكـثر لرفضـهم هو سياسة الحكومة العثمانيّة في التوطين. أُجبر القـرويّون على التبرّع ببزور للاّز الوافدين حديثًا وعلى مساعدتهم في بناء بـيوت وتنظـيف الأرض. كـان هذا يعني أنه حيثما استقرّ اللاز، أصبح القرويّون في النتيجة أفقر وصار عليهم أن يعملوا لمصلحة غرباء؛ لم يكن من المنـتظر أن يلاقي أيّ من هذين ترحيبًا[37]. ولكن من الصعب تصوّر ماذا

كـــان بإمكان الحكومة العثمانيّة أن تفعل في الواقع غير إيواء اللاز في قرى قائمـــة أصلاً. لم تكن القدرة المالية المتوافرة كافية لدعم توطين اللاز. أبرق القنصـــل بيلـــيوتي في طربزون في (5 أيلول عام 1878 م) «وصل ألفا لاجئ لازيّ؛ يُتوقع وصول ألف آخر. لم تُوزَّع مؤن عليهم لأنه لا مال في خزينة الحكومـــة»[38]. إذا أُخذ وضع الإمبراطورية العثمانيّة الاقتصاديّ والسياسيّ الداخـــلي والدوليّ في عام (1878 م) في الحسبان، فإن الوصف «لا مال في خزينة الحكومة» كان مناسبًا.

بحلول عام (1882 م) كان استقرّ في الإمبراطورية العثمانيّة نحو (40,000) لازيّ[39].

4/ 2] شرقي الأناضول، أعوام (1878-1914 م)

يـــبدو أن الحكومة العثمانيّة فعلت ما في وسعها، حين سمحت الأوضاع مـــن جديـــد بتوفير قوات لمهمات ضبط الأمن، لإعادة الوضع الداخليّ في الشرق إلى حالة الهدوء التقريبي بعد الحرب. يمكن التعليق على نحو ساخر أن العثمانيّين كانوا بهذا يحاولون أن يعطوا القوى الأورُبيّة انطباعًا أنهم قادرون عـــلى ضـــبط الأمن في بلادهم، ولكن يبدو أنهم في الحقيقة كانوا ببساطة يعيدون فرض مكانتهم التي كانت قائمة قبل الحرب. جرى تخصيص قوات لحمايـــة الأحـــياء المسيحيّة والتجّار والطرق، وجميعها كانت مهمة للدولة العثمانيّة وقاعدتها الضريبيّة بقدر ما كانت مهمة للأفراد في الأقاليم الشرقية[40]. كانت الحكومة العثمانيّة تأمل أيضًا أن تُقنع القوى الأورُبّية بعزمها على البدء بـ'إصـــلاحات' في الشـــرق، كمـــا حدّدتها معاهدة برلين. لكن مشكلة العثمانـــيّين الجوهـــرية، نقـــص المـــوارد المالية، استمرّت وأحبطت جهود الإصـــلاح. كان عمق الانقسام بين المسلمين والأرمن في الشرق أكبر بعد الحرب منه قبلها. كان هذا نتيجة لأحداث الحرب والفترة التي تلتها مباشرة،

وإدراك المسلمين والأرمن للقوة والنيات الروسيّة، ونشاطات المنظمات الثورية الإرمينيّة[41].

في أثناء الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) وفي السنوات التي تلتها مباشرة، كابد أرمن جنوب شرقي الأناضول على أيدي القبائل الكرديّة، كما كابد مَن كان مستوطنًا أصلاً من الكُرد والأتراك وحتى الجنود العثمانيّون وموظّفو الحكومة. كان الأرمن ضحايا الثورة الكرديّة وكانت ميولهم المألوفة أن يشكّكوا في سلطة الحكومة العثمانيّة ويكرهوا المسلمين القبليّين. وكأن هذا لدى كثيرين يعني افتراض وجود نيات شريرة للحكومة. زاد من مخاوفهم على نحو مؤكد تشكيل السلطان عبد الحميد الثاني في عام (1891 م) وحدات فرسان حميديّة. كانت الحميديّة فرقًا من الكُرد الذين جرى تزويدهم بأسلحة وبزّات حكوميّة وقليل من التنظيم العسكريّ. ومع أن فكرة السلطان عبد الحميد كانت إنشاء قوة مشابهة للقوزاق الروس، لا بدّ من أن الأرمن تصوروا الحميديّة كتوليّ الثعلب أمر العناية ببيت الدجاج. (من ناحية أخرى، ربما وجد السلطان أن الحميديّة هي الطريقة الوحيدة لممارسة السيطرة على الكُرد وامتلاك قوة جاهزة لمقارعة عصيان مسلح أرمنيّ). ومن ثم، كان كثير من الأرمن يشك في مقدرة الحكومة على حفظ الأمن، بينما ظن بعضهم الآخر أن الحكومة تعمل ضدّهم. ارتأى بعضهم أن تسليح أنفسهم ضروريّ للدفاع عن النفس، بينما وجد بعضهم الآخر أن التسلّح حاجة مُلحّة للعصبية الثوريّة التي يؤمنون بها.

كانت قوة الإمبراطورية الروسيّة، كما جسّدتها هزيمة العثمانيّين التامة في الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) دافعًا آخرَ لانفصاليّة الأرمن. ولا حتى الثوريّ المتحمّس كان ليصدّق أن باستطاعة الأرمن الوقوف وحدهم في وجه حكومتهم. لم تكن هناك حاجة إلى الوقوف وحدهم على أي حال. كان من المتوقّع أن تهزم روسيا الأتراك في النهاية وتحتل الشرق.

بعـــد تأسيس حكومة مسيحيّة في الشرق، ظُنَّ بنوع من السذاجة، أن حسم مسألة إرمينية المستقلة أصبح ممكنًا[42].

بحلول عام (1879 م) كان من الواضح أن المشاعر القومية الإرمينيّة بدأت تتنامى، خصوصًا بين العناصر الشابّة والحضريّة من رجال الدين الأرمن[43]. كُتبت وأُخرجت المسرحيّات القومية. أبدى الأساقفة الأرمن تأييدهم لحكم ذاتيّ قومـــيّ وتعبير قوميّ عن الذات، إن لم يكن استقلالاً. من المدهش أن أكثر هذه المشاعر كان علنيّـــاً[44]. أيّد بطريرك القسطنطينية الأرمنيّ نفسه علنًا انفصال "إرمينية" عن الإمبراطورية العثمانيّة. وجّه رسالة بهذا المعنى إلى بســـمارك وزعماء آخرين وأخبر السفير البريطانيّ لِيَرد بمخطّطه. أخبره لِيَرد بـــأن في «إرمينـــية . . أكـــثرية سكانية ساحقة من المسلمين» لكن البطريرك نارسِس (Narses) طمأنه بأن المسلمين سيكونون سعداء إذا حكمهم أرمن[45].

أتـــاح الـــنظام العثمانيّ التقليديّ الذي يسمح للناس في الأقاليم الشرقية بـــإدارة شؤونهم، للأرمن تطوير مشاعرهم المناهضة للعثمانيّين، وبعد ذلك أفعـــالهم، بطمأنيـــنة متفاوتة. إن ضعف السيطرة العثمانيّة ذاته الذي سبّب الـــتهديد للقرويّين الأرمن أتاح للأرمن أن يطوّروا نشاطات ثوريّة مناهضة للعثمانيّين أيضًا.

كانت الأحزاب الثوريّة الإرمينيّة استجابة القرن التاسع عشر النموذجية للدوافع القومية. إن بحث تطوّرها خارج نطاق هذا الكتاب، وهو موضوع جـــرى بحثه على نحو كاف في كُتب أخرى[46]. كانت الأحزاب الإرمينيّة الرئـــيس الـــثلاثة (الأرمنكان والهنشق والطاشناق) مشابهة لمنظّمات اليونان وبلغاريـــا الـــثورية الناجحة في أهدافها القومية واستعدادها للجوء إلى عنف جماعيّ أو اغتيال انتقائيّ كلما كانت هناك حاجة إلى ذلك. كانوا متميّزين في أن شعبهم كان يشكّل أقلية واضحة في أرض يخطّطون للاستيلاء عليها. لا يمكن معرفة درجة تأييد الأرمن الشرقيّين التلقائية لهم؛ من غير المؤكّد إن

كــان باســتطاعة كثير من الأرمن أن يعارضوهم بنجاح أو علنًا، إذا أخذنا تقاليدهم العنيفة في الحسبان[47].

كانــت الأحزاب الثورية، في وقت أو آخر، مستعدّة للتضحية بأرواح أرمنيّة أو مسلمة في سبيل تحقيق أهدافها. كان المخطّط العام لخطّتهم محاكاة الانتفاضة البلغاريّة الناجحة عام (1876 م)، تحريض أرمن محلّيين على مهاجمة مســلمين (أو القــيام بذلــك بأنفسهم) محرّضين بذلك على قتل أرمن، ما سيؤدّي إلى تدخّل أورُبيّ لمصلحة قيام دولة إرمنيّة.

أخــبر أحــد الــثوريّين الدكتور هاملِن (Hamlin) مؤسس [الجامعة الأمريكــية في تركية (Robert College) بإن عصابات الهنشق سوف "تنــتظر فرصتها لقتل أتراك وأكراد، وتُشعل النار في قراهم، ثمّ تفرّ إلى الجبال. سوف يثور المسلمون الغاضبون بعدها، ويهاجمون الأرمن العُــزّل ويقتلونهم بطريقة وحشية إلى درجة أن روسيا سوف تتدخّل باســم الإنســانيّة والحضارة المسيحيّة". حين شجب المبشّر المذعور المخطّط لأنه شنيع وشيطانيّ أكثر من أيّ شيء عرفه، تلقّى هذا الردّ: "هكــذا يبدو الأمر لك، من غير ريب؛ لكننا قرّرنا نحن الأرمن أن نصــبح أحرارًا. أصغت أورُبة إلى الأهوال البلغاريّة وجعلت البلغار أحــرارًا. ســوف تصغي إلى صيحتنا حين تدخل في صيحات ودماء ملايين النساء والأطفال . . نحن يائسون. سوف نفعلها[48].

كانــت الفاعلية الرئيس للأحزاب الثورية الإرمينيّة في الشرق هي توفير قــاعدة تنظيمــيّة للأرمن. لم يكن باستطاعة روسيا والقوى الأخرى، مهما كانــت مطــبوعة عــلى أن تتّخذ موقفًا وديّــا من ثورة أرمنيّة، أن توزّع بسهولة أسلحة على كلّ قرية أرمنيّة. ولكن، يمكنها تقديم الأسلحة والدعم لحــزب الطاشــناق، مــثلاً الذي يمكن أن يضمن هو استعمالها المنظّم ضد العثمانــيّين والمسلمين المحلّيين[49]. من خلال الثوريّين، يمكن توجيه مشاعر الكراهية الأولية للمسلمين والحكم الإسلاميّ باتجاه صراع ثوريّ.

ومع أن الثوريّين الأرمن كانوا محقّين في تقويم التحيّز الأورُبيّ لمصلحة مسيحيّي الإمبراطورية العثمانيّة، إلاّ أنهم غالوا في تقدير الاستعداد الأورُبّيّ لتقديم المساعدة العملية لثورتهم. اندلعت ثورات أرمنيّة على نطاق محدود طوال تسعينيّات القرن التاسع عشر، وأدّت إلى موت كثير من المسلمين وأكثر من الأرمن. لم يتدخّل الأورُبيّون على نحو فعّال قط، لكن الثورات أقنعت المسلمين بأن كلّ ما كانوا يخشونه كان صحيحًا. حلّل السفير لِيَرد، ربما يكون المراقب الأورُبيّ الأكثر دهاءً للأحداث، الوضع على نحو دقيق. شعر بأن الثوريّين الأرمن يخدعون أنفسهم. المكسب النهائي الوحيد سيكون مكسبًا روسيًّا؛ ستبتلع الأرمن الإمبراطورية الروسيّة[50].

4/ 2/ 1] التمردات الارمينيّة

كانت التمردات على الحكومة العثمانيّة والمعارك الطائفيّة بين الأرمن والمسلمين شائعة في كل أنحاء الشرق في العقدَين التاليَين لعام (1890 م). كان الثوريّون الأرمن نشطين في منطقة صاسون (Sasun) في تسعينيّات القرن التاسع عشر، حيث شكّلوا عصابات قاتلت رجال القبائل الكُرد. تورّط الأرمن والكُرد والجنود العثمانيّون في إراقة الدماء، قاتلين وضحايا[51]. في عام (1894 م) هاجمت عصابات كبيرة لمتمرّدين أرمن جباة الضرائب العثمانيّين وموظّفين آخرين في منطقة صاسون. في أثناء فرارهم أمام الجيش العثمانيّ الذي أُرسل لمعاقبتهم، قتل المتمرّدون في طريقهم سكان قرية مسلمة. ردّ الجيش النظاميّ العثمانيّ ووحدات الحميديّة بقتل أرمن في قرى في المنطقة المتمرّدة. هناك خلاف حاد بشأن عدد الذين قُتلوا في التمرّد، لكن حقيقة القتل والقتل المقابل في ذاتها تكفي لتبرهن على حزازات الأرمن والمسلمين في المنطقة والخطر الموازي على الطرفين[52].

في عام (1895 م) امتد تمرد بقيادة حزب الهنشَك في زيتون لتشمل كل المنطقة حول زيتون ومرعش (Maraş). زعم القائد الأرمنيّ للثورة أنه قُتل

(125) أرمنيّــاً و(20,000) مسلم[53]، مبالغة مؤكدة (زعم كثير من الأرمن والأوربّــيين أن عــدد القتلى الأرمن أعلى بكثير) لكن العثمانيّين بلا شكّ وجدوا صعوبة في إخماد الثورة[54]. ظن معاصرون أن العثمانيّين قد ينهزمون أمــام الــثوّار، لكن الأرمن انهزموا في نهاية الأمر ووقعوا في حصار الجيش العثماني في مدينة زيتون. في هذه المرحلة، أجبر الممثّلون الأورُبّيون العثمانيّين عــلى رفــع الحصار، ومنح عفو للثوّار، والسماح لخمسة من قادة التمرد بالهجــرة[55]. في تمرد وان في العام نفسه فقط، قُتل (400) مسلم و(1700) أرمــنيّ[56]. راوحــت الحوادث الأخرى في عام (1895 م) بين أعمال قتل مــنفردة للأرمن والمسلمين ومحاولة اغتيال حاكم أرضروم، ومن ثمّ السلطان في عــام (1905 م). عمومــاً، يبدو أن خسائر السكان الأرمن في الأرواح كانت هي الأسوأ.

كانت الأحداث التي وقعت في أطنة (Adana) عام (1909 م) دليلاً على الحالة المتدهورة. إذ دلّت الأحداث على أنه في كل مناطق الشرق العثمانيّ، كــان كــلّ "طرف" يتوقّع الأسوأ من الآخر. أدّى هذا التوقّع إلى تصميم الجماعتين على القيام بهجوم وقائيّ ضد الأخرى قبل أن تقع الواحدة عرضة لــلهجوم. في عام (1908 م) قادت جمعية الاتحاد والترقّي ثورة ضد السلطان عــبد الحميد الثاني، وعزلته وأعلنت عهدًا دستوريّــاً جديدًا. كان الوقت وقت المجاهرة العلنية بالأخوّة بين السياسيّين الأتراك والأرمن، وكذلك وقت الــتطوّر الــثوريّ بــين الأرمن. بحسب بنود الدستور الجديد، سُمح لكل المواطــنين العثمانيّين بشراء أسلحة. استغلّ الأرمن كجماعة القانون الجديد، لشراء كميات كبيرة من الأسلحة. وهكذا أصبحت المناطق الهادئة في السابق في قليقية (Cilicia) مسلحة إلى حد مشابه للتسلّح الذي كان قائمًا دائمًا في إقلــيم وان أو أرضــروم. بدأت الهجمات الإرمينيّة على المسلمين في منطقة أطنة في (14 نيسان 1909 م) متأثرة برجل الدين الثوريّ أسقف مدينة مرسين

(Mersin) موستتش[57] (Musech) الذي بشّر بأمّة أرمنيّة في قليقية. ذُعر المسؤولون العثمانيّون في أطنة لدى سماعهم روايات مبالغًا فيها إلى حد بعيد عن قوة الثوّار ونشاطاتهم. دعوا سكان أطنة المسلمين إلى الدفاع عن أنفسهم ضد الأرمن، حيث كانت قلّة منهم في الحقيقة جزءًا من الثورة. استجاب المسلمون، كما كان متوقّعًا، بمهاجمتهم للأرمن. في النهاية، قُتل بين (17,000 و20,000) من الطرفين، كان (10%) منهم مسلمين والبقية من الأرمن. توقّع الأرمن والأتراك معًا أن يتدخّل الأوروبّيون في أطنة إلى جانب الأرمن. حين لم تسرع إنغلترا أو فرنسا أو روسيا إلى نجدة الثوّار الأرمن، أحدثت أعداد المسلمين الساحقة أثرًا ظاهرًا في المسيحيّين[58].

كانت أحداث عام (1890 م) وعام (1909 م) مهمة في تهيئة المناخ النفسيّ لعام (1915 م). كان المسلمون مقتنعين بأن الأرمن كانوا يخطّطون لثورة، وأنه إذا هيمن الأرمن، فإن المسلمين سيُقتلون كما حدث في زيتون. كان للأرمن سبب موازٍ للخوف من القتل، إذا ما حاولوا أن يثوروا وأخفقوا (حتى ولو لم يكن لهم، هم أنفسهم، دور في العصيان، كما حدث لكثير من الأرمن في أطنة). كان الطرفان على قناعة بأن الموت سيكون الثمن للهزيمة. أثبتت الحروب التي تلت أن قناعتهم كانت صحيحة؛ في مجرى الحروب، ذاق الطرفان الهزيمة وكابد الطرفان خسائرَ كبيرة في الأرواح.

4/ 2/ 2] الهجرة الأرمينيّة المتواصلة

مع أن الحكومة العثمانيّة كانت بحلول تسعينيّات القرن التاسع عشر تعمل على إعاقة هجرة الأرمن إلى روسيا، استمرّ تناقصهم بأعداد كبيرة. في الواقع، حلّ محلّهم مسلمون كانوا يأتون من روسيا إلى الإمبراطورية العثمانيّة على نحو مستمرّ. شجّع الروس الهجرة. مُنح المهاجرون الأرمن أرضًا تعود إلى مسلمين رحلوا أو ماتوا[59].

في حين هاجر بعض المسيحيّين بسبب حسّ "قوميّ" أو دينيّ، كان السواد الأعظم من هذه الهجرة لأسباب اقتصاديّة. كان احتمال هجرة الأرمن واليونانيّين من مناطق مزدهرة تقريبًا أقلّ بكثير، وكذلك أولئك من مناطق كانت فيها السيطرة الحكومية العثمانيّة قوية حيث كان الأمن معزّزًا[60]. كانت هناك هجرة ثانوية لمسلمين من منطقة شرقي البحر الأسود أيضًا، خصوصًا بعد أن بدأ المهاجرون الجدد بالظهور هناك[61].

نادرًا ما كان يذكر القناصل الأورُبّيون في تقاريرهم عن الهجرة المسيحيّة أسبابًا "قوميّة". كانت الأسباب التي أدرجوها اقتصادية، عادة الهروب من الإرهاق الضريبيّ، ومن لصوصية الكُرد، ومن نظام امتلاك الأرض الزراعية الذي كثيرًا ما وضع الأرض تحت تصرّف أسياد استغلّوا الفلاحين[62]. لم يشكُ الأرمن من اضطهاد ديني أو عرقي، وإنما نظام اقتصاديّ ظالم وغياب الأمن[63]. هذه المشكلات شاركهم فيها جيرانهم المسلمون. ولكن بخلاف المسلمين، كان للأرمن إمكانية الهروب. أما إذا كانت حياتهم قد تحسّنت فعلاً بالانتقال إلى الأراضي الروسيّة، فهذا أمر غير مهم هنا؛ إجمالاً، ربما كانت الحياة عند المسيحيّين في إرمينية الروسيّة تقدّمًا قياسًا بحياتهم في شرقيّ الأناضول. تحسّنت حياة أولئك المسيحيّين الذين نزحوا إلى أجزاء أخرى من الإمبراطورية العثمانيّة، خصوصًا أورُبة العثمانيّة وغربيّ الأناضول، إلى درجة كبيرة أيضًا. لم تكن المسألة مسألة هروب **إلى** روسيا وإنما هروب **من** شرقي الأناضول[64].

لأسباب سياسية واقتصادية، شجّعت الحكومة الروسيّة هجرة المسيحيّين الموسِرين تقريبًا[65] على هجرة الأرمن الفقراء أو أولئك الفلاحين الذين لم يظهر أنهم قادرون على العمل بزراعة مربحة[66]. اقتصاديًّا، لا شكّ في أن استبدال أرمن مستقرّين بالمسلمين البدو كان يعني تحسّنًا في اقتصاد منطقة القفقاس الروسيّة المبنيّ على الزراعة. بالمقابل، لا بدّ من أن اقتصاد الأراضي

العثمانيّة وقاعدها الضريبيّة عانيا بسبب الهجرة الإرمينيّة. لهذا السبب، كانت الحكومة العثمانيّة توّاقة إلى الاحتفاظ بالأرمن في الإمبراطورية العثمانيّة. سياسيًّا، زوّد استيطان الأرمن في الأراضي الحدوديّة للقفقاس الروس بسكان أصدقاء وحاجز ضد غزو عثمانيّ. كان باستطاعة الروس دائمًا الاعتماد على الأرمن في مقاومة العثمانيّين، تمامًا كالعثمانيّين الذين باستطاعتهم الاعتماد على أناس مثل اللاز في مقاومة الروس.

إغراءً بالهجرة، وعد الروس، من خلال شائعات عادة بدلاً من تصريح رسميّ، بفوائد مختلفة تصبح حقًا شرعيًّا للمهاجرين جنوبي القفقاس: «بحسب تصريحات المسيحيّين هنا [منطقة أونة[67] (Ünye)] وُعدت الأُسر التي هاجرت هذه السنة (1879–1880 م) إلى روسيا، إضافة إلى حصول كلّ واحدة منها على أرض و[15] روبيّة، باستثناء من الخدمة العسكرية وإعفاء من الضريبة مدة تراوح بين [7 و14] عامًا، وحتّى [20] عامًا إذا لم تنجح في أعمالها الزراعية»[68]. كانت تلك شروطًا رائعة؛ ولكن في الحقيقة ربما لم يجرِ الوفاء بها إلاّ نادرًا، ومع ذلك وفّرت إغراءً ممتازًا بالهجرة وتجنب ضرائب العثمانيّين.

أدركت الحكومة العثمانيّة أسباب أكثر هجرات المسيحيّين وفعلت ما في وسعها لمعاكستها. حين أُخبرت الحكومة العثمانيّة بنزوح وشيك للأرمن من أردو (Ordu)، أرسلت لجنة مختلطة من المسيحيّين والمسلمين إليها للتحقيق في شكاوى الأرمن في المنطقة[69]. أُعيد من شاطئ البحر نصف الأُسر تقريبًا التي كانت تخطّط للهجرة من قضاء أردو، والتي كانت ستهاجر إلى روسيا بحرًا على متن السفن، على أساس وعد الحكومة العثمانيّة بمنحة أراض[70]. في بعض الأحيان، حين شعر العثمانيّون بالقوة الكافية لمقاومة الضغوط الروسيّة لإتاحة هجرة حرّة، قيّدوا منح جوازات السفر للأرمن الذين أرادوا مغادرة الإمبراطورية[71].

لا بـــدّ من أن بعض هجرات الأرمن كان نتيجة للمجاعة الشديدة التي حدثـــت عام (1879 م) حيث حلّت بقسوة بمناطق كبيرة في أقاليم أرضروم ووان ودياربكر[72]. غادر بعض الأرمن لأسباب اقتصادية بحتة. على سبيل المثال، هاجر عمال أرمن في أرضروم إلى روسيا في عام (1879 م) لأن الروس أوقفـــوا تصدير الخشب الضروري لأعمال الأرمن. غادروا ليستأنفوا مهنهم في القفقاس[73].

4/ 3] القفقاس عام (1905 م)

بلغت الكراهية بين الأرمن والأتراك (يُسمّيهم الروس 'التّتار') في المنطقة الجنوبية من القفقاس ذروتها خلال الثورة الروسيّة عام (1905 م) حين زالت بعـــض الوقت قوة ضبط الأمن الروسيّة الفعّالة من المنطقة عبر القفقاس. اتّبع الروس في القفقاس في الواقع سياسة مشابهة إلى حد ما لسياسة العثمانيّين في شرقي الأناضول، ولكن بتأثير أكبر. استُخدمت القوات الروسيّة للفصل بين السكان الأرمن والمسلمين العدائيّين والمتحاربين. على المهاجمين إذا ما هاجموا حـــيّـــاً آخـــرَ أن يـــتوقّعوا ردًا من الجنود الروس. آثر الروس الأرمن على المســـلمين عمومًا، ولكن هذه المحاباة كان لها حدود. كانت نيّة الروس أن يحكمـــوا القفقاس وشرقي الأناضول بأنفسهم. ومع أن التعاطف مع الإخوة المســـيحيّين تسبّب في جزء صغير من الأفعال الروسيّة، فإن دعم المسيحيّين الأرمن كان أساسًا وسيلة للتوسّع الاستعماريّ والهيمنة. لم يُسمح للأرمن، مـــثل المســـلمين، بالمشـــاركة في المعارك والمجازر. تضرّ المجازر النظام العام والاقتصـــاد وتشكّل تهديدات محتملة للحكم الروسيّ. علاوة على ذلك، في عـــام (1903 م) اتّخذ الروس إجراءات للحد من استقلاليّة الأرمن، مقلّصين نشـــاطات الكنيســـة الإرمينيّة ومستولين على أراضي الكنيسة، أساس قوة رجال الدين وثرائهم.

في عـــام (1905 م) وبعد هزيمتها في الحرب مع اليابان، حاق بالحكومة الروســيّة إضــرابات وثورة مفتوحة في القفقاس ومناطق أخرى في روسيا. توقّفــت النشــاطات الصناعية؛ هاجم الفلاحون ملاّكي الأراضي واستولوا علــيها. لم يفعــل الروس شيئًا يُذكر لمواجهة التهديد. اعتمدوا بنجاح على الكراهــية العمــيقة بين المسيحيّين والمسلمين ليُبقوا أعداء النظام القيصريّ منقسمين. فعلاً، ما إن بدأت الثورة حتى آل مركز الثورة في القفقاس، ميناء النفط في باكو، إلى صراع عرقيّ بين الأرمن والأتراك[74]. في شباط من عام (1905 م) أخبر القنصل البريطانيّ ستيفنز (Stevens) عن «اضطرابات عرقية خطــيرة» في بـــاكو. كما أخبر بمقتل [900] أرمنيّ و[700] مسلم حتى (25 شــباط 1905 م)[75]. اســتمرّت المعارك بين المسلمين والأرمن مع «معارك ضـــارية منتظمة بين الأرمن والتّتار في مناطق مختلفة من المدينة»[76] وُصفت مرة أخرى بأنها ناتجة من «كراهية عرقية»[77].

اندلـــع قتال خطير بين الأرمن والأتراك في باكو من جديد في الثاني من أيلول غطّى بحلول اليوم التالي منطقة حقول نفط باكو. من المثير للاهتمام أن طريقة فرّق تسُد الروسيّة لم تنجح في هذه الجولة الثانية للقتال. ومع أن القتال ربما بدأ بسبب التنافر الأرمنيّ–الإسلاميّ الفطريّ[78]، فإنه تحوّل سريعًا إلى ثورة عامة كان العمال الروس العنصر البارز فيها. نقل نائب القنصل البريطانيّ في موقع الحدث في باكو، إيه إي مكدونيل (A.E. McDonell) أن أكثر المسلمين لم يكــن لهــم دور كبير في الشغب، «كانوا، كونهم شعبًا، على نحو عام شـــاهدين، مــتفرّجين سلبيّين فحسب». وعلّق بأنه لو شارك المسلمون من القلب في المعارك لما بقي أرمنيّ على قيد الحياة[79]. ذكر القنصل ستيفنز، أنه بحســب التقديرات، «قُتل [275] تتريّــًا و[150] روسيّــًا و[95] أرمنيّــًا وقـــرابة [100] جــنديّ»[80] وأن هذه الأرقام ربما كانت مقدارًا صغيرًا من الذين قُتلوا بالفعل. حين أُرسل الجنود الروس لفرض النظام من جديد، فعلوا

ذلك بطريقة دموية. وكما هو متوقّع، تحملّ القرويّون المسلمون أشدّ العنف من هجماتهم[81].

لم تكن الحرب بين الطوائف مقتصرة على المدن. كان الأرمن والأتراك يقتلون بعضهم في جنوب إقليم أروان أيضًا. قُتل المئات في شهر آيّار في نهجوان (Nahcivan). بحلول حزيران من عام (1905 م) كان الأرمن والمسلمون يقتلون بعضهم على نطاق واسع:

> **اكتسبت مذابح الأرمن والتتار [أي: الأتراك "ز م"]في الأيام القليلة الماضية في نهجوان وأروان وجميع القرى في مناطق هاتين المدينتَين درجة تُنذر بخطر جسيم. آسف لأن أقول إن الأطراف التي أوصلت نفسها إلى القتل الجماعيّ مصمّمة على إلحاق أبلغ الأذى الممكن ببعضها إلى درجة أن قرى كاملة سُوّيت بالأرض تمامًا بالإحراق العمد[82].**

استمرّت أعمال القتل المنعزلة إلى شهر تشرين الأول[83].

لأن الأوضاع المضطربة والخطرة في القفقاس حالت دون إرسال المراقبين تقارير دقيقة، لا يُعرف إلاّ قليل عن الحرب بين الطوائف في القرى. من المعروف أنه في المناطق التي عاش فيها الأتراك والأرمن معًا قرونًا، انهار السلام غير المستقرّ بينهم أخيرًا في عام (1905 م). ربما كانت الرواية التالية نموذجية عن سلوك ذلك الوقت:

> **بعد ساعة، انتشرت شائعة في القرية بما معناه أن التتار [الأتراك]، في أثناء مغادرتهم، التقوا بامرأة وطفل أرمنيين في ضواحي القرية، فقتلوا الطفل وأخذوا المرأة معهم. ثار أهلنا [أي، الأرمن] كثيرًا لدى سماعهم هذه الأنباء، ورغبوا في الهجوم على جيراننا التتار للثأر. لا يسمح الجنود القوزاق بانتقام كهذا في النهار؛ ولكنٍ، بحلول الظلام، هذا ما حدث: دخل ستة من القوزاق بيتًا أرمنيًا وطلبوا طعامًا؛ قُدّم لهم خبز وشاي؛ تباحثوا ثمّ قالوا، مجتمعين مع زعماء قريتنا: "نكون في أثناء النهار في الخدمة ولا نستطيع أن نسمح لكم بالهجوم**

على التّتار؛ والآن نحن لسنا في الخدمة؛ نحن في هذا البيت ولن نعلم ما تفعلونه». تسلّح رجالنا، ثمّ تجمّعوا وتقدّموا باتجاه القطاع التتريّ من القرية. لم يكن هناك أنوار في البيوت وكانت الأبواب مُزلّجة، لأن التّتار توقّعوا ما سيحدث وكانوا في ذعرٍ شديد. طرق رجالنا الأبواب، لكنهم لم يتلقوا ردًا؛ وعندئذ حطّموا الأبواب وبدؤوا مذبحة استمرّت إلى أن قُتل آخر تتريّ. طوال الليل البشع، انكمشتُ في البيت مرتعدًا من الخوف [كان صبيًّا صغيرًا] غير قادر على أن أصمّ آذاني عن الصرخات الثاقبة للضحايا العاجزين وصيحات رجالنا المدوّية. بحلول الصباح، كانت المهمّة قد انتهت[84].

ومع أن هناك حاجة إلى أدلّة تصنيفية أو تسجيلية روسيّة لإثبات النقطة، لكن يبدو أن الروس ربما استخدموا المنافسات بين الطوائف في القفقاس على نحو مقصود ليستبْقوا على حيازة أراضيها بينما كانت الإمبراطورية الروسيّة في شغب الثورة. وكما صرّح هيو ستِن-وطسن (Hugh Seton-Watson) كانت الأشهر الأولى للثورة في الأقاليمَ عبر القفقاس «مميّزة بقتال بين الأرمن والتّتار، مدبّرة من السلطات الروسيّة إلى حد كبير، ونسخة عبر قفقاسية عن مذبحة اليهود المنظّمة في أوكرانيا»[85]. في أقاليم القفقاس الجنوبية، كان الموالون الحقيقيّون للتاج الروسيّ قلّة. كان كثير من الروس الأصليين عمّالاً في حقول باكو النفطية أو صناعات أخرى، وكانوا مؤيّدين للثورة. في الحقيقة، كانت القوة الوحيدة التي يستطيع القيصر أن يعتمد عليها في القفقاس هي قوّاته المسلحة، خصوصًا القوزاق، التي كانت قليلة تقريبًا في عام (1905 م) حين كانت هناك حاجة إلى خدماها في خوض الحرب ومن ثمّ إحباط الثورة. لذلك، برعاية التنافر بين الأرمن والمسلمين، أو على الأقل بعدم فعل أيّ شيء تجاهه، ضمن القيصر أهم سيقاتلون بعضهم بدلاً من أن يتّحدوا ضدّ حكومته. حين انتهت الثورة، فُرضت السلطة الروسيّة عنوةً من جديد، ولم تشهد منطقة القفقاس حربًا مكشوفة بين الطوائف ثلاث عشرة سنة تالية.

4/ 4] العنف القادم

لا بـــدّ من أن الأحداث التي امتدّت عبر السنوات من عام (1877 م) إلى عـــام (1914 م) بدت لسكان الشرق العثمانيّ والقفقاس مشؤومةً على نحو استثنائيّ. شهد المسلمون أكثر أراضيهم يسقط في أيدي الروس، والثوريّون الأرمن يطالبون بما تبقّى. شهد الأرمن إخفاق الروس في الاستيلاء على كثير من الأراضي في الأناضول التي زعموا أنها أرمنيّة، وإخفاقهم في الاحتفاظ بها. شهدوا كذلك إخفاق الثورة الإرمينيّة، في حالة ثورة أطنة، إخفاق أدّى إلى استجابة رهيبة.

اندلعـــت حرب بين الطوائف في الأناضول عام (1895 م) وفي القفقاس عـــام (1905 م). قـــبل ذلـــك الوقت، كان المسلمون والأرمن يؤيّدون إما الإمـــبراطورية الروسيّة وإما العثمانيّة. والآن، صمّم المسلمون والأرمن على قتل بعضهم في مدنهم وقراهم. لم تكن هذه الحرب مسألة جيوش، بل مسألة شـــعوب. كانت تتعاظم على مدى قرن من الزمن تقريبًا، سبّبها الاجتياح الروسيّ، والعصبية الإرمينيّة، والضعف العثمانيّ. بحلول عام (1910 م) كان الاستقطاب الذي سيؤدي عاجلاً إلى كارثة مشتركة حتميّـــا على الأرجح. أُريقـــت الدمـــاء، والانـــتقام كان متوقّعًا ومرغوبًا فيه. مهما كانت نياتهم الفـــرديّة، أدرك المسلمون أنهم في خطر من الأرمن، وأدرك الأرمن أنهم في خطـــر من المسلمين. ما إن اندلعت الحرب العالمية الأولى، حتى افترض كلّ طرف الأسوأ من الآخر طبعًا، وتصرّف وفقًا لذلك.

Suudi Arabistan Türkleri derneği

جمعية أتراك السعودية

Turan

5] حروب البلقان

عند دراسة خسائر المسلمين في حروب البلقان، يجب أولاً إدراك أنهم كانوا أكثرية سكانية في البلقان العثمانيّة قبل اندلاع الحرب. ومع أن السكان كانوا مختلطين عرقيّاً ودينيّاً، فإن المسلمين كانوا يشكّلون أكبر جماعة دينيّة منفردة. كانوا، مثل بقية سكان البلقان، مبعثرين في كل أنحاء المنطقة (الجدول 7) مع جماعات كبيرة في كل منطقة[2]. شكّل المسلمون في مناطق كثيرة وفي ثلاثة أقاليم كاملة، أدرنة وإشقودرة وكوسوفو، أكثرية مطلقة وليس أكثرية فحسب.

الجدول (7)

عدد سكان أورُبة العثمانيّة في عام (1911 م)

بحسب الإقليم والدين (الملل)*

الإقليم	المسلمون	اليونانيّون	البلغار	†المجموع
أدرنة	(760,000)	(396,000)	(171,000)	(1,427,000)
سلانيك	(605,000)	(398,000)	(271,000)	(1,348,000)
يالية	(245,000)	(311,000)	—	(561,000)

مناستر	(456,000)	(350,000)	(246,000)	(1,065,000)
إشقودرة	(218,000)	(11,000)	—	(349,000)
كوسوفو	(959,000)	(93,000)	(531,000)	(1,603,000)
المجموع	(3,242,000)	(1,558,000)	1,220,000)	(6,353,000)

* الرقم مقرّب إلى أقرب ألف، مع بعض الخطأ في التقريب.

† يتضمّن جماعات غير مفصّلة في الجدول، كاليهود والروم الكاثوليك.

المصدر: مكارثي، ‹[سكان أورُبة العثمانيّة]/ The Population of Ottoman Europe›[1].

بحلـــول عام (1911 م) كان الاستبدال الفعليّ للسكان استُكمل في أورُبة العثمانيّة. كان نازحون مسلمون يغادرون النقاط الحدودية للإمبراطورية إلى أراضٍ عثمانـــيّة أخـــرى مـــنذ زمن بعيد يعود في الماضي إلى زمن احتلال المسيحيّين هنغاريا من جديد. وُطّن عدد كبير من اللاجئين المسلمين القفقاس في الـــبلقان أيضًـــا. في الفترة التي امتدت من عام (1875 م) إلى عام (1879 م) غـــادر مسلمون بلغاريا وصربيا وهاجر بلغار من الإمبراطورية العثمانيّة إلى بلغاريا وروميليا الشرقيّة[3]. وهكذا، كان المقدار المئوي للمسلمين في سكان أورُبـــة العثمانيّة في عام (1911 م) أكبر من مقدارهم قبل عام (1877 م) في المـــنطقة نفســـها. كانوا أكثرية مطلقة، ولو أنها طفيفة، في أورُبة العثمانيّة (الجدول 8).

الجدول (8)

أورُبة العثمانيّة في عام (1911 م)

المقدار المئويّ للسكان وفقًا للملل

مسلمون	(%51)
يونانيّون	(%25)
بلغار	(%19)
آخرون	(%5)

المصدر: مكارثي، ‹[سكان أورُبة العثمانيّة]/ The Population of Ottoman Europe›.

لم تكـن الإحصـائيات السكانيّة في الحقيقة ذات أهمية في تقرير الوقائع السياسية في البلقان، في حين يجب أن تحظى باهتمام أولئك الذين يناصرون مـبدأ تقريـر المصـير. حسمت حروب البلقان مسألة من سيحكم أورُبة العثمانيّة ومن سيسكن فيها، ليس بقاعدة الأكثرية، وإنما بقوة السلاح.

قـرّرت المعـاهدات التي حُرّرت في ربيع عام (1912 م) المصير النهائيّ للإمـبراطورية العثمانيّة في أورُبة. في هذه المعاهدات، قرّرت بلغاريا وصربيا واليونان والجبل الأسود «بمساعدة فعّالة من موظّفين دبلوماسيّين روس»[4]، فكفكة القسم الأوربي من الإمبراطورية العثمانيّة. لم يستطع الحلفاء الاتّفاق عـلى الحسـم النهائيّ للأراضي المستولى عليها[5]؛ لكنهم اتّفقوا على طرد العثمانـيّين من أورُبة أولاً ثمّ تقسيم الأراضي العثمانيّة. في (8 تشرين الأول 1912 م) أعلـن الجـبل الأسود الحرب على الإمبراطورية العثمانيّة وهاجم أراضيها. دول البلقان الأخرى حذت حذوه.

كانـت حـرب البلقان الأولى عام (1912–1913 م) هزيمة أسرع بكثير للعثمانيّين من هزيمتهم في عامي (1877–1878 م). بسبب عدو يفوقها عددًا بمقدار اثنين إلى واحد، وحربها المستمرّة مع إيطاليا وليبيا، وتصدّي الأسطول الـيونانيّ لاستخدامها الخطوط البحرية، وعقبة عدم استكمال السلطان عبد الحميد الثاني الاستعدادات العسكرية، انهزمت الإمبراطورية العثمانيّة بسهولة من تابعيها السابقين. في [22] تشرين الأول، هزمهم البلغار الذين كان عليهم أن يـتحمّلوا الوطأة العظمى من قتال العثمانيّين، في قرق كليسا، ثمّ في لولة بـرغوس (Lüleburgaz) (مـن 28 تشرين الأول إلى 3 تشرين الثاني). أُجبر العثمانيّون على التراجع إلى خط جتالجة (Çatalca) آخر خطوطهم الدفاعية قبل اسطمبول. في الغرب، هزم الصرب العثمانيّين في قومانوة (من 24 إلى 26 تشـرين الأول) وتقدّموا حتى البحر الأدرياتيكي. سقطت مناستر في أيديهم في [18] تشـرين الثاني. تقدّم اليونانيّون، من دون مقاومة تُذكر من القوات

العثمانيّة، عبر جنوبي مقدونيا واستولوا على مدينة المرفأ سالونيجة الكبيرة في [8] تشرين الثاني، قبل يوم من وصول كتيبة بلغاريّة إلى المدينة. كانت المناطق الوحيدة التي لا تزال تحت السيطرة العثمانيّة في كانون الأول من عام (1912 م) هي مدن أسكودار (Üsküdar) ويانية وأدرنة، وكلها كانت تحت الحصار. خلال شهرين فقط من القتال، ضاعت عمليًا أورُبة العثمانيّة كاملة. بحلول نيسان من عام (1913 م) كانت المدن الثلاث سقطت أيضًا، يانية لليونانيّين (في 5 آذار) وأدرنة للبلغار (في 26 آذار) وأسكودار للجبل الأسود (في 22 نيسان)[6].

صمد خط جتالجة في وجه الهجوم البلغاريّ، حاميًا العاصمة العثمانيّة، إلاّ أن تفكّك الحلفاء وحرب البلقان الثانية التي تلت (عام 1913 م) مكّنا العثمانيّين من إنقاذ جزء صغير من أراضيهم الضائعة. بينما كانت اليونان والجبل الأسود وصربيا، وبعد ذلك، رومانيا تقاتل بلغاريا، استعاد الجيش العثمانيّ غربي ثراقيا، بما في ذلك أدرنة وقرق كليسا[7].

5/ 1] الحروب ومسلمو البلقان

> **عمومًا، يوجد كرب حاد نوعًا ما في كل مقدونيا حيثما بقي سكان مسلمون، لكنّي أشكّ إذا بقي أيّ سكان مسلمين خارج المدن الكبرى في جزء كبير من البلد[8].**

كانت حروب البلقان، في تأثيرها في الفلاحين وسكان المدن المسلمين في البلقان، مشابهة كثيرًا للحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م). في تلك الحروب جميعها، أدّى القتل والاغتصاب والنهب إلى فرار الأتراك والمسلمين الآخرين من ديارهم إلى ما تبقّى من الإمبراطورية العثمانيّة. وفي جميع تلك الحروب، كانت الحصيلة النهائية نقصًا كبيرًا في عدد السكان المسلمين،



(5) البلقان العثمانية في عام (1912 م)

نقصًا تسبّب به القتل والمجاعة والمرض والنزوح، وتأسيس دولٍ ذات أكثرية مسيحيّة.

كانت هناك فروق أيضًا بين الحرب الروسيّة التركيّة في عامي (1877–1878 م) وحروب البلقان في عامي (1912–1913 م). كانت الحرب الأولى توجّهها يد واحدة، يد روسيا. كان لروسيا هدف واحد هو إنشاء دولة بلغاريّة عظمى في البلقان، دولة سلافيّة مجرّدة من المسلمين ومتراس للمصالح الروسيّة في المنطقة. بحلول عام (1912 م) فتر مَيل روسيا إلى بلغاريا، ولم تظهر يد القيصر في حروب البلقان[9]. بدلاً من ذلك، خاضت كلّ من اليونان وصربيا والجبل الأسود وبلغاريا حربها الخاصة ضد العثمانيّين. كانت الوحدة الحقيقية الوحيدة بين حلفاء البلقان في حرب البلقان الأولى تكمن في اختيار الخصم. تأثّر مصير مسلمي البلقان بارتباك خطط الحلفاء. في عامي (1877–1878 م) طبّق الروس خطة فعّالة لإجبار المسلمين على النزوح. في حروب البلقان أيضًا، أراد كلّ من الظافرين أن يرى نهاية للوجود الإسلاميّ في الأراضي التي أخضعها. لكنهم، على أي حال، لم يكونوا منظّمين أو قادرين على فعلٍ موحّد لينالوا بغيتهم. عوضًا من إبعاد المسلمين خارج البلقان، كثيرًا ما أبعدوهم عن أرض استولت عليها دولة مسيحيّة إلى أرض استولت عليها دولة أخرى، وأحيانًا من جديد إلى الأرض التي أُبعدوا عنها أصلاً. كان التأثير في المسلمين، إذا ما كان من شيء، أسوأ من الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م). كان عدد الوفيات بينهم أعلى مما كان عليه في عام (1878 م).

كان لسرعة الاحتلال تأثير كبير في مسلمي البلقان أيضًا. لم يكن يأمل النجاة إلاّ أولئك المسلمون الذين غادروا قراهم في بداية حرب البلقان الأولى تمامًا بينما لا تزال الأراضي التي اجتازوها في أثناء فرارهم تحت سيطرة العثمانيّين على نحو مأمون. اضطرّ باقي اللاجئين إلى الفرار عبر أراضٍ

استكملت قوات حلفاء البلقان إخضاعها، منهكين من هجمات العصابات المسيحيّة. من المألوف أن كثيرًا منهم لم يبقوا على قيد الحياة. في كثير من الأحيان، لم يصل إلى المدن الساحلية إلاّ نصف أولئك الذين غادروا القرى، آملين الفوز بوسيلة نقل إلى خارج البلقان[10].

كان جند الصِّدام، الذين تصدّروا الهجوم على أتراك بلغاريا في عام (1877 م) وقتلوهم في الانقضاض الأوليّ ودفعوا المسلمين إلى الفرار، من القوزاق الذين تلقوا مساعدة من القرويّين والمتمرّدين البلغار. أما في حروب البلقان، فكان في الطليعة مجموعات الكوميتاجي (Komitajis) وهي عصابات قوميّة كانت تقاتل في مقدونيا العثمانيّة منذ أمد بعيد[11]. كثيرًا ما تلقّت تلك العصابات دعمًا فعّالاً من الدول التي ناصرت العصابات قضاياها. كانت العصابات الأخطر والأكثر عددًا من بين مجموعات الكوميتاجي، البلغاريّة ثمّ الصربيّة، أما اليونانيّة فكانت معدودة. لأن الانتصار في الحروب على العثمانيّين كان سريعًا، كانت الحاجة إلى عصابات الكوميتاجي في المعركة قليلة. بدلاً من ذلك، كانت وظيفة تلك العصابات منذ بداية حرب البلقان الأولى مهاجمة القرى والمدن وفرض هيمنة جماعتها العرقية خلف الخطوط. من غير المعلوم كم من الأوامر تلقّت هذه العصابات من الحكومتين البلغاريّة والصربيّة، لكن الموثّق جيدًا أن موظّفين رسميّين من هاتين الحكومتين لم يفعلوا شيئًا لوقف عمليات النهب التي قامت بها تلك العصابات. ربما لم تكن هناك حاجة تُذكر إلى إعطاء أولئك الذين هاجموا مسلمين أوامر؛ كان إطلاق العنان لهم كافيًا ليؤدوا مهمّتهم.

5/ 1/ 1] القتل

مقارنة بالحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) كان قتل المسلمين في حروب البلقان غير منظّم، لكنه لم يكن أقلّ إماتةً. لم يكن لدى

البلغار واليونانيّين والصرب وقوات الجبل الأسود إلاّ قليل من فعّالية الروس وانضباطهم (كالمثل الذي ضُرب عن أسلوب القوزاق في نزع أسلحة قرية مسلمة، ثمّ محاصرتها، بينما قام البلغار بنهبها وقتل سكانها). كانت أعمال القتل في حروب البلقان من النوع الذي سمّاه المعاصرون (حربًا بين الأجناس/ race war). من غير المؤكّد أن مجموعات الكوميتاجي، بخلاف القوزاق، كانت جزءًا من خطة مدروسة بعناية. لم تأخذ في الحسبان الفوائد السياسية للإرهاب حين نهبت وقتلت في القرى المسلمة.

مع التباينات بين الحربين، كان وصف المذابح الفردية في السجلات القنصلية عامي (1912–1913 م) مشابهًا على نحو مدهش لما كُتب في عامي (1877–1878 م). لو استُبدلت قوزاقيّ بكلمة كوميتاجيّ لكان الوصف الذي جاء في التقرير القنصليّ البريطانيّ التالي، مثلاً، صالحًا لعام (1877 م) تمامًا كما هو صالح لعام (1912 م):

> يمكن القول، من دون مبالغة، إنه نادرًا ما كانت هناك قرية تركيّة في منطقتي قوالة (Cavalla) ودرامة (Drama) لم تكابد على أيدي الكوميتاجي البلغاريّة والسكان المسيحيّين المحليّين. في العديد من القرى، قُتل أعداد من الذكور؛ وفي بعضها الآخر، حدثت أعمال اغتصاب ونهب.
>
> بصرف النظر عن أتراك قوالة الذين قتلتهم الكوميتاجي، قُدّم تقرير بذلك سابقًا، أُعلن من براوشتة (Pravishta) في منطقة قوالة عن قتل نحو مئتي تركيّ وعدد مماثل في صاري شعبان (Sarishaban). في منطقة درامة، كانت جتالجة ودوكسات (Doxat) وكيرلي قوة (Kirlikova) مسرحًا لأعمال قتل أتراك. جرت أكثر أعمال القتل هذه بعد الاحتلال البلغاريّ بفترة قصيرة، لكن بعضها كان حديث العهد[12].

شارك الحلفاء المسيحيّين جميعهم في أعمال قتل واسعة النطاق لمسلمي القرى. على سبيل المثال، في منطقة عورتحصاري (Avret Hissar) وطويران

(Doyran) نفّذ البلغار مذابحَ واسعة: في رجانوة (Rajanova) «لم يكد يُترك ذَكر مسلم على قيد الحياة»[13]. جُمع كل رجال قرية كركوت (Kurkut) مع كثير من النساء والأطفال، في المسجد والحظائر وقُتلوا حرقًا[14]. في تيمور حصار (Demir Hissar) جُمع [64] تركيًا في مقهى وقُتلوا حرقًا[15]. جلد الكوميتاجي الصرب قرويّي درنوة (Drenova) المسلمين حتى الموت[16]. قتلت قوات صربيّة في منطقتي الجمعة (Ljouma) ودبرة (Debre) وحدهما أكثر من ألفي مسلم[17]. قدّر مراقبون غربيّون أن نحو (5000) مسلم ألبانيّ قُتلوا «بين قومانوة وأسكوب» و[5000] في منطقة برشتينا[18] (Priştina). قُتل [59] مسلمًا في طويران حين استسلمت المدينة من دون مقاومة، كما قُتل كثيرون آخرون في الريف المحيط[19]. كان الإحراق جماعيًا طريقة قتل اتّبعها بلغار مع السكان المسلمين لراينوة (Rainovo) وكلكيس (Kilkis) وبلنقة[20] (Plantza). قُتل مسلمون أتراك بأعداد كبيرة في ثراقيا، قدّرها بعض المراقبين الأوربّيين الغربيّين بأكثر من (200,000) (وهو رقم يتضمّن أيضًا بعض اليونانيّين الذين قتلهم بلغار)[21]. أمسك يونانيّون بأتراك من كل أنحاء قضاء براوشتة واصطحبوهم إلى وهد قسروب (Kasrub) حيث قتلوهم وتركوا الجثث شاهدًا على صنيعهم[22]. من الجدير بالذكر على أي حال أن القرى المسلمة لم تُعامل كلها معاملة كهذه.

كان من بين أسباب وفيات المسلمين المجاعة والمرض، الناجمان عن النهب، وسرقة الأرض والمحاصيل، وحالة اللاجئين، وكلّ ذلك ترك المسلمين من دون طعام أو مأوى.

عومل الموظّفون والجنود العثمانيّون الذين استسلموا معاملة وحشية على نحو خاصة. في حالة الجند العثمانيّين، ربما كان جانب كبير من المعاملة الوحشية ناجمًا من الكراهية الموجّهة ضد أولئك الذين حاربوا حديثًا ضد الجيوش المسيحيّة، لعلّهم قتلوا أصدقاء وأقرباء. كان الجنود العثمانيّون أيضًا رمزًا للسلطة العثمانيّة التي أرادت الدول المسيحيّة القضاء عليها. على سبيل

المثال، هاجم مدنيّون بلغار أسرى من الأتراك في ستارا-زاكورة (Stara-Zagora) فقتلوا (500–600) وجرحوا (250)[23]؛ في عورتحصاري، قُتل نحو مئة جنديّ عثمانيّ مصروف من الخدمة[24]. ولكن في حالات أخرى، قُتل جنود ببطء بسبب المجاعة، جزءاً من سياسة مقصودة للحكومات المتحالفة، كما حدث في حالة أدرنة. لا بدّ من أن القتل الانتقائي لموظّفي وزعماء مدن وقرى مسلمين كان بتشجيع رسميّ، كما كتب القنصل البريطانيّ لامب (Lamb) في سالونيجة: «أُعدم جميع القياديّين المسلمين بطريقة أو بأخرى في كل أنحاء مناطق كلكيس وطويران وكوكلي (Ghevgheli) وسُلبت أو أُتلفت ممتلكاهم وأُحرقت دورهم السكنية ومزارعهم. لقيت نساؤهم معاملة مهينة وفي كثير من الأحيان ما هو أسوأ»[25].

كما هو متوقّع، كانت التقارير المفصّلة عن المذابح في القرى شحيحة تقريبًا؛ تسارعت الأحداث على نحو لم يسمح بالتقرير الدقيق. نادرًا ما كان المراقبون الغربيّون الذين كانوا المصدر الرئيس للمعلومات عن الأعمال الوحشية، قادرين على زيارة القرى المسلمة التي كانت عرضة للنهب. ذكر أكثر التقارير بسهولة أن القرى التي كانت مزدهرة يومًا أصبحت الآن مقفرة، وعادة منهوبة ومحروقة. على سبيل المثال، أدرج الجنرال العثمانيّ عزّت باشا بعض القرى على طريق سكّة ثراقيا الحديدية التي دُمّرت فيها أحياء المسلمين: «عزّ الدين (Izzedine) وسوباجي (Soubachi) وباباسبرغوس (Papasbourgas) وقسطنلك (Kestanlik) وشنقجة (Tchanakdja) وأوكللي (Ogluli) وإنجيز (Indjeiz) وكوكجة (Gueukjé) وجبقلي (Cabakli) ومزل بونار (Mezel Bounar) ولي (Veli) وولي مجة (Veli Meché) وكجكرلر (Gheckerler) وبياز (Beyaz) وآقمان (Akman) ومستنلي (Mestanli) وصولجلر (Soldjilar) وتيمورلر (Demiler) وجركش (Tcherkess) وطربدرة (Turbédéré) وآكجي (Akdji) وحجيلر (Hatchilar) وجنيلر (Jeniler)

وبونار باجي (Pounar Bachi) ... »[26]. لسوء الحظّ، لا تقدّم قوائم القرى الخاويــة والمدمّرة إلاّ القليل من المعلومات الوصفيّة عن مصير القرويّين. لكن مــن الممكــن إيجاد أمثلة أكثر توثيقًا لأفعال حلفاء البلقان ضد المسلمين في مــدن الـبلقان العثمانيّ: قُتل «بضع مئات» من المسلمين حين دخل البلغار درامــة[27]. قُــتل أكثر الجنود الأتراك الجَرحى الذين تُركوا في درامة[28]. اســتولى على مدينة ددة أغاج (Dedeağaç) (140) "متطوّعًا مقدونيّــًا" من دون مقاومــة في 12 تشرين الثاني عام (1912 م) في طليعة الجيش البلغاريّ. «جرى نهب وتحطيم جزء من الحيّ المسلم وقتل أكثر من مئة مسلم، ويمكن تكوين فكرة ما عن حجم السرقات من حقيقة أن ما دُفع في مكاتب البريد الأجنبـية لـتحويله إلى بلغاريــا كان أكثر من (14,000) فرنك (بالذهب التركيّ). ارتُكب تدمير مخيف في الريف المحيط وأُبيد العديد من القرى»[29]. قُذف مسجد ددة أغاج الرئيس بالقنابل وأُحرق، وشاهد مراقبون أكوامًا من جثــث المســلمين خصوصًــا قُــرب المسجد[30]. تُقدّم مدن أدرنة وقوالة وإســتروجة (Strumnitsa) وسريس (Serres) وددة أغاج صورة مفصّلة عن طبيعة النهب والموت اللذين رافقا فتح حلفاء البلقان، كما يلي:

أدرنــة. عانت مدينة أدرنة في أثناء حصارها قصفًا مدفعيًّا بلغاريًّا عنيفًا، كان أكثره موجّهًا إلى مناطق سكنيّة بحت، لكن المجاعة شكلت الخطر الأكبر عــلى المواطنين. كان مخزون الطعام المتوافّر لسكان المدينة يتناقص بسرعة. عشــرون ألف لاجئ كانوا قد وصلوا إلى المدينة قبل تطويق البلغار لها، أي: (20,000) إضافيًّا لاقتسام القليل المتوافّر[31]. حين دمّر القصف المباني، انضمّ لاجئون من البيوت المدمّرة في أدرنة إلى اللاجئين القادمين من خارج المدينة في مــبان «استوعبت ضعف ما كان ليصدّق أيّ امرؤ أنها ستستوعبه»[32]. ارتفــع ثمــن السكّر الذي نادرًا ما كان متوافّرًا أصلاً، ثلاثين ضعفًا في أثناء الحصار، وهكذا كانت الحال مع ملح الطعام. كان ثمن الفول والعدس والبازلاّء

والأرزّ والمــواد الغذائــية الأخرى خمسة أضعاف ثمنها في زمن السلم[33]. قرب نهاية الحصار، كانت الأسعار بلا معنى، لأن الطعام لم يكن متوافرًا.

طــبعًا، ليســت المعاناة بسبب أوضاع الحصار كالمعاناة التي تحلّ بالعامّة العُــزُل. كانت الأخيرة ستعقب تسليم العثمانيّين للمدينة. سقطت أدرنة في (26 آذار عام 1913 م). جعل البلغار المنتصرون المدينة ثلاثة أيام متتابعة من النهب غير المحدود قبل إعادة النظام. كانت بيوت ومتاجر الأتراك الأهداف الرئيس لنهب الجنود والعامّة المسيحيّة الأصلية[34]. يبدو أن أكثر النهب كان مــن فعل اليونانيّين المحلّيين، وأن بعض التقارير تحدّث عن محاولة غير ناجحة قــام بها ضباط الجيش النظاميّ البلغاريّ لوقف النهب. وكانت هناك تقارير أيضًا عن الممارسة المألوفة أكثر للدوريات العسكرية البلغاريّة التي تتعاون مع اللصوص مقابل حصّة في الغنائم[35].

وكالمعتاد في المدن التي يستولي عليها البلغار، رافق النهبَ اغتصابٌ وقتل[36]. كــان قتل المدنيّين في أدرنة أقلّ بكثير من مدن أخرى جرى احتلالها، ربما كــان ذلك على أي حال نتيجة عدم وجود عصابات الكوميتاجي وتغطية المراســلين الأورُبّيين الجيدة تقريبًا لحصار المدينة والاستيلاء عليها. لم يُسعف الجــنودَ العثمانــيّين في المدينة أيّ من الحقيقتين. حين سقطت أدرنة، نُزع سلاح جنود الحامية العثمانيّة، وزُجّ بهم في السجن من دون طعام أو مأمن. يصــف غوســتاف ســيريلّي (Gustav Cirilli) الــذي شهد حصار المدينة وسقوطها على نحو كامل، مصير الجنود:

> **تمرّ صفوف طويلة من الأسرى في الشوارع، يتقدّمهم ضبّاطهم. إنهم كئيــبون وواهنون وهزيلون من المجاعة. يُساقون كالحيوانات القذرة بضــربات مــن قبضات الأيدي والأحذية وأعقاب البنادق. زُرب هــؤلاء التعســاء في مكان يُدعى أسكي سراي (Eski Saray) وهو جزيرة مشجّرة خارج المدينة على نهر تونجة (Toundja) حيث تُركوا لــيموتوا من البرد والجوع، ما لم تضع رصاصة نهاية لعذابهم. يزداد**

> **ارتفـــاع كومـــة جثثهم غير المدفونة يومًا بعد يوم، إلى حد أصبحت تشكّل فيه خطرًا على الصحة العامة. وفي الحقيقة، أصبحت الكوليرا على أبوابنا من جديد.**
>
> **عدد الجنود الذين دافعوا عن هذا المكان معروف. بإغفال الذين لقوا حتفهم، يكون عدد الذين وقعوا في أيدي الغزاة (40,000–50,000) أســير. حاول بعض هؤلاء، وهم على علم بالمصير الذي ينتظرهم، الفرار والاختباء. الوَيل للذين أُلقي القبض عليهم من جديد، والذين قاموا بإخفائهم! إذا اشتُبه، ولو بأتفه الأدلّة، بأحد يُخفي أسيرًا هاربًا، فُتّش البيت من الأرض حتى الروافد، وأُلقي القبضَ على الهارب، مع شــريكه في الجــريمة، وأُطلقت النار على الاثنين. إنه قَنص بشريّ، قَــنص للأتــراك، بكلّ أطياف الوحشية. طوال الليل والرشّاشات تُقعقــع؛ إنهــا عمليات الإعدام. أُلقي بالجثث في الشوارع والحقول والأنهار، ورأيتُ كثير منها مرميّــا على الطريق إلى قرة أغاج[37].**

عـــلى الجزيرة حيث كان الجنود معتقلين، علّق المراقبون على الجثث التي تتراكم في أكوام، والرجال الذين ينامون في العراء في الشتاء، ومقدار الكوليرا المـــرتفع، وجمـــيع الأهوال الأخرى التي أصابتهم. يبدو أن ما ترك الانطباع الأكـــبر عـــلى الأورُبّيين الغربيّين هو حقيقة أن جميع الأشجار على جزيرة الســـجن كانت منزوعة اللحاء «إلى الارتفاع الذي تصل إليه يد المرء»[38]. إن مشـــهد الغابـــة المعرّاة إلى الارتفاع الذي هو في متناول يد المرء إنما يدلّ ببلاغة على جوع أولئك الذين أكلوا اللحاء.

بحلول نيسان من عام (1913 م) لم يتبقَّ على قيد الحياة إلاّ نصف الأسرى تقريـــبًا، (6000) في المعسكر، و(15,000–20,000) على ضفاف النهر. كان يموت مئتان يوميّـــا. اقتيد آخرون إلى مصير غامض[39].

قوالـــة: كانت هذه المدينة المرفأ الصغير تقريبًا في جنوبي مقدونيا، مركز قضاء قوالة لسنجق درامة. في أثناء حرب البلقان الأولى، تضخّم عدد سكانها بلاجئين أتراك فرّوا إلى المدينة أولاً من المنحدرات الجنوبية لجبال رهودوبة، ثمّ

مـــن مدن مثل درامة وبراوشتة. وهكذا، كانت المدينة مزدحمة حين وصلت القـــوات الـبلغاريّة، مـــع أن بعـــض اللاجئين غادر إلى مصر واسطمبول والأناضـــول[40]. كانـــت عصابات الكوميتاجي أول من وصل من البلغار، وقامـــت بأعمـــال نهب كما فعلت في مدن أخرى. لم يتوقف النهب حين وصـــل الجـــنود النظاميّون البلغار بقيادة الميجور زِتشِف (Zetchef). اشترك الجـــنود في عمليات النهب وتعذيب الأتراك وقتلهم، فقُتل منهم نحو (200) تـــركيّ خـــلال الأيام الأولى للاحتلال البلغاريّ. علّق القنصل البريطانيّ يَنغ (Young) على إحدى البلدات: «نُقل إليّ أنه من أصل (220) أُسرة في قرية صـــاري شـــعبان، قُتل (181) تركيّـــاً. جرى تقاسم النساء بين المُعتقِلين. المكان الآن مهجور. جرى تعيين حاكم بلغاريّ»[41].

قدّر العثمانيّون أن (7000) لاجئ مسلم قُتل في قوالة وحدها[42]. تبرهن الأحـــداث في قوالـــة على أن الحكومة البلغاريّة شريك في الجريمة، ولو أن الجـــنود النظاميّين البلغار لم يكونوا القتلة الرئيسين للمسلمين. لم تكن هناك محاولـــة لوضـــع حد لنهب الكوميتاجي في قوالة أو غيرها[43]. إما بسبب الـــتعاطف مـــع أعمال العصابات أو لأن هناك أوامرَ من قيادات، فالميجور زِتشِف وزملاؤه في كل البلقان كانوا مكتفين بمشاهدة إبادة المسلمين.

إستروجمة: هذه المدينة في شمال وسط مقدونيا، في منطقة تطالب فيها كلّ مـــن صـــربيا وبلغاريا. كانت محتلّة من البلغار أولاً ثمّ من الصرب. من بين الاثنين، كان الاحتلال الصربيّ أشدّ فتكًا بالسكان المسلمين. ومع ذلك، فإن معـــرفة أعمـــال البلغار الوحشية في أمكنة أخرى، تجعلِ المرء غير قادر على التعميم من حالة إستروجمة أن الصرب كانوا على نحو عام أسوأ من البلغار.

لم يكـــن هـــناك دفاع عن إستروجمة. كونها في نقطة متساوية البعد عن القوات الصربيّة والبلغاريّة واليونانيّة، من دون أمل في نجدة القوات العثمانيّة، استســـلمت إســـتروجمة على الفور لأول غزاة ظهروا على الساحة، البلغار،

الذين يبدو أنهم انشغلوا بالنهب فحسب. جرى استبدال قوات صربية سريعًا بهم قد كانت المدينة خُصّصت لها. خلال أسبوعين من شهر تشرين الثاني عام (1912 م) حُكم على أكثر من خمسمئة (المسجّل منهم 557) تركيّ بالموت بأمر من لجنة من الصرب واليونانيّين والبلغار شكّلتها السلطات لهذه الغاية. كتب القنصل لامب:

> كان يُعتقل بدفعات يوميّة في تلك المنطقة جميع الأتراك الذين راوحت أعمارهم بين (20–50) عامًا للمثول أمام اللجنة التي استجوبت كلّ واحد على حدة ثمّ قرّرت مصيرهم بالتصويت. إذا أعلن ستّة من أصل سبعة أعضاء أن "المتّهم" رجل طيب، أُطلق سراحه بعد تجريده من كلّ ما صادف أن كان يحمله من مقتنيات قيّمة، وإلاّ اقتيد إلى السجن. بعد يوم أو يومين من الحبس، جُرّد الأسرى أولاً من ملابسهم إلاّ القمصان الداخلية، ثمّ اقتيدوا إلى المسالخ في ضواحي المدينة تحت تهديد الحراب، وأخيرًا قُتلوا إما بإطلاق النار وإما الطعن بالحراب. كان من بين الضحايا عدد من الجنود [ربما من الجنود الاحتياطيّين] الذين ألقوا سلاحهم، ولاجئون من رادويشتة (Radovishta) وعثمانيّة (Osmanie) الذين فرّوا أمام العدو المتقدّم. كان يتصف كثير من هؤلاء بسمعة ممتازة في السابق...مثّل جلاّدو الضحايا بوحشية بكثير منهم قبل موتهم أو بعده[44].

إضافة إلى عمليات القتل في إستروجة نفسها، قُتل بحسب التقديرات (150) تركيًّا على أيدي عصابات صربيّة في القرى النائية لمنطقة إستروجة. إن المثير للاهتمام على نحو خاص أن القتلة كانوا «عصابات تشاكوف (Tchakoff) والحجي مانوف (Hadji Manoff) التي عهد إليها ضبط أمن المنطقة[45].

كأيّ مكان آخر، كانت السلطات الجديدة في إستروجة منهمكة بشدة في نهب ممتلكات المسلمين. أرسل الحاكم الصربيّ للمدينة شخصيًّا ثمانين حِمل كارة من بضائع مسروقة إلى بلغراد[46].

سِرّيس: استسلم المسلمون في هذه المدينة التي في جنوبي مقدونيا بين سالونيجة ودرامة، من جديد للبلغار من دون مقاومة. ومرة أخرى لم يفعل الجنود النظاميّون شيئًا لوقف نهب المسلمين وقتلهم. تُدرج المصادر التركيّة واليونانيّة أعدادًا كبيرة من القتلى في مجازر سِرّيس (600–5000)[47]. ربما يكون تقرير القنصل البريطانيّ التالي أكثر دقّة:

> **سرّيس: وقّع زعماء الأحياء المسيحيّة والمسلمة هنا، قبل دخول البلغار إلى المدينة، ميثاق حماية ودعم متبادلَين. مع اقتراب البلغار، استسلمت المدينة لعصبة بقيادة تشيتنيك تزانكوف (Tchetnik Tzankoff) المتصرّف، إضافة إلى قائمي مقام عدة أقضية تابعة ووجهاء المدينة، ولجؤوا مع أسرهم إلى مكان إقامة رئيس الأساقفة اليونانيّ. باشر اللصوص عملهم على الفور بنهب الأحياء المسلمة، مفرّغين في الواقع البيوت الأفضل حالاً من محتوياتها ومرتكبين أعمال عنف ضد النساء والفتيات. أخفق وصول القوات النظامية في تغيير الوضع، وبعد أيام قليلة (16 تشرين الثاني) وفّرت عدة طلقات نارية أطلقها 'عميل محرِّض' الذريعة المطلوبة لمجزرة شاملة ضد الأتراك، والتي كانت ستُنفَّذ بالتأكيد لولا التدخل الفوريّ للمونسينيَر أبوستولوس (Monsignor Apostolos) المطران اليونانيّ الذي ركب على الفور إلى مركز القيادة البلغاريّ ودافع عن التعهد المتبادل الذي أُشير إليه آنفًا. في غضون ذلك، خلال ساعتين، قُتل ما بين (150–200) تركيّ ونُهب كلّ بيت أو متجر مسلم تقريبًا[48].**

تُعزّز أحداث سِرّيس الانطباعات المستنتجة من المدن المحتلّة الأخرى. النمط واضح: يرحل الجيش العثمانيّ، تستسلم المدن بسلام للكوميتاجي، تقوم هذه بنهب المسلمين وقتلهم. كان الجيش النظاميّ يصل في النهاية، لكن ذلك كان لا يؤثّر كثيرًا في عمليات القتل والاغتصاب والنهب الجارية. ما تميّزت به سِرّيس هو أن المدينة كانت لحسن الحظّ تمتلك مطرانًا يونانيًّا ذا شجاعة وشرف. قدّم تاريخ حروب البلقان أكثر ما ينبغي كهنة

وأساقفة كان دين أو عرق العدو المختلف عندهم إبراءً من الفضيلة المسيحيّة. كان مطران سِرِّيس اليونانيّ مثلاً يُحتذى لمن يمكن أن يقال عنه بجدارة رجل دين.

عانى سكان سرّيس التعساء إلى حد بعيد الحمّى التيفيّة والمجاعة اللتين صاحبتا الاجتياح أيضًا. قدّرت الحكومة العثمانيّة أن نحو (1700–2000) ماتوا من العلّتين[49].

ددة أغاج (Dedeağc): كان الوضع في هذه المدينة مشابهًا للوضع في سرّيس: استسلام من دون مقاومة للكوميتاجي البلغاريّة، تلاه نهب وقتل. ربما قُتل (3000) من المقيمين واللاجئين المسلمين. استُخدم الديناميت لتدمير بيوت المسلمين ومساجدهم. كان الأسقف اليونانيّ جديرًا بالذكر لحمايته أيّا من المسلمين بقدر استطاعته، في حين انضمّ المواطنون اليونانيّون إلى البلغار في نهب المسلمين[50].

5/ 1/ 2] النهب والتدمير

كان الهدف الواضح للذين قتلوا مسلمين وأجبروهم على الهجرة الجماعية "نزع الطابَع التركيّ" عن البلقان. مدفوعين بأفكار قومية مستوعَبة جزئيًّا من ناحية، وبالرغبة في الاستيلاء على أراضي المسلمين وممتلكاتهم من ناحية ثانية، اتّبع مسيحيّو البلقان سياسات تضمن أن اللاجئين المسلمين لن يعودوا وأن الذين لم يرحلوا بعد لا بدّ من أن يُقدموا على ذلك عاجلاً أم آجلاً. كان من أنجح هذه السياسات تدمير بيوت المسلمين وسرقة مواشيهم وطعامهم، سيضطرّ المسلمون المقيمون في القرى إلى الرحيل بحثًا عن الطعام والمأوى ما دامت بيوتهم دُمّرت ومواشيهم سُرقت، حتى ولو بقوا أنفسهم على قيد الحياة. كانت [عصابات] الكوميتاجي والقوات النظامية العسكرية على السواء وسائلَ تدمير. حتى في غمرة الفتح السريع، توقف بعض الجيوش

المسيحيّة مؤقّتًا لتدمير كلّ قرية مسلمة في الجوار؛ في أحوال كثيرة، تُرك التدمير للقوات غير النظامية التي رافقت الجيوش. متحدثًا عن الجيش البلغاريّ، علّق نائب القنصل البريطانيّ في قوالة، «مسار الجيش الغازي موسوم بثمانين ميلاً من القرى المدمّرة»[51].

ألبانيا: يبدو أن جنود الجبل الأسود الذين اجتاحوا ألبانيا دمّروا كلّ شيء في طريقهم. دُمرت القرى الكاثوليكيّة والمسلمة على السواء[52]. قطعوا أشجارًا على مسار زحفهم إلى حد لم يجد اللاجئون الذين عادوا بعد انسحابهم في نهاية الأمر خشبًا يضعونه على أسطح ما تبقّى من بيوت قليلة[53]. منطقة واسعة من ألبانيا «غزاها ودمّرها الصرب وجنود الجبل الأسود في الوقت نفسه تقريبًا»[54]. لم يترك عبور الجيوش فعلاً شيئًا يُذكر للناجين. بات عشرات الآلاف لاجئين في أسكودار ومدن أخرى. كثير من أولئك الذين بقوا على قيد الحياة، نجوا من موت المجازر فقط ليموتوا موت المجاعة البطيء والأشد قسوة[55]. حتى ولو كان باستطاعة المسلمين الألبان العودة إلى بيوتهم بسلام، لما كانوا وجدوا سطوحًا أو جدرانًا تمنع عنهم البرد، ولما وجدوا طعامًا يأكلونه أو بزورًا يزرعونها ليحصدوا محاصيلها في المستقبل.

لأن ألبانيا كانت نائية كثيرًا عن وسائل الاتصالات بالعالم الخارجي ولأن المراقبين الأجانب كانوا قلّة، فإن المعلومات عن مسلمي ألبانيا شحيحة. يشير ما توافر من أدلّة إلى أن الغزاة اليونانيّين في جنوبي ألبانيا عاملوا المسلمين الألبان بإنسانية أفضل بكثير مما فعله الصرب وجنود الجبل الأسود في الشمال والغرب[56]. ومع ذلك، أحرق اليونانيّون القرى المسلمة ونهبوها، وطردوا المسلمين من ديارهم في المدن لإفساح المجال أمام الجنود اليونانيّين، وسجنوا أو أبعدوا وجهاء مسلمين محلّيين عن الأراضي المحتلّة[57]. قدّم مراقبون في اللجنة الأوروبّية للمراقبة (the European Commission of Control) التي أُرسلت إلى ألبانيا لمراقبة الأحداث هناك، تقريرًا عن حالات من القتل جملة

للمدنـــيّين المسلمين[58]. كانت هناك ادّعاءات عديدة من مسلمين محليّين عن مجازر ارتكبها اليونانيّون بحقّ القرويّين، لكن هذه الادّعاءات لم يعزّزها شهود حياديّون[59].

جمعـــت اللجنة الأوربّية للمراقبة التي أُرسلت إلى ألبانيا لمراقبة الأحداث هـــناك والإشـــراف على إنشاء دولة ألبانيّة جديدة، معلومات عن تأثيرات حروب البلقان في المسلمين الألبان. في أحد التقارير، أدرج الممثّل البريطانيّ لامـــب قائمة بخسائر المسلمين في (102) قريتين في «المناطق الشرقية لألبانيا (ليوما Liuma والدبرتَين the two Debres)» تضمّنت (2044) قتيلاً و(2800) بيت محروق و(25,000) حيوان سرق. تضمّنت الإحصائيات التي توصّل إليها الكولونـــيل الإيطـــاليّ موريتشيو (Muricchio) خلال جولتين من التفتيش، الأغـــنام التي نقلتها القوات الصربية بعيدًا عن القرى فعلاً. كان أكثر الماشية في ســـهول مقدونيا حيث أخذها رعاها خلال فصل الشتاء، وحيث جرى قتلهم والاستيلاء على أغنامهم. قدّر لامب أن المسلمين فقدوا إذًا (700,000) خروف، ما فرض المجاعة عليهم[60].

مناستر: يقدّم إقليم مناستر مثالاً جيّدًا لطبيعة التدمير الذي أصاب القرى المســـلمة في كل أنحاء البلقان. كان مقدار مسلمي إقليم مناستر أعلى بقليل مـــن (40%) من عدد السكان الإجماليّ، وكانوا يشكّلون أكبر جماعة دينية مـــنفردة. ومـــع ذلك، قُتل أكثر مسلمي مناستر أو اضطرّوا إلى الفرار حين اجتاح الصرب والبلغار الإقليم[61]:

> **[القنصـــل البريطانيّ غريغ (Greig) في مناستر]: سبّبت الحرب محنة كـــبيرة في منطقة مناستر. يُظن أن نحو ثمانين بالمئة من القرى المأهولة بســـكان مسلمين حصرًا، والأحياء المسلمة في قرى مختلطة السكان، جـــرى نهـــبها وتدميرهـــا جزئيّـــا أو كليًّا، في أرجاء أقضية مناستر وقرجوة (Kirçova) وفلورينة (Florina) وسرفيجة (Serfidjé) وقيالر (Kailar) وقوزانـــة (Kozhani) والأصـــونية (Elassona) وكرةبـــنة**

(Grevena) وناسـليج (Naselitch) وكسرية (Kastoria). روي عن محـنة كـبيرة أيضًا بين المسيحيّين والمسلمين على السواء في مناطق كوريجة (Gorcha) ودبرة.

ربمـا يُظهـر تحقيق لاحق أن القوات غير النظامية الملحقة بالجيوش المقاتلة وفصائل المغيرين من القرى المسيحيّة المجاورة مسؤولة على نحو رئيس عن أعمال التدمير.

لم يكن التدمير مقتصرًا على القرى المسلمة. ففي قضاء فلورينة، عانى السكان المسيحيّون بشدة، خصوصًا في محيط سورويج (Sorovitch) وبانيتسا (Banitsa) وأكسيسو (Eksisou). لكن القرى التي نجت في كـلّ مكـان، بقدر ما هو معلوم حتى الآن، كانت قادرة على إيواء جميع اللاجئين [المسيحيّين]. لم يُسمع عن مواجهة القرويّين المسيحيّين في أيّ مكـان لخطـر المجاعة. في الحقيقة، ازدادوا غِنى في كثير من الحالات من خلال نهبهم جيرانهم المسلمين[62].

كـان هذا يعني من الناحية العملية أنه لم يكن للاجئين المسلمين مكان يذهـبون إليه. كانت المساعدات للاجئين المسلمين في مناستر ومدن أخرى محـدودة جدًا، وكان مستحيلاً على المسلمين أن يعيشوا في قراهم السابقة، حيث كانت غير ملائمة للسكن. كان الأمر يتطلّب جهدًا من الحكومة الصـربيّة لـتزويد اللاجـئين بالبزور والأدوات الزراعية والحيوانات حيث يسـتطيعون مباشرة الزراعة في قراهم من جديد. ولكن جهدًا كهذا لم يكن وشـيكًا. كتب القنصل غريغ أن المحاصيل (وأهمها بزور الزراعة) والمواشي وحتى السقوف الخشبية جرى سلبها من المسلمين. لم تُقدّم الحكومة الصربيّة أي مساعدة لهم لكنها أصرّت على جباية كل ضرائبهم[63].

من الصعب القول إذا كانت للحكومة الصربيّة خطة رئيس حكمت نهب بـيوت المسـلمين وقراهم وتدميرها. ربما تكفي كراهية المسلمين والجشع الصـرف لأن يكونـا الدافع لذلك. طُرد المسلمون فعلاً من الأراضي التي كانت تحت السيطرة الصربيّة- طُردوا غربًا إلى ألبانيا وجنوبًا إلى منطقة بحر

إيجه[64]. نهبت القوات النظامية الصربيّة وعصابات الكوميتاجي على السواء قرى المسلمين وبلداتهم في شمالي مقدونيا وألبانيا ودمرتها. في منطقة قرجوة-كرشوفو (Krushovo) في إقليم مناستر، نُهبت (19) من أصل (36) قرية مسلمة ودُمّرت جزئيًا أو كليًّا. جرى ابتزاز مبالغَ كبيرة من المال من مسلمين أغنياء نجوا من «مجزرة وحشية للرجال والنساء والأطفال على أيدي فصائل من [عصابات] الكوميتاجي منظمة على نحو رسمي»[65]. جُرّد الفلاحون الأفقر من الحبوب والبزور والحيوانات وكلّ شيء آخر كانوا يمتلكونه. دُمّر (600) بيت في المنطقة كما قُتل (503) من الرجال و(27) امرأةً و(25) طفلاً. كان الذين بقوا على قيد الحياة لاجئين في مدينة قرجوة أو أولئك الذين ما زالوا في قراهم «يموتون جوعًا بين الأنقاض»[66].

استُخدمت الضرائب في المناطق التي تخضع للاحتلال الصربيّ سلاحًا ضد المسلمين أيضًا. إضافة إلى كل أنواع المصادرات غير المشروعة، خضع الفلاحون المسلمون للضرائب العثمانيّة القديمة وبعض الضرائب الجديدة[67]. ما كان ذلك بالضرورة جائرًا، لو لم تُفرض الضرائب على أرض لا تُنتج شيئًا. على سبيل المثال، حاول الموظّفون الصرب في منطقة مناستر جمع ضرائب من اللاجئين على مزارع طُرد اللاجئون منها أصلاً ولا يجنون منها طبعًا أي محاصيل[68]. لدى كثيرين، كان السبيل الوحيد للتملّص من هذه الضرائب هو الهجرة.

الإخضاعات البلغاريّة: بعد أن سيطر البلغار على قوالة، أصدروا تعليمات بأن على الفلاحين المسلمين العودة إلى أراضيهم (بعيدًا عن أعين الأورُبيّين الغربيّين) تحت طائلة العقوبة بالجلد لو بقوا في المدينة. عاد الفلاحون إلى بيوتهم في الجبال جنوب الحدود البلغاريّة القديمة؛ لكنهم حين وصلوا لم يجدوا شيئًا: «فرّ أكثر السكان أمام القوات البلغاريّة الزاحفة منذ بداية الحرب، ولدى عودتهم إلى قراهم بعد ذلك، وجدوا قراهم محروقة،

وقطعانهم منقولة بعيدًا، ووسائل معيشتهم غير موجودة»[69]. مدركة مأزق اللاجئين العائدين، حاولت وكالات الغوث الأجنبية تقديم المساعدة لهم. رفضت السلطات البلغاريّة السماح لها بتقديم المعونة[70].

دمّر البلغار مناطق قرى تركيّة كاملة. بخصوص مقدونيا، كتب القنصل لامب في سالونيجة أن البلغار دمّروا الأحياء المسلمة في مدينة ملنيك (Melnik) ونهبوا أكثر القرى المسلمة في المنطقة، تمامًا كما فعلوا في رادويشتة[71]. كانت الأعمال البلغاريّة مماثلة إلى الأبعد شرقًا، في ثراقيا: «باستثناء المناطق بين نهر ماريتزا (Maritza) وطريق أوزنقبرو-كشان (Uzunkeupru-Keshan) دُمّرت عمليًّا كل القرى المسلمة غربي خطوط جتالجة في أثناء الحرب الحديثة بين تركيا والحلفاء»[72].

المدن: من المألوف أن المدن كانت عرضة للنهب أيضًا، لكن النهب في المدن كان شائعًا أكثر من التخريب الصريح. ليس من المعقول لدى القوى المحتلّة المسيحيّة أن تكون سمحت بتدمير مدن كبرى مثل سالونيجة وأدرنة باتت مدنها. لكنها مع ذلك أتاحت، وحتى رعت، سرقة المسلمين. نهب جنود ومدنيّون يونانيّون سالونيجة أسابيع بعد الاستيلاء عليها[73]. أحرق اليونانيّون أيضًا الأحياء التركيّة والغجريّة لمدينة ددة أغاج قبل تسليمها إلى البلغار بموجب اتّفاقية في حرب البلقان الأولى. نقل الجيش أملاك المسلمين والبلغار المنقولة إلى اليونان[74]. ذُكر هذا النهب من اليونانيّين والبلغار والصرب للمدن المحتلّة آنفًا. كان ذلك صبغة ثابتة في فتح كلّ مدينة بلقانيّة.

كانت المجاعة حصيلة تدمير بيوت المسلمين وسرقة محاصيلهم وحيوانات مزارعهم. سُرقت المحاصيل التي كانت ستُطعم الفلاحين خلال فصل الشتاء. حتى ولو بقوا على قيد الحياة بعد فصل الشتاء، فلن يجدوا بزورًا يزرعونها لموسم حصاد السنة القادمة، لأنها هي الأخرى سُرقت أو أُكلت. حتى ولو كانت البزور متوافرة، فإن الحيوانات التي ستحرث الأرض لم تكن متوافرة.

لهـــذه الأســـباب، كانـــت هناك مجاعة واسعة في عام (1913 م) في أقاليم كوسوفو ومناستر وغيرها[75].

5/ 1/ 3] الردة القسرية إلى المسيحيّة

نفّـــذ البلغار في أثناء حروب البلقان سياسة انتقائية بتحويل أولئك الذين قهـــروهم إلى الكنيسة الأرثوذكسيّة البلغاريّة قسرًا. كان ذلك يستلزم برأي المسيحيّين الأرثوذكس اليونانيّين تحوّلاً من العقيدة الأرثوذكسيّة اليونانيّة إلى العقيدة البلغاريّة وتغييرًا في الولاء الكنسيّ من الأساقفة اليونانيّين إلى البلغار. وازى ذلك تحويل قسريّ مماثل للمسيحيّين البلغار إلى العقيدة الأرثوذكسيّة اليونانـــيّة في الأراضي التي فتحها اليونانيّون والصرب[76]. في كل الأراضي المقهـــورة، كـــان هناك مسيحيّون خسروا مواقعهم الكنسيّة وأحيانًا حياتهم لرفضـــهم الإقرار بالطائفة المهيمنة[77]. على أي حال، جرى تحقيق التحويل عمومًـــا بســـهولة ومن دون إراقة للدماء تقريبًا. كثيرًا ما كان الأرثوذكس اليونانيّون في مقدونيا مسيحيّين ناطقين باللغة السلافيّة (Slavophone) الذين وجـــدوا، مـــع أنهم ربما لم يستسيغوا الالتحاق بالكنيسة البلغاريّة، التحوّل عملية سهلة لاهوتيّـــا. كانت الاختلافات المذهبيّة بين الكنيستَين طفيفة[78]. لكـــن الصعوبة الحقيقية على الصابئ كانت تكمن في حقيقة أنه بقبوله هوية دينـــية جديـــدة كان يتقبّل هوية عرقية وقومية جديدة أيضًا. كان المفهوم العثمانيّ للمِلل المُعرَّفة دينيّـــا قويّـــا في عقول مسيحيّي الدول الوارثة.

كانت عملية الردة القسرية عند المسلمين أكثر صعوبة بكثير. تبرّأ المسلم المرتد قسرًا من أسلافه ومن عاداته ومن هويّته العرقية ومن أُسرته ومن دينه أيضًـــا. كان القبول بالمعمودية بالنسبة إلى المسلم المؤمن يعني القبول باللعنة الأبديـــة[79]. لذلـــك، كانت مسألة ردة المسلمين مسألة إكراه. وكما فعل المســـلمون واليهود في إسبانيا في القرن الخامس عشر، ذهب مسلمو البلقان إلى أبعد الحدود لتجنّب إمكانية الردة القسرية. كان ردّ فعلهم الأوليّ الهروب

طبعًا، لكن المسلمين الذين علقوا خلف الخطوط البلغاريّة قد يُجبرون على أن يختاروا الردة أو الموت.

حاول البلغار تنصير كثيرين من المسلمين الأتراك عنوةً. على سبيل المثال، في منطقة أسكي قوالة (Eski Kavalla) أدّى الردة القسرية إلى هجرة جماعية عامة لأتراك المنطقة إلى قوالة[80]، وفي العثمانيّة، قُتل الأتراك باستثناء الذين ارتدوا[81]. اختار البلغار بوماك جبال الرهودوبة على نحو خاص لإجبارهم على الارتداد. كان البوماك مسلمين ناطقين باللغة السلافيّة اعتنقوا الإسلام منذ قرون خلت، لكنهم احتفظوا بالعديد من العادات المماثلة لعادات جيرانهم البلغار. كانوا مرشّحين للارتداد على نحو واضح، إذ كان الإسلام هو العامل الوحيد الذي حال دون امتصاصهم في الأمّة البلغاريّة. جرى إيفاد كهنة أرثوذكس بلغار إلى قرى البوماك، يرافقهم جنود مسلحون وأفراد من الكوميتاجي، «لإكراه السكان البوماك على اعتناق المسيحيّة»[82]. فيما يلي مثال عن لأساليب التحويل:

> **شُكّلت لجنة خاصة في برةشوة (Pechtchévo) (نجْد ملاطية Malèche plateau) برئاسة الحاكم البلغاريّ المساعد، تشاتوييف (Chatoyev) وعضوية جون إنغيليسوف (John Ingilisov) مدير المدارس البلغاريّة والقسّ تشاتوييف، شقيق الحاكم المساعد، من ضمن الأعضاء الآخرين. جرى تأسيس هذه اللجنة لتحويل جميع أتراك ملاطية إلى المسيحيّة. بأوامر من اللجنة، جرى تسليح (400) قرويّ من المنطقة بالبنادق والعصي؛ هاجم هؤلاء أتراك القرى المجاورة وقادوهم عنوةً إلى الكنيسة في وروة (Verovo) حيث جرى تعميدهم جميعًا[83].**

وفيما يلي مثال آخر:

> **جرى صفّ المسلمين في مجموعات. أُطلق على كلّ مجموعة اسم معموديّ، عمومًا، اسم مبجّل في الكنيسة البلغاريّة أو في التاريخ البلغاريّ. تنقّل بعد ذلك إكسرخس [ربما قسّيس] من مجموعة إلى أخرى آخذًا متنصّريه على انفراد على نحو منقطع النظير؛ فبينما كان**

ينثر الماء المقدّس على جبهته بيد، كان يُجبره بالثانية على أن يقضم نقانقَ. كان الماء المقدّس بمنزلة التعميد، والنقانق بمنزلة التخلّي عن العقيدة الإسلامية، لأن القرآن يحرّم أكل لحم الخنزير. كان يتمّم التحويل بإصدار شهادة مزخرفة بصورة تعميد المسيح، بسعرٍ راوح بين (1 و3) فرنكات. أخبرني صديق وصل اليوم من ثراقيا أن ما يجري في مقدونيا يجري هنا أيضًا. أطلعني على شهادتيْ تعميد، وأضاف أن على المتنصّرين أن يتخلّوا عن طرابيشهم، وعلى المتنصّرات أن يمشين في الشوارع من دون غطاء للوجه»[84].

لم يكن نجاح هذه التنصيرات/الارتدادات القسريّة على المدى الطويل كبيرًا، بسبب التأصّل في دين البوماك والأتراك[85]. لا تزال ذُريّة المسلمين الذين نجوا من أهوال عامي (1912–1913 م) تُشكّل أقليّة مسلمة في وطنها حتى اليوم[86].

5/ 1/ 4] معاناة المسيحيّين

لم يكن المسلمون الوحيدين الذين عانوا في حروب البلقان بأي حال. في كتاب مُسخّر لوصف خسائر المسلمين، من المألوف أن يجري وصف مكابدات المسلمين هنا بالتفصيل. لكن البلغار واليونانيّين، وبدرجة أقلّ آخرين، كانوا أيضًا ضحايا أعمال وحشية. جرى أكثر تلك الأعمال الوحشية في حرب البلقان الثانية، حين هاجم الحلفاء المسيحيّون السابقون بعضهم. جرى سرد مجازر البلغار لليونانيّين في سرّيس وتيمور حصار ودوكسات ومدن أخرى بإسهاب في موضع آخر[87]، تمامًا كما سُردت مجازر اليونانيّين للبلغار في كوكش (Kukuş) وقرى بلغاريّة عديدة[88]. بطريقة مماثلة، هاجم كلّ من البلغار والصرب السكان المدنيّين إلى أقصى حد في حرب البلقان الثانية. توسّعت الكراهية العرقية الموجهة حديثًا ضد الأتراك لتشمل البلغار واليونانيّين والصرب. إن توثيق الأعمال الوحشية بين الحلفاء السابقين واسع النطاق، لأن المراقبين الأوروبّيين الغربيّين كانوا في المقام الأول

مشـــدوهين بقتل المسيحيّ للمسيحيّ أكثر بكثير من قتل المسيحيّ للمسلم، لذلك سجّلوا مشاعرهم بإسهاب[89].

مـــع أنــــه جرى تسجيل حالات اعتداء منفرد من مسلمين على قرويّين مسيحيّين في بداية حرب البلقان الأولى، إلاّ أن هذه الحالات كانت معدودة. لـــيس معروفًا إذا قَتل جنود وقرويّون مسلمون مسيحيّين في الحرب الأولى، لأنــــه بســـهولة، لم يكن هناك وقت لذلك. لم تترك هزيمة القوات العثمانيّة السريعة مجالاً لأيّ شيء سوى الفرار. لم تظهر أعمال المسلمين الوحشية ضد المســـيحيّين[90] عـــلى نطاق واسع إلاّ في حرب البلقان الثانية، حين أُتيحت للأتراك فرصة للثأر.

> **مع اندلاع حرب البلقان الأولى، وقبل أن يبدؤوا الرحلة إلى المعركة، أودع ســـكان قرقة (Kirka) [قرية في شرقي ثراقيا] الذكور الأتراك ذوو البنـية القوية المسنّين والنساء والأطفال من سكان القرية أمانة لدى يونانيّي القرية الذين أقدموا على قتلهم جميعًا ما أن سمعوا بهزيمة الأتراك. حين دخل الأتراك ثراقيا من جديد، قتلوا جميع سكان القرية اليونانـــيّين ودمـــروها. كانت الجثث المتفحّمة لكثير من الضحايا لا تزال موجودة في الكنيسة الشهر الماضي[91].**

في الحرب الثانية، عامل الجنود واللاجئون العائدون العثمانيّون المسيحيّين في كـــل أنحاء شرقي ثراقيا، خصوصًا البلغار منهم، بمثل ما عومل به المسلمون[92]. دمّروا بعض القرى البلغاريّة ونهبوا أخرى[93]. على سبيل المثال، حين اجتاح الـــبلغار، دمّـــروا حيّ حفظة (Havza) التركيّ. عندما استولى الأتراك على الأرض مـــن جديـــد، دمّروا البيوت البلغاريّة في قرية بلغاريّة مجاورة تدميرًا كاملاً أخذًا بالثأر. قُتل مسيحيّون واغتُصبوا في تكفور (Tekirdağ) ومعلفرة (Malkara) ومـــدن أخـــرى: «كانت الحصيلة (19) جثة دُفنت في رودوستو (Rodosto) [تكفور] و(81) ضحية اختفت ويبدو أنهم قُتلوا في الحقول»[94]. أُغير على اللاجئين البلغار في أثناء فرارهم كما قُتل كثير منهم.

فرّ عدد كبير من اللاجئين اليونانيّين والبلغار من شرقي ثراقيا خلال حربيّ البلقان. حين استولى البلغار على المنطقة في بداية الأمر، رحل عدد معيّن من اليونانيّين إلى أراضٍ تحت السيطرة اليونانيّة في غربي ثراقيا ومقدونيا. فرّ عدد آخر من اليونانيّين في عام (1913 م) حين استردّ العثمانيّون شرقي ثراقيا. إجمالاً، نزح نحو [20,000] يونانيّ، [5%] تقريبًا من السكان اليونانيّين الذين كانوا يقيمون في إقليم أدرنة قبل الحرب[95]. كان مقدار الذين فرّوا من سكان الإقليم المسيحيّين البلغار أكبر. ربما غادر المنطقة التي استردّها العثمانيّون أكثر من [50,000] كانوا يشكّلون أكثر من نصف عدد السكان البلغار في المنطقة[96].

من بين الجماعتين المسيحيّتين، واجه البلغار المصير الأسوأ. كان لليونانيّين الذين غادروا شرقي ثراقيا أن يتوقّعوا العثور على أرض في مقدونيا اليونانيّة. نظرًا إلى انتصار اليونان في الحروب، كان كثير من أملاك المسلمين والبلغار الذين طُردوا متيسّرًا. أما بلغاريا بالمقابل، فقد خسرت في الحروب. كانت الأراضي المستولى عليها التي مُنحت لبلغاريا وفقًا لمعاهدة بوخارست التي وضعت حدًا لحرب البلقان الثانية، محدودة المساحة وجبلية في كثير من الأحيان، وكان على اللاجئين البلغار من شرقي ثراقيا أن يتنافسوا مع اللاجئين البلغار من أراضٍ احتلّتها صربيا واليونان. سجّلت الحكومة البلغاريّة رحيل أكثر من (100,000) لاجئ من جميع المناطق إلى بلغاريا[97].

5/ 1/ 5] اللاجئون المسلمون

سكان الريف جميعهم يفرّون جنوبًا، ليس فقط سكان المناطق التي استولى عليها البلغار أو المناطق التي تدور فيها المعارك الحقيقية. كل السكان[98].

في أثناء حرب البلقان الأولى، فرّ المسلمون بموجات كبيرة إلى ثلاث نقاط لتجمّع اللاجئين- ألبانيا ومدينتي سالونيجة وأدرنة. طردت القوات الصربيّة

المسلمين من أصل ألباني عنوةً من الإقليم العثمانيّ كوسوفو إلى ألبانيا، لينضمّوا إلى مسلمين آخرين فرّوا إلى أمام الجيوش[99]. فرّ أيضًا إلى ألبانيا بعض مسلمي إقليم يانية الذي استولت عليه اليونان. ومع ذلك، ظلّ عدد اللاجئين إلى ألبانيا قليلاً، أقلّ بكثير من الأعداد التي فرّت إلى أمكنة أخرى، لأنها كانت فقيرة إلى حدّ لا تستطيع معه دعم اللاجئين. كانت الأمكنة التي يستطيع اللاجئون إلى ألبانيا زيارتها للإسعاف محدودة. ربما نجا بعضهم وأصبحوا جزءًا من السكان المسلمين لدولة ألبانيا المبتورة. ولكن، نظرًا إلى الأوضاع السيّئة في ألبانيا على نحو عام، ربما هلك أكثر هؤلاء[100].

فرّ اللاجئون في ألبانيا، الذين بلغ عددهم (60,000) تقريبًا، من مناطق دبرة وقرجوة وكوريجة (Göriçe) في إقليم مناستر بعد محاولة غير مجدية لمقاومة الصرب. جاء آخرون من منطقة ياقوة (Yakova) (في إقليم كوسوفو) وهم لاجئون مرة ثانية من الصرب وسكان الجبل الأسود[101]. بحلول تشرين الثاني من عام (1918 م) كان هناك (9000) لاجئ مسلم في أسكودار وحدها[102] وربما (30,000–40,000) في منطقة أيلبصان[103] (Elbessan). كان كثيرون منهم في الجبال، عادة من دون طعام، ولا بدّ أن أكثرهم لاقى حتفه. يبدو أن اللاجئين كانوا يخشون جنود الجبل الأسود على نحو خاص، إذ أحرق هؤلاء كلّ قرية مسلمة كانت في متناول أيديهم، سواء واجهوا مقاومة أو لم يواجهوها [104].

كان اللاجئون في سالونيجة أحسن حالاً من أولئك في ألبانيا. أصبحت سالونيجة محطةً للاجئين المسلمين من مناطق استولت عليها القوى المسيحيّة الثلاث- مسلمي أقاليم كوسوفو ومناستر وسلانيك. لم يكن في سالونيجة برامج معونة منظّمة للاجئين الأتراك، وقضى المرض والمجاعة على كثير منهم، لكن جماعات مثل لجنة سالونيجة الإسلاميّة (Salonica Islamic Committee) اتّخذت الإجراءات الضرورية لنقل كثيرين على متن السفن إلى الأناضول.

بُعيد الحروب، نظّمت الحكومة اليونانيّة قوافلَ للاجئين المتبقّين لنقلهم إلى أراضٍ عثمانيّة[105].

فرّ اللاجئون من المنطقة التي جنوب الحدود البلغاريّة القديمة، من نورة قوب (Nevrekob) وروبجوز (Rubçuz) ورازلق (Razlog) وكذلك من مناطق درامة وبراوشتة وقوالة، إلى مدينة قوالة عند اندلاع الحرب فورًا. بحلول تشرين الثاني من عام (1913 م) تجمّع في قوالة نحو (10,000) لاجئ. نُقل بعض هؤلاء بالقوارب. نظّم خُديْويّ مصر مرور (5000) لاجئ إلى مصر على متن مركبه الخاص. مع وصول لاجئين جدد، بدأ نقل هؤلاء تدريجيًّا على متن السفن إلى اسطمبول وإزمير، ربما (15,000) إجمالاً[106].

هوجم اللاجئون المسلمون على الطرق في أثناء فرارهم. وبسبب الانهيار السريع للجيوش العثمانيّة، لم يجد اللاجئون الوقت الكافي للوصول إلى أمكنة آمنة تقريبًا قبل أن تتغلّب عليهم القوات البلغاريّة واليونانيّة. حتى ولو لم تتمكّن القوات النظامية من الوصول إلى اللاجئين، كان هناك دائمًا خطر كبير من مجموعات الكوميتاجي البلغاريّة. قامت فرق الكوميتاجي بعملياتها خلف خطوط العثمانيّين، فإذا ما تفكّكت القوات العثمانيّة أو استسلمت، تقدّمت هذه الفرق على الجيوش النظامية في الوصول إلى القرى التركيّة وتجمّعات اللاجئين، فصادرت أو انتزعت من اللاجئين كلّ ما أمكن، واعتدت على اللاجئين جسديًّا واغتصبت وفي كثير من الأحيان قتلت بعض اللاجئين أو جميعهم. «من أصل نحو (1500) مسلم حاولوا الفرار إلى قوالة [من درامة]، يُظن أن نصف هؤلاء فقط استطاعوا الوصول إلى المكان المذكور. قيل إن الطريق بعد ذلك ظلّت مغطاة بكثافة بجثث غير مدفونة مدة (8–10) أيام»[107].

كان المرض سببًا رئيسًا للوفيات بين اللاجئين. إضافة إلى حالات التيفوس والحمّى التيفيّة المتوقّعة التي أهلكت لاجئي حروب البلقان، تمامًا

كما فعلت بلاجئي الحروب السابقة، ظهرت الكوليرا في مخيّمات اللاجئين خارج اسطميول. قام العثمانيّون ووكالات الغوث الغربيّة بمحاولات لمساعدة الضحايا، لكن، مرة أخرى، جعلت هزيمة العثمانيّين السريعة ترتيب إجراءات الغوث صعبًا[108].

لم يكن توقّف القتال يعني الأمان للاجئين المسلمين. كانوا ممزّقين بين الهجرة إلى أرض مجهولة، لكنها تخضع لحكم مسلم، أو انتظار الفرصة الملائمة للعودة إلى قراهم التي تخضع الآن لحكم مسيحيّ. اختار كثيرون الأخير. كانت الأراضي التي تمنّوا أن يحتفظوا بها ملكًا لأُسرهم قرونًا. علاوة على ذلك، لم تكن تجاربهم كونهم لاجئين تجعلهم يرغبون في البقاء في وضع اللاجئ، لذلك، كان النزوح إلى الأناضول أو أيّ مكان آخر، حيث لا وجود لأرض أو تاريخ لهم، إنما يعني تعهّدًا بحياة متواصلة وهم لاجئون. في مواجهة النزوح إلى أرض مجهولة، لا بدّ من أن احتمال عودتهم إلى بيوتهم كان له جاذبية كبيرة. مع معرفتهم المريرة بكراهية جيرانهم، وبخطر الكوميتاجي وبعداء الحكومات الجديدة، فإن كثيرًا من اللاجئين المسلمين لا بدّ من أن يكونوا قالوا لأنفسهم: إن كلّ شيء سيكون على ما يرام لو استطاعوا بطريقة ما العودة إلى وطنهم. إن لفكرة الوطن سحرًا قويًّا على جميع الناس.

في كثير من الأحيان طبعًا، لم يكن أمام اللاجئين إلاّ خيار الفرار مجدّدًا. غير قادرين على الفرار إلى ما تبقّى من الإمبراطورية العثمانيّة، ومُكرهين من المنتصرين على الرحيل عن ملاجئهم، لم يكن أمامهم من خيار إلاّ محاولة العودة إلى الوطن:

> **أذاع منادو البلدة أن على جميع اللاجئين من الريف المحيط الذين تجمّعوا في المدينة [سرّيس] العودة إلى قراهم بحريّة. شرع عدد كبير من أتراك منطقة ملنيك بناءً على ذلك بالعودة، ولكن، ما إن وصلوا**

قــرب بتريج (Petrich) حتى بدؤوا يكتشفون أن قراهم في غضون ذلــك كانـــت تُدمّر كما رُوي آنفًا. لذلك، توقّفوا في مدينة بتريج، حيث هاجمهم البلغار من 4 إلى 17 تشرين الثاني وقتلوا أكثر من مئتين مـــنهم. قـــيل إن (1200)(؟) قُتلوا أيضًا في أورمن جفليك (Orman Tchiftlik) عـــلى ضفاف سترومة قرصو (Strouma Karasou) حيث أُلقـــي بأكثر جثثهم. قُتل أيضًا (150) في قرية جورشوة (Gjurgjevo) كمـــا سَـــلب القرويّون البلغار في المناطق المجاورة (1200) رأسٍ من الماشية و(13,000) ماعز من القرية. جرى تنصير ستّ نساء عنوةً. ما بـــين 20 تشـــرين الـــثاني و2 كانون الأول، دعا منادي البلدة جميع المســـلمين الذين لا يزالون في بتريج إلى الاجتماع في حضرة الحاكم المساعد. بناءً على ذلك، بلغ عدد الذين حضروا (364) حيث أُرسل هؤلاء إلى الثكنة يرافقهم جنود بحراب مثبّتة. أُعدم على الفور (160) مـــنهم، واستُبقي على الباقين مؤقّتًا، ولكن بعد بضعة أيام، أُعدم مئة من هؤلاء أيضًا.

أمـــا قرويّو قطونزة (Katountza) الذين عادوا في الحقيقة إلى قريتهم وفقًـــا لجواز المرور بأمان الصادر من سلطات سرّيس، فإنّهم واجهوا أولاً النهـــب ما تبقّى معهم على قلّته، ثمّ قُتلوا على أيدي زمرة من (15) جـــنديّـــا غير نظاميّ بعد أن استقرّوا في بيوتهم ثلاثة أو أربعة أيام[109].

كانـــت هناك حوادث مماثلة في أمكنة أخرى. على سبيل المثال، كانت أرتـــال من اللاجئين المسلمين من إستروبجة ورادويشتة في حالة فرار باتّجاه سالونيجة حين باغتهم جنود بلغار. ولأن فرصهم محدودة، استدار اللاجئون حيـــث كانوا وصلوا إلى قترين (Kostorino) في منتصف الطريق بين طويران وإستروبجة، لكن البلغار المحلّيين أقدموا على مهاجمتهم، حيث أُعلن عن مقتل [800] منهم، بينما مات (400) بسبب البرد والمجاعة[110].

لم يفـــر جميع اللاجئين من المناطق المحتلّة في أثناء الحروب. استطاع عدد معـــيّن من المسلمين في مناطق مثل إستروبجة وملنيك أن ينجوا من عمليات

النهـــب الأوليّة للقوات البلغاريّة واليونانيّة المحتلّة. ومع أن اليونانيّين استولوا عـــلى المنطقة في نهاية الحروب، إلاّ أن شروط معاهدة بوخارست وضعت تلك المنطقة تحت السيطرة البلغاريّة. عمل اليونانيّون على ألا يجد البلغار بعد مغادرتهم إلاّ أرضًا قاحلة وذلك بالتخلّص من السكان وتدمير أكثر البيوت[111].

في إســـتروبجة والقرى المجاورة، روّج الموظّفون اليونانيّون شائعة مفادها أن الـــبلغار سيقتلون جميع المسلمين واليونانيّين إذا ما بقوا؛ نظرًا إلى الأحداث السابقة، كان ذلك تهديدًا معقولاً. علاوة على ذلك، أُخبر هؤلاء بأن بيوتهم ســـيحرقها الجـــيش الـــيونانيّ في أثناء انسحابه. أُجبر الذين مع ذلك رغبوا بالـــبقاء، أكـــثرهم من المسلمين واليهود، على الرحيل تحت تهديد الخراب. أحـــرق الجنود اليونانيّون المنازل التي أخلاها اللاجئون من (21–23 آب عام 1913 م). في محاولـــة مـــنهما لاســـتمالة الرأي الأورُبيّ، أعلنت الصحافة والحكومـــة اليونانيّـــتّان أن اللاجئين أحرقوا بيوتهم «بأيديهم» مفضّلين ذلك عـــلى الـــبقاء تحت الحكم البلغاريّ. مُنح اللاجئون اليونانيّون من إستروبجة بيوت البلغار والمسلمين الذين طُردوا (أو ماتوا) ومزارعهم في منطقة كوكش (Kukush) التي استولت عليها اليونان. لم يُمنح المسلمون شيئًا[112].

الجدول (9)

أعداد اللاجئين المسلمين

سالونيجة	(30,000)	9 آذار عام (1913 م)[113]
مناستر	(9000)	9 آذار عام (1913 م)[113]
	(8000)	30 تشرين الثاني عام (1913 م)[114]
سرِّيس	(4000)	9 آذار عام (1913 م)[113]
درامة	(1000)	9 آذار عام (1913 م)[113]
دوقلو	(1000)	9 آذار عام (1913 م)[113]
أسكودار	(8500)	28 تشرين الأول عام (1913 م)[115]

	(9000)	18 تشرين الثاني عام (1913 م)[116]
	(2500)	20 كانون الأول عام (1913 م)[117]
قوالة	(20,000)	8 تشرين الثاني عام (1912 م)[118]
	(10,000)	26 آب عام (1913 م)[119]
بيغا (Biga)	(30,000)	23 كانون الأول عام (1912 م)[120]
إزمير	(65,000)	18 تمّوز عام (1913 م)[121]

يُعطــي الجدول (9) فكرة تقريبية عن أعداد اللاجئين في المدن، بحسب تقديــر المراقــبين الأورُبّيين في أوقات مختلفة. تُقدّم الأرقام أكثر بقليل من انطبــاع تقــريبيّ فقط عن أعداد اللاجئين. فكثير من اللاجئين كانوا عبروا المــدن قبل تقدير الأرقام؛ وكثيرون لم يتوقّفوا في المدن إطلاقًا؛ وعديد من أولــئك الذين أُدرجوا في الجدول ماتوا قبل الوصول إلى ملاذ آمن. علاوة على ذلك، تنقّل عدد كبير من اللاجئين جيئةً وذهابًا عبر البلقان، آملين أن يتمكّــنوا من العودة ثانيةً إلى قراهم التي فرّوا منها أو أن يتغيّر حظّ الجيوش العثمانــيّة. تلقّــت أدرنة على سبيل المثال اللاجئين الأتراك من غربي إقليم سلانيك (غربي مقدونيا) وإقليم أدرنة (شرقي ثراقيا). اضطرّ اللاجئون الذين فــرّوا إلى أدرنة إلى أن يفرّوا مرة أخرى حين استولت الجيوش البلغاريّة على إقلــيم أدرنــة. فرّوا إلى اسطمبول والأناضول، وعاد بعضهم برفقة الجيوش العثمانيّة حين استعادت تلك الجيوش أكثر إقليم أدرنة في حرب البلقان الثانية.

ومع أن من الصعب تصديقه، إلاّ أنه يبدو أن كثيرًا من المسلمين بقوا في أراضيهم خلال حرب البلقان الأولى، أو أنهم عادوا إليها مباشرة بعد الحرب، فقــط لــيُطردوا مــنها نهائيّــاً في الحرب الثانية. حين زارت لجنة كارِنغي الأميركيّة للتحقيق (American Carnegie Commission of Inquiry) سالونيجة في أثناء حرب البلقان الثانية، وجدت أن (135,000) مسلم وصلوا إلى المدينة خلال الحرب الثانية وحدها، وأن آخرين ما زالوا يصلون[122].

وقّعت بلغاريا والإمبراطورية العثمانيّة اتّفاقية (في تشرين الأول من عام 1913 م) على تبادل بلغار ثراقيا والأتراك البلغار، دخل بعدها المزيد من اللاجئين الأتراك إلى الإمبراطورية العثمانيّة[123]. في الوقت نفسه، دخلت اليونان وتركيا في تبادل سكانيّ واقعيّ جزئيّ، حيث حلّ أتراك من اليونان محلّ نازحين يونانيّين من ثراقيا والأناضول.

من المستحيل الفصل إحصائيًا بين أولئك الذين كانوا لاجئين في أثناء حروب البلقان ولاجئي فترة الحرب العالمية الأولى. حالت الفترة القصيرة التي مرّت بين حروب البلقان واندلاع الحرب العالمية الأولى دون إجراء تعداد للسكان ونشر الإحصائيات. لم تتوافر إحصائيات دقيقة إلاّ بعد انتهاء الحرب العالمية وحرب الاستقلال التركيّة. لهذا السبب، أُدرج عدد (صغير تقريبًا) معين في إحصائيات الجدول (4) للاجئين جاؤوا بعد ذلك من دول البلقان إلى الإمبراطورية العثمانيّة. (كما تبيّن التواريخ، لا تتضمّن الأرقام في الجدول [10] مسلمين جرى استبدالهم في التبادل السكانيّ اليونانيّ-التركيّ الأخير).

الجدول (10)

اللاجئون المسلمون من البلقان أعوام (1912–1920 م)

مع مناطق الاستيطان

الأقاليم		السناجق المستقلّة	
اسطمبول	(3609)	إذميد	(6771)
أدرنة	(132,500)	أسكيشهر (Eskişehir)	(9088)
أطنة	(9059)	بولي (Bolu)	(258)
أنقرة	(10,008)	جانيك (Canik)	(3875)
آيدين (Aydin)	(145,868)	جتاجلة	(7500)
حلب	(10,504)	قرةسي (Karası)	(14,687)
خداوندكار	(20,853)	بيغا	(4033)
سيواس	(10,805)	قيصري	(6140)

سورية	(3187)	قرة حصار (Karahisar)	(280)
قسطموني (Kastamonu)	(257)	منتشا (Menteşe)	(855)
قونية (Konya)	(8512)	مرعش	(5031)
معمورة العزيز	(242)		
المجموع	(413,922)		

المصدر: إحصائيات وزارة الداخليّة التركيّة[125].

جرى تجميع الأرقام في الجدول [10] من سجلات لجنة المهاجرين العثمانيّة (Ottoman Refugee Commission) (Muhacirin Komisyonu). لا تتضمّن هذه الأرقام الجنود وموظفي الحكومة العثمانيّة الذين فرّوا من البلقان. مع بعض الاستثناءات، لجنة المهاجرين هي التي سجّلت اللاجئين المسلمين من البلقان[126]. أشرفت اللجنة على توطين النازحين في كل أنحاء ثراقيا والأناضول (الجدول 10) مع العلم بأن العدد الأكبر استقرّ في شرقي ثراقيا وغربي الأناضول. كان مجموع اللاجئين المسجّلين [413,922].

5/ 2] التغيّر السكّاني في البلقان

مع نهاية عام (1913 م) ومن خلال عملية موت ونزوحٍ قسريّ، بات المسلمون أقليّة في كل أنحاء البلقان. ولكن، كان المسلمون قبل اندلاع حروب البلقان أكثرية مطلقة في المناطق التي جرى الاستيلاء عليها (الجدول 11).

الجدول (11)

مناطق الإمبراطورية العثمانيّة التي استولى عليها حلفاء البلقان

عدد السكان في عام (1911 م) قبل حروب البلقان

	المناطق التي استولى عليها اليونانيّون	المناطق التي استولى عليها البلغار	المناطق التي استولى عليها الصرب
مسلمون	(746,485)	(327,732)	(1,241,076)
يونانيّون	(797,118)	(29,255)	(185,985)

بلغار	(145,186)	(204,701)	(781,769)
يهود	(75,522)	(920)	(9866)
آخرون	(8419)	(19,044)	(22,122)
المجموع	(1,772,730)	(581,652)	(2,340,818)

المصدر: مكارثي، <[سكان أورُبة العثمانيّة] The Population of Ottoman Europe >.

كانــــت لليونانيّين قبل حروب البلقان أكثرية طفيفة في كل المناطق التي كـــانوا سيســـتولون عليها من الإمبراطورية العثمانيّة. كانت الغلبة اليونانيّة محلـــيّة. كـــــان بعض المناطق التي استولت عليها اليونان، كمناطق إقليم يانية مـــثلاً، يونانيّـــًا بكثافة حقّـــًا، في حين كان بعضها الآخر مسلمًا على نحو ساحق. كان المسلمون في المناطق التي استولى عليها اليونانيّون من إقليم أدرنة ثلاثـــــة أضعاف اليونانيّين تقريبًا، وكان المسلمون في سنجق درامة من إقليم ســـلانيك الذي استولى عليه اليونانيّون سبعة أضعاف اليونانيّين. في الحقيقة، كان السكان اليونانيّون متمركزين في القسم الغربيّ من المنطقة التي استولت عليها اليونان من العثمانيّين. لو رُسم خطّ من الشمال إلى الجنوب غربي مدينة ســـالونيجة في عـــام (1911 م) لكانـــــت المنطقة غرب الخطّ يونانيّة بكثافة، والمنطقة شرق الخطّ مسلمة بكثافة[127].

كـــــان (56%) من المناطق العثمانيّة في عام (1911 م) التي ستستولي عليها بلغاريـــا بعد ذلك مسلمين. في القسم الذي استولت عليه بلغاريا من إقليم أدرنة، كان قضاء صغير واحد فقط، طرنوة، فيه أكثرية بلغاريّة (72%)[128]. لكنّ المناطق التي كانت بلغاريا ستستولي عليها من إقليم سلانيك- النواحي الشمالية من سنجق سيروز (Siroz)، كانت فيها أكثرية بلغاريّة حقيقية (54%). (تتضـــمّن هذه الإحصائيات هجرة خارجية ضخمة للبلغار وهجرة داخلية للمسلمين بعد مشكلات أعوام 1876-1878 م).

كان المسلمون يشكّلون (53%) من سكان المنطقة التي استولت عليها صربيا. لم يكن هناك أكثرية مسيحيّة إلاّ في سنجق مناستر، في إقليم مناستر، وبالهوية الدينية على الأقلّ، كان أكثر مسيحيّي سنجق مناستر يعدون أنفسهم من البلغار[129]. ومع ذلك، كانت المناطق التي استولت عليها صربيا من إقليم مناستر مسيحيّة فعلاً إلى حد كبير (65%) في عام (1911 م) في حين كانت المناطق الأخرى التي استولت عليها صربيا مسلمة إلى حد كبير (59%)[130].

انتهت الغلبة السكانية المسلمة في البلقان العثمانيّة مع حروب البلقان، لكن كثيرًا من مسلمي اليونان لم يغادروا إلى تركيا حتى الحرب العالمية الأولى؛ آخرون غادروا من خلال التبادل السكانيّ الإلزاميّ (Compulsory Population Exchange) بين اليونان وتركيا في عام (1923 م). وهكذا، فإن الهجرة من اليونان لم تتوقف إلاّ بعد أكثر من عشر سنوات على انتهاء حروب البلقان.

يبيّن الجدول (12) عدد سكان المناطق المستولى عليها من البلقان كما كان حين أجرت بلغاريا واليونان ويوغوسلافيا (خليفة صربيا) إحصاءاتها السكانية الأولى بعد الحرب العالمية الأولى. لأن الإحصاء السكانيّ الألبانيّ لم يكن قائمًا في تلك الفترة[131]، لم تُقَم أي محاولة لإدراج ألبانيا في الأرقام[132].

الجدول (12)

عدد السكان بعد الحروب. مناطق من اليونان وبلغاريا ويوغوسلافيا انتُزعت من الإمبراطورية العثمانيّة

	اليونان (1923 م)	بلغاريا[133] (1920 م)	يوغوسلافيا[134] (1921 م)
مسلمون	(124,460)	(179,176)	(566,478)
يونانيّون	(1,773,964)*	(949,366)*	
بلغار		(192,552)*	

يهود	(65,569)	(704)	(6103)
آخرون	(7467)	(898)	(18,277)
المجموع	(1,971,460)	(373,330)	(1,540,224)

*أُدرجت كونهم «أرثوذكس» فحسب.
المصدر: الإحصاءات السكانية اليونانيّة والبلغاريّة واليوغوسلافيّة للأعوام المُدرجة.

ظلّ (17%) من السكان المسلمين في عام (1911 م) في المنطقة التي استولت عليها اليونان في المنطقة نفسها في عام (1923 م) بينما تضاعف عدد السكان المسيحيّين لتلك المنطقة ذاتها. كذلك انخفض عدد السكان المسلمين على نحو كبير في المناطق التي استولت عليها بلغاريا ويوغوسلافيا. بقي من مسلمي قبل الحرب (46%) في الأراضي التي استولت عليها صربيا/يوغوسلافيا و(55%) في الأراضي التي استولت عليها بلغاريا. (أظهرت تلك المناطق انخفاضًا في عدد السكان المسيحيّين أيضًا، (11%) في الأراضي التي استولت عليها صربيا، و(17%) في الأراضي التي استولت عليها بلغاريا، وفي الحالتين، كان السبب وفيات زمن الحرب من جهة والنزوح من جهة أخرى)[135]. إجمالاً، اختفى من المنطقة (62%) من السكان المسلمين.

الجدول (13)

المسلمون في مناطق عثمانيّة استولت عليها اليونان وبلغاريا ويوغوسلافيا والمسلمون الذين بقوا في تلك البلدان

	المسلمون في عام (1911 م)	المسلمون الذين بقوا	الفارق
اليونان	(746,485)	(124,460)	(622,025)
بلغاريا	(327,732)	(179,176)	(148,556)
يوغوسلافيا	(1,241,076)	(566,478)	(674,598)
المجموع	(2,315,293)	(870,114)	(1,445,179)

المصدر: مكارثي، <[سكان أورُبة العثمانيّة] The Population of Ottoman Europe>.

مــن أصــل (2,315,293) مســلمًا عاشوا في المناطق التي انتُزعت من الإمبراطورية العثمانيّة في أورُبة (باستثناء ألبانيا) اختفى (1,445,179) مسلمًا، أي (62%) مــنهم. من هؤلاء، كان (413,922) مهاجرًا إلى تركيا في أثناء وبعــد حروب البلقان (1912–1920 م)؛ وجاء (398,849) مسلمًا إلى تركيا بين عامي (1921 م) و(1926 م) أكثرهم جزء من التبادل السكانيّ اليونانيّ-الــتركي"[136]. عــاش (812,771) مسلمًا من أورُبة العثمانيّة لاجئين، ولقي البقية (632,408) حتفهم[137]. كان مقدار السكان المسلمين لأورُبة العثمانيّة المستولى عليها الذين لقوا حتفهم (27%).

6] الحرب النهائية في الشرق

وصل الصراع بين المسلمين والأرمن في الشرق العثمانيّ الذي كان يتطوّر على مدى مئة عام، إلى ذروته في الحرب العالمية الأولى. كانت هناك حربان قائمتان في الشرق في آن واحد: حرب بين الجيوش العثمانيّة والروسيّة، وحرب بين الطوائف الإرمينيّة والمسلمة شرقي الأناضول وجنوبي القفقاس. بلغة الخسائر المدنية والعسكرية، كانت الحروب التي جرت في الشرق بين عامي (1914 م) و(1920 م) من أسوأ الحروب في تاريخ البشرية[1]. أدّى الضعف العثمانيّ والاستعمار الروسيّ والتطفّل الأورُبيّ والعصبية الثوريّة الإرمينيّة إلى تدمير شامل. باتت بعد الحروب مدن كوان وبتليس وبايزيد وأرزنجان أكوامًا من الحجارة. دُمّرت آلاف القرى[2]. قُتل ملايين على الجانبين. بات الأرمن الذين ثاروا ليفوزوا بأمّة، تابعين لجمهورية سوفييتيّة نيمموا فيها أسياد أنفسهم، وتحوّلت بلاد الأتراك الذين انتصروا في الحروب في النهاية، إلى خرائب.



(6) شرقي الأناضول وجنوبي القفقاس في عام (1914 م)

1/6] الحرب العالميّة الأولى- الوقائع العسكريّة

بدأت الحرب في الشرق في 2 تشرين الثاني من عام (1914 م) حين تقدّمت القوات الروسيّة جنوبًا لتحتلّ مناطق بايزيد ودياذين (Diyadin) وقرة كليسا (Karakilise) الحدوديّة[3]. اضطرّت القوات إلى الانسحاب مع نهاية الشهر، وكذلك أخفقت قوة عثمانيّة صغيرة قامت بهجوم قرب باتوم. بدأ اجتياح أنور باشا المشؤوم للقفقاس في أواخر كانون الأول من عام (1914 م). بحلول منتصف كانون الثاني من عام (1915 م) هُزمت قوات الحملة العثمانيّة، مع فقدان ثلاثة أرباع رجالها. كانت الطريق إلى الأناضول مفتوحة بسبب خسائر العثمانيّين. تقدّم الروس جنوبًا في الربيع؛ تصدّت لهم قوات قليلة تقريبًا.

انتزع الثوريّون الأرمن مدينة وان من الحكومة العثمانيّة في 13 و14 نيسان عام (1915 م) وصمدوا فيها ضد القوات العثمانيّة المطوِّقة لها التي استُدعيت على عجل من بتليس والجبهة الروسيّة. استغلّ الروس هذا التمرّد، فأرسلوا ضدّ جبهة عثمانيّة ضعيفة الصمود، قوة مؤلّفة من وحدات من متطوّعين أرمن (4000 أرمنيّ تقريبًا، من القفقاس على نحو رئيس) ووحدات من عصابات أرمنيّة (من القفقاس والأناضول) وفرقة من القوزاق. بحلول منتصف أيّار، كانت هذه القوات وصلت إلى وان وشكّلت تهديدًا لبتليس. حين انسحبت القوات العثمانيّة المطوِّقة لوان لتركّز على الدفاع عن بتليس، دخلت الوحدات الروسيّة وان (31 أيّار عام 1915 م). السكان الأرمن المحلّيون رحبوا بالوحدات بانفعال شديد. مع نهاية تمّوز، أحضر العثمانيّون قوات كبيرة استطاعت طرد الروس والأرمن من وان والمنطقة المحيطة. تخلّوا عن وان في 4 آب وانسحبوا شمالاً، وتبعهم جميع الأرمن من سكان المنطقة المحتلّة[4].

لم يكن باستطاعة العثمانيّين التقدّم أبعد من ذلك أو السيطرة على أكثر من قسم من منطقة بحيرة وان (أي، ملاذ كرد Malazgirt وأخلاط Ahlat

والشـــاطئ الجنوبيّ للبحيرة). احتل العثمانيّون من جديد ما تبقّى من مدينة وان. ظلّ الوضع ساكنًا حتى نهاية عام (1915 م).

خلال العام الأول للحرب، كان العثمانيّون منهمكين بثورات الأرمن في كل مناطق شرقي الأناضول. لم تنجح إلاّ ثورة وان، لكن الثورات الأخرى ســبّبت خسائرَ كبيرة في الأرواح أساءت على نحو كبير إلى جهد العثمانيّين الحربيّ. ثار أرمن زيتون الذين كانوا دائمًا متململين تحت الحكم العثمانيّ، في آب مـــن عـــام (1914 م) قبل أن تبدأ الحرب، أولاً احتجاجًا على التجنيد الإلـــزاميّ. جرى قمع ثورتهم الأولية، لكنها اندلعت ثانيةً في كانون الأول بهجمـــات على قوات الدرك العثمانيّة. منذ ذلك الحين وحتى الوقت الذي انتهت فيه الثورة بترحيل الأرمن، كان أرمن زيتون يشنّون حرب عصابات ضد العثمانيّين. في حزيران من عام (1915 م) استولى الثوريّون الأرمن على مدينة قرة حصار الشرقيّة، لكنهم سرعان ما طُردوا من أكثر المدينة، إلاّ أنهم صـــمدوا في القلعة ضد القوات العثمانيّة[5]. بسبب هزيمة الأرمن السريعة، كـــان عـــدد الضحايا المسلمين قليلاً. ومع ذلك، هاجمت عصابات أرمنيّة قـــرويّين مســـلمين في الـــريف قرب قرة حصار وقتلت عددًا منهم. ثارت عصـــابات أرمنيّة وثوريّون أرمن محليّون في أورفة (Urfa) في 29 أيلول عام (1915 م) حيـــث استولوا على الأحياء الإرمينيّة في المدينة وتحصّنوا فيها ضد قـــوات الدرك المحليّة، كما أحرقوا بيوتًا للمسلمين وقتلوا مدنيّين مسلمين. كـــان من الضروريّ في ثورة أورفة تحويل قوات عثمانيّة إلى المدينة للتغلّب على الثوار المسلّحين برشاشات. بعد هزيمة الثوار، أُرسل (2000) أرمنيّ من أورفة إلى الموصل تحت حراسة كثيفة[6].

انعكســـت الثورات في المدن الشرقية على ريف الشرق العثمانيّ. هاجم ثوريّون أرمن قرى مسلمة، وهاجم أكراد، في المقام الأول، قرى أرمنيّة[7].

تقدّم الجيش الروسيّ في كانون الثاني عام (1916 م) وهزم العثمانيّين. اقتربوا من أرضروم في 19 كانون الثاني، ثمّ سقطت المدينة في 16 شباط. سقطت موش (Muş) في اليوم نفسه، وبتليس في (3) آذار. على جبهة البحر الأسود، استولى الروس على ريزة في (8) آذار عام (1916 م) وساعدهم في ذلك إلى حد بعيد سيطرتهم على البحر الأسود. اضطرّ العثمانيّون إلى التخلّي عن طربزون في (16) نيسان. تقدّم الروس في تمّوز واستولوا على بايبورد (Bayburt) في (17) تمّوز، ثمّ على أرزنجان في (25) تمّوز. قضى الروس بقيّة عام (1916 م) في عمليات "تطهير" في المناطق المستولى عليها. كانت الناحية المضيئة الوحيدة لدى العثمانيّين استرداد الجيش العثمانيّ الثاني بقيادة مصطفى كمال باشا موش وبتليس في آب عام (1916 م)، لكن بتليس خسرها العثمانيّون ثانيةً في وقت لاحق.

ما من شكّ من أن الثورة الروسيّة أنقذت العثمانيّين في الشرق. بعد ثورة شباط عام (1917 م) بدأ بعض الجنود الروس يفرون من الجندية فعلاً[8]، وأدت ثورة تشرين الأول والنجاح البلشفيّ في بتروغراد (Petrograd) إلى وضع نهاية فعلية للوجود العسكريّ الروسيّ في الأناضول. عُهد إلى الضباط الروس في القفقاس وشرقي الأناضول قيادة وحدات مؤلّفة على نحو صرف من ضباط ومن أفراد قوقاز من غير الروس، خصوصًا الأرمن[9].

خلال عام (1917 م) أُعيد تشكيل الجيوش العثمانيّة في الشرق. شنّت هذه الجيوش هجماتها في عام (1918 م). مع نهاية شهر آذار، كانت استردّت فعلاً جميع المناطق التي خسرتها منذ عام (1914 م). كانت معارك الجيوش العثمانيّة ضد قوات أرمنيّة، بقيادة ضباط روس وأرمن، وضد قوات عصابات أرمنيّة. بحلول شهر نيسان من عام (1918 م) كان العثمانيّون استعادوا باتوم (14 نيسان) وقارص (25 نيسان) موسّعين بذلك حدودهم إلى تُخوم ما قبل عام (1877 م).

سياسيًا، كان الوضع في القفقاس متقلّبًا بعد الانهيار الروسيّ. بادئ بدء، اندمجت المناطق القفقاسيّة الثلاث جورجيا وإرمينية وأذربيجان في الاتحاد عبر القفقاسيّ (Transcaucasian Federation). ومع أن هذه المناطق كانت في الواقع مستقلّة، إلاّ أنها حافظت رسميًا على ولائها الروسيّ. حاول الاتحاد عبر القفقاسيّ الاحتفاظ بأراضٍ أناضوليّة ما استطاع في وجه الزحف العثمانيّ. فحاول الاتحاد (وهو مستقلّ رسميًا باسم الجمهورية الاتحاديّة عبر القفقاسيّة بتاريخ 22 نيسان من عام 1918 م) التفاوض مع العثمانيّين، لكن الأخيرين فرضوا شروطًا كانت غير مقبولة لدى الأرمن والجورجيّين. ضَمن الجورجيّون موقعهم بالانسحاب من الاتحاد والدخول في حلف مع حليف الإمبراطورية العثمانيّة الأكبر، ألمانيا التي حمتهم فعلاً من الفتح العثمانيّ. تحالف الأتراك الأذر في جمهورية أذربيجان بسهولة مع إخوانهم في اللغة والدين في الإمبراطورية العثمانيّة. ظلّت إرمينية جمهورية مستقلّة، آملة تدخل الحلفاء، خصوصًا بريطانيا وأميركا، وسيلة لخلاصها. لكن ذلك لم يحصل، فلم تقدّم بريطانيا أو أمريكا مساعدة عسكرية للأرمن.

بعد هزيمة الإمبراطورية العثمانيّة في الحرب العالمية الأولى، توحّدت القوى القومية التركيّة في النهاية تحت زعامة مصطفى كمال. استأنف القائمقام كمال في الشرق، كاظم قره بكر (Kâzım Karabekir) الهجوم. وأخيرًا، استردّت الجمهورية التركيّة منطقة قارص-أردخان التي طالب بها الأرمن، والتي انتُزعت من الإمبراطورية العثمانيّة في عام (1878 م). استولى السوفييت على إرمينية القفقاسيّة وكذلك على جورجيا وأذربيجان.

2/6] شرقي الأناضول-الوضع الداخلي

1/2/6] القبائل الكرديّة

شهدت العقود الأخيرة للإمبراطورية العثمانيّة بسطًا مهمًا للسلطة العثمانيّة في شرقي الأناضول. جلبت خطوط البرق والطرق الجديدة السلطة

الإدارية العثمانيّة إلى وان ودياربكر وأقاليم شرقية أخرى. أول مرة في تاريخ الإمبراطورية العثمانيّة الحديث، استطاع موظّفو الحكومة التغلغل في قرى نائية في الشرق ليحصوا عدد السكان لأجل سجلات الإحصاء والتجنيد الإلزامي[10]. جرى فرض القانون والنظام من خلال القوة العسكرية العثمانيّة المتجدّدة. إذ حين انسحبت هذه القوات العسكرية في الحرب العالمية الأولى، غاب النظام العام.

مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، جرى سحب القوات العثمانيّة من حاميات في جنوب شرقي الأناضول ووسطها وإرسالها إلى الحدود القفقاسيّة لمحاربة الروس. كان لسحب أكثر قوات الدرك من مهمات حفظ الأمن العام وتنظيمها في وحدات درك في الجيش أهمية في ريف الشرق[11]. كانت هناك حاجة ماسّة إلى تلك القوات على الجبهة نظرًا إلى قدراتها القتالية ومعرفتها بالمنطقة. لكن سحب قوات الدرك ومقتل الجنود العثمانيّين على الجبهة القفقاسيّة، فسحا المجال أمام القبائل الكرديّة لتستأنف هجماتها على السكان المدنيّين.

كان يجب نظريًّا أن يخضع رجال القبائل الكُرد للتجنيد الإلزاميّ في الجيش العثمانيّ، لكن ذلك لم يكن يحصل عادة على أرض الواقع. جرى تجنيد الكُرد المزارعين المستقرّين وأكراد المدن الشرقية، حيث ذهبوا إلى الحرب تمامًا كما فعل الأتراك؛ لكن أكراد القبائل لم يفعلوا ذلك. لتجنيد رجال القبائل الكُرد، كان سيضطرّ العثمانيّون إلى إرسال جيش لإخضاع القبائل أولاً، وهذا ليس احتمالاً عمليًّا في غمرة حرب. اتّخذ كثير من القبائل الكرديّة ما يمكن أن يُدعى موقفًا محايدًا من الحرب، يعملون لمصلحتهم الشخصية حيثما كان ذلك ممكنًا. حتى إن رجال القبائل الكرديّة قاتلوا العثمانيّين في إقليم وان ومنطقة درسم[12]. في جنوبي وان، تطلّب حمل بدرخان عبد الرّزاق (Bedirhanı Abdürrezzak) الذي حاول أن يبدأ ثورة

كرديّة كبيرة، على الفرار، كتيبة درك كاملة[13]. ساهم أكراد درسم بقوات غير نظامية في الجيش العثمانيّ في بداية الحرب، لكنهم انقلبوا إلى جانب الطرف الآخر عندما بدأ العثمانيّون يخسرون. هاجموا قوافلَ عثمانيّة وقتلوا وحدات عسكرية تركيّة ونهبوا قرى محليّة[14]. فرّ من الجيش أكثر رجال القبائل الذين كانوا يقاتلون ظاهريًا إلى جانب الجيش العثمانيّ في حملته في بلاد فارس عام (1915 م)[15] وانضمّوا إلى القبائل التي كانت تقوم بالنهب والقتل في المنطقة التي بين بحيرتي وان وأورمية[16] (Urmiah).

أدركت الحكومة العثمانيّة أنه لا يمكن عدّ كثير من رجال القبائل الكُرد مواطنين موالين أو مُذعنين. فقبل شهر من اندلاع الحرب، حاولت الحكومة، من دون نتيجة، أن تنظّم ميليشيات موالية وتصادر الأسلحة من أيدي الكُرد كي «تحافظ على ولاء الجماعات الكرديّة والمسلمة الأخرى التي قد تلقى التضليل بسبب الجهل»، وهو تصريح عثمانيّ مكبوح وملطّف على نحو نموذجيّ للخيانة[17]. في الأراضي التي استولى عليها الروس شمال شرقي الأناضول، سرعان ما كان يعقد الكُرد سلامًا مع الروس، مع أن عِداءهم للأرمن كان يرغي ويزبد. أصبحت القبائل الكرديّة في الحرب مصدرَ موت مهم للأرمن، وبدرجة أقلّ، للأتراك والكُرد المستقرّين.

6/ 2/ 2] الثورة الإرمينيّة

ليست مصادفة أن تبدأ الثورة الإرمينيّة في شرقي الأناضول مع إدراك الروس أن الإمبراطورية العثمانيّة سوف تخوض حربًا. قبل أن تعلن روسيا الحرب في 2 تشرين الثاني من عام (1914 م) كان أفراد العصابات الإرمينيّة ينظّمون أنفسهم في فرق لحرب العصابات. في تحضيرهم لثورة، قام الثوريّون الأرمن بتكديس مخازن احتياطية من الأسلحة، قدّمتها أو موّلتها الحكومة الروسيّة إلى حد كبير[18]. جرى الاحتفاظ بتلك الأسلحة في قرى أرمنيّة

على نحو رئيس، وكانت طبعًا مخبّأة جيدًا عن السلطات العثمانيّة، وهذا دليل على ضعف السيطرة العثمانيّة على تلك المنطقة قبل الحرب. على سبيل المثال، عثر المحقّقون العثمانيّون «في حملات تفتيش قامت بها الحكومة يوم أمس لقرية طوزلصار (Tuzlasar) في حافيك (Hafik) على (16) صندوقًا من الأسلحة، و(20) قنبلة، وصندوق لبزّات زرقاء اللون، حيث جرى كشف النقاب عنها ومصادرتها» وكانت البنادق الإرمينيّة أفضل من تلك الموزّعة على الجيش العثمانيّ[19]. وجد المحقّقون العثمانيّون مخابئَ كبيرة للأسلحة في عشر قرى في منطقة بروراي[20] (Pervari). كما وجدوا مخابئَ أسلحة أخرى مبعثرة في كل أنحاء الشرق. وُجدت كمية كبيرة من البنادق والديناميت في مناطق موش ودياربكر وسيواس. ومع ذلك، أظهرت الأحداث اللاحقة أن ما عثر عليه العثمانيّون كان جزءًا صغيرًا جدًا من الأسلحة التي جمّعها الثوريّون الأرمن. بتخزين الأسلحة للثورة المرتقبة، بدأ مواطنو الدولة العثمانيّة الأرمن يُسلّحون وينظّمون أنفسهم على جانبي الحدود. شُكّلت الفرق في مناطق قارص-أردخان-أرتوين الحدودية (التي انتُزعت من العثمانيّين في عام 1878 م) وفي أقاليم وان وأرضروم وبتليس[21].

حين أُعلنت الحرب، احتشد الثوريّون الأرمن. دخل أرمن الأناضول الذين رحلوا إلى روسيا في السابق، إلى الإمبراطورية العثمانيّة من جديد وقادوا فرق رجال العصابات[22]. نَظّم إحدى هذه الفرق، التي بلغ عدد رجالها (1000) رجل، النائب الأرمنيّ السابق في مجلس النوّاب العثمانيّ غارو باسديرماجيان (Garo Pasdirmajian) (غارو الأرمنيّ Armen Garo)[23]. نظّم قادة عصابات مشهورون، من أمثال أندرانيك (Andranik) الذي قاد ثورة عام (1895 م) الإرمينيّة، الثوريّين الأناضوليّين وجنّدوا أعضاءً جددًا، بمن فيهم أرمن من إيران[24]. في القفقاس الروسيّة، جنّد حزب الطاشناق أعضاءً لفرق عصابات ستدخل إلى الإمبراطورية العثمانيّة[25]. تضمّنت تلك الفرق أرمنَ

من "الأتراك" و"الروس" مع أن هذا التمييز ما كان ليعني شيئًا عند العصابات نفسها.

تفحّصت وحدات العصابات الإرمينيّة القرى الإرمينيّة، فجنّدت رجالاً وساعدت أو أكرهت (بحسب الرواية التي يتبنّاها المرء) آخرين على النزوح إلى مناطق تحت السيطرة الروسيّة[26]. انضمّ إلى وحدات العصابات عدد كبير من الأرمن الذين فرّوا من الجيش العثمانيّ، والذين شكّلوا عصابات قطّاع طرق ولصوصيّة في الأناضول ثمّ انضمّوا إلى القوات الروسيّة والإرمينيّة التي كانت تستعدّ في القفقاس[27]. حدث نزوح داخليّ كبير؛ نزح أرمن ومسلمون كانوا يعيشون في قرى مختلطة إلى قرى أرمنيّة محضة أو مسلمة محضة. رحلت أعداد كبيرة على التوالي إلى الخطوط الروسيّة أو إلى الخطوط العثمانيّة[28]. تجمّع نحو (6000–8000) رجل عصابات أرمنيّ، من موش ووان وبتليس في المقام الأول، في منطقة قايزمان (Kağızman) حيث قام الروس بتنظيمهم وتدريبهم[29]. جرى تدريب وتنظيم مجموعة أخرى مؤلّفة من نحو (6000) أرمنيّ أناضوليّ في أيدر، لتشكّل فرقًا من العصابات. قدّرت الحكومة العثمانيّة أن نحو (30,000) رجل مسلّح من إقليم سيواس وحده انضمّوا إلى القوات الإرمينيّة[30]، ربما يكون هذا الرقم مبالغًا فيه، لكنه دالّ على ثورة كبيرة يخطَّط لها منذ زمن بعيد.

ربما أشهر مقاومة أرمنيّة كانت في المنطقة الجبلية حول موسى داي (Musa Dağı) قرب إنطاكية، حيث قاوم نحو (5000) القوات العثمانيّة مدة (53) يومًا إلى أن جرى إخلاؤهم على متن سفينة حربية فرنسيّة[31].

في البداية، هوجمت الوحدات العسكرية العثمانيّة وعربات توزيع البريد ومواقع الدرك ووحدات التجنيد في موش وشتاق (Şitak) وصو شهري (Suşehri) وزيتون وحلب ودورتيول (Dörtyol) ومناطق كثيرة أخرى[32].

قُطعت خطوط البرق في البداية في مناطق الرشاديّة (Reşadiye) وقارجكان (Karçekan) وكواش (Gevaş) في كانون الأول من عام (1914 م)[33] ثمّ في كل مناطق شرقي الأناضول[34]. احتلّ (500–600) متمرّد أرمنيّ دير التكيّة وخاضوا معركة دموية ضارية ضد القوات العثمانيّة وقوات الدرك طوال النهار، ثمّ فرّوا من القوات العثمانيّة في أثناء الليل[35]. كذلك، جرت معارك بين المتمرّدين وقوات الشرطة العثمانيّة في شوارع زيتون[36]. في إقليم دياربكر، شكّل القرويّون الأرمن والأرمن الفارّون من الخدمة العسكرية عصابات هاجمت القرى المسلمة والقوات العثمانيّة[37]. جرت عمليات اعتداء على القرى المسلمة غير المحميّة وقتلٍ للمسلمين، لكن هذا القتل لا يمكن مقارنته بما حدث بعد ذلك للمسلمين في الشرق[38].

نُفّذت خطط الأرمن في الاستيلاء على مدن شرقية حال اندلاع الحرب[39]. من أجل فهم التسلسل الزمنيّ للمجازر والمجازر المقابلة في المنطقة، يجب إدراك أن هذه النشاطات الثوريّة وغيرها جرت قبل إصدار أي أوامر بترحيل الأرمن بمدة طويلة. بدأت الثورات والهجمات على القوات العثمانيّة في وان وزيتون وموش والرشاديّة وكواش ومدن وبلدات أخرى قبل صدور أوامر العثمانيّين بالترحيل (26 أيّار عام 1915 م). بحلول أيّار من عام (1915 م) كان شرقي الأناضول في غمرة حرب أهلية أصلاً[40].

3/6] الحرب بين الطوائف

كان اندلاع الحرب العالمية الأولى إيذانًا بالمرحلة الأخيرة للحرب بين الطوائف التي بدأت في عشرينيّات القرن التاسع عشر. انخرط الأرمن والمسلمون في أعمال وحشية في القفقاس وشرقي الأناضول مئة عام، لكن عمليات القتل التي جرت في الحرب العالمية الأولى كانت مختلفة كمًّا ونوعًا. فبينما كانت الأعمال الوحشية السابقة من الجانبين محدودة

جغرافــيّــًا، جــرت أحداث الحرب العالمية الأولى في كل أنحاء الشرق. في الأوقات السابقة، كانت المجازر مقيّدة بسلطة الحكومة المفروضة. ولكن، منذ عــام (1915 م) فصاعدًا، لم يكن هناك فرض فعّال لأي سلطة حفظ السلام لوقــف العنف. إن تأثير ذلك في السكان الأرمن كان كبيرًا، وجرى بحث ذلــك بالتفصيل. سيتناول البحث هنا الطرف الآخر للمعادلة القاتلة: جرائم قتل المسلمين.

تشــير الأدلّــة من المسلمين الناجين من هجمات الأرمن إلى أن كراهية طويلة الأمد كانت تفعل فعلها. كانت أعمال الاغتصاب الوحشية جليّة في كــلّ مكان، وأعمال التعذيب قبل القتل شائعة. بخلاف الأعمال الوحشية ضــد المسلمين في أورُبة في الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) وفي حروب البلقان، يبدو أن هجمات الأرمن على مسلمي الشرق في أثناء الحرب العالمية الأولى تركّزت على القتل بدلاً من الدفع إلى الفرار.

كان هناك ثلاثة "أطراف" في المعارك والمجازر. تشكّل الطرف الأول من المســلمين المقيمين- الأتراك والكُرد وآخرين- والقوات العسكرية العثمانيّة. وتشــكّل الطرف الثاني من الأرمن وأبناء الوطن المسيحيّين الآخرين والجيش الروسيّ. وتشكّل الطرف الثالث من رجال القبائل الكُرد، وهم أساسًا قوة محــايدة تبحــث عن مصالحها الشخصية. قاد الطرفين الأوّلَين أولئك الذين قدّمــوا قضيتهم بحماسة والتزموا بهزيمة أعدائهم على نحو كامل. لكن كثيرًا مــن الأرمــن والمسلمين المدنيّين كانوا فلاحين وسكان مدن أُجبروا على الانضمام إلى إخوانهم في الدين في حرب شاملة. بقدر ما كانوا يُقتلون لأنهم مســلمون أو أرمن، بقدر ما كانوا مضطرّين إلى القتال كونهم مسلمين أو أرمن للدفاع عن أنفسهم. تميّزت الحرب منذ البداية بهجمات على السكان المدنيّين. اضطرّ الأبرياء والمسالمون على الطرفين إلى أن يقاتلوا.

6/3/1] وان (Van)

اندلعت ثورة في إقليم وان في آذار من عام (1915 م). جرى تجميع قوات الثوريّين الأرمن وتنظيمها، ثمّ تسلّل القرويّون الأرمن إلى مدينة وان. هاجم قـــرويّون أرمن قرى مسلمة، وهاجمت قبائل كرديّة قرى أرمنيّة[41]. في 20 نيســـان، بـــدأ الأرمـــن في وان بإطلاق النار على مخافر الشرطة ومساكن المسلمين[42]. هرّب الثوريّون الأرمن أسلحة إلى المدينة والقرى المحيطة تكفي لإحداث ثورتهم، وقدّر العثمانيّون أن (4000) مقاتل أرمنيّ دخلوا إلى المدينة[43]. مـــع تقـــدّم الأرمن وتغلّبهم على قوات الأمن العثمانيّة، أحرقوا الحيّ المسلم وقتلوا المسلمين الذين وقعوا في أيديهم. بحلول الرابع عشر من نيسان، باتت المديـــنة تحت السيطرة الإرمينيّة، مع أنها كانت محاصرة من القوات العثمانيّة الـــتي وصلت بعد سقوط المدينة. صمد الأرمن في المدينة إلى أن استطاعت قـــوات روســـيّة من القفقاس الوصول إليها، حيث أجبرت العثمانيّين على الـــتراجع في (17) أيّار. (استعاد العثمانيّون ما تبقّى من وان في 22 تمّوز عام 1915 م، لكنهم خسروها ثانيةً للروس في الشهر التالي). استمرّت المجزرة ضد المســـلمين في وان والقرى المحيطة. مع بعض الاستثناءات، كان الناجون من المسلمين هم فقط أولئك الذين استطاعوا الفرار، مع الجيش العثمانيّ في المقام الأول. كان من ضمن الذين قُتلوا جنود عثمانيّون جرحى أو مرضى جاؤوا إلى وان للـــنقاهة. دُمّـــرت قرى زِفيه (Zeve) ومُلاّ قسيم (Mollah Kasim) وشـــيخ قـــرة (Şeyh Kara) وشيخ عينة (Şeyh Ayne) وزورياد باكس[44] (Zorayad Pakes) وخضر (Hıdır) وعمق (Amuk) وآيانس (Ayans) وورندز (Veranduz) وحرويل (Haravil) ودير (Deir) وزيوانا (Zivana) وقرقر[45] (Karkar) وقرى كثيرة أخرى لم تُحدّد بالاسم.

في وان، يبدو أن الزعماء المدنيّين والدينيّين وأُسرهم كانوا أول من كان عـــلى قائمـــة الاغتيال. إن هذا يتّبع نمطًا شوهد في البلقان؛ قتل الذين ربما

نظّموا معارضة أولاً، ويدلّ على درجة من التخطيط. لكن مسلمي وان أُبيدوا على نحو فعّال قبل أن يتمكّنوا من تنظيم أي مقاومة بزمن طويل، ولم تكن أعمال التعذيب البشعة بحق الوجهاء إلاّ نتاج كراهية شديدة[46]. دُمّر كلّ شيء إسلاميّ في وان. باستثناء ثلاثة مبان أثريّة، جرى إحراق أو هدم جميع المساجد. دُمّر الحيّ المسلم كاملاً. حين انتهت مهمة الأرمن والمعركة بين العثمانيّين والأرمن، بدت وان أقرب إلى خرائب قديمة منها إلى مدينة[47]. (لم يبقَ في مدينة وان العريقة برمّتها إلاّ بضعة مبانٍ).

حين أخلى العثمانيّون وان، هاجمت العصابات الإرمينيّة على الطرق كثيرًا من أولئك الذين استطاعوا الفرار. قُتل نحو (400) من مجموعة واحدة بين أرجيش (Erçis) وعادالجواز[48] (Adılcevaz). قتل الأرمن أيضًا (300) يهوديّ حاولوا الفرار نحو حكاري[49](Hakkâri). وجد لاجئون آخرون أن عصابات أرمنيّة وقرويّين أرمن مسلّحين قد سدّوا طريقهم وكانوا يقتلون جميع المسلمين الذين يمرّون قريبًا منهم.

كانت جميع روايات القرويّين المسلمين متشابهة تقريبًا. حين هاجم الأرمن قرى المسلمين أنفسهم أو القرى المجاورة، فرّ المسلمون مع ما استطاعوا حمله من المنقولات. على الطريق، قام رجال العصابات الإرمينيّة أولاً بسرقة ما يحملون، ثمّ اغتصبوا كثيرًا من النساء وقتلوا كثيرًا من الرجال. كان يُقتل، عادة وليس دائمًا، عدد من النساء والأطفال أيضًا. يُسمح بعد ذلك للقرويّين الناجين بمتابعة الرحلة، إن استطاعوا، إلى المناطق الآمنة من دون طعام أو ما يكفي من الملابس. لم يكن باستطاعة القرويّين الدفاع عن أنفسهم لا في بيوتهم ولا على الطريق، لأن الشبّان المسلمين كانوا في الخدمة العسكرية الإلزامية، ولم يبقَ إلاّ الشيوخ من الرجال والأحداث من الشبّان والنساء. من ناحية ثانية، تشكّلت العصابات الإرمينيّة من شبّان لم يلتحقوا بالخدمة العسكرية قط، أو من فارّين من الجيش العثمانيّ، أو من أولئك القادمين من القفقاس[50].

فـــيما يـــلي مقتطفات من شهادات بعض اللاجئين من إقليم وان الذين وجدوا ملتجأً آمنًا في معمورة العزيز (Mamuretülaziz):

[عـــبدي ورشيد مُلاّ (Abdi and Reşid Molla)] بعد إخلاء كواش ووان، اعـــتدت مفـــرزة مختلطة من القوزاق والأرمن قوامها (500) رجـــل يقودهـــا الأرمـــن هـــادجو (Hadjo) وكشـــيش–سركيس (Kechiche-Serkis) وأونّـــيك (Onnik) ومـــاكو (Mako) وبارســـو (Parso) مـــن قرية تاب (Tab) على قرية قرحر (Karhar) في كواش. وجّهوا نيران أسلحتهم إلى البيوت، فقتلوا الرجال والأطفال ودنّسوا النســـاء إلى درجـــة أن عديـــد منهنّ لقين حتفهنّ. نجا عشرات من القرويّين بصعوبة بالغة.

[يوســـف كـــنان وعبد الحكيم] في الخامس من شهر آب من العام الماضـــي [1915 م] هاجمت مكس (Mukus) عصابة مؤلفة من روس وأرمـــن من كواش وشتاق (Çatak). فرّ الذين استطاعوا أن يصونوا أنفسهم، تاركين جميع أغراضهم. قُتل جميع النساء والمسنّين والأطفال الذيـــن لم يســـتطيعوا الفرار. كان باستطاعة المرء أن يميّز من ضمن العصابة كريكور (Krikor) من قرية بارة (Pare) والناظر في المدرسة كارابـــت (Karabet) وفاهـــان (Vahan) وآرتـــين (Artin) من قرية كـــنكاي (Kinekai) وكِفورك (Kevork) من موكوس ومينتو سمبات (Minto Sempat) وهاياســـتان (Hayastan) والحـــدّاد نارو (Naro) وكاتشيك (Katchik) وموهيك ديكران (Mouhik Dikran) وبدروس (Bedros). هاجم هؤلاء اللصوص النساء بالدرجة الأولى، ودنّسوهنّ على نحو شنيع.

[عـــلي بن خالد وصالح، من سريو (Serir)] هاجم قرية سرير جميع ســـكان القـــرى الإرمينـــيّة ســـرتنين (Surtenin) ووارشـــكانس (Varshekans) ومكري (Mezrea) وبارس (Pars) في الصباح الباكر. لم يـــبقَ مـــن ستّين رجلاً إلاّ خمسة عشر. قُتل البقيّة، والنساء أخذن سبايا، ونُهبت البيوت.

[بهلـــول بن سعد ومحمود بن قطاس (Kutas) من وجهاء قرية سكان

(Sukan)] في قرية سكان (680) نفسًا. اجتاح الروس والأرمن القرية ذات ليلة. لم يستطع أحد إيقافهم، لأن سكان القرية المسلمين عُزُل. أضـرم الجلاّدون النار في البيوت وهلك عدد من النساء والأطفال بسيوف القوزاق الضالعة وخناجر الثوريّين. جمعوا الناجين من الليلة السـابقة عـند الفجـر. قادوا الفتيات والنساء الشابات إلى مكان مجهـول. أشعلوا النار عند الظُهر في مكان اعتقال القرويّين. نجا من المجـزرة بأعجوبـة (21) منهم فقط. [تبعت ذلك قائمة بأسماء الذين جرى تعرفهم من بين المهاجين الأرمن].

[الشـيخ أنـور والمُلاّ رشيد، من وجهاء علن (Alan) الدينيّين] فرّ السـكان حـين علموا أن مئة من الفرسان ومفرزة قوية من المشاة يقتربون من القرية. لكن سكان القرى الإرمينيّة بلو (Belo) وطنقس (Tankas) وعزرقوه (Azerkoh) وبرونز (Peronz) اعترضوا طريقهم واعـتدوا عـلى النسـاء. دخلت المفرزة الروسيّة القرية واشتعلت البيوت. قُتل الذين لم يتمكّنوا من السير كالمسنّين والمرضى والأطفال من دون رحمة. هاجم القوزاق كلّ من حاول الفرار. لم يستطع تجنّب المجزرة إلاّ قليل جدًا منهم[51].

كمـا تبـيّن آنفًا، تعرّف القرويّون المسلمون قوزاقًا يواكبون العصابات الإرمينـيّة وهـي تنهب وتقتل في القرى. ومع ذلك، من الصعب معرفة إذا كانـت العصـابات المذكـورة هي في الحقيقة وحدات متقدّمة من الجيش الروسـيّ الذي استخدم مرشدين أرمن وعصابات أرمنيّة 'قوات صدام'، أم أن القـوزاق كانوا يعملون مع العصابات الإرمينيّة خلف الخطوط العثمانيّة. في أيّ مـن الحالـتين، يبدو أن القوزاق شاركوا على الأقل في بعض مجازر القرويّين واللاجئين المسلمين[52].

بالـتزامن مع انتفاضة وان، تجمّع الأرمن في قرى[53] منطقة برواري في ثـورة وقـاتلوا قوات الدرك العثمانيّة مدة ثلاثة أيام. قُتل في القرى المجاورة ذكور مسلمون وخُطفت نساء شابات[54].

6/ 3/ 2] بتليس (Bitlis)

ثار الأرمن في بتليس ضد العثمانيّين في شباط من عام (1916 م) مباشرةً قبل الزحف الروسيّ إلى المدينة. بدأت المجازر ضد المسلمين منذ ذلك الوقت وتواصلت حتى الاحتلال الروسيّ الأول. في المدينة نفسها، طُورد الرجال والنساء والأطفال المسلمون وقُتلوا في الشوارع[55]. دمّر رجال العصابات الأرمن الذين يعملون خلف الخطوط العثمانيّة القرى وقتلوا سكانها[56]. دمّرت عصابات أرمنيّة وقوزاقيّة تعمل وحدات متقدّمة للجيش الروسيّ الغازيّ قرى أخرى[57]. يبدو أنه كان هناك حرص استثنائيّ على قتل ممثّلي الحكومة العثمانيّة الذين علقوا في المدينة[58]. وجد المسلمون المعدودون الذين فرّوا من القرى المدمّرة أنه من المستحيل التمييز إذا كان الذين هاجموهم أرمن القفقاس أو أرمن الأناضول؛ يبدو أن التمييز لم يكن ممكنًا بين الأرمن والروس ولا بين المسلمين[59].

حين استعادت الحكومة العثمانيّة بتليس فترة قصيرة، أرسلت فريق تحقيق لمعاينة الدمار. دمّر أو أحرق الأرمن المسجد المركزيّ والمسجد الكبير وثلاثة عشر مسجدًا آخر، وحوّلوا مسجد الخاتونيّة (Hatuniye) إلى إسطبل. دُمّرت ثلاثة أديرة دراويش، وأربع كلّيات دينيّة، وأربع أضرحة مقدّسة، إلى جانب المدارس والحمّامات والمباني الأخرى. كما دُمّرت المباني الحكوميّة الرئيس، بما فيها مباني الشرطة والدرك والبلدية والإدارة المحليّة، وجميع الجسور المهمة. أُحرقت المستودعات والمخازن التجارية والعسكرية الرئيس أيضًا. باختصار، دُمّر كلّ شيء ذي أهمية دينيّة أو مدنيّة أو عسكرية تقريبًا، مع أكثر بيوت المسلمين الخاصة[60].

6/ 3/ 3] الريف

باشر الأرمن في شباط من عام (1915 م) في إقليمي بتليس ووان بمهاجمة القرويّين المسلمين. من بين عدة قرى أخرى، هاجموا قرية قيالي (Kayalı)

(سنجق ماردين Mardin) فاغتصبوا نساء شابات وقتلوا قرويّين في الشوارع. اقتادوا أسرى من القرية وقتلوهم على الطريق، وفعلوا الشيء نفسه مع عدد كبير من اللاجئين الذين كانوا يفرّون من المنطقة[61]. عثر موظّفون عثمانيّون على (19) جثة في خرائب قرية أوران (Avran) في إقليم بتليس[62]. قدّمت قريتا مركخو (Merkehu) وإشتجو (Iştucu) في إقليم وان الإحصاءات التالية التي ربما كانت نموذجية للقرى في المنطقة:

قُتل في قرية مركخو	(41) رجلاً و(14) امرأة
قُتلت بعد اغتصابهنّ	(4) نساء
قُتل في قرية إشتجو	(7) رجال و(4) نساء
اغتُصبت وبقيت على قيد	(5) نساء
أصيب بجراح	(3) رجال وامرأتان[63]

ثار الأرمن في كانون الأول في مناطق ريفية من إقليم وان مثل قارجكان وكواش[64]. هاجم القرويّون الأرمن والعصابات المنظّمة الإرمينيّة قوات الدرك في كل أنحاء شرقي الأناضول. قُطعت خطوط البرق وروّع القرويّون المسلمون[65].

4/6] الروس

ليس هناك دليل وثائقيّ على أن السلطات الروسيّة نسّقت الهجمات الإرمينيّة الأوليّة. لم يكونوا بحاجة إلى فعل ذلك، لأنهم كانوا يستطيعون الوثوق على نحو مضمون بقدرة الأرمن على تمزيق الأراضي العثمانيّة وحدهم. لكن الروس فعلوا ما في وسعهم لتسهيل الانتفاضة الإرمينيّة، بما فيه مصادرة أسلحة المسلمين في الأراضي المحتلّة وتوزيعها على الأرمن المحليّين. كان الروس الأكثر انتفاعًا من أعمال الأرمن ضد العثمانيّين. أتاحت نشاطات الوحدات الإرمينيّة والقرويّين الأرمن المسلّحين للروس تحرير رجال

منهم ربما كانت هناك حاجة إليهم في الأناضول والقفقاس أو إرسالهم إلى الجبهة الروسيّة الغربية. بخصوص الأعمال العسكرية النظاميّة، كانت لوحدات الأرمن الأناضوليّين قيمة كبيرة خلف خطوط العثمانيّين، تقطع خطوط البرق وتنهمك في هجمات "مغاوير" أخرى[66]. كما أنها عملت وحدات متقدّمة للجيش الروسيّ في حملته عام (1916 م)[67]. ومع ذلك، كانت القيمة الأكبر للأرمن عند الروس هي إبقاء الجنود العثمانيّين بعيدين عن الجبهة. كان ذلك صحيحًا على نحو خاص في مناطق مثل وان وزيتون وموسى داي، حيث أبقت حوادث العصيان المسلّح المهمة آلاف الجنود العثمانيّين منشغلين. اضطرّ العثمانيّون، نظرًا إلى حالة العصيان المسلّح في شرقي الأناضول، إلى إبقاء كثير من الجنود بعيدًا خلف الخطوط لحماية السكان[68]. وبهذا، أُقصي هؤلاء الجنود عن المعارك مع الروس. ومن ثم، لم يكتسب الروس مقاتلين أرمن جانبهم فحسب، بل أبقوا الجنود العثمانيّين بعيدين عن الجبهة أيضًا؛ زوج قيّم من المزايا[69].

5/6] الردّ العثمانيّ

كان الردّ العثمانيّ على الثورة الإرمينيّة لا يختلف كثيرًا عن ردّ حكومات القرن العشرين الأخرى التي تُواجهها حرب عصابات: عزل العصابات عن الدعم المحليّ بالتخلّص من المناصرين المحليّين. أدرك العثمانيّون أن الثوّار الأرمن يتلقون دعمًا مطلقًا من القرويّين الأرمن ومن أرمن المدن الشرقية التي كانت موطنًا لزعماء ثورهم. لذلك، قرر العثمانيّون اتّخاذ إجراء جذريّ: نزوح قسريّ للسكان الأرمن في المناطق العسكرية الفعليّة أو المحتملة. صدرت الأوامر الأولى بهذا الشأن في 26 آيّار عام (1915 م). كان الهدف من النزوح القسريّ تخفيف كثافة الأرمن وإبقاءهم بعيدين عن المناطق العسكرية والمعسكرات المهمة. كان يجب أن تكون المستوطنات بعيدة (25) كيلومترًا

على الأقل عن أي سكّة حديدية. وبعد إعادة التوطين، كان يجب ألاّ يتجاوز مقدار الأرمن بين سكان أي منطقة (10%)[70].

كانت نيات اسطمبول واضحة: نقل وإعادة توطين الأرمن سلميًا. تدلّ الوثائق العثمانيّة الوحيدة التي يمكن التحقّق منها بهذا الشأن على اهتمام رسميّ على الأقل بالنازحين الأرمن. كُتبت الإجراءات المفصّلة في اسطمبول وأُرسلت إلى الأقاليم، وشملت بيع بضائع اللاجئين، وتوطين اللاجئين في مواقع اقتصادية مشابهة لتلك التي تركوها، وتعليمات بشأن الصحة وتطبيق القوانين الصحيّة، وما شابه ذلك. باختصار، بدا كلّ ذلك ممتازًا على الورق. أظهرت المادتان (1) و(3) من قوانين إعادة التوطين كيف نشأت المشكلات:

> المادة 1) تقع مسؤولية تنظيم وسائل النقل للذين سيجري نقلهم على عاتق الإدارات المحليّة.
>
> المادة 3) إن حماية أرواح الأرمن الذين سيُنقلون إلى مستوطناتهم الجديدة على الطريق وممتلكاتهم، ومثواهم وإقامتهم وراحتهم من مسؤوليات الإدارات المحليّة على الطريق. إن موظّفي الدوائر الحكوميّة في جميع التشكيلات مسؤولون عن أيّ إهمال بهذا الخصوص[71].

كان المسؤولون الإداريّون الذين يُنتظر أن يشرفوا على الحركة الضخمة للناس، في غمرة حرب عصابات مع الثوريّين الأرمن وحرب تقليدية مع الروس. لم يكن تحت إمرتهم إلاّ قوات صغيرة جدًا لحفظ السلام. لم تكن قوات الدرك المتبقيّة كافية لمقاتلة الثوريّين حتى تتمكّن من حماية قوافل النازحين الأرمن. وهكذا، وُضع الموظّفون العثمانيّون في الشرق أمام خيار إرسال قوافل من الأرمن مخفورة جيّدًا أو إبقاء الدرك في أمكنتهم للدفاع عن المسلمين (وعن أنفسهم) في نطاق سلطتهم. من غير المؤكّد إن كان كثير من البشر سيسلكون مسارًا غير المسار الذي سلكه الموظّفون؛ دافعوا عما يخصّهم. لا شكّ في أنهم وجدوا أنه من الحماقة إرسال ما لديهم من

قوات الدرك للدفاع عن الأرمن، ومن ثم إفساح المجال أمام أرمن آخرين لمهاجمتهم[72].

كان من باب أولى أن يقع عبء الدفاع عن الأرمن على عاتق الحكومة المركزيّة، لكن حالة الحكومة المركزيّة كانت مماثلة لحالة الحكومات المحلّية. كان يعني إرسال قوات عسكرية نظامية لحماية القوافل الإرمينيّة سحب هذه القوات من المعركة ضد الروس أو ضد الأرمن. لم يكن في نيّة الحكومة المركزيّة فعل ذلك، وفي الحقيقة لم يكن فعل ذلك ممكنًا عندها أصلاً. لا يمكن أنهم كانوا واهمين فيما يخصّ ما يمكن أن يحدث للمسلمين فيما لو تأسّست دولة أرمنيّة. علّمتهم حروب البلقان ما عليهم أن يتوقّعوه. قدّم مصير اللاجئين المسلمين من الأراضي التي استولى عليها الروس درسًا واضحًا أيضًا. كانت أسرع طريقة تضمن أن الأمر نفسه سيتكرّر في شرقي الأناضول هي أن يخسروا الحرب؛ كان صرف القوات من مهماتها القتاليّة سيزيد من احتمال الخسارة إلى حد بعيد. لا شكّ في أن خطر القيام بفعل كهذا للدفاع عن النازحين الأرمن بدا للحكومة المركزيّة ضربًا من الحماقة لا يختلف عما بدا للموظّفين المحلّيين من حماقة لو أرسلوا قوات درك نفيسة لمرافقة الأرمن المرحّلين.

فقدان الأمن المناسب أفسح المجال أمام أحداث تالية: كان بعض الموظّفين العثمانيّين فاسدين فسرقوا من الذين كانوا في عهدهم. لا ريب في أن بعض الموظّفين، خصوصًا أولئك الذين كانوا من جماعات القفقاس المسلمة التي عانت هي ذاتها حديثًا الحرمان نفسه، وجدوا في الحالة الإرمينيّة فرصة لتسوية حسابات قديمة. جمع المواطنون المحلّيون مبالغَ ضخمة من المتاجرة بممتلكات، وشقاء النازحين الأرمن. كان من ضمن هؤلاء مسلمون ومسيحيّون يونانيّون، حيث اشترى بعضهم من الأخيرين أراضيَ وممتلكات أرمنيّة في أقاليم البحر الأسود[73]. كان أكبر خطر وسببًا لوفيات الأرمن القبائل البدوية التي هاجمت القوافل الإرمينيّة. لم تستطع قوات الدرك القليلة

التي خُصّصت لمرافقة القوافل، على سبيل المثال، حمايتها من هجمات الكُرد المسلحة. ومع أن القبائل لم تنخرط عادة في القتل الجماعيّ للنازحين الأرمن، إلاّ أنها قتلت عددًا كبيرًا منهم وخطفت نساءهم. ربما كان سبب أكثر الوفيات سرقة هذه القبائل لما احتاج إليه الأرمن للبقاء. مع وجود الأنظمة، لم يُقدّم للنازحين إلاّ القليل من الطعام، الذين كان يُنتظر منهم أن يُطعموا أنفسهم، لكن القبائل استولت على قوتهم، فكانت النتيجة مجاعة.

شارك بعض الموظّفين العثمانيّين أنفسهم في سرقة الأرمن، وفي بعض الأحيان حتى في قتلهم. أدركت الحكومة العثمانيّة ذلك وحاكمت كثيرًا من الأتراك على أعمال ضد الأرمن. وجد كاموران غورون (Kamuran Gürün) وثائقَ تعدّد إدانات بحقّ (1397) شخصًا لجرائم ضد الأرمن[74]. أُعدم بعضهم لجرائمهم. في حين إنه من غير المؤكّد أن تكون أعمال هؤلاء في ذاتها عاملاً أساسًا في وفيات الأرمن، فإنه من غير المؤكّد أيضًا أن يكون أولئك الموظّفون الذين حاكمتهم حكومتهم بعد ذلك لجرائم ضد الأرمن اهتمّوا كثيرًا بمصلحة الأرمن حين كانوا على رأس عملهم.

كان قرار إجبار الأرمن على الرحيل صحيحًا باللغة العسكرية المحضة، لكنه سبّب متاعبَ ووفيات كبيرة بينهم، وهذا يبعث على الأسى. ومع ذلك، أدّى القرار إلى النتيجة المرجوّة: تضاءلت هجمات الثوريّين الأرمن في المناطق التي ما زالت تحت سيطرة الحكومة العثمانيّة. لم تستطع العصابات المعزولة عن الدعم المحلّيّ أن تؤدّي عملها. لن يكون ممكنًا قط معرفة إذا كانت هناك حاجة فعليّة إلى القرار للتأثير في نتيجة الحرب. في النتيجة، أظهر ترحيل الأرمن إخفاق الدولة العثمانيّة في قدرتها على حماية مواطنيها، أهم مظهر لأي دولة. كان ضعف الدولة العثمانيّة هو الذي اضطرّها إلى الاختيار بين مجموعتَين من مواطنيها. يجب أن يتقاسم العثمانيّون المسؤولية عن وفيات الأرمن في القوافل مع الثوريّين الأرمن ومناصريهم ومع الروس.

6/6] التقهقر الأرمني

حدثـــت أسوأ المذابح والتدمير للقرى المسلمة التي ارتكبها الأرمن ضد المســـلمين خـــلال فترتين، بداية الحرب العالمية الأولى ونهايتها. بدأت الفترة الأولى مع دخول الإمبراطورية العثمانيّة في الحرب وطلائع ثورة أرمنيّة منظّمة ضد العثمانيّين. انتهت تلك الفترة مع الاحتلال الروسيّ لشرقي الأناضول في عام (1916 م). بدأت الفترة الثانية مع انحلال الجيش الروسيّ أو انسحابه من شرقي الأناضول، وانتهت مع هزيمة القوات الإرمينيّة المسلّحة التي حلّت محل الروس في الميدان.

ليســـت هناك في الفترة الوسطى من الحرب، سنوات الاحتلال الروسيّ لشـــرقي الأناضول، من منتصف عام (1916 م) حتى منتصف عام (1917 م) أدلّـــة مـــن أيّ نوع. ليس هناك لجان تحقيق عثمانيّة، كتلك التي حقّقت في الأعمال الوحشية السابقة، لتسجّل وقائع الاحتلال الروسيّ. تشير تقارير متفرّقة إلى حـــدوث مجازر كبيرة للمسلمين، خصوصًا في إقليمي وان وبتليس[75]. من الواضـــح، نظـــرًا إلى العـــدد الكبير للاجئين المسلمين، أن الأوضاع كانت مروِّعة، لكنها لم تكن أسوأ من تلك التي سادت بعد أن انهار الجيش الروسيّ في عام (1917 م).

جلبت الثورة الروسيّة معها فرارًا جماعيًا للجنود الروس من الخدمة على الجبهة الأناضـــوليّة. هجـــر مجنّدون وبعض الضباط وحداتهم وعادوا ببساطة إلى بيتهم، سارقين قوتهم (وكلّ شيء آخر كان متاحًا) من القرى التي اجتازوها[76]. جرى اســـتبدال سلطة من الجنود والعصابات الإرمينيّة بالسلطة الروسيّة في شرقي الأناضـــول، في البداية اسميّـــًا تحت سيطرة الاتحاد عبر القفقاسيّ، ثمّ قوات الجمهورية الإرمينيّة. امتدّت المنطقة التي حكموها في الأناضول من أرزنجان في الشرق إلى حدود بلاد فارس وشمالاً إلى طربزون وحدود إرمينية الروسيّة.

عـانى القرويّون المسلمون نهب الجنود الروس الفارّين، لكنهم عانوا على نحو أسوأ بكثير الأرمن الذين عُهد إليهم في السلطة. بعد أن رحل الروس، لم يعد هناك شيء يضبط الأرمن. كانت أحداث الفترة الأولى من حكم الأرمن قصير الأجل من النمط الذي كان شائعًا في ذلك الزمن؛ قتل قرويّين مسلمين عُـزُل وخطـف آخرين لم يُشاهَدوا قط بعد ذلك، وتدمير أسواق وأحياء وقرى مسلمة، ونهب واغتصاب واسع الانتشار[77].

اسـتمرّت الأعمال الوحشية الإرمينيّة بين أرزنجان وقارص فترة قصيرة تقريبًا. مستخدمة وحدات احتياطية جرى الاحتفاظ بها لهذا الغرض، أعقبت الحكومـة العثمانـيّة الانهيار الروسيّ هجوم على الأراضي المحتلّة[78]. ومع أن الأرمـن كانوا مزوّدين بأسلحة وعتاد روسيّ على نحو جيّد تقريبًا، إلاّ أن القوات العثمانيّة المهيّأة فاقتهم عددًا. مسلّحين بالمسوّغ الأخلاقيّ لما ارتُكب مـن اعـتداءات على القرويّين وسكان المدن المسلمين[79]، شنّ العثمانيّون هجومهـم. تقهقرت القوات الإرمينيّة على نحو فوضويّ. كان واضحًا لهم أنهم خسروا قضيّتهم ولو مؤقّتًا على الأقلّ، وأن الأتراك سيحتلّون من جديد مـا ادّعـى الأرمـن أنها إرمينية الأناضوليّة. بدؤوا بالعمل للتأكّد من أن العثمانـيّين لن يجدوا شيئًا يُذكر حين يصلون. لم يُنقذ كثير من المسلمين إلاّ الـزحف السـريع للجيش العثمانيّ. هلك في حالات كثيرة كلّ من لم يتم الوصول إليه في الوقت المناسب.

قـدّم العثمانـيّون ثمّ القوميّون الأتراك، خصوصًا الجنرالات العثمانيّين والقومـيّين الأتراك على الجبهة الشرقية، شكاوى من الطريقة التي عامل بها الأرمن المسلمين. وجد الأتراك صعوبة في العثور على المسؤولين عن القوات والعصـابات الإرمينيّة. كانت الشكاوى والقوائم بالأعمال الوحشية تُرسل عـادة إلى القادة الروس المسؤولين اسميّـا أولاً، ثمّ إلى الجنرالات[80] الذين قادوا نظريّـا قوات الاتحاد عبر القفقاسيّ. في الحقيقة، لم يكن هؤلاء أسياد

الأرمــــن الذين كانوا يقتلون مسلمين. مقلّلاً من أهمية الحالة، كتب الجنرال وهيب باشا، قائد الجيش العثمانيّ الثالث في شمال شرقي الأناضول، «أخبرتُ القيادة الروسيّة على نحو منتظم عن هذه الأعمال الوحشيّة والشنيعة، وتكوّن لديّ انطباع أن القيادة المذكورة يبدو أنها تخفق في إعادة فرض النظام»[81]. لو استجابت العصابات الإرمينيّة لأيّ سيّد، فإن هذا السيّد كان الجمهورية الإرمينيّة التي لم تكن متعاطفة مع المسلمين ولم يكن لديها رغبة في الخضوع لرغبات العثمانيّين[82].

تلقّى وهيب باشا تقارير الوحدات المتقدّمة التي دخلت المدن التي أخلاها الأرمــــن، وشـــاهد الأدلّة على الأعمال الوحشية الإرمينيّة بأمّ عينه. وصف الحالة المحزنة في تقريره إلى رؤسائه في اسطمبول:

> جُمع جميع الناس ذوي الأعمار القادرة على حمل السلاح، واقتيدوا باتجاه ساريقميش (Sarikamiş) لبناء الطرق وجرى قتلهم. تعرّض من تـــبقّى منهم لأعمال وحشية وقتلٍ من الأرمن بعد انسحاب الروس، وأُبـــيد قسم منهم وأُلقي بالجثث في الآبار أو أُحرقت في البيوت أو مُثّل بها بالحراب، شُقّت بطونهم في المسالخ، ومُزّقت أكبادهم ورئاتهم، وعُلّقت النساء والفتيات من شعورهنّ بعد أن كنّ عرضة لجميع أنواع الأفعــــال الشـــيطانيّة. كـــان بعض الذين استطاعوا النجاة من هذه الأعمــــال الوحشية، الأسوأ من تلك في محكمة التفتيش الإسبانيّة، في هـــزال، وأمواتًا أكثر من أن يكونوا أحياءً، مذعورين، فقد بعضهم صوابه، نحو (1500) في أرزنجان و(30,000) في أرضروم. الناس جياع وفي فقر، إذ أُخذ منهم كلّ ما كانوا يملكون، وتُركت أراضيهم غير محروثة.
>
> استطاع الناس البقاء على قيد الحياة من المؤن التي خلّفها الروس في المخازن. القرى المحيطة بأرزنجان وأرضروم في حالة يُرثى لها. سُوّيت بعـــض القرى على الطريق بالأرض، لم يبقَ حجر على حجر، وقُتل جميع الناس»[83].

6/6/1] أرزنجان (Erzincan)

بدأت الأحداث في أرزنجان في أواخر كانون الثاني عام (1918 م). كان الجنود الأرمن الذين يسيطرون على أرزنجان أعضاءً في الجيش الروسيّ، وكانوا اسميًّا تحت قيادة رجل فرنسيّ خدم في الجيش الروسيّ، الكولونيل موريل (Morel). إضافة إلى هؤلاء، كانت هناك قوة من العصابات الإرمينيّة بقيادة "مراد" (Murat) وهو زعيم عصابة في الأصل من سيواس. جرى إعدام السكان المسلمين على أيدي هذه العصابات الإرمينيّة في المقام الأول.

اقتاد الأرمن أبرز أعضاء المجتمع المسلم الذكور إجراء أول لهم وأعدموهم، بعضهم في المدينة، بعضهم الآخر في المناطق المحيطة[84]. قَتلوا المسلمين المتبقّين جماعيًا، وأحرقوا كثيرين حتى الموت في ساحة المدينة والثكنات والبيوت المجاورة.

أُحضر إلى المدينة مئات[85] المسلمين من القرى المحيطة وجرى إعدامهم. كانت نيّة قتل أكبر عدد من المسلمين واضحة من أفعال، تكرّرت بعد ذلك في مناطق أخرى، القادة الأرمن[86] الذين ذهبوا إلى القرى المحيطة وأمروا الفلاحين بالتجمّع في المدينة. قُتل كلّ من أذعن للأمر.

دخلت القوات العثمانيّة أرزنجان بعد عشرة أيام من بداية المجزرة، حيث أضحت مدينة أشباح؛ الأرمن فرّوا والمسلمون لقوا حتفهم. تقدّم الجنود العثمانيّون على طول طريق من الجثث:

> **[وهيب باشا] شاهدتُ من جردقلي–بواز (Çardaklı-Boğaz) إلى أرزنجان جميع القرى مدمّرة إلى درجة لم يفلت كوخ قرويّ واحد من التدمير. قُطعت كل الأشجار في بساتين الفاكهة وقُتل جميع القرويّين. لم يُسجّل التاريخ أعمالاً وحشية كتلك التي ارتكبها الأرمن في أرزنجان. لم نفعل على مدى ثلاثة أيام شيئًا إلاّ جمع جثث المسلمين الذين قتلهم الأرمن وطرحها جانبًا. من بين هؤلاء الضحايا الأبرياء**

أطفـــال لم يُفطمـــوا بعد، ورجال في التسعينيّات من العمر، ونساء مقطّعات إربًا إربًا[87].

قـــدّر وهيب باشا أن عدد البيوت المدمّرة تجاوز الألف[88]. جرى هدم جمـــيع المنشآت العامة في أرزنجان وكذلك أكثر بيوت المسلمين الخاصة. في بعض الأحيان، كما هي الحال في الثكنات العسكرية، كان التدمير جزءًا من مجزرة المسلمين. دُمّرت مبان أخرى كالمساجد والمباني الحكومية كونها رموز الحكومـــة العثمانـــيّة أو الدّين الإسلاميّ. يستطيع المرء الافتراض من مدى الـــتدمير أن الأرمـــن لم يظنوا أن بإمكانهم الصمود في أرزنجان، وأنهم قاموا بتدميرها عوضًا من تسليمها لأعدائهم. كانت المدينة خرابًا[89]. نقل الجنود العثمانيّون الذين دخلوا المدينة مشهدًا مرعبًا: «مدينة أرزنجان مسرح لمأساة. الآبـــار مليئة بجثث المسلمين. ما زالت الأجساد مقطّعة الأوصال، والأيدي والأرجـــل والـــرؤوس منتشرة في كل حدائق البيوت»[90]. عثر الجنود على (312) جثة غير مدفونة[91]؛ (606) جثث مدفونة في الآبار والخنادق؛ وطبعًا كـــان هناك عدد آخر من القتلى. لم يُعرف مصير (650) مسلمًا أُخذوا من المدينة بزعم تشغيلهم في إنشاء الطرق[92].

6/6/2] بايبورد (Bayburt)

كانت الأحداث في بايبورد مشابهة لتلك في أرزنجان. كما في أرزنجان، أمـــرت العصـــابات الإرمينيّة (بقيادة أرشاك Arshak) سكان المنطقة المحيطة بالـــتجمّع في المدينة. لكن المسلمين الذين علموا بالأحداث التي جرت منذ عهـــد قريب جدًا في أرزنجان[93]، فرّوا إلى الجبال. دمّر بايبورد نفسها على نطـــاق واسع الأرمن الذين أُجبروا على الانسحاب أمام الزحف العثمانيّ في عام (1918 م). وقبل رحيلهم، جمّع رجال عصابات أرمن (250) مسلمًا في الســـجن المركـــزيّ وقاموا بقتلهم. أُحرق نحو (400) مبنى في المدينة. حين

وصلت القوات العثمانيّة، عثرت على مئتي جثة إضافية مدفونة على عجل أو ملقاة في الشوارع. ربما قُتل أكثر من (600) مسلم[94].

6/6/3] ترجان (Tercan)

دمّــر الأرمن المنسحبون مدينة ترجان كاملة. كانت المباني المدمّرة التي نُســف كــثير منها بالديناميت الذي تُرك في مستودعات الذخيرة الروسيّة، مليــئة بجثــث مسلمين. أحصى الجنود العثمانيّون الذين دخلوا إلى الخرائب (700) جثة طفل. ألقى الأتراك الناجون والقوات العثمانيّة المسؤولية عن هذه الأعمــال الوحشية على الأرمن. «لم يكابد الناس وحشية من الروس. كل هذه الأعمال الوحشية والتدمير من فعل الأرمن بعد انسحاب الروس»[95].

6/6/4] أرضروم (Erzurum)

كــان وضــع الأتراك في مدينة أرضروم أحسن حالاً تقريبًا، على الأقل مقارنــة بمناطق أخرى في الشرق العثمانيّ، إلى أن انحلّت السلطة الروسيّة في المديــنة. مــا إن انتهى الحكم الروسيّ، حتى بدأ الأتراك يعانون أولاً معاملة الأرمــن المهينة لهم، ثمّ الخطف والسرقة، وأخيرًا الاغتصاب والقتل. هوجم الأتــراك في الشــوارع، وكــانوا أكثر أمانًا بقليل في بيوتهم من العصابات الإرمينيّة المتجوّلة[96].

بــدأت المجزرة الأخيرة للمسلمين في أرضروم في 10 شباط عام (1918 م). في ذلــك الــيوم، اقتيد عدد كبير من المسلمين بحجة أعمال السخرة، فسُرقوا وقُــتلوا أمــام بوابة قارص التي تؤدي إلى خارج مدينة أرضروم. في المدينة نفســها، جــرى اقــتحام البــيوت ونهبها وإحراقها وقَتل الآلاف. قدّرت السلطات العثمانيّة مقتل (8000) مسلم في المدينة وحولها[97]. وصفوا المدينة بأنها «مدينة خرائب»[98].

من الممكن أن التقدّم السريع للجيش العثمانيّ أنقذ أرضروم من محنة أكبر. وجدت وحدات الجيش العثمانيّ التي دخلت أرضروم آلافًا من جثث المسلمين الذين قتلهم الأرمن. ما بين استعادة المدينة في 12 آذار عام (1918 م) و 20 آذار، أحصى الجنود العثمانيّون (2127) جثة من الذكور وكان العدّ والبحث مستمرَّين. كانت تلك جثث ذكور فقط عُثر عليها ضمن حدود المدينة وجرى إحصاؤها في الأيام الثمانية الأولى لدخول العثمانيّين إلى المدينة، قسم من الذين قُتلوا ليس إلاّ[99].

6/ 6/ 5] الريف

من المألوف ألاّ تفلت القرى من الأرمن. علّق النقيب رفيق في أرضروم، «جميع القرى من طربزون إلى أرضروم أكوام من الأنقاض»[100]. ربما كان ذلك مبالغة، لكنه يدلّ على حالة القرى المسلمة مع عبور القوات الإرمينيّة مباشرة. لم تُمس القرى المسيحيّة عمومًا، وهذا يتوافق مع أدلّة من مصادر أميركيّة[101].

كان التدمير الأسوأ هو ذلك الذي حلّ بالقرى على خط الانسحاب الأرمنيّ من أرزنجان حتى أرضروم ومن طربزون حتى أرضروم؛ في المنطقة الأخيرة، كانت العصابات اليونانيّة مسؤولة أيضًا عن بعض تلك الأحداث. بحسب تقارير الجيش العثمانيّ، أحرقت العصابات الإرمينيّة في منطقة أرزنجان عشرين بيتًا قبل أن تفرّ من ينيل كوي (Yenilköy) وتقتل (35) شخصًا في عسقلة[102] (Askale). قتل الأرمن الفارّون على الطريق من حنس (Hınıs) إلى كوبري كوي (Köprüköy) كلّ مسلم صادفوه في طريقهم[103]. أُتلفت المؤن الغذائية وأُخبر عن مقتل (400) مسلم في بلدة ماماحاتون (Mamahatun) (ترجان) والقرى المحيطة[104]. اكتسحت العصابات الإرمينيّة بسرعة القرى المسلمة التي مرّت بها أثناء انسحابها وقتلت كلّ من استطاعت العثور عليه. على سبيل المثال، أحرقت قرية طازكول (Tazegül) إحدى العصابات وقتلت

ثلاثين قرويّـــاً؛ حدث الأمر ذاته في أورني (Öreni) في المنطقة نفسها[105]. أعلـــن وزيـــر الداخلـــية العثمانيّة أيضًا عن مقتل (36) مسلمًا في يوسفلي (Yusufeli) و(150) في إسبر (Ispır) و(85) في كوبري كوي. قُتل مئتان في بادجوان (Badıcıvan) وجُرح (385)[106].

كان الوضع في القرى شمال أرزنجان مماثلاً للوضع في الشرق. عانت تلك القرى إلى حد بعيد العصابات الإرمينيّة في أثناء فترة الاحتلال الروسيّ وإلى حـــد أبعـــد في أثـــناء الانسحاب الأرمنيّ. لم تُدمّر القرى ويُقتل القرويّون فحسب، بل وأُتلفت أسباب عيش الناجين أيضًا. قُطعت أشجار الفاكهة التي يملكونها والتي كانت ستستغرق سنوات عديدة كي تُثمر.

في المناطق التي اجتازها الجنود والعصابات الإرمينيّة، لم يفلت من الدمار إلاّ عـــدد قليل جدًا من القرى المسلمة. ربما فرّ القرويّون إلى الجبال أو أنهم قُتلوا. كتب مراسل صُحف نمساويّة كان على أرض الحدث، الدكتور ستفان إشناني (Stephan Eshnanie) «جرى تدمير جميع القرى من طربزون إلى أرزنجان ومن أرزنجـــان إلى أرضروم. إنّني الآن في أرضروم، وما أشاهده رهيبًا. كل المدينة مدمّرة تقريبًا. لا تزال رائحة الجثث تفوح في الهواء... »[107].

سدّ اللاجئون المسلمون الطرق، حيث جرت مهاجمتهم وقتلهم في كثير من الأحيان، كما جرى خطف النساء ومصادرة البضائع[108].

إن قائمة القرى المسلمة التي دمّرها الأرمن في الأشهر الأخيرة من الحرب العالمـــية الأولى طويلة، تمامًا كقائمة الذين قتلهم الأرمن. دمّر الجنود الأرمن المنسحبون مناطقَ كاملة، خصوصًا على خطوط الانسحاب. أُحرقت القرى ونُسفت بالديناميت وقُتل سكانها. اختلفت طرق الإبادة. على سبيل المثال، قتل الأرمن خمسين مسلمًا في قرية أركنيس (Erkinis) شمالي أرضروم، بينما أحرقوا بلدة حسن كالي (Hasankale) الريفيّة إلى الأرض وقتلوا أولئك الذين لم يستطيعوا الفرار[109]. قتل الأرمن سكان قرى مثل سارلي بازار (Sarlıpazar)

وأكّيلييه (Akkilise) وإنسيل (İnesil) قريبًا من أرزنجان ببطء على فترة طويلة من الزمن[110]. في مناطق أخرى، مثل كوكورتلي (Kukurtlu) دخل الأرمن المدينة وقتلوا ثلاثمئة من سكانها المسلمين في يوم واحد[111].

واجــه الجنود العثمانيّون الذين استعادوا شرقي الأناضول من الأرمن مشاهدَ مخيفة، ونقلوا ما شاهدوه في تقارير مفصّلة. على سبيل المثال: «اقتاد الأرمن نحو خمســين مسلمًا من قرية أركنيس وأقدموا على قتلهم... كما قتلوا المسلمين في قــرية حســن كالي والمناطق المجاورة بالرصاص والفؤوس والسكاكين. عاملوا العذارى على نحو مقيت، وسبوا بعضهنّ... »[112].

بعد أن تقهقر الأرمن، كان أكثر شرقي الأناضول بمنزلة المقبرة.

7/6] قيليقية (Cilicia)

إن مصــطلح قليقــية الجغرافيّ غير دقيق، وهو في ذلك مثل مصطلحات أخرى كانت تُستخدم في ذلك الوقت كفلسطين أو إرمينية أو كردستان. لم يرمــز أيّ مــنها إلى تقسيم إداريّ حقيقيّ، لذا، كانت حدودها في أذهان أولــئك الذيــن استخدموا تلك المصطلحات فحسب. شمل مصطلح قليقية عمومًا إقليم أطنة العثمانيّ وسنجق مرعش والمناطق المجاورة.

حــين تقاسمت القوى المتحالفة غنائم الحرب، تعاملت مع قليقية امتدادًا لشــماليّ لسورية ووهبتها لفرنسا. بحسب معاهدة سايكس–بيكو (Sykes-Picot Agreement) في عــام (1916 م) بين إنغلترا وفرنسا، تضمّنت المنطقة الفرنسيّة أكثر أقاليم أطنة وشمالي حلب ودياربكر ومعمورة العزيز وسيواس العثمانيّة، منطقة شملت مدن أطنة والإسكندرونة ومرعش وعينتاب (Antep) وماردين ودياربكر. ولكن مع نهاية الحرب، كان من الواضح أن الفرنسيّين لن يستطيعوا السيطرة على منطقة واسعة كهذه قط. لهذا السبب، لم تطالب فرنســا إلاّ بقليقــية. بحســب شروط هدنة مُدروس (Mudros) التي سلّم

العثمانيّون بموجبها بالهزيمة في الحرب، أُجيز للحلفاء احتلال الموانئ «أن يحتلّوا أي مواقع استراتيجية في حال ظهور حالة تهدّد أمن الحلفاء» واحتلال شبكة أنفاق سكّة طوروس الحديديّة[113]. لا يمكن تأويل أيٍّ من هذه المواقع (أو أي مواقع أخرى في الهدنة) على أنها تشمل احتلال الحلفاء لقليقية، لكن الفرنسيّين لم يشعروا بأنهم مقيّدون ببنود الهدنة.

بموجب المادة (16) لهدنة مُدروس، كان على جميع القوات العثمانيّة أن تنسحب من قليقية باستثناء «القوات الضرورية لحفظ النظام». انسحب الجيش العثمانيّ الثاني ببطء، ووصل إلى الغرب من بوزنتي (Pozantı) مع نهاية عام (1918 م) تاركًا وراءه قوات من الدرك فقط لتمثّل السلطة العثمانيّة. حلّت القوات الفرنسيّة محل القوات العثمانيّة. كان الفرنسيّون غير منظّمين وبأعداد قليلة لا تكفي لخفر سورية ذاتها، فكيف قليقية!. قادهم في البداية ضبّاط لم يهتمّوا بفضّ نزاعات زمن الحرب سلميًا. حتى إنه زُعم أن هدف الضباط الفرنسيّين في قليقية، من أمثال الكولونيل بريموند (Bremond) كان جمع ثروات شخصية من خلال المصادرات والإغارات على السكان[114]. الأسوأ من ذلك أن الفرنسيّين لم يكن تحت إمرتهم إلاّ القليل من الجنود الفرنسيّين، أي إن القوات "الفرنسيّة" في قليقية كانت في الحقيقة قوات استعماريّة وأرمنَ؛ والأرمن كانوا اسميًّا فقط تحت إمرة الضباط الفرنسيّين. كان أول عملاء الاحتلال الفرنسيّ في قليقية كتائب من الفيلق الأرمنيّ[115]. تألّف الفيلق الأرمنيّ، وهو جزء من فيلق المشرق الفرنسيّ (French Légion d'Orient) من أربع كتائب، بلغ عدد جنودها وضباطها نحو (5000) تطوّعوا في مصر وكانوا من اللاجئين الأرمن من الأناضول[116]، ومن أرمن من أنحاء أخرى في الشرق الأوسط، ومن أرمن جاؤوا من أوربة وحتى من أميركا. كان هدف الفيلق واضحًا منذ البداية. وكما صرّح مسؤولون أرمن، لم يتطوّع أعضاء الفيلق وحدات نظامية فرنسيّة، بل فرقة خاصة تطوّعت لمقاتلة الأتراك (ليس إلاّ)[117]. زعمت مصادر فرنسيّة أن الوحدات الإرمينيّة كانت

مبتلاة بفقدان الانضباط ورفضت تنفيذ أوامر ضبّاطها. كانت تلك الوحدات متأثّرة إلى حد كبير بالجماعات الثوريّة الإرمينيّة. كانت مشاعر عداء تلك الوحدات للمسلمين قوية إلى درجة أنها تقاتلت حتى مع القوات المسلمة الجزائريّة الفرنسيّة[118].

في تشرين الثاني من عام (1918 م) قاتل الفيلق الأرمنيّ الشرطة في بيروت، مسبّبًا إحراجًا كبيرًا للفرنسيّين. أرسل الأرمن شمالاً ليحتلّوا أراضيَ تركيّة مباشرة بعد الكارثة المفاجئة في بيروت. وصلوا إلى الإسكندرونة في أواخر تشرين الثاني. بقي بعضهم هناك بينما أُرسل بعضهم الآخر في أواخر كانون الأول ليحتلّوا إقليم أطنة. حدثت اضطرابات بعد وصولهم إلى الإسكندرونة وبيلان (Baylan) ودورتيول. اتّحد القرويّون والجنود الأرمن في دورتيول لمهاجمة القرى المسلمة. فرّ القرويّون الأتراك إلى الجبال. جرى نهب الممتلكات التي خلّفها القرويّون[119]. حين حاول الفرنسيّون أن يكبحوا هجماتهم على بيوت المسلمين، تمرّد الجنود الأرمن في بيلان، بينما فرّ آخرون من الجنديّة وانضمّوا إلى جماعات مؤلّفة من أعضاء في الفيلق وأرمن محلّيين ولاجئين أرمن وهاجموا مدينتَي عرب-درسي (Arab-Deresi) وقرق خان (Kırık Deresi) (عام 1919 م)[120].

حين دخل الفيلق الأرمنيّ الإسكندرونة، اجتاح بيوت المسلمين باحثًا ظاهريًّا عن الفتيات الأرمنيّات اللواتي أسرهنّ الأتراك[121]. صاحبت تلك النشاطات عدة أعمال اغتصاب، وجرى خطف بعض النساء اللواتي كانت لهنّ في الحقيقة خلفية أرمنيّة[122]. جرت أحداث كهذه في إقليم أطنة حيثما ظهرت قوات أرمنيّة. سجّلت الحكومة العثمانيّة الاستخدام المفرط لأعقاب البنادق أدوات لسياسة الاحتلال. كان قتل الأتراك شائعًا، لكن ذلك كان على نطاق ضيق مقارنة بالحالة المعاصرة في غربي الأناضول والقفقاس وشرقها[123]. تشكّلت عصابات أنصار من القرويّين الأرمن المحلّيين واللاجئين


Kalecik قلعة جك
Yozgat بوزغاد
Ankara أنقره
Keskin كسكين
Sivas سيواس
جياقجور Capakçur
موش Muş
Arapkir عربكير
Harput خربوط
بوغازليان Boğazliyan
قيرشهري Kirşehir
دارندة Darende
ملاطية Malatya
قيصرية Kayseri
البستان Elbistan
دياربكر Diyarbakir
سيورك Siverek
الأناضول
Develi دوة لو
زيتون Zeytun
اديامان Adıyaman
Mardin ماردين
نيكدة Niğde
اندرين Andırın
مرعش Maraş
Besni بسني
اورفة Urfa
قونية Konya
كوزان Kozan
عينتاب Antep
Birecik بيرة جك
Pozantı بوزنتي
قيليقية
عثمانية Osmaniye
قره مان Karaman
طرسوس Tarsus
CILICIA
Dörtyol
Kilis كلس
Adana أطنة
Payas بياس
ارمناك Ermenek
موط Mut
Mersin مرسين
Iskenderun الإسكندرونة
Meskene الشيخ مسكين
حمام Hamam
Baylan بيلان
Aleppo حلب
Silifke سيليفكة
اناموز Anamur
Antakya انطاكية
Zor دير الزور
سورية
Latakiya اللاذقية
حماه Hama
قبرص
حمص Homs
Trablus طرابلس
بيروت Beyrut
البحر الأبيض المتوسط
Damascus دمشق
عكا Akka

⑦ قيليقية

الأرمن العائدين والفارّين من الفيلق الأرمنيّ، وأنهكت هذه العصابات القرويّين الأتراك في كل مناطق الاحتلال[124]. لم يكن للقرويّين الأتراك سبيل إلى القانون أو أمل في المساعدة، لأن السلطة المدنية كانت بأيدي الأرمن، مع أنها كانت نظريّـًا بأيدي الفرنسيّين. أكّد الفرنسيّون أنهم والبريطانيّين كانوا غير قادرين على كبح الأرمن والاستجابة لشكاوى الأتراك التي قال عنها الجنرال الفرنسيّ هاملِن (Hamelin): «شكاوى، مبنية لسوء الحظّ على أسس صحيحة في أكثر الأحيان، ضدّ كل أنواع التجاوزات [الإرمينيّة] ضدّ السكان (السرقة والهجمات المسلّحة والنهب والقتل)»[125].

بينما كانت الهجمات على الأتراك جارية، كان الأرمن يترحون إلى قليقية بأعداد كبيرة[126]. ربما كان أكثرهم لاجئين من أجزاء مختلفة من الأناضول كانوا فرّوا في السابق أو رحّلهم العثمانيّون. ساعدت السلطات الفرنسيّة والبريطانيّة (كان البريطانيّون مسؤولين عن المنطقة عقب الحرب مباشرة) في عملية النزوح. أُرسل (8000) أرمنيّ على متن السفن إلى مرسين[127]، ووصل كثيرون آخرون برًا إلى قليقية. توجّه إلى قليقية لاجئون من مناطق أخرى من الأناضول، وكذلك أرمن جاؤوا من مناطق مثل قيصري، حيث مكثوا فيها طوال الحرب، ظانين بأنها ستكون أرضًا أرمنيّة جديدة. افترض الفرنسيّون والبريطانيّون أن كراهية زمن الحرب ستندثر، أو على الأقلّ ستصبح خفيّة، لكنهم كانوا مخطئين في التقدير إلى حدّ بعيد.

جاءت النهاية الفعليّة للفيلق الأرمنيّ بعد أحداث بدأت في الإسكندرونة في السادس عشر من شباط. هاجم الأرمن هناك جنودًا مسلمين فرنسيّين وأخلّوا بالأمن وأحرقوا ونهبوا بيوت مسلمين وقتلوا مسلمين محلّيّين لم يُعرف عددهم[128]. بخلاف أعماله في المناطق القليقية النائية، كانت أعمال الفيلق الأرمنيّ في الإسكندرونة على مرأى من العالم الخارجيّ كلّه وأدّت إلى إعادة تقويم الحلفاء لاستخدامهم القوات الإرمينيّة. أمرت القيادة السوريّة البريطانيّة

الـــتي كانت لا تزال تحتفظ بحق السلطة على سوريّة وقليقية عمومًا، بإجلاء القـــوات الإرمينيّة واستبدال قوات نظاميّة بريطانيّة بها. في الخلاصة المخفية لمؤرّخ فرنسيّ عن الاحتلال الكيليكيّ:

> **بعـــد يومـــين من التمرّد الجماعيّ في الإسكندرونة، جرى استبدال قـــوات بريطانـــية بالكتائب [الإرمينيّة] . . في قليقية نفسها، كانت أعمـــال عـــدم الانضـــباط الكثيرة، السرقات والأعمال الوحشية المخـــتلفة ضـــدّ الأتراك وخطف الفتيات "لإنقاذهنّ" والخطف تحت تهديد السلاح، متعارضة مع مهمة الفيلق[129].**

في الحقيقة، صُرفت القوات الإرمينيّة من الخدمة بين 18 شباط و16 آذار من عام (1919 م) وأُعيد تنظيمها في أطنة ومرسين والحميديّة، حيث واصلت أعمال النهب مدة من الزمن[130].

ومـــع طـــرد الفيلق الأرمنيّ، ظلّ الوضع في قليقية متفجّرًا. بعد خطط الحلفـــاء في تقاســـم الأراضـــي المستولى عليها بينهم، حلّ جنود فرنسيّون، مجـــنّدون من السنغال ووحدات احتياطية أرمنيّة في المقام الأول، سريعًا محلّ الحاميات البريطانيّة. لم تتوقّف الهجمات على المدنيّين المسلمين، خصوصًا في الجـــزء الشرقيّ من قليقية- سنجق مرعش. انهمك هناك كلّ من العصابات التركـــيّة والعصـــابات الإرمينيّة في قتل مدنيّي الجانب الآخر[131]. صدّت قرى تركـــيّة، كـــان بعضـــها مسلّحًا بأسلحة فرنسيّة مستولى عليها، هجمات فرنســـيّين وأرمـــن (محلّيّين قام الفرنسيّون بتسليحهم)[132]. في مدن وقرى الجـــنوب الشرقيّ، أحرق الجنود الفرنسيّون والأرمن المحلّيّون بيوت الأتراك ونهـــبوا المباني واغتصبوا النساء المسلمات وقتلوا المدنيّين الأتراك. صودرت الأسلحة من المسلمين وأُعطيت إلى الأرمن. لكن الأتراك وهم مجموعة كانوا مسلّحين ومقاومين[133]. بلغت الأحداث ذروتها في آذار من عام (1920 م) حين استردّت القوات التركيّة مرعش من الفرنسيّين[134]. قُتل آلاف الأتراك والأرمـــن في المعـــارك والمجازر التي رافقت عملية الاسترداد، ودمّر القصف

الفرنسيّ والإحراق العمد في المقام الأول أكثر المدينة. دمّر المستعمرون الفرنسيّون والأرمن جميع القرى التركيّة على خط انسحابهم. وبكلمات المفوّض السامي الأميركيّ بريستول (Bristol):

كانت أكثريّة القوات مؤلّفة من مستعمرين فرنسيّين وأرمن. أحرقوا ودمّروا قرى تركيّة عديدة على أساس إجراءات عقابية في أثناء تقدّمهم، وجميع القرى التركيّة عمليًّا في أثناء انسحابهم من مرعش[135].

فرّ أكثر أرمن منطقة مرعش مع الفرنسيّين، ولكن بقي في المنطقة آلاف الأرمن تحت حماية الجيش التركيّ. بقدوم السلطة القوميّة التركيّة في سنجق مرعش، توقّف الاضطراب عمليًّا ولم تحدث أي مجازر بعد ذلك[136]. لكن القتال تواصل في بقية أنحاء قليقية، وكان قتل المسلمين مصدر قلق حقيقيّ للقوات التركيّة. نقل البريطانيّون أن الذي أعاق احتلال القوات القوميّة التركيّة أطنة ومرسين هو خوفها من أن يقتل المسيحيّون المحلّيّون الذين كانوا مسلّحين جميع المسلمين في المدينتَين لو تقدّمت تلك القوات[137].

استمرّت المعارك بين الأتراك والفرنسيّين وأعمال القتل بين العصابات الإرمينيّة والتركيّة إلى أن جلا الفرنسيّون أخيرًا عن قليقية في كانون الأول من عام (1921 م) آخذين معهم نحو (30,000) أرمنيّ. حذا حذوهم سريعًا بعد ذلك جميع سكان قليقية الأرمن تقريبًا[138]. بدأ الفرنسيّون الذين كانت خسائرهم تتعاظم، يُظهرون تجاه الأرمن التزامًا أقلّ شيئًا فشيئًا، وكانوا غير راغبين في دفع الثمن الضروريّ لوضع أقليّة أرمنيّة في السلطة في قليقية. في الحقيقة، أصبحوا ينتقدون أعمال الأرمن في قليقية بشدّة. حين سأل البريطانيّون القائد الفرنسيّ الجنرال غوراد (Gourad) لماذا رفض مؤخّرًا إعطاء الأرمن أسلحة قالوا إنهم سيستعملونها لإنقاذ أرمن محاصرين من الأتراك في دورتيول، أجاب:

جرى فعلاً توزيع أسلحة على الأرمن في السابق، للدفاع عن أنفسهم أو لتشكيل وحدات احتياطيّة مرتبطة بالأرتال الفرنسيّة التي كانت تعمل في قليقية. في كلّ حالة، استغلّ الأرمن ذلك ليعاملوا الأتراك بالطريقة التي يزعم الأرمن أنهم عوملوا بها تمامًا، ينهبون ويحرقون القرى ويقتلون مسلمين عُزّلاً[139].

منع وجود جيوش الاحتلال المتحالفة وسرعة تنظيم مسلمي قليقية الأتراك الوضع هناك من أن يتطوّر بالطريقة نفسها التي تطوّر بها في أرضروم وأرزنجان. إذ في شمال شرقي الأناضول، احتل الروس الأرض ثمّ سلّموا السيطرة عليها إلى الأرمن الذين ارتكبوا المجازر ضدّ المسلمين. أما في قليقية، فكان العثمانيّون يسيطرون على الوضع طوال الحرب وكانت المؤسسات العثمانيّة هناك. نظّمت بقايا الجيش العثمانيّ مع قوات الدرك العثمانيّة والمسلمين المحليّين مقاومة فور ظهور الأرمن. بدأ هؤلاء الأتراك في بادئ الأمر بمقاومة الأرمن بمساعدة القوميّين الأتراك، ثمّ بمقاومة الفرنسيّين. ومع أنهم لم يستطيعوا التغلّب على الفرنسيّين على نحو حاسم، إلاّ أنهم استطاعوا أن يجعلوا ثمن احتلال أيّ جزء من جنوب شرقي الأناضول باهظًا في الأرواح والأموال إلى درجة أن الفرنسيّين لم يستطيعوا، أو على الأقلّ لم يرغبوا، في الاستمرار فيه[140].

8/6] جنوبيّ القفقاس

إن معاناة الأرمن في القفقاس في أثناء الحرب العالمية الأولى مباشرة وبعدها، خصوصًا معاناة اللاجئين الأرمن من الأناضول، مشهورة وموثّقة جيدًا[141]. كانت المجاعة والأمراض بينهم شديدة وعدد الوفيات ضخمًا. كان السبب المباشر للوفيات من غير ريب فرار الأرمن المتهوّر من الجيوش العثمانيّة في نهاية الحرب العالمية. إلى مجموع اللاجئين القتلى، يجب إضافة

القتلى الأرمن الذين أمسك بهم جنود عثمانيّون توّاقون إلى الانتقام أو قرويّون مسلمون عادوا إلى ديارهم ليكتشفوا أن إخوانهم المسلمين مقتولون. ما ليس معروفًا عمومًا هو معاناة الأتراك الشديدة والخسائر في الأرواح بينهم وبين مسلمين آخرين في المنطقة.

كان تاريخ المسلمين في القفقاس الروسيّة مرتبطًا إلى حد بعيد بالأحداث السياسية والعسكرية التي جرت بُعيد الثورة الروسيّة في عام (1917 م). بدأ قتل المسلمين ضمن حدود الإمبراطورية الروسيّة بعد الغزو العثمانيّ الأوّلي والهزيمة في منطقة قارص عامي (1914–1915 م). جرى تسجيل مثال للأحداث في منطقة ألتو (جزء من الإمبراطورية الروسيّة منذ عام 1878 م). خسر الروس ألتو للعثمانيّين في كانون الأول من عام (1914 م) لكنهم استعادوها سريعًا في كانون الثاني من عام (1915 م). تبعت ذلك هجمات على قرى مسلمة مشابهة لتلك التي كانت جارية في شرقي الأناضول[142]. ومع ذلك، كانت أعمال القتل هذه محدودة وعلى نحو عام مكبوحة من الروس في المناطق الحدودية. كانت الشواهد على حالة المسلمين في منطقة عبر القفقاس الروسيّة قليلة في الفترة الهادئة الوسطى من الحرب. كان المسلمون بالتأكيد في أمان أكبر في عام (1916 م) منه في عام (1917 م) وحتى عام (1920 م).

كان الجيش الروسيّ يستعدّ في ربيع عام (1917 م) ليُكمل استيلاءه على شرقي الأناضول، بالاستيلاء على دياربكر وحربوط وجميع الأراضي جنوب العراق. لكن ثورة شباط الروسيّة غيّرت خطط الحملة العسكرية جميعها. تسرّب الخبر عن الثورة إلى القوات في الأناضول في الربيع، ولم يرغب أيّ من الجنود أو الضباط في القيام بأيّ عمل قبل أن تتّضح الحالة السياسية الجديدة. ومع أن القوات الروسيّة في الأناضول صمدت فترة أطول من تلك المرابطة على الجبهة الروسيّة الغربية، إلاّ أن الجنود بدؤوا في آخر الأمر يفرّون

من الجنديّة على نحو جماعيّ. لم يبقَ هناك جيش روسيّ بعد الثورة البلشفيّة (7 تشرين الثاني عام 1917 م). كلّ ما تبقّى من هذا الجيش لم يتجاوز بضع مـئات من الضباط الروس إضافة إلى القوات القفقاسيّة المؤلّفة من أرمن في المقـام الأول. من الناحية النظرية، كان هؤلاء قوات الاتحاد عبر القفقاسيّ المؤسَّس حديثًا والمؤلّف من جورجيا وإرمينية وأذربيجان، لكن الجمهوريات الـثلاث الجديـدة سـرعان ما انفصلت وأصبح الجنود جيش الجمهورية الإرمينيّة.

واجـه جـنود الجمهورية الإرمينيّة والعصابات الإرمينيّة المتحالفة مرتقبًا مسـتحيلاً بـين عامي (1917 م) و(1918 م). لم يكن الأرمن قادرين على مواجهـة الجـيش العثمانيّ عسكريّـا من دون الروس. علاوة على ذلك، اضطرّ الأرمن إلى تنظيم أنفسهم وحماية نزوح واسع للاجئين أرمن من أقاليم الأناضـول. (بعد أحداث الحرب، كان أرمن مناطق الأناضول التي استولت علـيها روسـيا في السابق، يتوقّعون بحقّ انتقامًا مفرطًا من المسلمين المحليّين واللاجـئين المسـلمين العائدين). اضطرّ الأرمن إلى الانسحاب إلى إرمينية الروسـيّة (إقلـيم أروان القديم) والمناطق المحيطة بسبب وضعهم العسكريّ الضـعيف. صمّموا على ضمان أن منطقة واحدة على الأقلّ يجب أن تكون أرمنيّة؛ ضمنوا ذلك بقتل السكان المسلمين أو إجبارهم على النزوح. غربًا، كان مصير مماثل ينتظر أرمن أذربيجان، وإن كان أقلّ بكثير. عبر اللاجئون الحدود بالاتّجاهين.

بحلـول عـام (1919 م) كان أكثر المسلمين الذين أقاموا في إقليم أروان لاقوا حتفهم أو أصبحوا لاجئين خارج حدود الجمهورية الإرمينيّة. لم يهجر هـؤلاء المسـلمون ديارهم بسهولة، ومع أن كثير منهم طُردوا في ربيع عام (1918 م) (بعضـهم منذ أواخر عام 1914 م) فإن بعضهم عادوا إلى بيوتهم عـدة مرات على أمل أن تكون الأوضاع السياسية أصبحت أكثر استقرارًا.

ومع كلّ عودة، ترتفع الخسائر في أرواح المسلمين، ويقلّ عدد الذين عليهم أن يترحـــوا مـــن جديد. لم تُعَد مزارعهم إليهم قط، إذ وقعوا في فخّ قرار التبادل السكانيّ الكبير الأخير الذي كان بدأ منذ قرن من الزمن. حين جاء اللاجئون الأرمن من الأناضول إلى الجمهورية الإرمينيّة، استولوا على مزارع المســلمين اللاجــئين. أما المسلمون، فإنهم قُتلوا أو طُردوا إلى الأناضول أو أذربــيجان[143]. كان هناك نحو (150,000) لاجئ مسلم على قيد الحياة في الجمهورية الإرمينيّة في أيلول من عام (1919 م) وكان هؤلاء يموتون بسرعة[144]. اضــطرّ كــثير من الناجين في الحقيقة إلى الفرار إلى أي منطقة وفّرت ملاذًا فوريّــًا. كثيرًا ما كانت تلك المناطق جبليّة غير قادرة على دعم أعداد كبيرة مـــن اللاجئين. على سبيل المثال، فرّ الناجون من (22) قرية مسلمة في إقليم أروان إلى نجود جبال أوجدبلر[145] (Üçtepeler). من غير الممكن تتبّع المصير الــنهائيّ لهؤلاء الناس، لكن من غير المحتمل أنه كان مصيرًا سعيدًا. لم يُسمع مـــن المسلمين الذين عادوا إلى مزارعهم في منطقة نوابيازيد (Novobayazit) ثانيةً، وراجت شائعة بأنهم قُتلوا. كثيرًا ما كان المسلمون القليلون الذين بقوا عــلى قيد الحياة ضمن الجمهورية الإرمينيّة في حال أسوأ من اللاجئين، و لم يتقدّم أحد لمساعدتهم. لم يكن لديهم طعام أو بزور. فقدوا كلّ شيء بسبب الهجرات القسريّة العديدة[146].

حُشــدت أجهزة الدولة في المناطق الخاضعة للحكومة الإرمينيّة للضغط عــلى المسلمين. على سبيل المثال، لم تُرفع الضرائب عن المسلمين على نحو اعتــباطيّ يفوق قدرتهم على دفعها فحسب، بل و لم يُسمع من الذين ذهبوا إلى قوات الدرك الإرمينيّة لتقديم شكوى ثانيةً قط أيضًا[147]. قاوم القرويّون المســلمون الذين ربما سلّحهم العثمانيّون، حيثما كان ذلك ممكنًا. كان هذا صــحيحًا على نحو خاص في نهجوان ومنطقة إقليم قارص الروسيّ، حيث شــكّل المسلمون الأتراك الأكثرية[148]. زادت الحرب الناتجة في هذه المناطق

الإصـــابات على الجانبين إلى حد كبير. قدّرت القوات العثمانيّة التي اجتاحت القفقاس في نهاية الحرب أن الأرمن أحرقوا (250) قرية مسلمة في شرقي القفقاس بحلول أيّار من عام (1918 م)[149].

شـــكّل المسلمون المحليّون في إقليم قارص بعد هزيمة العثمانيّين في الحرب العالمـــية الأولى هيـــئات حكوميّة أبعدت فترة من الزمن فرصة الحماية التي منحـــتها القوات العثمانيّة. أجرت تلك الهيئات اتّصالات مع القوات القومية التركـــيّة التي كانت تنظّم نفسها في شمال شرقي الأناضول وزوّدتها بقوائم مفصّـــلة عن الدمار الذي ألحقته القوات الإرمينيّة بمنطقتها. أدرجت إحدى هـــذه القوائم من قايزمان (Kağızman) على سبيل المثال أكثر من مئة قرية تركـــيّة مسلمة دمّرها الأرمن، إضافة إلى تقديرات عن آلاف قُتلوا وعن نحو (10,000) أصبحوا مشرّدين[150].

صـــرّحت قيادة الجيش العثمانيّ في الشرق في أيّار من عام (1918 م) بأن «أكثر القرى المسلمة في قارص وساريقميش وأروان وأخلكلك (Ahilkelek) وقايزمان دمّرها الأرمن». أدرجت القيادة في تقاريرها قرى عديدة باسمها (في أحـــد الـــتقارير مثلاً، أدرجت تكويلي Tekueli وحجّي خليل Hacı Halil وقـــالول Kalul وخـــرابة Harabe وداكور Dagor وملنلي Milanlı وكطاق Ketak والأجا Alaca وإلهام Ilham ودنكل Dangal وعررجة 증Ararca وملابي Mulabi ومورجاحيـــت Morcahit ..إلخ)[151] أو ذكرت أحيانًا عدد القرى المدمّـــرة فقط (مثلاً، «سُوّيت في نيسان بالأرض 67 قرية في منطقة سراكل Saragıl »)[152].

حـــتى البريطانيّون الذين كانوا ملتزمين بقوة بالقضيّة الإرمينيّة وبتأسيس دولة أرمنيّة، حذّروا الأرمن رسميّـــاً بشأن مجازر الأتراك في "إرمينية الأصلية" أو في بـــاكو. أخبروا الأرمن بأنهم سيفقدون تعاطف العالم إذا ما استمرّت المجازر على هذا النحو[153].

6/ 8/ 1] قارص (Kars)

كانـــت مدينة وإقليم قارص قبل الحرب جزءًا من الإمبراطورية الروسيّة. بعـــد الثورة الروسيّة في عام (1917 م) نزح كثير من أرمن إقليم قارص إلى جـــنوبي القفقاس، فارّين من الزحف العثمانيّ، وعاد المسلمون الذين كانوا فـــرّوا من الإقليم في السابق. كان مسلمو قارص من غير ريب أكثرية قبل الحـــرب[154]. بُعيد الهزيمة العثمانيّة، شكّلوا مجلس شورى في إقليم قارص. عهِـــد الـــبريطانيّون الذين باشروا احتلال قارص فعليّـــا في (19 نيسان عام 1919 م) بالســـلطة المدنـــية والعسكرية في الإقليم إلى الأرمن، إذ كان من المـــتوقّع أن يصبح الإقليم جزءًا من الجمهورية الإرمينيّة الجديدة[155]؛ لم يجرِ التشـــاور مـــع الأكثرية المسلمة بهذا الشأن. نُزعت الأسلحة من المسلمين وأُعطيت إلى الأرمن، حيث أصبحت القوات المسلحة الوحيدة في الإقليم هي في الواقع العصابات الإرمينيّة وبعض القبائل الكرديّة[156].

الجدول رقم (14)

عدد سكان إقليم قارص في عام (1897 م) من حيث الدين

الدين	عدد السكان	المقدار
أرثوذكسيّ	(49,295)	0,170
أرمنيّ *	(72,967)	0,251
رومانيّ كاثوليكيّ	(4,373)	0,015
مسيحيّ آخر	(16,963)	0,058
يهوديّ	(1,204)	0,004
مسلم	(145,852)	0,502
المجموع	(290,654)	

* غريغوريّ وأرمنيّ كاثوليكيّ.

المصدر: الإحصاء الروسيّ للسكان عام (1897 م).

بدأ قتل المسلمين حتى قبل رحيل البريطانيّين عن قارص. ففي 19 نيسان، جـرّت عصابة الأرمنيّ «كارتش مراد» سبعة مسلمين من القطار على خطّ قـارص وقامـت بقتلهم. ولأن البريطانيّين كانوا بعد، شُكّلت هيئة تحقيق، وأدانـت الهيـئة كـارتش مراد وعصابته، ولكن لم يرد أو يستطع أحد أن يعتقـلهم[157]. استمرّت الجرائم في قارص على هذا المنحى؛ نهب وسرقة وتخريـب وقـتل. بدأ الجيش الأرمنيّ في تمّوز عام (1919 م) يهاجم ويدمّر القـرى المسـلمة في مـنطقة قرة كرد-ساريقميش (Karakurt-Sarıkamış) بالمدفعـيّة والرشاشات[158]. جرى تدمير قرية بيوك شتاق (Büyük Şatak) وقتل خمسة مسلمين. دُمّرت (13) قرية في منطقة الصعاليك (Sağlık) و(25) قرية في منطقة خُرسان (Horosan) وصودرت أعداد كبيرة من الغنم والماشية التي يمتلكها مسلمون.

كثيرًا ما اقتصر قتل المسلمين في منطقة قارص على مناطق الإقليم الزراعية الـتي كـان سكانها يتكلّمون اللغة التركيّة[159]. نهبت العصابات الإرمينيّة القـرى التركيّة بين قارص وألتو وكذلك أقجة كالي (Akçakale) وبابركند (Babirguend) وبلـدات وقرى أخرى. قتل الأرمن ستّين مسلمًا في قايزمان ومسلمي بوزنتي (Puzant). قامت العصابات المسلّحة باقتياد أتراك أيدر بعيدًا أو بقتلهم[160]. صنّف علي رضا، حاكم قايزمان التركيّ، قائمة بالقرى التي نهـبها الأرمـن بعد حلّ مجلس الشورى في قارص: (63) في ديكر (Digur) و(45) في قايزمان و(45) في قرةقورن (Karakorun) و(46) في ساريقميش، إضـافة إلى قـرى أخـرى. كما أورد علي رضا أسماء زعماء العصابات الإرمينـيّة، (68) اسمًـا في المجمـوع[161]. أدرجت لجنة تحقيق تركيّة رسمية أُرسـلت إلى منطقتي شوركل (Shuregel) وزرشات (Zarshat) للتحقيق في الأعمـال الوحشـية الإرمينـيّة عدد البيوت المدمّرة في كلّ قرية («45 في شـوركل و60 في أغـنج Agnatch و70 في إنللي Ilanli ... »)[162]. كانت

الجرائم المُبلّغ عنها أخفّ للأسف عما شوهد في شرقي الأناضول والقفقاس في كثير من الأحيان، قرى منهوبة ومحروقة، قطعان وممتلكات مصادرة، أعمال اغتصاب وقتل[163]. لم تكن القرى المسلمة آمنة في أيّ مكان على سهول قارص أو في منطقة أروان شمالاً. كانت الأعمال الفردية التي يقوم بها أرمن وأحيانًا يونانيّون من قتل ونهب لأتراك يعيشون في السهول كثيرة الحدوث[164]. لكن المناطق الجبليّة للإقليم كانت تحميها القبائل الكرديّة التي منعت القوات الإرمينيّة من الذهاب بعيدًا خارج نطاق السهول والمدن. خاض الكُرد والأرمن ما لا يمكن أن يُسمّى إلاّ ضغينة دمّ؛ كلّ فريق يقتل أيّ فرد من الفريق الآخر يقع في يده. ربما كان المراقب الغربيّ الوحيد الذي شهد الوضع فعلاً هو الكولونيل البريطانيّ رِلنسن (Rawlinson) والذي روى أن قوافل العربات المحمّلة باللاجئين المسلمين كانت تغادر سهول قارص باستمرار؛ دَوَّن تقاريرَ عن أعمال تعذيب وقتل ثمّ قام بتقصّيها ووجدها صحيحة[165].

كانت قارص مسرحًا لمعاناة رهيبة للاجئين المسلمين من إقليم أروان ومناطق أخرى مصنّفة أرمنيّة. تجمّع (25,000) لاجئ من تلك المناطق في منطقة قارص في عام (1919 م)[166]. هاجم الجنود والعصابات الإرمينيّة السواد الأعظم من هؤلاء اللاجئين في إقليم قارص. قُتل كثير منهم في ساريقميش بعد أن كانوا فرّوا من المجازر الإرمينيّة وتدمير الأرمن لقراهم[167]. وصف رئيس مجلس الشورى في قارص، إبراهيم، الوضع بانفعال في رسالة إلى الملك جورج واصفًا الأرمن بأنهم «أولئك الذين دمّروا وخرّبوا على نحو كامل أكثر من ألف قرية محمّديّة في الجنوب الغربيّ من القفقاس [بما فيه قارص] والذين سفكوا دماء نحو (100,000) امرأة وطفل محمّديّين أبرياء، والذين لم يتركوا شرفًا أو ملكًا من دون إتلافه أو المساس به»[168].

توصّل الكولونيل رِلنسن إلى الاستنتاجات ذاتها بشأن الأعمال والنيات الإرمينيّة:

تلقّيتُ أيضًا معلومات محدّدة جدًا عن الأهوال التي ارتكبها الجنود الأرمن في سهول قارص، ونظرًا إلى أنني استطعتُ أن أحكم على حاجتهم إلى الانضباط من الطريقة التي عاملوا بها الأطراف التي أرسلتها بنفسي، أبرقتُ إلى تفليس من زوين (Zivin) أنه 'في مصلحة الإنسانيّة ألاّ يُسمح للأرمن بالانفراد بالسلطة على السكان المسلمين، ولأن قواتهم بلا انضباط وليست تحت سيطرة فعّالة، فإن الأعمال الوحشية تُرتكب على نحو مستمرّ، والتي سنكون نحن [البريطانيين الذين سلّمنا قارص للأرمن] مسؤولين عنها أخلاقيًا أمام العدالة في النهاية'[169].

6/ 8/ 2] أذربيجان وباكو وأليزابيتبول (Elizavetpol)

شعرت باكو بتأثير الثورة الروسيّة في عام (1917 م) بسرعة أكبر وعلى نحو أكمل من المناطق الأخرى في القفقاس. كان عمّال صناعة النفط وأرمن المدينة مستعدّين للنظام البلشفيّ والثوريّ القوميّ الأرمنيّ. وهكذا، حكم باكو حلف غير مستقرّ من اللجنة الثوريّة السوفييتيّة والطاشناق الأرمن. لم تكن تلك التركيبة في مصلحة أتراك المدينة الأذر (أو التّتار، بحسب الاصطلاح الروسيّ) الذين لم يكونوا من الأرمن ولا من المتعاطفين مع البلشفيّة. هوجم التّتار من 30 آذار حتى الأول من نيسان من عام (1918 م). اضطرّ نحو نصف سكان مدينة باكو المسلمين إلى الفرار من المدينة[170].

قُتل في باكو وحدها من (8000) إلى (12,000) مسلم[171]. في ليلة 14 أيلول عام (1918 م) وبينما كانت القوات الإرمينيّة تنسحب من المدينة، أخذ المسلمون المحليّون بثأرهم وقتلوا (9000) أرمنيّ تقريبًا[172]. دخلت القوات التركيّة المدينة في 16 أيلول ففرضت النظام وقامت بحماية الأرمن المتبقّين[173].

دمّرت القوات الإرمينيّة التي دخلت أراضي ادّعتها جمهورية أذربيجان جميع القرى المسلمة على مسارها. وكما كتب رتشَرد هوفانّسيان (Richard Hovannisian) عن أحد زعماء عصابة، أندرانيك:

سدّت الفرق العسكرية النظامية التركيّة الطرق جهة الجنوب. راجعًا من حيث أتى، شقّ أندرانيك [زعيم العصابة والجنرال الأرمنيّ] طريقه عبر نجوان إلى زنكزور (Zangezur) وهي المنطقة في أقصى الجنوب من إقليم أليزابيتبول. سحقت قوات أندرانيك التي بقيت في المنطقة طوال الحرب العالمية، القرى التتاريّة قرية بعد الأخرى[174].

اضطرّ السكان الأذربيجان إلى إطعام ، حين كان ذلك ممكنًا، نحو (60,000) لاجئ فرّوا إلى أراضيهم مع نهاية عام (1919 م) وإيوائهم. صرّح الأميرال بريستول، المبعوث السياسيّ الأميركيّ المطلق الصلاحية في اسطمبول، معتمدًا على تقارير الممثّلين الأميركيّين في القفقاس، إن الستّين ألف لاجئ جاؤوا من (420) قرية مسلمة دمّرها الأرمن[175]. روى رجال المخابرات والممثّلون الدبلوماسيّون الأميركيّون التسلسل المعتاد الذي هاجمت القوات الإرمينيّة به القرويّين الأتراك وقتلتهم أو أجبرتهم على الفرار في كثير من الأحيان، ردًا على ما استطاعت حكومة أذربيجان أن تفعله في بعض الأحيان[176]. صرّح رئيس الوزراء الأرمنيّ لضابط الارتباط الأميركيّ إلى المفوضية العليا للحلفاء في إرمينية، بأن الجيش الأرمنيّ منهمك في محاصرة القرى التركيّة و«تجويعها حتى الاستسلام»[177]. كانت الهجمات ناشئة جزئيًّا من رغبة الأرمن في توفير حدود أوسع وأكثر أمانًا وضمان حرية الوصول إلى السكّة الحديدية التي تجتاز أراضي يسكنها أتراك في المقام الأول، وجزئيًّا من كراهية تقليدية برزت في عام (1905 م). مهما كان السبب، فإن النتيجة كانت طرد الأتراك من قراهم عنوةً أو قتلهم. في لندن، أبلغ كورزون (Curzon) وفدًا أرمنيًّا بارزًا عن «سلوك مواطني الوفد الأحمق والمتعذّر تسويغه على حدود إرمينية الشمالية الشرقية». قدّم كورزون للوفد قوائمَ بالانتهاكات المرتكبة التي أظهرت أن الأرمن كانوا المذنبين الأسوأ إلى حد بعيد[178].

6/8/3] أروان (Erivan) ونهجوان (Nahcivan)

[الأميرال بريستول] أعلمُ من تقارير ضبّاطي الذين خدموا مع الجنرال درو(Dro) أنه جرى قصف قرى غير قادرة على الدفاع عن نفسها ثمّ احتلالها، وقُتل بوحشية أيّ من السكان الذين لم يفرّوا، ونُهبت القرية وصودرت كل المواشي، ثمّ أُحرقت القرية. جرى تنفيذ ذلك تخلصًا منهجيًا منتظمًا من المسلمين[179].

كان عدد سكان مسلمي إقليم أروان قبل الحرب بحجم عدد السكان الأرمن تقريبًا. كانوا من بين أولئك في القفقاس الذين عانوا إلى أبعد حد. لكن الأدلّة من أروان كانت ناقصة. خرج اللاجئون بروايات عن قرى أُحرقت وارتُكبت فيها المجازر[180]، لكن التقارير من مصادر أخرى مباشرة كانت شحيحة. لم تدخل الجيوش العثمانيّة أو القومية التركيّة أكثر إقليم أروان قط، لذلك لم يكتب العثمانيّون إلاّ القليل من التقارير المفصّلة عن مسلمي أروان[181]. جمع مجلس شورى قارص قائمة بالقرى المسلمة المدمّرة في جزء من أروان، ربما استقاها من روايات اللاجئين، فصّلت القرى المدمّرة باسمها وعدد الوفيات فيها بحلول الأول من تشرين الأول عام (1919 م)؛ [91] قرية مدمّرة في منطقتين فقط[182]. أعلنت الحكومة التركيّة أن (199) قرية مسلمة جرى تدميرها في الجمهورية الإرمينيّة، ربما ليس ذلك من المبالغة في شيء[183]. في آذار من عام (1920 م) احتجّت جمهورية أذربيجان رسميًا على المجازر في الجمهورية الإرمينيّة، مُدرجةً القرى المدمّرة باسمها ومُقدّرةً أن الدولة الإرمينيّة «خرّبت أكثر من (300) قرية وقتلت السواد الأعظم من سكان هذه القرى المسلمين»[184]. حتى الحكومة الفارسيّة التي لم تبالِ بالتشكّي لأنها كانت تحت سيطرة الجنود البريطانيّين المحتلّين إلى حد كبير، عبّرت عن رأيها ضدّ المجازر[185]. ومع ذلك، فإن الانتقاد الأقوى جاء من الأرمن، الحزب الثوريّ الاشتراكيّ للجمهورية الإرمينيّة (Socialist-Revolutionary Party of the Armenian Republic):

إلى رئيس البرلمان [للجمهورية الإرمينيّة].
نتوسّل إليك أن تُبلّغ وزير الداخليّة المطلب التالي: هل الوزير على علمٍ بأنه خلال الأسابيع الثلاثة الماضية وعلى أراضي الجمهورية الإرمينيّة وضمن حدود مناطق أجه ميادزين وأروان وسورمالين (Sourmalin) أفرغت سلسلة من القرى التترية مثل باشاقند (Pashakend) وتكيرلي (Takiarli) وكوروخ-كينة (Kouroukh-Giune) وأولاليك (Oulalik) من جمعية طائي شوروخ (Taishouroukh) وأكورن (Agveren) ودليلار (Dalelar) وبوربوس (Pourpous) وعلي بك من جمعية أرزقند (Arzakend) وجان-فيدا (Djan-Fida) وكريم-عرجه (Kerim-Arch) وأكجار (Agdjar) وإكدالو (Igdalou) وكرخون (Karkhoun) وكلاني-أرولتكه (Kelani-Aroltkh) من منطقة أجه ميادزين، إضافة إلى سلسلة من القرى الأخرى، من سكانها التتار كما تعرّضت للسرقة والمجازر، وأن الشرطة المحليّة لم تمنع ذلك فحسب، بل وشاركت في السرقات والمجازر أيضًا، وأن تلك الأحداث تركت انطباعًا سيئًا جدًا على السكان المحليّين الذين يشعرون بالاشمئزاز من هذه السرقات والفوضى ويرغبون في العيش بسلام جانب جيرانهم ويطالبون بمحاكمة المذنبين ومعاقبتهم لأنهم لم يعاقَبوا حتى هذا اليوم[186].

اشتكى الثوريّون الاشتراكيّون الأرمن المجازر في البرلمان وفي صحيفتهم ‹[الراية الثوريّة]›. ومع أن أدلّتهم تترع، كما هو متوقع، إلى إلقاء اللوم على خصومهم السياسيّين فحسب، حزب الطاشناق في السلطة، فإن تلك الأدلّة أيّدت مجادلات حكومة أذربيجان على نحو كامل[187].

من سوء حظّ منطقة نخجوان، في الجنوب من إقليم أروان الروسيّ، أنها كانت المكان الذي فيه خطّ السكّة الحديدية الرئيس الذي يربط إرمينية بإيران والشرق الأبعد. قرّرت الجمهورية الإرمينيّة أنه ليس عليها أن تسيطر على خطّ السكّة الحديدية فحسب، بل وأن هذا الخطّ لن يكون آمنًا ما دام سكان المنطقة التي يمّر فيها الخطّ هم كليّةً من الأتراك تقريبًا أيضًا. لذلك، تقرّر تخليص خطّ السكّة الحديدية كاملاً من القرى التركيّة المتاخمة له،

فدمّـــرتها القـــوات النظامية الإرمينيّة. هاجم الأرمن القرى المسلمة بالمدفعية والأســلحة الرشاشـــة، كما فعلوا سابقًا قرب ساريقميش[188]. ساعدت العصـــابات الإرمينـــيّة الموالية في الهجمات على القرى المسلمة. على سبيل المـــثال، هاجمت عصابة أرمنيّة كبيرة، ربما كان قوامها (1200) رجل، قرية المـــالو (Elmalı) (حيث قُتل 688 شخصًا) وقرية عيوشما (Ağuşma) (حيث قُتل 516 شخصًا) من بين قرى أخرى في منطقة نهجوان[189]. قُتل القروّيون أو أُجـــبروا عـــلى الفـــرار إلى أذربيجان أو تركيا. لخّص الأميرال بريستول الأحداث وألقى اللوم على السياسة للمأساة:

> **حاولت الحكومة الإرمينيّة باستخدام قواتها النظاميّة أن تُبعد التّتار عن خطّ السكّة الحديدية مسافة [27] ميلاً ما أدّى إلى نزوح عدة آلاف مـــن التّـــتار. كان ذلك مشابهًا للعمليات اليونانيّة في إقليم آيدين. ويلاحـــظ أيضًا أن البريطانيّين، بتشجيعهم للأرمن، لم يتصرّفوا وفقًا للمـــبادئ الإنسانية أو حقّ تقرير المصير. كانوا طرفًا في خطّة لقهر عـــرق آخر وتنصيب أقليّة لحكم أكثرية في حين أنهم على علم علم الـــيقين بأن الأقليّة لم تكن قادرة على حكم نفسها وأن توفير الحكم يجب أن يكون للأكثريّة[190].**

كانـــت الهجمات الإرمينيّة هي التي عزّزت في الواقع تصميم الأذربيجان عـــلى تشكيل جيش والدفاع عن الأتراك. اتّخذوا في النهاية موقفًا وصدّوا الأرمن، ولكن ليس قبل خسارة قرى (27 ميلاً)[191].

الجدول (15)

الأتراك في إقليم أروان في عامي (1914 م) و(1926 م)[192]

«تتار أتراك» في عام (1914 م)*	(270,000)
في عام (1926 م)	(89,000)
فُقدوا (67 %)	(181,000)

* معدّل وفقًا لحدود ما بعد الحرب[193].

المصدر: الحوليّة الإحصائية الروسيّة (1915 م) والإحصاء السكاني للاتحاد السوفييتيّ (1926 م).

يأتي أفضل الأدلّة على المجازر والترحيل القسريّ لمسلمي أروان من التعداد السكانيّ الذي جرى قبل الحروب وبعدها. يقدّم الجدول (15) أرقام عدد السكان الأتراك (يُدعون «التّتار الأتراك» في الإحصائيات الروسيّة) في أروان قبل الحروب وبعدها. لم يشمل الجدول جميع المسلمين، لأن التعداد السكاني في الاتحاد السوفييتيّ لم يُبيّن تعداد السكان بحسب الدين، ولم تُدرج الجماعات العرقية المسلمة من غير الأتراك على نحو خاص في أرقام عام (1914 م). يمكن افتراض أن المسلمين من غير الأتراك في أروان عانوا معاناة الأتراك نفسها.

منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى وحتى التعداد السكانيّ الأول بعد الحرب، اختفى ثلثا المسلمين من إقليم أروان. نزح كثير من هؤلاء ومات كثيرون آخرون. إقليم أروان الذي كان إقليم أكثرية مسلمة في عشرينيّات القرن التاسع عشر، أصبح إقليم أقليّة مسلمة صغيرة في مطلع عشرينيّات القرن العشرين.

9/6] اللاجئون المسلمون

حصلت وفيات المسلمين، مثل وفيات الأرمن في الفترة ذاتها، بينما كانوا لاجئين في المقام الأول. ليس هناك إلاّ القليل من الوصف لحالة اللاجئين في شرقي الأناضول والقفقاس، مسلمين أو أرمن[194]، لكن المرء يستطيع أن يفترض أن حالتهم كانت أسوأ من حالة اللاجئين في أورُبة وغربي الأناضول للفترة ذاتها. لم تُشيّد مخيّمات للاجئين المسلمين من الشرق في الحرب العالمية الأولى. فعلت وكالة اللاجئين الحكومية ما في وسعها لتقديم الإغاثة للاجئين، ولكن ماذا باستطاعة حكومة أن تقدّم لمليون لاجئ في حين أنها ليست قادرة على كسوة جنودها؟. علاوة على ذلك، ارتحل اللاجئون من الشرق عبر أسوأ التضاريس في الأناضول، فالمنطقة كانت تفتقر إلى طرق أو سكك

حديدية ملائمة. لم يكن من الممكن الوصول إلى كثير من المناطق التي تلقّت اللاجئين إلاّ على صهوة الجواد ودواب التحميل. ومع ذلك، لو كان الطعام متوافرًا لضمنت أحوال النقل وصول حتى اليسير منه إلى اللاجئين.

نظرًا إلى مصور الأناضول وتأملاً بحالة مناطقها الاقتصاديّة، يستطيع المرء أن يرى أنه كان على اللاجئين من وان وأرضروم وبتليس القيام برحلة طويلة قبل أن يجدوا وسائل نقل مناسبة أو تجمّعات سكانيّة كبيرة أو حقولاً خصبة. كانت رحلات كهذه مستحيلة على أكثرهم.

على جبهة شرقي الأناضول في الحرب العالمية الأولى ومن ثمّ في أثناء الحرب التركيّة الإرمينيّة، كانت الكتلة البشريّة التي ترتحل كبيرة إلى درجة أن الروايات المعاصرة تعطي انطباعًا أن جميع سكان شرقي الأناضول وجنوبي القفقاس كانوا لاجئين. في حين أن ذلك مبالغة، إلاّ أنها ليست مبالغة جسيمة. لقي أكثر سكان شرقي الأناضول، مسلمين ومسيحيّين، حتفهم أو طُردوا من ديارهم[195].

6/ 9/ 1] اللاجئون من جنوبي القفقاس

لا بدّ من أن عددًا غير معلوم من مسلمي منطقة عبر القفقاس الروسيّة غادروا المنطقة في أثناء الحرب العالمية الأولى للالتحاق بالجيوش العثمانيّة أو فقط لالفرار من الروس. من المعلوم أن الروس حاولوا أن يفرّغوا مناطق الجبهة من المسلمين في بداية الحرب، ولا من بدّ أن بعضهم فرّوا جنوبًا في ذلك الحين. لكن النزوح الرئيس للمسلمين جاء بعد أن قضت الثورة الروسيّة على روسيا الاستعماريّة. فرّ المسلمون بسبب الاضطهاد في الجمهورية الإرمينيّة، وكذلك هربًا من الصراعات الإرمينيّة التركيّة في القفقاس والصراعات الداخليّة بين جمهوريات جورجيا وإرمينية وأذربيجان. كان بعض اللاجئين المسلمين جنودًا، لكن أكثرهم كان من اللاجئين الأتراك الذين لم يشاركوا في الحروب.

كان من المعتاد أن يفرّ اللاجئون المسلمون الذين هجروا القفقاس الأصلية إلى إقليم قارص أوّلاً، حيث كانت تهاجمهم هناك العصابات الإرمينيّة (وأحيانًا اليونانيّة). كان النهب هو الطابع المعتاد للهجمات؛ كانوا يستولون على أبقار اللاجئين ومنقولاتهم ثمّ يتركونهم ليموتوا من الجوع. في ساريقميش، قتلوا المسلمين بعد أن استولوا على الغنائم[196].

إن الإجراءات الضرورية للتحقّق من عدد اللاجئين المسلمين من الإمبراطورية الروسيّة[197] معقّدة والإجابات غير نهائيّة. كي يجرى إحصاؤهم، كان على اللاجئين المسلمين من روسيا أن يمرّوا عبر اسطمبول، والقلّة فعلت ذلك. ارتحل اللاجئون من القفقاس الروسيّة في زمن الحرب عبر حدود غير خاضعة للرقابة واستقرّوا حيثما استطاعوا. لم يكن هناك وكالات حكوميّة قادرة على إحصائهم أو مساعدتهم.

لأن عدد اللاجئين إلى شرقي الأناضول كان مسألة تقدير، ولأن أعداد اللاجئين كانت كبيرة إلى حد بعيد، فإن التقويم التالي يبخس تقدير عددهم على نحو مقصود. حيثما كان هناك خيار متوافر بين عدد أعلى أو أدنى للاجئين، فإن الاختيار كان يقع على العدد الأدنى. لذلك، فإن نتائج ما يلي يجب أن تُفهم على أنها الحد الأدنى لأعداد اللاجئين المسلمين من الإمبراطورية الروسيّة. الأعداد الحقيقيّة كانت بالتأكيد أعلى. علاوة على ذلك، لا يستطيع المرء في أكثر الحالات تقدير إلاّ اللاجئين الناجين الذين استقرّوا في تركيا؛ عدد أصغر بكثير من عدد الذين قاموا بالرحلة. لا يمكن تقدير عدد اللاجئين الذين نزحوا من أروان والمناطق المجاورة على نحو مُرضٍ.

استقرّ أكثر اللاجئين المسلمين من روسيا في منطقة الجمهورية التركيّة التي كانت جزءًا من روسيا من عام (1878 م) وحتى عام (1921 م). كانت تلك المنطقة، إقليم قارص الروسي[198]، أقرب منطقة تحت الحكم التركيّ لَمواطن اللاجئين الأصليّة، وذات أراضٍ وافرة بسبب وفيات زمن الحرب وهجرة

الأرمن منها. في عام (1897 م) أدرج إحصاء السكان الروسي[199] (76,521) ذكرًا مسلمًا في إقليم قارص، أي إن عدد السكان المصحّح[200] هو (153,042) مسلمًا من الجنسَين. بتصوّر ذلك لعام (1914 م) في مطلع الحرب العالمية الأولى، كان عدد السكان المسلمين (194,628)[201]. لا يمكن التحقّق من العدد الدقيق لمسلمي قارص الذين لقوا حتفهم في حروب أعوام (1915–1921 م) لأن النزوح الضخم يشوّش الصورة. ومع ذلك، يستطيع المرء أن يفترض على نحو موثوق أن الوفيات في قارص كانت بحجم وفيات أي منطقة أخرى من المناطق العسكرية، نظرًا إلى أنها كانت على خطوط اجتياح الروس والأرمن والعثمانيّين. إذا افترض المرء أن وفيات المسلمين الأصليّين في قارص كانت بفداحة وفيات إقليم وان، حيث كانت تجربة زمن الحرب مماثلة[202]، فإن عدد المسلمين الأصليّين الذين من المفترض أنهم بقوا على قيد الحياة حتى عام (1922 م) يجب أن يكون (74,000). وإذا افترض المرء أن الوفيات كانت مماثلة لوفيات إقليم أرضروم، لكان عدد الذين بقوا على قيد الحياة حتى عام (1922 م) (134,000).

في الإحصاء السكانيّ التركيّ لعام (1927 م) أُدرج في الإحصاء (340,399) مسلمًا كانوا في منطقة إقليم قارص الروسيّ.

الجدول (16)

اللاجئون في منطقة قارص

المسلمون في قارص* في عام (1922 م)	(317,703)
الناجون المسلمون الأصليّون من عام (1914 م)	
وحتى عام (1922 م)	–(73,959)
اللاجئون	(243,744)

* إقليما قارص وأرتوين (ناقص يوسفلي) ونواحي ألتو وقلب (Kulp) وأيدر.

إن تصـــوّر ذلك بالعودة إلى عام (1922 م)[203] يعني أن عدد المسلمين الذيـــن كانوا في المنطقة في عام (1922 م) كان نحو (318,000) مسلم. كان من بين هؤلاء من (74,000) إلى (134,000) أو بالتقدير الوسطيّ (104,000) مواطن أصليّ، وهذا يخلّف (218,000) يمكن عدّهم نازحين إلى الداخل[204]. ربما يكون هؤلاء النازحون أتوا نظريّـــاً من مناطق أخرى غير روسيا[205]. لكـــن صعاب الحياة في قارص ووجود أراضٍ وافرة في بقيّة الأناضول يجعل هـــذه الهجرة الداخلية مستبعدة جدًا. في الحقيقة، لم يبقَ في قارص كثير من اللاجئين من روسيا، بل تابعوا رحلتهم إلى مناطق أخرى في الأناضول.

نـــزح كثيرون واستقرّوا في منطقة واسعة يحدّها إقليم سمسُن من الغرب ووان وبتلـــيس من الجنوب. سجّل الأتراك في إحصاء السكان التركيّ عام (1927 م) في هذه الأقاليم (14,480) شخصًا على أساس أن مولدهم كان في روسيا. بناءً على تجربة أقاليم أخرى في التسجيل المتدنّي للمولودين في دول أجنبـــية، يـــبدو أنه من الممكن أن يكون عدد الذين جرى تسجيلهم نصف العدد الفعليّ للاجئين. إن تطبيق هذه القاعدة، غير الدقيقة باعتراف الجميع، عـــلى هذه الأرقام يضاعف عدد اللاجئين المسلمين المسجّلين من روسيا إلى منطقة قارص إلى (28,960).

الجدول (17)

اللاجئون المسلمون من الإمبراطورية الروسيّة الباقون على قيد الحياة في شمال شرقيّ وشرقيّ الأناضول في عام (1922 م)

في منطقة قارص	(243,744)
في أقاليم أخرى[206]	(28,960)
المجموع	(272,704)

يخـــتلف تعداد اللاجئين في الجدول (17) عن تقديرات عدد اللاجئين في مـــناطق أخرى من الإمبراطورية العثمانيّة وتركيا. فالأرقام هنا هي للاجئين

بقـــوا أحياءً بعد فترة الحرب، أي، أولئك الذين بقوا على قيد الحياة ليجري عدّهم في الإحصاء السكاني. لو جرى عدّ اللاجئين من روسيا عندما تركوا ديارهم لكانت أعدادهم أكبر بكثير. إن الافتراض المحافظ جدًا أن ثلث جميع اللاجـــئين المســـلمين من القفقاس، نحو (135,000) لقوا حتفهم[207] يخلّف نزوحًا أوليّـــا لأكثر من (400,000) لاجئ.

2/9/6] لاجئو الداخل

كان هناك لاجئون مسلمون في الأقاليم الشرقية العثمانيّة خلال فترتين. بـــدأت الفـــترة الأولى في نيســـان عام (1915 م) بالثورة الإرمينيّة في وان، وانتهـــت حـــين انسحب الروس في صيف عام (1915 م). صاحبت الفترة الثانية الاجتياح الروسيّ الأنجح في عام (1916 م) والذي أدّى في النهاية إلى الاحـــتلال الروســـيّ لإقلـــيم أرضروم العثمانيّ وأكثر أقاليم وان ودياربكر ومعمورة العزيز وطربزون.

كانت النتيجة المألوفة للاجتياحات الروسيّة والحرب بين الطوائف المسلمة والإرمينـــيّة هجـــرة جماعـــية ضـــخمة لسكان الريف المسالمين، مسلمين ومسيحيّين. نتيجة لذلك، تضخمت المدن والأقاليم في الجنوب والغرب التي كانـــت تحـــت سيطرة عثمانيّة أقوى باللاجئين الأتراك. كان اللاجئون من شمـــالي إقليم طربزون وشمال شرقي إقليم أرضروم أوفر هؤلاء حظّـــا؛ فرّوا إلى أقاليم البحر الأسود الوسطى والغربية؛ مناطق مستقرّة تقريبًا تحت سيطرة حكومـــية مركزية أشد[208]. من هناك، أُرسل بعضهم إلى وسط الأناضول، كمـــا كانـــت الحال مع لاجئين من إقليمي جنوبي طربزون وأرضروم. أما الذيـــن فـــرّوا من مناطق شرقية أبعد فكانوا أقل حظّـــا، إذ فرّوا جنوبًا إلى أقالـــيم معمورة العزيز ودياربكر ووان، حيث لم يجدوا إلاّ قليل من الإغاثة. اضـــطرّ كـــثير من هؤلاء اللاجئين إلى الفرار على مراحل، تاركين بيوتهم،

مستقرّين في منطقة إلى أن يتقدّم الروس والأرمن نحوها، ثمّ يفرّون من جديد. كثيرًا ما اضطرّ اللاجئون من أرضروم إلى الفرار إلى مناطق بعيدة عن ديارهم بُعد مرعش وأطنة، وهي رحلة تزيد على (600) كيلومتر سيرًا على الأقدام.

لم يُجـــرَ تعداد دقيق للاجئي الداخل في شرقي الأناضول قط. نظرًا إلى وضع المنطقة، لم يكن إجراء تعداد للسكان ممكنًا. ومع ذلك، قدّرت وكالة الغـــوث الـــتابعة لوزارة الداخلية العثمانيّة أعداد اللاجئين الذين قدّمت لهم الحكومـــة مســـاعدة أو وســـيلة نقل أو مأوى. يستحيل معرفة إذا كانت إحصائيات وزارة الداخلية في الوثيقة التي استُمدّت منها البيانات في الجدول (18)[209] جـــرى استخلاصها من تعدادات فعليّة أو من تقديرات الموظّفين المحلّـــيين[210]. عـــلى الأرجح أنها كانت منها كلّها. من الجدير بالذكر أن الأرقـــام في الجدول (18) تمثّل فقط اللاجئين المدوّنين رسميّـــًا؛ تشير الوثيقة إلى أن الكثيرين من اللاجئين لم يجرِ إدراجهم في الأرقام.

بمـــا أن عدد السكان المسلمين قبل الحرب في المناطق التي استولى عليها الروس كان (2,3) مليون نسمة[211]، فإن الرقم (660,000) يدلّ على أن ربع ســـكان مـــا قبل الحرب على أقلّ تقدير أصبحوا لاجئين بحلول عام (1916 م). وضع تقرير لاحق لوزارة اللاجئين الرقم (868,962) عددًا للاجئين المسلمين مـــع نهايـــة الحرب العالمية الأولى[212]. حين يأخذ المرء في الحسبان أن هذه الأرقام إنما تشمل اللاجئين المسجّلين رسميّـــًا[213] فقط وأن أعدادًا كبيرة من المســـلمين لقوا حتفهم قبل أن يبدأ اللاجئون بالتروح، فإن مقدار اللاجئين يصبح أعلى بكثير[214].

الجدول (18)

اللاجئون المسلمون من شرقي الأناضول الذين تلقوا مساعدات

حتى تشرين الأول من عام (1916 م)

من	إلى*	عدد اللاجئين
طربزون وشرقي أرضروم	سمسُن	(79,100)
أرضروم	سيواس	†(300,000)
شرقي أرضروم ووان وجنوبها	معمورة العزيز	(80,000)
وان وبتليس	دياربكر	(200,000)
مناطق أخرى		(43,000)
المجموع		(659,100)

* كثيرون تابعوا الرحلة إلى الأناضول.

«†يفوق (300,000)».

المصدر: وزارة الداخليّة العثمانيّة.

لا بـــدّ أن أكثر من نصف أولئك الذين نجوا من المعارك والمجازر الأولى أصـــبحوا لاجئين. بناءً على وفيات زمن الحرب عمومًا في الأقاليم الشرقية العثمانـــيّة، لا بدّ من أن أكثر من نصف لاجئي الداخل في شرقي الأناضول لقوا حتفهم.

10/6] تقرير نايلز (Niles) وسَذرلاند (Sutherland)

عـــدد قلـــيل من الغرباء شاهد الوضع في شرقي الأناضول بُعيد الحرب العالمـــية الأولى. مـــن هـــؤلاء، جماعة المبشّرين الأميركيّين الذين كانوا غير جديـــرين بالـــثقة كليّةً شهودًا على معاناة المسلمين. مع رحيل الأرمن عن شـــرقي الأناضـــول، تلاشـــى عمل العمر لدى المبشّرين، وجعلهم ميلهم ومرارتهم المفهومة مراقبين غير جديرين بالثقة. فبينما كانوا بارعين في تدوين أعمال ضدّ الأرمن بتفصيل كبير، لم يكونوا كذلك، مع بعض الاستثناءات،

في تدويـــن أعمال ضدّ المسلمين. عانت جماعة أخرى، الغربيّون الذين كانوا ممـــثّلين للحكومتَين البريطانيّة والأميركيّة، عجز المبشّرين ذاته، وكانوا ميالين أيضًا. ومع ذلك، ترفّع بعضهم عن ميلهم وباتوا مراقبين دقيقين.

كان النقيب إموري نايلز (Emory Niles) والسيد آرثر سَذرلاند (Arthur Sutherland) أميركيَّين أمرهم حكومة الولايات المتّحدة باستقصاء الوضع في شـــرقي الأناضـــول. كان تقريرهما سيُستخدم أساسًا لمنح معونة غوث من اللجنة الأميركيّة لغوث الشرق الأدنى (American Committee for Near East Relief). كـــان الـــرجلان فريدَين تمامًا. مثل الملازم دَن (Dunn) الذي زوّد الأمـــيرال بريســـتول بمعلومات استخباراتيّة دقيقة جدًا، تجوّل الرجلان عبر المنطقة إلى أن شاهدا ما هما بحاجة إليه. فعلا ذلك، مثل دَن أيضًا، بأدنى حدّ مـــن المساندة وبشجاعة كبيرة. امتدّت شجاعتهما إلى تقريرهما، إذ نشرا ما شـــاهداه وسمعاه، وليس ما أملاه عليهما تطرفهما. كانت تلك ظاهرة نادرة لـــدى الأميركـــيّين في الأناضول. إن الحقيقة الاستثنائيّة أنهما كانا مهتمَّين بالمســـلمين ليس لأنهم مسلمون بل بشر كانوا بحاجة إلى غوث. ربما افترضا بســـهولة أن أوامرهما شملت تقديم تقرير عن جميع أولئك الذين كانوا بحاجة إلى غـــوث في شرقي الأناضول، ليس المسيحيّون فحسب، وهذا ما فعلاه. كـــان أكـــثر المحتاجين إلى الغوث من المسلمين، والمعاناة التي نقلاها كانت معاناة مسلمين في المقام الأول. ربما لهذا السبب لم يُضمَّن تقريرهما في وثائق لجـــان التحقيق الأميركيّة؛ لا يمكن العثور في المحفوظات الأميركيّة إلاّ على نســـخة جزئيّة من التقرير، مُخبّأة جيدًا بين وثائق ذات صلة بمواضيع مختلفة تمامًا، من حسن الحظّ أنها لم تُتلف، بل مدفونة فحسب[215].

في أكـــثر الحـــالات، نقل نايلز وسَذرلاند بسهولة ما شاهداه من دون تعليق. ولكن، عندما شرعا بملاحظة ما كان يجري فعلاً، أخذا بتغيير آرائهما الغربيّة النموذجيّة عن الأتراك والأرمن:

> [المنطقة الممتدّة من بتليس عبر وان إلى بايزيد] أخبرنا بأن الضرر والتدمير في كل هذه المنطقة كانا من فعل الأرمن الذين استمرّوا في احتلال البلد بعد أن انسحب الروس، والذين دمّروا كلّ شيء يخصّ المسلمين مع تقدّم الجيش التركيّ. علاوة على ذلك، اتُّهِم الأرمن بارتكاب أعمال قتلٍ واغتصاب وإحراق عمد للممتلكات وأعمال وحشية رهيبة من كلّ وصف ضدّ السكان المسلمين. كنا في البداية في ريب كبير بشأن تلك الروايات، لكننا توصّلنا في النهاية إلى تصديقها، لأن الشهادات كانت بالإجماع بكلّ ما في الكلمة من معنى وجرى تأييدها بالأدلة المادّيّة. على سبيل المثال، كانت الأحياء الوحيدة التي ظلّت سليمة في مدينتي بتليس ووان أحياءً أرمنيّة، كما كان جليّاً من الكنائس والكتابات على البيوت، بينما كانت الأحياء المسلمة مدمّرة على نحو كامل. لا تزال القرى التي قيل إنها كانت أرمنيّة قائمة، بينما كانت القرى المسلمة مدمّرة كاملة[216].

لم يكن نايلز وسَذرلاند مراقبَين مؤيّدَين للأتراك أو المسلمين. بل على العكس، إذ جاءا إلى شرقي الأناضول مشحونَين بالتطرف الأميركيّ المعهود. ومع أنهما لم يشاهدا أدلّة على مجازر المسلمين ضدّ الأرمن، فإنهما كانا على يقين من حدوثها ومن أنها كانت بالبشاعة نفسها التي كان الغرب يتصوّرها. علّقا قائلَين: «نظن على نحو لا يقبل الجدل أن الأرمن مذنبون في جرائم ضدّ الأتراك ذات طبيعة مماثلة لتلك الجرائم التي ارتكبها الأتراك بحقّ الأرمن». إن الفرق طبعًا هو أنهما شاهدا أدلّة الجرائم الإرمينيّة لا التركيّة؛ تهمة مبنيّة على أدلّة وأخرى على شائعة. لكن هذا يجعل الأمر ذا مصداقيّة أكبر بخصوص ما شاهداه لفعلاً، لأنهما، مع تطرفهما، نقلا الشرور التي ارتكبها الأرمن.

كتب الأميركيّان عن حالة شرقي الأناضول بعد الحرب. كانت الصورة التي رسماها صورة مكان مُقفر أُتلفت فيه المحاصيل والبيوت وأرواح البشر. وجدا بين أرضروم وبايزيد أن المسلمين الناجين لم يكن لديهم حليب أو لحوم أو حبوب. عاش المسلمون على الحبوب والخضار البريّة، «لا يوجد في

أيّ منها قيمة غذائيّة تُذكر». عدَّ المسلمون الأرمن مسؤولين عن مصيرهم، وأقرّ الأرمن بذلك:

إن الوضع العرقيّ في هذه المنطقة [بايزيد-أرضروم] متفاقم بشدة بسبب قرب جبهة إرمينية التي يأتي اللاجئون منها بروايات عن مجازر ووحشية وفظاعات ترتكبها الحكومة الإرمينيّة والجيش والشعب ضدّ السكان المسلمين. ومع أن بضع مئات من الأرمن يعيشون فعلاً في إقليم وان، إلاّ أنه من المستحيل أن يستطيع الأرمن العيش في المناطق الريفيّة لإقليم أرضروم، حيث يُبدي الجميع ذروة الكراهية لهم. وهنا أيضًا، خرّب الأرمن القرى قبل أن ينسحبوا وارتكبوا المجازر وكلّ أنواع الأعمال الوحشية ضدّ المسلمين، وأعمال الأرمن هذه على الجانب الآخر من الجبهة تُبقي الكراهية للأرمن حيّة ومؤثّرة، كراهية تبدو أنها على الأقل تُرغي وتُزبد في منطقة وان. أكّد على وجود فوضى وجرائم في إرمينية لاجئون من جميع مناطق إرمينية وضباط بريطانيّون في أرضروم[217].

كان الدمار في المنطقة بين أرضروم والجبهة الإرمينيّة شاملاً تقريبًا. دمّر الأرمن المنسحبون كلّ قرية ممكنة على خطّ انسحابهم، إذ دمّروا ثلثي البيوت وقتلوا أكثر السكان المسلمين: «ليس في المنطقة[218] إلاّ ثلث أو ربع سكانها السابقين، ويختلف ذلك من منطقة إلى أخرى. عانت المدن والقرى على خطّ انسحاب الجيش الأرمنيّ أشدّ المعاناة»[219]. «كانت آثار الحرب جليّة في كل القرى والمدن التي احتزناها. كان أكثرها مدمّرًا كاملاً»[220].

كان أبلغ الأدلّة التي قدّمها نايلز وسَذرلاند إحصائيّة؛ تعداد القرى والبيوت المسلمة الناجية. في دراسة وان وبتليس على سبيل المثال، وجدا أن عدد سكان المدينتَين في عام (1919 م) كان 10% أو أقلّ من عددهم قبل الحرب. دمّر الأرمن أكثر بيوت المسلمين (الجدول 19). لم يبقَ أثر لجميع المباني العامة والمنشآت الدينيّة الإسلاميّة.

الجدول (19)

الدمار في مدينتَي وان وبتليس

المنازل

		قبل الحروب	آب عام (1919 م)
وان	منازل المسلمين	(3400)	(3)
	منازل الأرمن	(3100)	(1170)
بتليس	منازل المسلمين	(6500)	—
	منازل الأرمن	(1500)	(1000)

المصدر: نايلز وسَذرلاند.

وجـدا وضـعًا مشـابهًا في قرى أخرى. بسهولة، اختفى أكثر القرى المسـلمة، بينما نجت القرى الإرمينيّة. قدّم نايلز وسَذرلاند نماذجَ من إقليم وان وسنجق بايزيد (الجدول 20).

الجدول (20)

القرى في إقليم وان وسنجق بايزيد قبل الحرب والاحتلال الأرمنيّ وبعدهما

	وان		بايزيد	
	قبل الحرب	آب (1919 م)	قبل الحرب	آب (1919 م)
المسلمة	(1373)	*(350)	(448)	(243)
الإرمينيّة	(112)	†(200)	(33)	(33)
المختلطة	(187)			
المجموع	(1672)	(550)	(481)	(276)

* جرى ترميمها بمواد من قرى أخرى.

† القرى الإرمينيّة والمختلطة.

المصدر: نايلز وسَذرلاند.

ومـــع أنهما لم يشاهدا القفقاس ولا كانا على اطّلاع مباشر على مصير مســـلمي المـــناطق الـــتي كانت روسيّة، سمع نايلز وسَذرلاند الروايات عن الأعمـــال الوحشـــيّة نفســـها مرةً بعد مرةٍ من اللاجئين ومسلمي المناطق الحدوديـــة. بالحكم جزئيّـــاً على ما شاهداه في الأناضول، ظنا أن الروايات صحيحة.

> كانـــت الاســـتغاثة الأقوى للاجئين المسلمين من القفقاس في بايزيد بســـبب الأعمال الوحشية التي ارتكبها الأرمن بحقهم وحقّ المسلمين الباقين. تُثبت الملاحظات المدوّنة في ذلك الوقت ما يفعله الأرمن الآن في القفقاس وما فعلوه في بايزيد إبّان احتلالهم لها. إن المرارة والعطش إلى الانتقام من الأرمن أشدّ ما يكون هنا[221].

لخّـــص نايلـــز وسَذرلاند تاريخ مسلمي شرقي الأناضول بدقّة في ختام تقريرهما:

> ومـــع أنها لا تقع ضمن مجال تحقيقنا تمامًا، إلاّ أن إحدى أبرز الحقائق الـــتي أثّـــرت فينا في كلّ بقعة من بتليس إلى طربزون هي أن الأرمن ارتكـــبوا ضـــدّ الأتراك في المنطقة التي اجتزناها كل أنواع الجرائم والانتهاكات التي ارتكبها الأتراك في مناطق أخرى ضدّ الأرمن. كنا نشـــكّ في البداية إلى حدّ بعيد بالروايات التي أُخبرنا بها، لكن إجماع الشهود جميعهم، واللهفة الجليّة التي تحدّثوا بها عن الأعمال الشريرة الـــتي ارتُكبـــت بحقّهم، وكراهيتهم الواضحة للأرمن، والأقوى من ذلـــك كلـــه الأدلّة المادية على الأرض نفسها، جعلنا نقتنع بصحّة الحقـــائق عـــلى نحو عام، أولاً، إن الأرمن قتلوا مسلمين على نطاق واسع وبتفنّن كثير في أسلوب الوحشية، وثانيًا، إن الأرمن مسؤولون عـــن أكثر التدمير للمدن والقرى. احتل الروس والأرمن البلاد فترة طويلة في عام (1915 م) وعام (1916 م) ويبدو أنه خلال تلك الفترة كانت الفوضى محدودة، مع أن الروس من غير ريب تسبّبوا بأضرار. في عام (1917 م) انحلّ الجيش الروسيّ تاركًا السلطة في أيدي الأرمن وحدهـــم. في تلـــك الفترة، طافت على البلاد عصابات من الجيش

الأرمنيّ غير النظاميّ فنهبت وقتلت السكان المدنيّين المسلمين. حين زحف الجيش التركيّ إلى أرزنجان وأرضروم ووان، تفكّك الجيش الأرمنيّ وانكبّ جميع الجنود النظاميّين وغير النظاميّين على تدمير ممتلكات المسلمين وارتكاب الأعمال الوحشية ضدّ السكان المسلمين. كانت النتيجة بلدًا مدمّرًا كاملاً يحتوي على ربع عدد سكانه السابقين وثُمن مبانيه السابقة، وكراهية مريرة إلى حدّ بعيد من المسلمين للأرمن، ما يجعل عيش هذين العنصرين معًا مستحيلاً في الوقت الحاضر. أعلن المسلمون أنهم إذا أُجبروا على العيش في ظلّ حكومة أرمنيّة فإنهم سيقاتلون، ويبدو لنا أنهم ربما ينفّذون هذا التهديد. يشاركنا هذا الرأي الضباط الأتراك والبريطانيّون والأميركيّون الذين قابلناهم[222].

11/6] عدد وفيات المسلمين في الشرق

لم يقم أحد بإحصاء عدد قتلى الحروب في القفقاس وشرقي الأناضول. لتقدير عددهم، لا يستطيع المرء إلاّ أن يدرج الفوارق بين عدد سكان الشرق قبل الحروب وبعدها. ليست النتيجة "قتلى حرب" على وجه الحصر، لأن الولادات والوفيات الاعتيادية (التي كانت ستحدث على نحو اعتيادي من دون حرب) مُدرجة في الأرقام. ومع ذلك، يستطيع المرء أن يفترض أن الولادات والوفيات العادية تعادل بعضها تقريبًا[223]، مخلّفةً تقديرًا دقيقًا إلى حدّ ما عن عدد وفيات زمن الحرب. (في هذه الأرقام، جرى بالضرورة إدراج القتلى من الجنود المسلمين الذين كانوا مواطني تلك المناطق ومن ثم كانوا مسجلين في سجلات السكان). نشأت نتائج أكثر خطورة بسبب تأثيرات التروح. ازداد عدد السكان بعد الحرب في إقليم أرضروم بنحو (10,000)[224] بسبب الهجرة الجماعية للاجئين المسلمين من القفقاس، على سبيل المثال. هناك بعض الأدلّة على نزوح كرديّ إلى وان وبتليس وأرضروم، حلّ محلّ الأرمن الذين رحلوا عن تلك الأقاليم[225]. خفّض هذا التروح على

نحو زائف عدد قتلى زمن الحرب الوارد في الجدول (21). لأن الأرقام في هذا الجدول هي في الحقيقة ناتجة من طرح عدد السكان في عام (1922 م) من عدد السكان في عام (1912 م) فإن تضمين المهاجرين في أرقام عام (1922 م) يجعل عدد القتلى المسلمين يبدو أقلّ من العدد الفعليّ. إن المشكلة خطيرة في إقليم طربزون على نحو خاص وإلى درجة أقلّ في إقليم أطنة. كانت منطقة طربزون ولا تزال من أكثر المناطق فائدة وأهمها اقتصاديًّا في الأناضول. من غير الممكن إطلاقًا أن لا يكون الأتراك من مناطق أخرى في الأناضول نزحوا إلى طربزون وريزة وسمسُن ليحلّوا محلّ القتلى[228]. بناءً عليه، لا بدّ من أن عدد الوفيات في طربزون يفوق العدد الوارد في الجدول بكثير.

الجدول (21)

نقصان عدد السكان المسلمين في الأقاليم العثمانيّة الشرقيّة في الأعوام (1912–1922 م)

الإقليم[226]	النقصان في عدد السكان	مقدار النقصان المئوي
وان	(194,167)	%62
بتليس	(169,248)	%42
أرضروم	(248,695)	%31
دياربكر	(158,043)	%26
معمورة العزيز	(89,310)	%16
سيواس	(186,413)	%15
حلب*	(50,838)	%9
أطنة	(42,511)	%7
طربزون	(49,907)	%4

* القسم الذي بقي في الجمهورية التركيّة.

المصدر: مكارثي، <[المسلمون والأقليّات] Muslims and Minorities>[227].

إذًا، فالأرقام في الجدول (21) هي في الحقيقة تعداد أدنى من العدد الفعليّ لوفيات المسلمين في الشرق. ومع ذلك، فإن النتائج المأساويّة لحرب المسلمين-الأرمن تعبّر عن نفسها: فُقد (62%) من مسلمي إقليم وان، و(42%) من مسلمي بتليس، و(31%) من مسلمي أرضروم[229].

الجدول (22)

نقصان عدد السكان الأتراك والمسلمين

في المنطقة الممتدة عبر القفقاس*

	أتراك	مسلمون
عدد السكان في عام (1914 م)	(2,171,000)	(2,743,000)
عدد السكان في عام (1921 م)	(1,844,000)	† (2,330,000)

* أقاليم باكو وأليزابيتبول وكدوس (Kutais) وتفليس وقارص وأروان الروسيّة.

† استقرائيّـاً من أرقام للأتراك.

المصدر: إحصائيّات روسيّة وسوفييتيّة[230].

لم تكن خسائر المسلمين في القفقاس، حيث كانت الحرب الفعليّة بدرجة أقلّ، بحجم خسائرهم في شرقي الأناضول. ومع ذلك، كان عدد الوفيات مهمًا بالتأكيد؛ أصبح (15%) من مسلمي جنوبي القفقاس في عداد الأموات. لا بدّ من أن الوفيات في بعض المناطق، خصوصًا قارص وأروان ومدينة باكو وغربي أذربيجان، كانت أعلى بكثير، إلاّ أن نمط الإحصائيات المتوافرة يجعل تعرّف خسائر المسلمين في الأقاليم والمناطق مستحيلاً. وكما في الأناضول، فإن التروح يجعل الصورة ضبابيّة إلى حدّ كبير[231].

ليست الأعداد الدقيقة للقتلى المسلمين مهمة في ذاتها؛ إن أهميّة هذه الأرقام تكمن في تصويرها لضخامة خسائر المسلمين في الشرق. في الأقاليم التي جرت فيها المعارك في المقام الأول- وان وبتليس وأرضروم؛ أصبح (40%) من المسلمين على الأقل[232] في عداد الأموات مع نهاية الحرب. إن ما

تـــنطوي عليه هذه الأرقام من عمق المعاناة واتّساعها هو فوق التصوّر. إن مقـــدار الوفيات يفوق تلك التي حدثت في أكثر الكوارث الكبيرة في تاريخ العـــالم، مثل حرب الثلاثين عامًا والطتعون الأسود. طبعًا، لم يكن المسلمون هـــم الوحيدين الذين لقوا حتفهم، إذ كان مقدار وفيات الأرمن بالضخامة نفســـها على أقلّ تقدير، ولا يمكن تجاهل خسائرهم. لكن العالم على علم بمعاناة الأرمن منذ زمن بعيد. حان الوقت للعالم أن يتأمل في معاناة مسلمي الشـــرق أيضًـــا والأهوال التي جرت. كالأرمن، قُتل المسلمون أو ماتوا من الجـــوع والمـــرض بأعداد مُذهلة. وكالأرمن، يجب أن يكون موتهم جديرًا بالتذكّر أيضًا.

7] الحرب الأخيرة في الغرب

'يـــا بنتي'، قالت، واضعةً يدها بنفاد صبرٍ على مذكّراتي الموضوعة على ركبتيّ، 'ما الفائدة من الخربشة عن أكواخ محروقة وأناس ذُبحوا في السابق؟ إنهم لقوا حتفهم. أيُطعمنا هذا أو يُغطّينا أو يجعلنا نعيش؟ كـــان في القـــرية ثلاثة آلاف من الماشية والغنم... ليس هناك الآن دجاجة تستطيع أن تضع بيضاً. كيف أستطيع أن أطعم ابنتي ورجُلي العجـــوز ، الـــذي أصـــابه اليونانيّون بجراح؟ ليس هناك حتى الملح لوضعه مع أوراق النبات التي نغليها لتُسكت هذا الجوع الملتهب في بطوننا...

ثمّة شيء خاطئ، ثمّة شيء خاطئ، يا بنتي. كنّا نعتقد أن الدرك كانوا الكارثـــة الوحـــيدة التي أرسلها اللّه في الماضي. كنّا نقول آنئذ إن الســـلطان لا يعلم بأننا مضطهدون. مضطهدون؟ كان ذلك فردَوسًا مقارنـــة بهـــذا. يا إلهي، كم توسّلت إلى اليونانيّين كي يتركوا بعض الأغطـــية للذيـــن بقوا على قيد الحياة! ضحكوا وقالوا لي إن أورُبة أرســـلتهم لـــيفعلوا كلّ ذلك، وإنهم لن يتركونا في سلام قط. يجب إخـــبار هـــذا الرجل أورُبة، يا بنتي؛ أن يتركنا وشأننا، نحن الفلاحين الفقـــراء. مـــاذا فعلنا له؟'». (فطمة نينة Fatma Nine من قرية مُلك Mulk إلى خالدة أديب)[1].

7/ 1] الإعداد للحرب

كانت الحرب الأناضوليّة في أعوام (1919– 1922 م) (حرب الاستقلال التركيّة) بين الأتراك واليونانيّين ذروة عملية التخلّص من الأتراك التي بدأها اليونانيّون في حرب استقلالهم. كانت الأساليب هي ذاتها التي استُعملت في حروب سابقة، خصوصًا في حروب البلقان، قتل أو طرد المسلمين. أدّت العمليات التأديبية من مذابح ونهب وتدمير ممتلكات المسلمين في حروب البلقان والحرب التركيّة الروسيّة في عاميّ (1877– 1878 م) في بلغاريا إلى فرار مئات آلاف المسلمين، أتراك في المقام الأول، من أراضٍ احتلّتها جيوش مسيحيّة عدوّة. طبّق اليونانيّون السياسة نفسها في احتلالهم للأناضول. منذ اليوم الأول للاحتلال اليونانيّ، أُنذر الأتراك بأن حياتهم ستكون في خطر إذا بقوا في ظلّ الحكم اليونانيّ.

كانت نيّة الجيش اليونانيّ في الأناضول مماثلة لنيّة حلفاء البلقان في عام (1912 م)؛ إحداث أرضٍ مسيحيّة كان فيها في السابق سكان من ديانات وأعراق مختلطة. لهذا الغرض، كان يجب طرد المسلمين. ولكن بخلاف أراضي البلقان، حيث كان المسلمون مبعثرين جغرافيًّا ومنقسمين عرقيًّا ويشكّلون أكثريّة ضئيلة، كان مسلمو غربي الأناضول الأكثريّة الساحقة وجميعهم تقريبًا من الأتراك عرقيًّا. وكما هو مبيّن في الجدول (23) شكّل المسلمون (80%) من سكان غربي الأناضول؛ اليونانيّون (14%) فقط. وإذا أُضيف مسيحيّو المنطقة الأرمن الذين كان يُنتظر منهم أن يميلوا إلى اليونانيّين في حرب أهليّة[2]، إلى المجموع الكلّيّ لليونانيّين، لكان مجموع اليونانيّين والأرمن (195,000) معًا (845,000) فقط، أو (18%) من مجموع السكان. وهكذا، جعلت البنية السكانيّة إحداث أكثريّة مسيحيّة مسألة أصعب من نظيرتها في البلقان. علاوة على ذلك، زادت أعداد الأتراك المطلقة من العقبات أمام اليونانيّين. كانت مهمّة عسيرة طرد أعداد كبيرة من الأتراك

الذين عاشوا في غربي الأناضول. في حروب البلقان، استولى اليونانيّون على أراضٍ كــان عــدد سكانها قبل الحرب (750,000) مسلم، بينما كان عدد سكانّ غربي الأناضول قبل الحرب أربعة ملايين مسلم تقريبًا.

الجدول (23)

عدد سكان أقاليم غربيّ الأناضول العثمانيّة عام (1912 م)[3]

	مسلمون	يونانيّون	المجموع
آيدين	(1,734,000)(%79)	(385,000)(%18)	(2,194,000)
خداوندكار	(1,599,000)(%83)	(208,000)(%11)	(1,920,000)
بيغا	(166,000)(%91)	(9,000)(%05)	(183,000)
إذميد	(272,000)(%70)	(48,000)(%12)	(389,000)
المجموع	(3,771,000)(%80)	(650,000)(%14)	(4,686,000)

المصدر: مكارثي ، <[المسلمون والأقليّات] Muslims and Minorities

كــابدت الإمبراطورية العثمانيّة أكثر من أي أمّة محاربة في الحرب العالميّة الأولى[4]. تعطّلت منظومات الإنتاج والتوزيع الزراعيّ والصحّة والنظام العام تحــت ضغط حرب متعدّدة الجبهات لم تكن الإمبراطورية العثمانيّة مستعدّة لخوضــها. ساهم وجود نحو مليون[5] لاجئ في غربي الأناضول من المناطق العسكرية في البلقان وشرقي الأناضول في حدوث مجاعة واسعة الانتشار في المــنطقة. مات في أثناء الحرب مئات آلاف الرجال، مخلّفين أُسرًا مؤلّفة من رجــال مسنّين ونساء وأطفال. ضعُفت الثقة بالنظام السياسيّ بسبب هزيمة العثمانيّين. كان الأمن العام مفقودًا عمليّــًا خارج المدن، وشنّت العصابات اليونانيّة والإرمينيّة والجركسيّة والتركيّة غاراتها ساعة شاءت ذلك[6]. أنهكت الكوليرا والحمّى التيفيّة وخصوصًا التيفوس السكان. بعد الحرب العالمية، عاد اللاجئون اليونانيّون الذين نزحوا إلى جزر يونانيّة أو رُحّلوا إلى مناطق أخرى إلى ديــارهم[7]. طرد الحلفاء المحتلّون اللاجئين الأتراك من البلقان التي كانوا



⑧ غربي الأناضول و شرقي ثراقيا في عام (1914 م)

يقيمون فيها، وأعادوا ممتلكاتهم إلى اليونانيّين، وتركوهم مرة أخرى من دون مأوى؛ لم يعرض أحد تسليم أولئك الذين استولوا على بيوت الأتراك. كان السكان الأتراك الذين ترقّبوا اليونانيّين ضعفاء وعلى ما يظهر غير قادرين على المقاومة[8]. ومع ذلك، أخفق اليونانيّون في الاستيلاء على غربي الأناضول، مع دعم الحلفاء والوضع المُنهَك للحكومة العثمانيّة. يعود السبب في انتصار الأتراك إلى قادة قديرين إلى حد بعيد نهضوا في الوقت المناسب، خصوصًا مصطفى كمال باشا. لكن مصطفى كمال لم يقاتل وحده، كانت وراءه أمّة معبّأة. أدرك مسلمو غربي الأناضول الذين بدؤوا يفكّرون في أنفسهم قوميّـًا كونهم أتراك، أن معركة الأناضول كانت الصمود الأخير لهم. جاء كثيرون منهم من البلقان. كان بعضهم أولاد مسلمين طُردوا من القفقاس أو القرم أو أحفادهم، بينما كان بعضهم الآخر لاجئين من أراضٍ في شرقي الأناضول استولى عليها الروس في الحرب الحديثة. أدركوا أن بعد الأناضول لن يبقى هناك أرض لتستقبلهم. كانت الحكومة العثمانيّة التي ترزح عاصمتها تحت احتلال الحلفاء، عاجزة عن الدفاع عنهم. لذلك، توحّدوا تحت الراية القوميّة التركيّة ودافعوا عن أنفسهم.

7/ 2] مجرى الحرب

7/ 2/ 1] نظرة عامّة

بدأ الاجتياح اليونانيّ للأناضول في إزمير وانتهى فيها[9]. في 15 أيّار عام (1919 م) نزل الجيش اليونانيّ إلى إزمير. تحرّك بسرعة إلى بقيّة مناطق إقليم آيدين، حيث كانت إزمير المدينة العاصمة. استطاعت القوات الوطنيّة التركـيّة في إقليم آيدين التصدّي لليونانيّين في بادئ الأمر، واستردّت مدينتي برغمة (Bergama) وآيدين مؤقتًا؛ لكن القوات التركيّة المضطربة لم تستطع الصمود طويلاً، وتجدّد الهجوم اليونانيّ في حزيران وتموز من عام (1920 م)

شمالاً باتّجاه خداوندكار. في تمّوز، استولى البريطانيّون على شبه جزيرة إذميد، في الشرق من اسطمبول مباشرة، وأهدوها في الواقع لليونانيّين. واجهت القوات اليونانيّة في كانون الثاني عام (1921 م) أول مقاومة عنيفة لها في أول معركة في عنونو (İnönü) حيث استطاعت القوات القومية التركيّة بقيادة عصمت باشا التصدي لهم. أعادت القوات اليونانيّة تجميع نفسها وهاجمت القوميّين من جديد، لكن الأتراك هزموا تلك القوات عند نهر سقرية (Sakarya) في أيلول عام (1921 م). لكن الأتراك لم يتقدّموا إلاّ بعد سنة تقريبًا، في آب عام (1922 م). هُزم اليونانيّون نهائيًّا وبسرعة واستُعيدت إزمير في الثامن من أيلول. وافق اليونانيّون وحلفاؤهم الغربيّون في معاهدة لوزان (Lausanne) (في 24 تمّوز عام 1923 م) على إنشاء دولة تركيّة جديدة في الأناضول وشرقي ثراقيا.

تقرّر السماح لليونان باحتلال سنجق إزمير في مؤتمر باريس للسلام (عام 1919 م). لم تُجِز شروط هدنة مُدروس بين الحلفاء والحكومة العثمانيّة احتلالاً كهذا، إلاّ في الأقاليم الستّة لإرمينية. يمكن الفقرة السابعة («للحلفاء الحقّ في أن يحتلّوا أي مواقع استراتيجيّة في حال ظهور أي حالة تهدّد أمن الحلفاء») من أن تُطبّق على نحو مسوّغ على قلعة، أو ربما على ميناء، ولكن ليس على سنجق كامل[10]. في الحقيقة، كان احتلال إزمير اجتياحًا عسكريًّا من قوة معادية، مدعومًا بأقوى الأمم على الأرض. منذ البداية، كان القرار مبنيًّا على معلومات خاطئة ومتناقضة. كان لوْيد جورج (Lloyd George) ووُدرو وِلسون (Woodrow Wilson) مؤيّدَين لليونانيّين ومناهضَين للأتراك بحماسة. طوال مؤتمر السلام، أوضح وِلسون أن نقاطه الأربع عشرة، خصوصًا حقّ تقرير المصير للشعوب، لم تنطبق على الأتراك. أما لوْيد جورج فلم يعترف أصلاً بهذا الفتات قط. علاوة على ذلك، خشيت إنغلترا وفرنسا والولايات المتحدة أن تطالب إيطاليا بمنطقة إزمير إن

لم تفعل اليونان ذلك، إذ كانت إيطاليا تمثّل تهديدًا لمصالح فرنسا وبريطانيا في شرقي البحر الأبيض المتوسط. ومع أن المنطقة مُنحت لإيطاليا في اتفاقيات زمن الحرب[11]، إلاّ أن حلفاءها، خصوصًا بريطانيا العظمى، فضّلوا أن يروا إزمير في أيدي دولة صغيرة تابعة، اليونان. لم يخبروا الإيطاليّين بقرار السماح لليونان باحتلال إزمير إلاّ قبل الإنزال مباشرة. وافق الإيطاليّون على مضض، ولكن شرط أن يكون الاحتلال مؤقّتًا فقط ولا يضرّ بالترتيب النهائيّ للمنطقة.

منذ البداية، رأت الحكومة اليونانيّة في «قوانين الاحتلال» للدول الحليفة هراءً زائفًا. وكما تبيّن من أفعال جيشه، لم يُعد رئيس الوزراء فينيزيلوس (Venizelos) أو الملك اليونانيّ، بعد ذلك، الجيش للقيام بدور «قوات حفظ السلام والحماية» الذي عهِد فيه الحلفاء إلى اليونان. كان جيش احتلال هدفه جعل غربي الأناضول المرحلة التالية في توسع اليونان. وكما في التوسّعات السابقة، تطلّب الأمر التخلّص من أكثر السكان المسلمين.

من العجيب أن قوى التحالف، خصوصًا بريطانيا، لم تفهم حقيقةً نيات اليونان. ليس هناك من دليل في أيّ مكان في الوثائق الأرشيفيّة الضخمة على إدراك البريطانيّين لنيات اليونان قبل الإنزال اليونانيّ في إزمير. لم تبدأ الحكومة البريطانيّة بإدراك ما كان يحدث وببطء أيضًا إلاّ بعد أن قدّمت التقارير عن المجازر والهجرة القسريّة للمسلمين أدلّة مقنعة. كان يكتنف البريطانيّين عقليّةٌ أجازت لهم إقامة "انتداب" في كل أنحاء العالم، يقنعون أنفسهم، والآخرين أيضًا، بأن دوافعهم إنما هي اهتمامات غيريّة، لااستعماريّة؛ إيمانٌ ببراءة أولئك، اليونانيّين مثلاً الذين انحازوا إلى الحلفاء، وتجاهلٌ للنيات الحقيقية لأصدقائهم وحتى أنفسهم.

كانت أوهام الفرنسيّين أقلّ، وكانت واقعيّتهم السياسية هي التي أتاحت لهم تغيير موقفهم من جانب إلى آخر بسهولة كبيرة وإنهاء الحرب بالوقوف

جانب الأتراك. ربما بدا البريطانيّون أكثر نبلاً ظاهريّـاً، يدعمون أصدقاءهم حتى النهاية، لكن نبلهم كان من نوع النبل العنيد الذي يأتي كنعمة لرجل الثقة.

ومع أن الحلفاء الغربيّين أُمطروا بإحصائيات زائفة[12]، إلاّ أنهم كانوا على علم حين منحوا اليونانيين إزمير أن سكان غربي الأناضول كانوا مسلمين على نحو ساحق[13]. لهذا السبب، حصروا منحتهم بسنجق إزمير («سميرنا Smyrna والمناطق المجاورة») وأمروا باستفتاء عامّ يجري خلال خمس سنوات لتقرير الحكم المستقبليّ للسنجق. كان من الممكن أن يصبح سكان سنجق إزمير خلال خمس سنوات يونانيّين في المقام الأول، من خلال التبادل السكانيّ القسريّ، لكن هذه الأفكار لم يُصرّح بها علانية. ومع ذلك، يبدو أن نيّة اليونانيّين منذ بداية احتلالهم كانت الاستيلاء على أراضٍ أكبر بكثير من تلك التي منحها لهم الحلفاء. كان هذا يعني بالضرورة خلق أكثريّة يونانيّة في منطقة واسعة، ربما كل المنطقة الساحليّة الإيجيّة[14].

كان المسوّغ الأخلاقيّ للغزو الخطرَ المفترَض على مسيحيّي إزمير إذا ما بقوا تحت سيطرة العثمانيّين. أُطلقت التصريحات على نحو متكرّر في مؤتمر باريس مع التأكيد أن الأتراك كانوا يقتلون اليونانيّين وأن اليونانيّين بحاجة إلى الحماية. «الأتراك يطلقون النار على اليونانيّين، صرّح لوْيد جورج، ومن المنطقيّ إرسال يونانيّين لحماية يونانيّين»[15]. وكما نصّ بعد ذلك تحقيق الحلفاء الرسميّ أنفسهم عن الكارثة الجارية، كانت هذه التوكيدات غير صحيحة. في الحقيقة، كانت الحكومة المدنية التركيّة والجيش يحفظان الأمن جيّدًا. أبلغ البريطانيّين عن الحالة الهادئة التي تسود كل إقليم آيدين، حيث كانت إزمير هي العاصمة، ممثّلون بريطانيّون، لكن لوْيد جورج آثر أن يصدّق تقارير المجازر التي قدّمها رئيس الوزراء اليونانيّ فينيزيلوس بدلاً من تقارير ممثّليه[16]

لم يكن الاحتلال المقترَح من دون انتقادات. في مؤتمر السلام، احتجّ الإيطاليّون فقط مطالبين أن تقوم بالاحتلال وحدات من التحالف عوضًا من وحدات يونانيّة صرفة. شعر ضباط التحالف في إزمير واسطمبول أيضًا أن الاحتلال اليونانيّ الصرف سيكون خطأً. اقترح كبير ضباط بحريّة الولايات المتحدة في إزمير، النقيب ديتون (Dayton) حين أُخبر بالخطة، أن يجري إنزال وحدات أميركيّة وبريطانيّة وفرنسيّة وإيطاليّة أولاً. اقتراحه رُفِض[17].

كان الخوف من الاحتلال اليونانيّ بين أتراك إزمير مبنيًّا على دراية بالاحتلال اليونانيّ السابق في مقدونيا وثراقيا وكريت (Crete). ربما لم يكن أكثر الأتراك المحليّين على دراية مفصّلة بتاريخ العلاقات اليونانيّة التركيّة، لكنهم سمعوا روايات الكثيرين من اللاجئين بينهم؛ استقرّ في إقليم آيدين (150,000) لاجئ مسلم من البلقان منذ عام (1912 م). بسبب هؤلاء، عرف أتراك إزمير ما عليهم أن يتوقّعوه من الاحتلال اليونانيّ، وسارع المحتلّون اليونانيّون إلى إثبات أن الأتراك على حقّ.

كان الوضع مماثلاً لما شهده المسلمون الأتراك في البلقان؛ يقوم جيش وطنيّ مسيحيّ وقوات مسيحيّة محليّة بقتلهم وطردهم. وكانت النيّة مماثلةً، خلق دولة ذات أكثرية مسيحيّة بقتل وإكراه الأكثريّة المسلمة على الهجرة. لهذا الغرض، جرى تطبيق سياسة إرهاب الدولة، ابتداءً بقتل الأتراك بُعيد الإنزال اليونانيّ في إزمير، ثمّ تصاعدت شدة الإرهاب إلى درجة كبيرة في عامي (1920– 1921 م). فرّ أمام الجيوش اليونانيّة الأتراك الذين لم يكونوا شخصيًّا ضحيّة لهجمات الإرهاب لكنهم سمعوا عن المجازر، وهذا ما كان مطلوبًا تمامًا. ومع تقدّم اليونانيّين، أثمرت السياسة وفرّ مئات آلاف الأتراك.

7/ 2/ 2] غزو إزمير

في 13 أيّار عام (1919 م) أخبر ضابط التحالف الكبير في الأسطول الصغير قرب إزمير، الأميرال البريطانيّ كالثورب (Calthorpe) والي إقليم

آيديـــن والقائد العسكريّ العثمانيّ بأن الحلفاء سيحتلّون الحصون ووحدات المدفعـــيّة الدفاعيّة للمدينة في اليوم التالي. لم يُعطَ إشعار بالاحتلال اليونانيّ الوشيك، لكن الأتراك انتابهم الريب. متوقّعـــاً الأسوأ، توسّل الوالي، أنه إذا كانت المدينة ستُحتلّ، فليكن الاحتلال من التحالف وليس من قوات يونانيّة صـــرفة[18]. جرى الاستيلاء على الحصون في 14 آيّار. في تلك الليلة، أُخبر الوالي بأن القوات اليونانيّة ستنزل صباح اليوم التالي، وفقًا للفقرة السابعة من هدنة مُدروس. بعد الاحتجاج على الفعلة، صرّح الوالي بأنه اضطرّ إلى قبول الاحـــتلال عـــلى أســـاس أنه سيكون مؤقتـــاً. وافق على انسحاب الجنود العثمانيّين في إزمير إلى ثكناهم لمنع الحوادث بين اليونانيّين والقوات العثمانيّة، كمـــا طالـــب بإرسال مئة جنديّ إنغليزيّ وفرنسيّ وإيطاليّ إلى المدينة مع اليونانيّين للمحافظة على النظام، لكن طلبه رُفض.

بـــدأ إنزال القوات اليونانيّة بعد الساعة الثامنة صباحًا في 15 آيّار. نزلت وحدة إلى رصيف الميناء المركزيّ لإزمير، حيث رحّب بها الأسقف اليونانيّ خريسوستوموس (Chrysosthomos) وباركها بصليبه الأسقفيّ. كما رحّب بـــالوحدة «حشـــد مـــنفعل من المدنيّين اليونانيّين الذين ظلّوا متجمّعين في تكتّلات وملؤوا الجوّ بهتافات حماسيّة»[19]. وبرفقة هؤلاء الغوغاء، تقدّمت القوات مباشرة إلى مكاتب الحكومة المحلّية، متجاوزةً الثكنات التي تجمّع فيها الجنود العثمانيّون. وبوصول القوات إلى مكاتب الحكومة، دوّت طلقة[20]. فـــرّ الغوغـــاء المدنـــيّون بفزع، وبدأت القوات اليونانيّة بإطلاق النار على المكاتب الحكوميّة والثكنات.

لا يمكن معرفة مَن أطلق الطلقة الأولى قط. اتّهم الأتراك يونانيّـــاً مجهولاً في الحشـــد بـــإطلاق النار على المباني الحكوميّة. واتّهم اليونانيّون تركيّـــاً مجهـــولاً بـــإطلاق النار من المباني الحكوميّة. الأهم هو النتائج المترتّبة على إطـــلاق النار. كان ما حصل في إزمير على مرأى من عدد كبير من الشهود الأورُبيّين المحايدين والميالين إلى اليونانيّين. ثلاثة تقارير من عدة:

[إفادة ضباط السفينة البخاريّة البريطانيّة بريشيا (S/S Brescia)] بعد أن هـدأ إطلاق النار إلى حدّ ما، بدأ الجنود والمدنيّون [اليونانيّون] باقتحام المباني، تركيّة على ما يبدو. أدى المدنيّون دورًا فعّالاً جدًا في العمليات، وشوهدوا في بعض الأحيان يأخذون أسلحة من الجنود لاستخدامها في اقتحام المباني.

واجه عدد من المدنيّين، الأتراك على ما يبدو، الذين اعتقلهم الغوغاء وحشية شديدة من الجنود والمدنيّين حتى انهاروا؛ ثمّ سُحبوا بعيدًا عن الأنظار إلى مقهى.

كان كلّ شيء هادئًا تقريبـًا إلى أن سارت مجموعة من الأسرى تحت رايـة بيضاء يرفعون أيديهم إلى الأعلى وترافقهم قوات يونانيّة على طـول الجـبهة [المائيّة]. استؤنف إطلاق النار من بيوت مختلفة بعد ذلك، وبعد أن عبر الأسرى، شوهد خطّ طويل من القتلى والجرحى في موازاة الجبهة[21].

[إفادة دونالد وايتول (Donald Whitall) مقيم بريطانيّ في إزمير] من هـناك [إدارة الجمـرك] وحتى فندق كريمر بَلَس (Kramer Palace Hotel) كنـت الشاهد من غير قصد لمجزرة نحو ثلاثين رجلاً أعزل، الذيـن كانوا يُسيّرون وأيديهم مرفوعة. ارتكب هذه المجزرة كاملة جنود يونانيّون.

رأيتُ في مكان بين بورصة الذُرة ومصرِف الشرق ستّة أشخاص من إحـدى الدُفـع يُطلق عليهم النار على بُعد عشرة أمتار تقريبًا. وفي مكان إلى الأعلى، شاهدتُ خمسةً آخرين يسقطون قتلى بنيران بنادق اليونانـيّين. رأيـت قرب مكان رسو قوارب كورديليو (Cordelio) كـثيرين آخرين مقتولين. شهدتُ قرب كريمر ثلاث حالات أخرى من إطلاق النار . . .[22].

[إفادة آمر السفينة الأميركيّة أريزونا] صرع اليونانيّون رجالاً مسنّين عُزّلاً ومدنيّين غير مذنبين من الأتراك، ثمّ قتلوهم بالطعن بالسكاكين والحـراب، وبعـد أن جرّدوا الجثامين من الملابس والأشياء الثمينة، ألقـوا بها في البحر. في إحدى الحالات، أطلق الجنود اليونانيّون النار مرة أخرى على رجل بعد أن ألقوا به في البحر. سُمح للغوغاء الذين

> كانوا يتبعون كثيرين من الأسرى الذين كانوا يُسيّرون وأيديهم مرفوعة إلى الأعلى، بمن فيهم ضباط من الرتب العالية، بأن ينهالوا عليهم بالضرب. ذكر شهود العيان أنفسهم أنه في حالات معيّنة لقي جنود وضباط أتراك[23] من الخلف الطعن بالحراب من حرّاسهم اليونانيّين، بينما نقّب الغوغاء جيوبهم وألقوا بجثثهم في البحر. كان العديد من أسوأ حالات المعاملة غير الإنسانيّة للأتراك حين كانوا رهن الاعتقال وفي عراء جبهة البحر في منتصف النهار[24].

انتشر الغوغاء من مركز المدينة، بمساعدة الجند اليونانيّين، باتّجاه المناطق المجاورة للمدينة، فسرقوا الممتلكات ونهبوا الجوار. أوقف الجنود اليونانيّون عمليات نهب ممتلكات المسلمين أحيانًا فقط؛ وشاركوا في النهب في أكثر الأحيان. تنقّل غوغاء اليونانيّين المحلّيين من بيت إلى بيت وسرقوا كلّ شيء عثروا عليه. نهبوا جميع البضائع من المخازن والمتاجر والمعامل التي يمتلكها الأتراك. خلال عملية النهب، قُتل عدة مئات من الأتراك في بيوتهم ومتاجرهم، بينما قُتل آخرون بسهولة في الشوارع. لم يكن أتراك المدينة مسلّحين، وكان رجال الدرك العثمانيّون جُرّدوا من أسلحتهم، وكثيرًا ما كانوا أنفسهم يُسجنون أو يُقتلون. لم تكن هناك حماية للأتراك[25]. ربما قُتل نحو (700– 800) تركيّ[26]، بينما قُتل ثلاثة جنود يونانيّين[27]. حدثت أسوأ المشاهد في القرى المحيطة بالمدينة، حيث نُهب وأُحرق العديد منها. في إحدى البلدات، طلب اليونانيّون دفع (500) ليرة ذهبيّة مقابل عدم نهب البلدة، وما إن دُفعت الفدية حتى جرى نهب البلدة. سُرقت كل ممتلكات ضواحي مدن أخرى[28]. أدرج أورُبيّون يعيشون في المناطق المحيطة بإزمير قرى بالاسم، مثل جيم أواسي (Cim Ovası) وجوجكلر (Cücükler) وكلر (Keler) وسسال (Sasal) وديرمن (Değirmen) ولرة (Lere) وتيراتسا (Tiratsa) وبالموت (Palamut) وجيلمة (Çileme) وكورجة (Gürece) إضافة إلى قرى أخرى كثيرة نهبها اليونانيّون، مع خسائر كبيرة في الأرواح[29]. إن الدليل

على رعب القرويّين الأتراك هو أن سكان قرى كاملة فرّوا إلى إزمير، بدلاً من البقاء في بيوتهم، مع الخطر الجليّ على الأتراك في المدينة[30]. وكما كتب ضابط المراقبة البريطانيّ الذي حقّق في الوضع: «نهب اليونانيّون مستودعات الأسلحة في الريف حول سميرنا [إزمير]، وسلبوا القرى التركيّة، وطاردوا المسلمين»[31].

بدأت السياسة اليونانيّة بنزع أسلحة الأتراك وتسليح اليونانيّين المحلّيّين في إزمير. بخلاف أتراك القرى، لم يكن أتراك إزمير مسلّحين جيدًا. لهذا، حين سمع أتراك إزمير بالاحتلال اليونانيّ الوشيك، حاولوا الحصول على السلاح من مستودع الأسلحة في ثكنات الجيش المركزية. رُفضت مطالبهم، لكنهم حطّموا الأبواب وبدؤوا بأخذ الأسلحة، فأطلق الجنود العثمانيّون النار عليهم وأجبروهم على الفرار. كانت الأوامر إلى الجنود العثمانيّين تقضي بالمحافظة على الأمن، فتصرّفوا وفقًا لذلك. حين تحقّق الاحتلال اليونانيّ، وسُيّر كثير من هؤلاء الجنود أنفسهم، وضُرب وقتل العديد منهم، جرى توزيع الأسلحة في مستودعات الثكنات على اليونانيّين في إزمير[32]. احتجّ الممثّل العسكريّ الرسميّ البريطانيّ في إزمير رسميًّا (ولو باستحياءٍ) على توزيع الأسلحة على السكان اليونانيّين في المنطقة: «جرى إطلاق نار ونهب ومطاردة للأتراك على نحو متواصل...إن الاستنتاج الممكن إذًا أن هذا التسليح للسكان المدنيّين كان بهدف العدوان على السكان الأتراك» [33].

عامل الغوغاء والقوات اليونانيّة الجند العثمانيّين بطريقة سيئة على نحو خاص. سرق المدنيّون والجنود اليونانيّون الجنود العثمانيّين وقتلوا العديد منهم، وعذّبوا آخرين، وعرّضوهم جميعًا للمضايقات والمعاملات المهينة الشديدة. سُجن الضباط الذين بقوا على قيد الحياة بعد المسيرة من ثكناتهم إلى رصيف الميناء في أدنى عنبر لسفينة يونانيّة، وهو عنبر كان يُستخدم لنقل الخيل. في غضون ذلك، جرى نهب الثكنات والمكاتب الحكوميّة. جرى

التعرّف إلى منزل كلّ ضابط ثمّ نهبه على نحو منهجيّ. جرى اغتصاب زوجات بعض الضباط[34].

إضافة إلى الضباط العسكريّين المحلّيّين، وُضع على قائمة الموت أيضًا مسؤولون ومدنيّون أتراك بارزون؛ محرّرو صحف ومراسلون، قادة الدرك المتقاعدون، موظّفو إدارة الدّين العام، إلى آخره. قُتل كثيرون من هؤلاء وأُلقي بهم ببساطة في البحر[35].

ربما كان أهمّ تحليل للأحداث في إزمير تقرير لجنة تحقيق التحالف. أرسل الحلفاء في تمّوز عام (1919 م) لجنة برئاسة فرنسيّ وإيطاليّ وإنغليزيّ مع ممثّل أميركيّ للتحقيق في الأعمال الوحشية في إزمير. وافقت بريطانيا على اللجنة على مضض، خوفًا من أن يكون رفضها التحقيق مُضرًّا سياسيًّا بالوطن[36]. ينصّ التقرير على أن الحكومة العثمانيّة كانت تسيطر على الوضع في إزمير، وأن ذريعة الحاجة إلى احتلال يونانيّ لحماية اليونانيّين المحلّيّين كانت واهية تمامًا. ألقى التقرير اللوم على الجنود والمسؤولين اليونانيّين عن الأحداث التالية للاحتلال، وعدّ المجازر وأعمال النهب اليونانيّة حقيقية. باختصار، كانت الوثيقة اتّهامًا للغزو اليونانيّ، وللأفعال اليونانيّة التالية، وبالاستنتاج، لدعم التحالف لليونانيّين. لو وصلت نتائج تحقيق لجنة التحالف إلى شريحة واسعة من الجمهور لكانت أهمّيتها السياسية المباشرة كبيرة، لكنها طُمست. شعر البريطانيّون الذين كانوا يراهنون كثيرًا على نجاح الاحتلال اليونانيّ، بأن نشر التقرير سيضرّ بخططهم تجاه أناضول بعد الحرب وينعكس سلبًا عليهم وكذلك على حلفائهم اليونانيّين. علّق أحد مسؤولي وزارة الخارجيّة، فيبس (Phipps): «لا أظن أنه من المستحسن نشر أيّ جزء مهم من هذه البرقيّة [تقرير التحالف] على أنه تقرير حكوميّ رسميّ في الوقت الحاضر. سيبدو اليونانيّون سيّئين إلى درجة أنه كلما كان ما ننشره أقلّ كان ذلك أفضل»[37]. رُفضت مطالبات أعضاء في البرلمان بنشر التقرير[38].

كـــان كـــثير من المشاهد التي نُقلت عن احتلال إزمير ومجازرها يُذكّر بالأعمـــال الوحشـــية للحرب الروسيّة التركيّة في عامي (1877– 1878 م) وحـــروب البلقان. بطرق عديدة، كانت الأعمال الوحشية لغزو إزمير مثيرة للاشمئزاز أكثر لأنها جرت في مدينة عظيمة كانت تنعم بالسلام التام. لم تكن هناك مقاومة عثمانيّة في إزمير؛ امتثل الجنود العثمانيّون وهم يواجهون تفوّق أسطول التحالف لأوامر اسطمبول واستسلموا على نحو سلميّ، و لم تستطع الجمـــاهير أن تثور، ومع ذلك، عومل الجنود العثمانيّون والمدنيّون الأتراك في إزمـــير معاملـــة المقـــاتلين في حرب شرسة على نحو خاص. كانت أعمال الاغتصاب والتشويه شائعة، وأعمال القتل والنهب قائمة على نحو كامل[39].

7/ 2/ 3] تقدّم اليونانيّين من إزمير

بعـــد أن أحكـــم اليونانيّون قبضتهم على سنجق إزمير، بدؤوا بالزحف خارج الحدود المحدّدة لهم في مؤتمر السلام. زحفوا إلى وادي مندر (Meander) واستولوا على مدينة آيدين في 27 أيّار عام (1919 م) ثمّ استولوا على نازللي (Nazilli) الـــتي انســـحبوا منها في أواخر حزيران. في 30 حزيران، طردت القـــوات التركـــيّة الجيش اليونانيّ من آيدين. تراجع اليونانيّون إلى قرة بنار (Karabunar) ثمّ إلى ديرمنجك (Değirmencik) لكن اليونانيّين المهاجمين من الجـــنوب استعادوا آيدين في 4 تمّوز. في الشمال من إزمير، تقدّم اليونانيّون خارج حدود سنجق إزمير واستولوا على مغنيسا (Manisa) في 25 أيّار. في 11 حزيـــران، تحرّكوا من منمن (Menemen) (ضمن النطاق المحدّد لهم) إلى برغمة (Bergama). أجبرهم القوات التركيّة على الانسحاب من برغمة إلى منمن والتي هي الأخرى استعادها الأتراك أيضًا. لكن القوات التركيّة كانت أضعف من أن تصمد في معركة إقليم آيدين المستمرّة، حيث نزلت وحدات من الجيش اليونانيّ في ديكيلي (Dikili) واستولت على برغمة واحتلّت المدن

الأخرى التي كانت خسرتها. في تمّوز، "طهّرت" القوات اليونانيّة بقايا القوات التركيّة. وهكذا، كان إقليم آيدين متورّطًا في حرب طوال شهريّ حزيران وتمّوز من عام (1919 م).

ومع تقدّم اليونانيّين عبر إقليم آيدين، جرى نزع أسلحة جميع القرويّين الأتراك الذين بقوا في قراهم، سلميًّا في بادئ الأمر. في قصبة (Kasaba) على سبيل المثال، استولت مفرزة من الجنود اليونانيّين على المدينة من دون مقاومة. جرى نزع أسلحة المسؤولين الأتراك ورجال الدرك، وكذلك الجمهور التركيّ، وأُعطي اليونانيون المحليون أسلحتهم، حيث باشروا بنهب المدينة برفقة الجنود اليونانيّين[40]. حدث الأمر ذاته في نازللي ومغنيسا ومنمن وقرى ومدن محتلّة أخرى. أمر القائد اليونانيّ لآيدين أتراك المدينة بتسليم (6000) قطعة سلاح (في 26 حزيران عام 1919 م) لكنهم لم يستطيعوا القيام بذلك بسبب العدد المحدود للأسلحة في المدينة. بناءً عليه، بدأ التفتيش من بيت إلى بيت، وجرى قتل كلّ من كان في بيت عُثر على سلاح فيه[41]. في تيرة (Tire) نُزع سلاح رجال الدرك وآخرين بالأسلوب المعتاد، وهكذا، لم يستطع هؤلاء والمسؤولون العثمانيّون التدخّل بينما كان الجنود اليونانيّون يسرقون المدينة والقرى المحيطة[42]. هناك أدلّة على أنه جرى تزويد اليونانيّين المحلّيين ببزّات عسكرية يونانيّة أيضًا، إضافة إلى أسلحة، ارتدوها حين هاجموا القرى التركيّة[43].

اتّبع اليونانيّون في الأناضول الأساليب التي جرى تطبيقها في الحروب السابقة. في الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877- 1878 م) وحروب البلقان، استُخدم المسيحيّون المحلّيّون قوات صِدام تقتل المسلمين المحلّيين، بهدف نهائيّ هو إكراه المسلمين على التروح. في الحروب السابقة، كانت سياسة المنتصرين نزع أسلحة المسلمين وجعلهم غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم تمامًا، يواجهون خيار الفرار أو الموت؛ هكذا كان الوضع في

الأناضول أيضًا. حيثما حلّت القوات اليونانيّة، نُزعت أسلحة المدنيّين وقوات الدرك التركيّة على نحو منهجيّ. كثيرًا ما كان يُضرب القرويّون الأتراك إلى أن يبوحوا بأمكنة الأسلحة المخبّأة؛ عملية صعبة على نحو خاص على أولئك الذين ليس لديهم مخبأ سريّ. جرى توزيع الأسلحة المصادرة والأسلحة التي أحضرها الجنود اليونانيّون على اليونانيّين والأرمن المحلّيّين. كان هذا الأسلوب ثابتًا ثبات الأسلوب المتّبع في البلقان. افترض الجيش اليونانيّ الغازيّ، على نحو صحيح، أن كثيرين من المسيحيّين المحلّيّين يمكن أن يُعدّوا في عداد الموالين لهم[44]. يمكن أن يكون الخوف من القنص التركيّ وعمليات حرب العصابات هو السبب وراء نزع أسلحة المسلمين؛ في ضوء الإمكان الحقيقيّ لثورة ضدّ المحتلّين اليونانيّين، فإن نزع سلاح الأتراك يبدو معقولاً، ولكن ليس تسليح اليونانيّين المحلّيّين. أُرسل الجيش اليونانيّ، نظريًّا على الأقلّ، إلى الأناضول لحماية الجماهير وضمان الأمن العام. يمكن أن يكون نزع سلاح جميع المدنيّين منسجمًا مع هذا الهدف، أما نزع سلاح الأكثرية فحسب، الأتراك، فإنه منسجم مع هدف خلق أكثرية يونانيّة في المنطقة بقتل الأكثرية المسلمة أو إجبارها على الفرار.

تحت الذريعة الرسميّة بتجهيز "كشّافة" وقوات غير نظامية أخرى، جرى تجهيز اليونانيّين الأناضوليّين المحلّيّين بأسلحة من مخازن أسلحة الجيش اليونانيّ أيضًا. جرى إحضار البنادق على متن سفينة لتزويدهم بها. وطبعًا، ما إن أصبحوا مسلّحين حتى باتوا أحرارًا في أن يفعلوا ما يشاؤون، بما فيه الهجوم على أبناء بلدهم. لم يجرِ تسجيل أكثر الذين تسلّحوا في وحدات قتال يونانيّة قط، وحتى أولئك الذين شاركوا فعلاً في وحدات منظّمة جرى تسريحهم بعد المعارك واحتفظوا بأسلحتهم[45]. في كثير من الأحيان، سوّغت السلطات اليونانيّة الأعمال الوحشية ضد المسلمين بأنها من أعمال مجموعات من «القوات غير النظامية» التي لا تستطيع السيطرة عليها[46].

كانت التقارير عن أعمال النهب اليونانيّة في غربي الأناضول أكثر تفصيلاً من الهجمات على المسلمين في مناطق أخرى وفي أوقات أخرى. كان ذلك بسبب طبيعة تحالف احتلال إزمير. إن الأدلّة الوثائقيّة المفصّلة على نشاطات اليونانيّين في الأناضول متوافرة، خصوصًا في الأرشيف البريطانيّ: كان اليونانيّون في الأناضول بسبب دعم القوى المنتصرة في الحرب العالمية الأولى فحسب، خصوصًا البريطانيّين. كان احتلال إزمير من إبداع لوْيد جورج من نواحٍ عديدة[47]. في الحقيقة، كان الدعم البريطانيّ لليونانيّين كبيرًا إلى درجة أن البحّارة البريطانيّين تلقّوا أوامرَ بعدم التدخّل حتى ولو شهِدوا المجازر ضد الأتراك شخصيًّا، وهذا يجعل من البحّارة «مشاهدين عاجزين ومغتاظين وكارهين لبعض أسوأ الاعتداءات اليونانيّة»[48]. بسبب هذا التورّط البريطانيّ، تتبّع رجال الاستخبارات والدبلوماسيّون البريطانيّون، المتمركزون في إزمير واسطمبول، الجيوش اليونانيّة المحتلّة وأرسلوا بتقاريرهم المفصّلة إلى لندن. هذه الوثائق هي مصدر جيد لتفصيل تاريخيّ. لم تكن التقارير من دون تحيُّز، لكنها عمومًا موثوقة من حيث الحقائق.

فيما يتعلّق بالتقارير البريطانيّة، يجب أن يميّز المرء نقل الأحداث من التحليل والتعليقات. بشأن غربي الأناضول والبلقان، كثيرًا ما كان الموظّفون القنصليّون و(في أحيان أقلّ بكثير) ضباط الاستخبارات العسكرية البريطانيّة مراقبين دقيقين، وكثيرًا أيضًا ما كان ميلهم الشخصيّ وافتقارهم إلى الخبرة بالمنطقة يجعلانهم يفسّرون ما يشاهدونه على نحو خاطئ. على سبيل المثال، نقلت استخبارات الأركان العامة لمركز القيادة البريطانيّ المتقدّم الأعمال الوحشية اليونانيّة ضد الأتراك في منطقة أودة مش–تيرة (Ödemiş-Tire) بدقّة، وجرت فهرسة أعمال القتل والاغتصاب والسرقة والسجن بتهم زائفة وتدمير الممتلكات وهلمّ جرًّا؛ وقد ارتكبها جنود وسكان محلّيّون يونانيّون. ولكن، في تحليل الفرار اللاحق للفلاحين الأتراك من المنطقة، أضاف رجل

استخبارات، «ربما كان الشعور بالذنب هو الذي دفعهم [إلى الفرار]؛ ولكن الأمـــر الأكـــبر هو أن الدعاية القوميّة دفعتهم إلى التفكير في أنه إذا تخلّفوا فســـوف يعانون على أيدي اليونانيّين»[49]. كان على رجال الاستخبارات بالتأكيد أن يروا من خلال تقاريرهم أنفسهم أنه لا حاجة إلى (دعاية قوميّة) لإقناع الفلاحين الأتراك بأنهم في خطر حقيقيّ. يؤكّد هذا النمط من التحليل نموذجـــين أساسين من تحيُّز المراقبين البريطانيّين[50]، يجب على الباحثين أن يكونـــوا حذريـــن منهما دائمًا؛ البحث عن أيّ سبب غير السبب الحقيقيّ، الأعمال الوحشية اليونانيّة، للمعاناة التركيّة (التي اضطرّوا إلى الاعتراف بأنها كانت حقيقيّة فعلاً) وإنكار ردود أفعال الفطرة السليمة من جانب الفلاحين الأتراك. ومن ثم، فإن الأتراك الذين فرّوا بخوف مسوّغ من المجازر عُدّوا فرّوا بســـبب «شعورهم بالذنب» (لم تُقدَّم أدلّة على أي أفعال ارتكبوها تجعلهم يشعرون بالذنب) أو بسبب تقبّلهم الدعاية من دون تفكير. في الحقيقة، كان مـــا أبـــداه الفلاحون الأتراك استجابة عقلانيّة لمحيطهم إلى حد بعيد. حين استطاعوا القتال، قاتلوا، وحين لم يستطيعوا، فرّوا[52].

أرسل الموظّفون البريطانيّون تقاريرهم من مدن أناضوليّة وبلدات كبيرة، لأنـــه كان من الصعب والخطورة عليهم أن يذهبوا إلى الريف. ومع ذلك، اســـتطاعوا أن يحصلوا على بعض المعلومات الاستخباراتيّة الدقيقة من الريف وكذلك من المدن.

7/ 2/ 4] الاضطهاد في إقليم آيدين (Aydin Vilâyeti): المدن

واجـــه سكان المدن المسلمون في إقليم آيدين الاضطهاد منذ اليوم الأول للاحتلال اليونانيّ. لا يمكن بحال من الأحوال عدّ سكان المدن الأتراك خطرًا عســـكريّـــا. ربمـــا خـــبّأ القـــرويّون، في أحيان كثيرة، عصابات مناهضة لليونانيّين، لكن المدن كانت منزوعة السلاح وتحت السيطرة اليونانيّة التامّة.

لم يكن سكان المدن قادرين على مساعدة القوات القوميّة بسبب منع اليونانيّين التنقّل من المدن وإليها. باختصار، لا يمكن أتراك آيدين أو منمن أو مغنيسا أو نازللي أو أي مدينة محتلّة أخرى أن يكونوا تصرّفوا بأي طريقة مؤثّرة ضد اليونانيّين. من الواضح أن المدن التي استعادتها القوات التركيّة فترة وجيزة في عام (1919 م) مثل برغمة وآيدين، هاجمتها القوات المسلّحة التركيّة من خارجها ولم يسترجعها الأتراك العُزّل بثورة من داخلها. لم يكن هناك مسوّغ عسكريّ للهجمات على سكان المدن المسلمين، لكن سلبيّتهم لم تنقذهم.

كان نمط الأعمال اليونانيّة ضد السكان المسلمين ثابتًا تقريبًا. أولاً، جرى نزع جميع أسلحة الشرطة والجنود العثمانيّين والمدنيّين المسلمين. ثانيًا، جرى توزيع الأسلحة على اليونانيّين المحلّيين. ثالثًا، سُجن أو رُحّل موظّفو الحكومة العثمانيّة ورجال الدين المسلمون. بعد ذلك، بدأت أعمال النهب والقتل والاغتصاب، مباشرةً في بعض الأحيان، أو بعد انقضاء فترة من الزمن في أحيان أخرى. جرى تدمير منازل الأتراك ومباني الحكومة. أصيبت المباني والمؤسّسات الدينيّة الإسلاميّة، أقوى رموز الهويّة الإسلاميّة، بإتلاف شديد. لدى دخول الجيش اليونانيّ مغنيسا على سبيل المثال، انتهك حرمة جميع المساجد وأديرة الدراويش في المدن، وكذلك المدرسة الدينية ومقبرة المسلمين[52].

عانى جميع أتراك مدن إقليم آيدين إلى حدّ ما، وليست المدن التي سيجري بحثها هنا إلاّ تلك التي تتوافر المعلومات المفصّلة والدقيقة عنها.

منمن: جرى نزع أسلحة الأتراك في منمن بعد استسلام المدينة سلميًّا[53] لليونانيّين الذين سرعان ما اعتقلوا العديد من المسؤولين العثمانيّين. بعد ذلك، جرى تسليح اليونانيّين وبدأت المجزرة. إن الدليل على أن المجزرة كان مخطّطًا لها من قبل هو وضع علامة صليب أبيض على جميع المنازل اليونانيّة

قبل بدء الهجمات[54]. من حسن حظّ السجلّ التاريخيّ أن ضباط المراقبة البريطانيّين[55] وصلوا إلى منمن على نحو غير مُعلَن مع بدء أعمال القتل مباشرة، فشاهدوا جثث القائمّقام ورجال الدرك الأتراك في مبنى إدارة الدولة وقتل الأتراك في الشوارع. عدّ المراقبون الأحداث في منمن بناءً على ما شاهدوه مجزرة وليس معركة؛ «اليونانيّون فقط الذين كانوا يطلقون النار». كانت البيوت في منمن خاوية ومنهوبة. جرى إتلاف ما لم يُنهب[56]: قُتل ما بين (300) إلى (400) تركيّ في المدينة؛ و(1300) في الريف المجاور[57].

ومع أنها لم تكن مشاهدةً تمامًا من المراقبين البريطانيّين، إلاّ أن أعمال النهب والقتل كانت تجري في الريف المحيط بمنمن بالوتيرة نفسها. في تعليقه إلى لندن عن حقيقة أن بعض أتراك منمن استطاعوا أن ينجوا، قال الأميرال كالثورب: «في رأيي إن اليونانيّين مسؤولون عن الأمر كله . . لم يمنعهم من تحقيق درجة أكبر من النجاح إلاّ افتقارهم التام إلى التنظيم. من الممكن أيضًا أن يكون الوجود غير المتوقّع للشهود البريطانيّين كبحهم إلى حد ما»[58].

آيدين: جرى الاستيلاء على مدينة آيدين الإقليميّة الكبيرة من دون مقاومة في 27 أيّار عام (1919 م). كان هناك هدوء فترة من الزمن، ربما بسبب وضع اليونانيّين الشاذ. باستيلائهم على آيدين، خرج اليونانيّون عن حدود هبة الحلفاء لهم وتقدّموا في منطقة تركيّة السكان على نحو لا يقبل الجدل[59]. لذلك، كان الحلفاء يراقبون الأحداث في آيدين بدقّة. ومع ذلك، قتل يونانيّون يقودهم ضابط عسكريّ يونانيّ ستّة أتراك في الشارع في اليوم العاشر للاحتلال. في اليوم نفسه، هوجمت أربعة منازل تركيّة واغتُصبت النساء فيها. منذ ذلك الوقت فصاعدًا، أصبحت الهجمات على الأتراك والممتلكات التركيّة متواصلة[60]. راوحت المعاملات المهينة بحقّ الأتراك من التافهة، كخلع جميع الطرابيش عنوةً (حتى عن المسيحيّين واليهود) إلى الاغتصاب والقتل. تحت ذريعة الاستجواب، نُقل أتراك من آيدين والقرى المحيطة ثمّ قُتلوا[61]. أُحرقت قرى في منطقة آيدين وقُتل سكانها.

أوضـــح الممثّلون اليونانيّون في آيدين أنه مع الأكثرية التركيّة في المنطقة وحقيقة أن الحلفاء لم يمنحوا اليونانيين آيدين، فإنهم خطّطوا للبقاء فيها. أبلغ آمر آيدين اليونانيّ الزعماء الأتراك المحلّيّين أن الاحتلال اليونانيّ لم يكن مؤقّتًا بـــل كـــان ضـــمّـــًا لليونان. لتعزيز ذلك، جرى اعتقال موظّفين عثمانيّين ووجهاء أتراك، بمن فيهم والي السنجق وقضاة ومدير إدارة التبغ.

أنقذت القوات المسلّحة التركيّة أتراك آيدين بعد أن استعادت المدينة من اليونانـــيّين في معركة استمرّت مدة يومين. استغلّ اليونانيّون هذين اليومين لإحراق الحيّ المسلم والانهماك في مجازر أخرى قبل أن ينسحبوا. قدّر الأتراك أن عـــدد القتلى في المدينة كان ألفيّ مسلم ومن (300–400) مسيحيّ، ربما تكون هذه الأرقام مبالغًا فيها. كتب بريطانيّ شهِد أحداث آيدين في تقريره أن الجـــيش اليونانيّ هو الذي رتّب عمليات القتل في المدينة. في 28 حزيران، نُصبت المدافع الرشّاشة على الأسطح وقُذف الحيّ التركيّ بالقنابل واشتعلت فيه النيران. «أطلق الجنود والمدنيّون اليونانيّون الذين وُزّعت عليهم الأسلحة، الـــنار بالرشّاشات والبنادق على جميع الأتراك الذين حاولوا النجاة». استمرّ إطـــلاق النار والإحراق حتى اليوم التالي؛ «كان سماع أصوات إطلاق النار والصيحات والضجيج مروّعًا»[62].

شاهد الجنود الأتراك الذين دخلوا آيدين جثثًا تركيّة على الأرض والحيّ التركيّ المدمّر. بهدف الثأر، هوجم العديد من المسيحيّين في الشارع قبل أن يتمكّن العقيد شفقت من استعادة النظام[63]. عندما استولى اليونانيّون على آيدين من جديد، كان الأتراك الناجون رحلوا، مفضّلين أن يكونوا لاجئين. تؤيّـــد روايـــات الـــبريطانيّين عن أحداث آيدين الملخّص الذي قدّمه الوفد العثمانيّ في مؤتمر فيرساي (Versailles) للسلام: «من أصل (30,000) تركيّ يعيشون في آيدين، لم يبقَ إلاّ بضع أُسر. جرى تدمير (5800) منزل وإحراق (81) قرية تركيّة في ضواحي المدينة»[64].

نازلــــلي: احتلّ اليونانيّون بلدة نازللي في الثاني من حزيران واحتفظوا بها مدة (17) يومًا. خلال الاحتلال، جرت أعمال نهب واغتصاب وقتل الأتراك كالعادة. ساعد اليونانيّين المحلّيّين في ذلك جنود يونانيّون ومجرمون محكومون[65] أطلــق الجنود سراحهم من السجن. عندما أجبرت القوات التركيّة اليونانيّين على الانسحاب من نازللي في 19 حزيران، اقتادوا معهم مجموعة كبيرة[66] مــن الأتراك وأيديهم مكبّلة، قتلوا هؤلاء في الطريق ونهبوا القرى على الخطّ اليونانيّ للمسيرة وقتلوا من تبقّى من سكانها[67].

قصــــبة: كان نزع سلاح الأتراك أول أعمال الجند اليونانيّين في قصبة، وبعد توزيع الأسلحة على المسيحيّين المحلّيّين، بدأ نهب بيوت المسلمين، وهو جزء من نمط أصبح معروفًا جيدًا لدى المسلمين. خاف المسلمون ما سيأتي، خصوصًـــا أن العقــيد الــيونانيّ المسؤول عن المدينة كان استدعى موظّفي الحكومـــة العثمانيّة ومفتي المدينة وأخبرهم بأنه عدّ جميع المسلمين محاربين في منطقة عسكرية. انتظر المسلمون «كما لو أنهم محكوم عليهم بالإعدام»[68].

كان هزم الأتراك اليونانيّين في برغمة والانسحاب التالي لهم آخر انتصار تــركيّ فترة من الزمن. تبيّن أن العدد الصغير تقريبًا للجنود الأتراك لم يكن قــادرًا عــلى الصــمود في وجه جيش يونانيّ مدعوم من الحلفاء. «في 23 حزيــران، نــزل اليونانيّون قرب ديكيلي وأعادوا احتلال برغمة، وقاموا في طــريقهم بإحــراق عشر قرى تركيّة تشتمل على (1095) منزلاً. كان عدد الأتراك المشرّدين الذين تجمّعوا في صومة (Soma) نتيجة لذلك (70,000)»[69].

7/2/5] الاضطهاد في إقليم آيدين: الريف

بــدأ قــتل القرويّين الأتراك ونهب القرى التركيّة مباشرة عقب الإنزال اليونانيّ في إزمير. هاجم الأتراكَ يونانيّو إزمير والقرى اليونانيّة المحيطة، الذين سلّح الجيش اليونانيّ عددًا كبيرًا منهم. طافوا في القرى المحيطة، برفقة جنود

يونانيّين أحيانًا، ونهبوا وقتلوا. كما ذُكر آنفًا، ارتُكب كثير من المجازر على مرأى من الغربيّين الذين كتبوا تقاريرَ عن الأعمال الشرّيرة اليونانيّة قرية فقرية. من الواضح أن المنتصرين لم يبالوا بصورهم الناجمة من ذلك في الغرب، أو أنهم كانوا على ثقة بأن الصورة لن تتأثّر بغضّ الطرف عن أعمالهم. شارك في المجازر يونانيّون من قرى خارج المدينة، وهاجموا قرى تركيّة. «انتشر يونانيّون من سودي (Sevdi) والقرى اليونانيّة المجاورة في كل الاتّجاهات ينهبون ويقتلون الأتراك»[70]. امتد النهب والقتل جنوبًا إلى شبه جزيرة أورلة (Urla) حيث أُحرقت القرى التركيّة[71]. قُتل نحو (3000) تركيّ[72]. لخّص الضابط الآمر البريطانيّ في إزمير الحالة الجليّة للريف في برقيّة:

> **نهب اليونانيّون في الريف حول سميرنا مخازن الأسلحة وقرى تركيّة وطاردوا المسلمين. يبدو أن الفوضى العامة هي السائدة في كثير من الأمكنة التي يشكّل اليونانيّون الأكثرية فيها[73].**

نهب الجنود اليونانيّون قرى شبه جزيرة أورلة، ورافق ذلك أعمال قتل[74].

حين جرى الاستيلاء على المنطقة المحيطة بآيدين (في حزيران عام 1919 م) قُتل الأتراك المقيمون في عدد من القرى المحيطة، بما فيها بجنجة (Michanje) وقرة بنار وأركلي (Erikli) وكادي كوي (Kadiköy) ويني كوي، وأُحرقت القرى[75]. انضمّت قرى أخرى إلى القائمة بعد فترة قصيرة، خصوصًا حين انسحب اليونانيّون من المدينة أولاً في حزيران عام (1919 م). كما ذُكر آنفًا، لم يمنح الحلفاء اليونان إلاّ سنجق إزمير. ومع ذلك، ومع نهاية شهر آيّار من عام (1919 م) كانت القوات اليونانيّة تجاوزت حدود السنجق مستوليةً على مغنيسا في 25 آيّار وبرغمة في 11 حزيران. استعادت القوات التركيّة برغمة، لكن اليونانيّين استرجعوها حين نزلوا في ديكيلي وزحفوا نحو الداخل. قتلت القوات اليونانيّة القرويّين الأتراك في أثناء انسحابها وفي أثناء تقدّمها التالي.

دمّـــرت القوات اليونانيّة المنسحبة من نازللي (في 19 حزيران عام 1919 م) القرى التركيّة على خطّ انسحابها وقتلت جميع السكان الذين صادفتهم[76]. أحرقت كتيبة القوات اليونانيّة التي زحفت من ديكيلي إلى برغمة عشر قرى على الأقلّ، مدمّرةً (1100) منزل تركيّ[77]. حتى البحريّة اليونانيّة شاركت في مجازر المدنيّين. أطلقت القوارب اليونانيّة قذائفها على القرى التركيّة قرب أيوالي (Ayvalı) من دون هدف عسكريّ إطلاقًا[78].

بـــتقدّم الجيش النظاميّ اليونانيّ نحو الداخل، انضمّ إليه يونانيّون محلّيّون للنهب والقتل، وذكر الجنود البريطانيّون الذين كانت مهمّتهم مراقبة الزحف اليونانيّ والأعمال الوحشيّة اليونانيّة، أعمال اغتصاب نساء تركيّات على يد جـــنود يونانـــيّين على نحو خاص[79]. كان كثيرون من هؤلاء المحلّيّين تحت الســـلطة العسكرية اليونانيّة بحال أو بآخر، حتى إنهم كانوا يرتدون البزّات العســـكرية اليونانيّة[80]. سبقت عصابات مؤلّفة من يونانيّين وأرمن محلّيّين تقـــدّم الأرتال اليونانيّة نحو الداخل. عملت تلك العصابات فرق استطلاع وجـــند صِدام، لكنها كانت منشغلة في الدرجة الأولى بالهجوم على القرى التركـــيّة. هاجمـــت تلـــك العصابات أولاً القرى على خطّ زحف الجيش، ســـاعدها في ذلـــك جنود نظاميّون في كثير من الأحيان، ثمّ، انتشرت لتهاجم القرى النائية بعد أن أصبحت المنطقة آمنة[81].

كان الاغتصاب شائعًا في القرى المحتلّة، وكذلك خطف الجنود والمدنيّين اليونانـــيّين للنساء. راوح الوصف الدبلوماسيّ لأنواع وتواتر الاغتصاب من المفصّل والشنيع إلى التصريح البريطانيّ المكبوح: «يبدو أن العنف بحق النساء المسلمات من الجنود اليونانيّين حدث فعلاً»[82].

نظـــرًا إلى أن أكثر نهب السكان الأتراك حدث في القرى، حيث لم يكن هناك مراقبون أوربّيون أو موظّفون عثمانيّون ينقلون الأحداث إلى اسطمبول إلاّ في بعضها، فإن أكثر الأعمال الوحشية لا يمكن معرفتها إلاّ من خلال ردّ

فعـــل الضـــحايا (الفرار عادةً) أو أدلّة الدراسة الإحصائيّة للسكان (أُخليت مناطق كاملة من السكان الأتراك[83]) أو تقارير بعد وقوع الجريمة (المراقبون الأورُبّيون الذين شاهدوا القرى المحروقة والجثث الملقاة في شوارعها). لم يكن هـــناك مراقبون خارجيّون ليشهدوا المجازر إلاّ في بعض القرى. حتى المدن، كمدينة أحمدلي (Ahmedli) لم تخضع لمراقبة ضباط المراقبة في التحالف إلاّ في بعـــض الأحيان. في أحمدلي، أيّد رقيب فرنسيّ كان موجودًا مصادفة رواية مواطنين عن السجن والقتل البشع[84].

وطبعًا، ما إن أدرك الأتراك الواعون أن الجيش اليونانيّ يتقدّم حتى لاذوا بالفرار. كانوا على علم بأحداث إزمير ومصير مسلمي البلقان في عام (1912 م). بـــتقدّم اليونانيّين نحو أيوالي (Ayvalı) «وجدوا جميع القرى التركيّة مهجورة من الناحية العمليّة، لكن السكان الذين فرّوا على عجلٍ لم يستطيعوا أخذ أيّ من أمتعتهم معهم»[85].

مـــا إن جـــرى نـــزع سلاح قوات الدرك العثمانيّة، حتى هاجم الجنود اليونانيّون المتمتعين بحصانة القرويّين الأتراك. في المنطقة الصغيرة لقضاء تيرة، سجّل البريطانيّون (32) قرية هاجمها وسرقها الجنود اليونانيّون، بعضها أكثر من مرة خلال فترة شهرين[86]. من الجدير بالذكر أن تلك القرى هي فقط القرى التي استرعت انتباه الممثّلين البريطانيّين في تيرة. في الفترة الزمنيّة نفسها وفي منطقة تيرة، قتل اليونانيّون (22) تركيًّـــا من وسجنوا (32) تركيًّـــا من دون محاكمـــة. باع اليونانيّون البضائع التي نهبوها من القرى التركيّة علنًا في سوق في أودة مش[87].

> في المـــنطقة المحيطة بصواندرة (Soghandere) جرى تدمير ما بين (25) إلى (30) قرية وقتل جميع سكانها.
>
> ما بين أقحصار (Akhissar) ومغنيسا، هوجمت على هذه الطريق (82) قرية مع أعمال قتل متباينة. أُحرق بعضها وليس كلّها . .
>
> في (24 حزيران) وفي بشلميش (Bashlamish) قرب أقحصار، طوّق

القرية جنود يونانيّون وعصابات أرمنيّة وجمعوا السكان الذين تتراوح أعمارهم بين (12) و(60) عامًا وقتلوهم جميعًا تقريبًا. ضربوا أربعة منهم قبل قتلهم...

جمعوا المدنيّين، خصوصًا "الوجهاء"، في مدن وقرى مختلفة في كل أنحاء البلد المحتلّ خلف سميرنا، واقتادوهم "أسرى حرب".

تمرّ مجموعات من هؤلاء الأسرى عبر سميرنا يوميًّا تقريبًا، ثمّ يختفون. من المفترض أن يجري ترحيلهم إلى اليونان، ولكن لا يسمع عنهم أحد شيئًا، ولقد عُثر على جثث بعض منهم.

جرى هذا الترحيل في: قصبة ومغنيسا ونيف (Nif) والأشهر (Alashehir) وصالحلو (Salihli) وعشاق (Ushag) وقولة (Kula) ومرمرة (Marmara) وأقحصار وتيرة (Tira) وأودةمش (Odermish) وبايندر (Barindir) وطوربالي (Turbali) وآيدين[88].

7/ 2/ 6] أعمال وحشية في يالوة (Yalova) وإذميد (Izmit) وكمليك (Gemlik) والقرى المحيطة

وجد المعلّقون الأوربّيون على أحداث الأناضول صعوبة في تصديق الأدلّة على الأعمال الوحشية اليونانيّة. كان هذا صحيحًا عند البريطانيّين على نحو خاص. كان البريطانيّون المحققون في الاجتياح اليونانيّ، يمهّدون الطريق أمام القوات اليونانيّة ويوفّرون الدعم السياسيّ و(اللوجستيّ) ويدافعون عن القضيّة اليونانيّة في المنتديات الدوليّة مثل مؤتمر باريس للسلام. بلغة التوظيف والهيبة، كان البريطانيّون سيخسرون كثيرًا لو تبيّن أن الاجتياح اليونانيّ كان سلسلة طويلة من المجازر. علاوة على ذلك، كانت روح الإعجاب بالإغريق قوية في إنغلترا. لذلك، ومع الأدلّة الساحقة التي قدّمها المراقبون البريطانيّون، صُرف النظر عن أعمال اليونانيّين الوحشية في مستهلّ احتلالهم لإقليم آيدين في الدوائر الحكوميّة البريطانيّة والرأي العام البريطانيّ. لم يضطر البريطانيّون إلى فتح أعينهم إلاّ بعد أحداث الاحتلال اليونانيّ لمنطقة مرمرة الساحليّة.

كــان الــبريطانيّون هــم أوّل من انتزع شبه جزيرة إذميد، المنطقة من الأناضــول الأقــرب إلى اســطمبول، من السيطرة العثمانيّة. قبل الاحتلال البريطانيّ وفي أثناءه، كانت الأمور هادئة نسبيّــاً. قدّر الحلفاء أن مسيحيّي المــنطقة بخاصّة لم يكونوا في خطر. كلّ ذلك تغيّر حين جرى تسليم المنطقة إلى اليونانيّين. تكرّر النمط الذي شهده إقليم آيدين وغيره سابقًا في مدن مثل يالوة وكمليك وإذميد والقرى المحيطة. جاء أولاً البحث عن أسلحة الأتراك ونــزع أســلحة قوات الدرك العثمانيّة، ثمّ النهب والقتل. أُتلفت المحاصيل؛ نُزعت الثمار عن الأشجار. في النهاية، دُمّرت القرى وأُجبر الأتراك على أن يصبحوا لاجئين أو كانوا سيُقتلون. حدث كلّ ذلك على بُعد رحلة قصيرة مــن مركز القيادة البريطانيّ في اسطمبول. زار المواقع مسؤولون ومراسلون بريطانيّون وحتى أساتذة جامعات، ولا يمكن تجاهل التقارير الكاملة والمفصّلة التالية لذلك.

قُــتل القرويّون الأتراك في المنطقة التي استولى عليها اليونانيّون من دون تميــيز. ظنّ المراقبون في التحالف في بادئ الأمر أن أعمال القتل كانت من فعــل يونانــيّين محلّيّين يلتمسون ثأرًا من مذنبين حقيقيّين أو وهميّين. لكن المراقــبين الــبريطانيّين أنفسهم الذين أرادوا أن يجدوا في اليونانيّين قوة دفع إيجابيّة «للحضارة المسيحيّة في الشرق» اضطرّوا إلى الاعتراف بطبيعة الأعمال الوحشية اليونانيّة:

> **يــبدو أن هــناك اتّــباعًا لطــريقة متميّزة ومنتظمة في تدمير القرى [التركــيّة]، مجموعة فمجموعة، في الشهرين الأخيرَين، حيث وصل التدمير إلى جوار مركز القيادة اليونانيّ.**
>
> **يعــد أعضــاء اللجنة [في التحالف] أن هناك خطّة منهجيّة لتدمير القــرى التركــيّة وإبــادة السكان المسلمين في المنطقة التي احتلّها اليونانــيّون مــن قضاء يالوة وكمليك. تنفّذ الخطّة عصابات يونانيّة وأرمنيّة يبدو أنها تعمل وفق تعليمات يونانيّة، وحتى بمساعدة كتائب من القوات النظاميّة في بعض الأحيان[89].**

ليس هناك من شكّ في أن الجيش اليونانيّ والحكومة اليونانيّة أقرّا إحراق القــرى والمجازر والترحيل القسريّ. علّق المفوّض الساميّ الأميركيّ، الأميرال بريستول، على «الأعمال الوحشية اليونانيّة التي تبدو أنها ارتُكبت بدم بارد، وفقًا لخطّة موضوعة من قبل»[90]. نقل الجنرال البريطاني فرانكس (Franks) مــن مكــان الحدث في منطقة كمليك، أن القرى المحروقة مثل قرجة علي (Karacalı) ونســلِ (Naslı) كانت قريبة من مركز القيادة اليونانيّ ومع ذلك جــرى إحــراقها مــن دون تدخّل الجيش اليونانيّ، وكانت هناك «علامات واضحة على الأعمال الوحشية»[91]. ومع أنه كان من السهل التدخّل، إلاّ أن الجــيش اليونانيّ لم يحاول إيقاف التدمير. حقّق ضباط بريطانيّون آخرون في الأعمــال الوحشية اليونانيّة في مناطق أخرى. على سبيل المثال، على مقربة من قندرة (Kandıra) «أخذ الجنود ما أمكن من المال والمواشي والممتلكات الشخصــية المــنقولة؛ يلجؤون إلى التعذيب في جميع الحالات التي يبدو أن الضــغط ضــروريّ فــيها. بعض القرى دمرت جزئيّــًا أو كليّــًا. القرى المدمّرة كليّــًا هي: مختر كوي (Mehter Keui) ولزلار كوي (Lazlar Keui) وأحمــق كوي (Ahmak Keui) وعمر آغا كوي (Omer Agha Keui) وسيرة كــوي (Sira Keui)»[92]. احــتلّ اليونانيّون شيلة (Şele) مرّتين. «خلال الاحــتلال الثاني، من تشرين الثاني عام (1920 م) حتى آذار عام (1921 م) روّعــت المــنطقةَ عصابةٌ من مئتي رجل من الجنود وبعض المدنيّين كانوا في طــريقهم إلى إذميد، بقيادة نقيب وثلاثة ملازمين. بقي عشرون من هؤلاء الرجال بقيادة كتساروس (Katsaros) [زعيم عصابة] في المنطقة، فدمّروا كلّ القــرى تقريبًا وسرقوا من الفلاحين أمتعتهم الثمينة ومواشيهم. ضربوا كثير مــن الســكان، وعلّقوا بعضهم من أرجلهم فوق قشّ مشتعل، بينما قتلوا آخــرين فــورًا واغتصبوا بعض النساء»[93]. اكتشفت لجنة التحقيق التابعة للتحالف في منطقة بكقوز (Beykos) «أعمال قتل واسعة الانتشار ارتكبتها قوات يونانيّة»[94].

كان القرويّون الذين نجوا من اليونانيّين أولئك الذين فرّوا قبل وصولهم، لكن بعضهم طُرد عنوة: «في الأسبوع الأول من تشرين الثاني [عام 1920 م] نهبت القوات اليونانيّة بلدة قرة مرسل (Karamürsel) بأكملها وأحرقت (14) قــرية مجــاورة بعد قتال عابر مع قوات قوميّة غير نظاميّة. نُقل المسؤولون الأتــراك إلى يــالوة، بينما نُقل السكان الباقون على متن السفن إلى الجانب الآخــر مــن خلــيج إذمــيد الــذي منه تابع أكثرهم الرحلة لاجئين إلى القسطنطينية»[95].

> **[أيّــار عــام (1921 م)] الجــنرال فرانكس، في مناشدة يوم أمس لإتاحــة الحــريّة الــتامة لعمل الهلال الأحمر في إغاثة ونقل السكان المسلمين في منطقة كمليك، أبرقتُ أن هذه اللجنة مقتنعة بأن سلطة الاحــتلال [الــيونان] تتّــبع نظام إبادة العنصر المسلم، ويبدو أن القــوات اليونانــيّة وقطّاع الطرق يعملان وفق منهاج منسجم مع ذلك تمام الانسجام . .[96].**
>
> **[حزيــران عام (1921 م)] ومع زيارة لجنة التحقيق وقرار المفوّضين الســامين بالسماح للهلال الأحمر بنقل اللاجئين، واصلت السلطات العســكرية اليونانــيّة حتى نهاية الأسبوع الماضي إظهار روح شرّيرة ووضــع العقبات في طريق النقل. كان القائد اليونانيّ في يالوة مسبّبًا للإعاقــة على وجه الخصوص. يبدو أن السلطات العسكرية اليونانيّة على أتمّ الودّ مع قطّاع الطرق اليونانيّين وتحت تأثيرهم[97].**

توقّع البرفسور أرنولد توينبي (Arnold Toynbee) الذي جاء إلى الأناضول مراسلاً/محلّل لصحيفة <[المانشستر غارديان] Manchester Guardian> وضعًا مختلفًا عن الوضع الذي وجده. حاملاً للقب أستاذيّة كورايس (Korais) في اللغة البيزنطيّة واليونانيّة الحديثة، والأدب والتاريخ في جامعة لندن، ولم يكن صــديقًا للأتــراك في أثناء الحرب[98]، توقّع توينبي أن يرى أعمالاً نبيلة من اليونانــيّين، ودنيئة من الأتراك. أدرك حقيقة أعمال اليونانيّين ونياهم بعد أن

اطّلــع على مجازر يالوة وكمليك وحقّق بعد ذلك في التدمير المتواصل حول إزمير. استنتج، مثل لجنة تحقيق التحالف المذكورة آنفًا، أن الحكومة اليونانيّة هي التي خطّطت لمجازر الأتراك وطردهم[99].

إن المعلومــات عن الأعمال الوحشية اليونانيّة في القرى الصغيرة بمنطقة مرمرة شحيحة، لكن هناك عددًا من الروايات المفصّلة عن أعمال كهذه أكّد مراقــبو الــتحالف صحّتها. كثيرًا ما تدلّ هذه الروايات على الحالة الخطرة لأولــئك الأتــراك الذين استطاعوا النجاة من الانقضاض الأوليّ للاحتلال اليونانيّ وعاشوا بعدها في ظلّ الهيمنة اليونانيّة. على سبيل المثال، هاجم قرية عربلــر (Arablar) (الــتي كانت في منطقة مرمرة وتحت المراقبة البريطانيّة) "قطّــاع طــرق" يونانــيّون وسكان قرية أفيسيا (Afisia) اليونانيّون وقرى مجــاورة، فقتلوا بعضهم واقتادوا معهم سبعة رجال وامرأتين، قتلوا الرجال واغتصــبوا الامــرأتين. في الــنهاية، سمحوا للامرأتين بالذهاب إلى قرةبيغا (Karabiga) حيــث كــان وصل إليها (190) لاجئًا آخرَ من عربلر. أُحرق نصف القرية، وفرّ القرويّون من الخوف وعدم توافر مكان للإقامة على متن سفينة صاحبة الجلالة (ستيوارت/ Stuart) تحت حماية البريطانيّين[100].

كانت مهمّة يونانيّي قرية أفيسيا في أعمال القتل في عربلر العمل "قوات إسناد" لــ"قطّاع الطرق". كان المعروفون بقطّاع الطرق في الحقيقة قرويّين، واحد منهم على الأقلّ من أفيسيا[101]. لاحظت لجنة التحالف التي تحقّق في أحــداث عربلــر أن الجنود اليونانيّين النظاميّين لم يكونوا متورّطين في تلك الأحــداث، باســتثناء أحد الفارّين من الجيش اليونانيّ. «في الوقت نفسه، أشــارت اللجنة إلى أنه في جميع الحالات جرى نزع سلاح القرويّين الأتراك وتسليح القرويّين اليونانيّين، ما يجعلهم كليّةً تحت رحمة جيرانهم، في حين لا يــبدو أن الحكومــة العســكرية اتّخــذت أي خطوات لحماية أرواحهم وممتلكاتهم»[102].

لخّص المفوّض الساميّ البريطانيّ رمبولد (Rumbold) بدقّة حالة غربي الأناضول حين صرّح، «من الواضح أن الجزء الأكبر ممّا يصفه اليونانيّون بمنطقة عمليّاتهم يتحوّل تدريجيًّا إلى القفر»[103].

[7/2/7] دور الجركس

كان أحد أكثر المظاهر غرابة للحملة اليونانيّة عمل مجموعة من الجركس تمّابين انسجامًا مع الجيش اليونانيّ. اتّبع بعض الزعماء الجركس (أفضل مثال جركس عثم Çerkes Ethem[104]) سياسات مستقلّة أدّت بهم إلى أن يصبحوا حلفاء لليونانيّين. أيّد حكومة اسطمبول ضدّ القوميّين جركس آخرون يكرهون اليونانيّين بدافع ولاء مفهوم للسلطنة العثمانيّة بُغية بقاء شعبهم. ومع ذلك، وقف أكثر الجركس في واقع الحال جانب إخوانهم المسلمين ضد الغزاة اليونانيّين. ومع أعمال خدمة الذات من بعضهم، كان أكثر الجركس في معسكر القوميّين. ومع أنه انقضى أكثر من خمسين عامًا على طردهم من أوطانهم، ومع أن الجركس احتفظوا بكثير من مقوّمات هويّتهم العرقيّة، فإنهم كانوا بحلول عام (1919 م) من الأتراك في ولاءاتهم ودعمهم للقوميّين[105].

[8/2/7] التقهقر اليونانيّ

كان هناك كثير من التخوّف بين الحلفاء من أن اليونانيّين والمسيحيّين الآخرين سيعانون كثيرًا عندما يستردّ القوميّون مدينة إذميد ومنطقتها. قدّمت أعمال اليونانيّين هناك مسوغًا وجيهًا للانتقام. كان المراقبون البريطانيّون على أرض الحدث ونقلوا مجازر الأتراك حين تخلّى اليونانيّون عن المدينة[106]. كان الانتقام من اليونانيّين متوقّعًا حين استعاد الأتراك المدينة، لكن البريطانيّين نقلوا أنه لم يحدث شيء من هذا القبيل، بسبب «تأثير القوات القوميّة الجيّد وانضباطها»[107].

بــدأ اليونانيّون يخسرون الحرب في آب من عام (1921 م) حين صدّهم القومــيّون الأتراك على خطّ سقرية. تقهقروا عن المناطق التي استولوا عليها ببطء في البداية ثمّ بتهوّر. حدث مع تقهقرهم تغيّر في طبيعة أعمال اليونانيّين ضدّ الأتراك. انتهت الآمال والخطط بخصوص غربي أناضول يونانيّ، و لم يعد هــناك سبب معقول لاضطهاد الأتراك المسلمين. ومع ذلك، كان للمجازر مبدأ خاص بها ذهب وراء نطاق سياسات عقلانيّة أو حتى رديئة لدولة. فمع تقهقرهم، دمّر اليونانيّون على نحو أشمل من السابق كلّ شيء في طريقهم. لو دمّــروا كلّ شيء وجدوه حين كانوا في الحكم لكان ذلك عملاً أحمقَ، إذ كــان يكفي آنئذ إحراق الممتلكات التركيّة حتى لا يعود المالكون. لذلك، دُمّــرت البيوت التركيّة لا اليونانيّة؛ وأُحرقت القرى التركيّة لا اليونانيّة. أما في أثــناء التقهقر، فلم يعد هناك مسوّغ للإبقاء على أيّ شيء، لذلك، دُمّر كلّ شيء؛ ممتلكات المسلمين والمسيحيّين على السواء. أُحرقت مدن كاملة، كانــت الأحياء المسلمة تحترق جنبًا إلى جنب مع الأحياء المسيحيّة. أُتلفت المحاصــيل وقُطعت أشجار الزيتون العتيقة والكروم. أدرك الجيش اليونانيّ أن اليونان لن تطالب بعد اليوم بالأرض الجديدة، وأدرك يونانيّو غربي الأناضول والأرمــن فــيها أنهــم لن يستطيعوا بعد اليوم العيش هناك، فأطلقوا العِنان للكراهية.

تقرّر أسلوب الانسحاب اليونانيّ بعد النكسة الحقيقية الأولى لهم، معركة سـقرية الأولى الــتي تقهقروا بعدها إلى أسكيشهر للتجمّع من جديد. في الــبداية، حــين بدا أن اليونانيّين سينهضون من نكستهم الأوليّة ويحتفظون بأكــثر الأناضــول، بــدا أن سياساتهم تجاه الأرض والناس لها ما يسوّغها عسكريّــاً، سياسة "الأرض المحروقة". وكما وصف أحد المحلّلين العسكريّين المعاصــرين الواقعــيّين تقهقر اليونانيّين إلى أسكيشهر في تشرين الأول عام (1921 م):

جرى تنفيذ الانسحاب بمهارة وبطريقة منظّمة. نفّذ اليونانيّون تدميرًا شاملاً لكل المنطقة التي أخلوها، فأحرقوا جميع القرى ودمّروا السكّة الحديديّة تدميرًا كاملاً»[108].

أصبح السبب وراء سياسة اليونانيّين الأرض المحروقة واضحًا مع استمرار التقهقر اليونانيّ أنه كان لأكثر من ذريعة عسكرية. استمرّوا في تدمير كلّ شيء كان في طريقهم بعد أن أصبحت هزيمتهم مؤكّدة. بحلول عام (1922 م) انتُدبت وحدات الجيش اليونانيّ التي كان من المستحسن أن تعمل مؤخرة للانسحاب لتدمّر القرى الأناضوليّة بالكاز والبارود. انتهت أيام تنفيذ الانسحاب «بمهارة وبطريقة منظّمة». فبينما فرّ اليونانيّون بأسرع ما يمكن إلى البحر، كانت الوحدات التي تنفّذ تدمير ما تبقّى هي الوحيدة الهادئة والمنظّمة.

أُشعلت النيران في مدينة بعد الأخرى في أثناء الانسحاب اليونانيّ. أُحرقت مدن بلجك (Bilecik) وينيشهر (Yenişehir) وإينةكول (İnegöl) وأفيون (Afyon) وسكود (Söğüt) وأطة بازاري (Adapazarı) ومدن وقرى أخرى على الخطّ اليونانيّ للانسحاب[109]. وصف القنصل الأميركيّ في إزمير، بارك (Park) الذي طاف في أكثر المنطقة المدمّرة مباشرة بعد خسارة اليونانيّين، الوضع في المدن التي شاهدها:

[مغنيسا] محتها النيران كاملة تقريبًا.. (10,300) منزل، (15) مسجدًا، حمّامان، (2278) متجرًا، (19) فندقًا، (26) دارةً..

[قصبة] لا يمكن إثبات أو دحض هذه الإحصائيات، ويجب أخذها على علاّتها، لكن ملاحظتي الشخصيّة تدلّ على أنها صحيحة تقريبًا.

أُخبرنا بأن قصبة كانت مدينة لـ(40,000) نفس، (3000) منهم من غير المسلمين. يمكن إحصاء (6000) فقط على أنهم على قيد الحياة من أصل (37,000) تركيّ، ومن المعروف أن ألف تركيّ قُتلوا بالرصاص أو أُحرقوا حتى الموت. لم يبقَ سليمًا إلاّ (200) مبنى من

أصل (2000) مبنى تُشكّل المدينة.. الشهادات المتوافرة كثيرة على أن الجنود اليونانيّين دمّروا المدينة على نحو منهجيّ، وساعدهم في ذلك عدد من المدنيّين اليونانيّين والأرمن. استخدموا الكاز والبنزين بحرّية لجعل التدمير أكيدًا وسريعًا وتامًا.

[الأشهر] استُخدمت المضخّات اليدوية لإشباع جدران المباني بالكاز.. حين تفحّصنا خرائب المدينة، اكتشفنا عددًا من الجماجم والعظام، متفحّمة وسوداء، مع بقايا من الشعر واللحم ملتصقة بها. بناءً على إصرارنا، جرى نبش عدد من القبور تبدو مشيّدة حديثًا، حيث كنّا مقتنعين تمامًا بأن تلك الجثث لا يزيد عمرها على أربعة أسابيع [أي، وقت انسحاب اليونانيّين عبر الأشهر]»[110].

لم يكن بارك يميل إلى الأتراك، لكنه كان مترعجًا من أن اليونانيّين الذين أيّدهم ارتكبوا أعمالاً وحشية كهذه. ومع ذلك، اضطرّ إلى بأن يعترف أن الأدلّة التي شاهدها كانت حاسمة. شاهد أدلّة على استخدام البنزين و«القنابل المحرقة» في مناطق عدّة، إضافة إلى أدلّة على أن الأتراك الذين حاولوا إخماد النيران في مدنهم أطلقت القوات اليونانيّة النار عليهم. شاهد ما سمّاه «أدلّة مقنعة على عنف شخصيّ واسع وقع على السكان المدنيّين الأتراك»، وتوصّل إلى الاستنتاج:

1) إن تدمير المدن الداخليّة التي زارها فريقنا نفّذه اليونانيّون.
2) إن مقدار المباني المدمّرة في كلّ من المدن الأربعة المشار إليها كان:

مغنيسا (Magnesia)	(%90)
قصبة	(%90)
الأشهر	(%70)
صالحلو	(%65)

3) لم يكن إحراق تلك المدن عابرًا أو متقطّعًا أو غير مقصود، بل كان مخطّطًا له جيّدًا ومنظّمًا تمامًا.

4) كانــــت هــــناك حالات كثيرة من العنف الجسديّ، وكان أغلبها مـــتعمّدًا ووحشـــيّـــًا. من غير أرقام كاملة، التي كان الحصول عليها مستحيلاً، يمكن التخمين بثقة أن عدد 'الأعمال الوحشيّة' الـــتي ارتكبها اليونانيّون المنسحبون بالآلاف في المدن الأربع قيد البحث. تضمّنت هذه الأعمال الوحشيّة الأنواع الثلاثة المعتادة، أي القتل والتعذيب والاغتصاب[111].

كانـــت سياسة اليونانيّين في أثناء انسحابهم المندفع عبر غربي الأناضول واضـــحة؛ تدمير كلّ قرية تركيّة في طريقهم ما دام ذلك ممكنًا. أخذ الجنود اليونانيّون كلّ مدنيّ تركيّ مفيد صادفوه في أثناء انسحابهم أسيرًا، خصوصًا النســـاء وأولئك الرجال الذين يمكن الاستفادة منهم مرشدين، بينما قتلوا في كـــثير من الأحيان الذين لم يجدوا فيهم فائدة لهم. لكن كثيرين من القرويّين الأتـــراك أدركـــوا مصيرهم الوشيك قبل وصول الجنود اليونانيّين إلى قراهم فاختـــبؤوا في الجبال. وفعلاً، كان كثيرون فرّوا حين استولى اليونانيّون أولاً على مناطقهم[112].

أســـرت القوات اليونانيّة المنسحبة جميع سكان المناطق التي أخلتها، بصـــرف النظر عن جنسهم. لم ينجُ من هذه المحنة إلاّ الذين فرّوا إلى الغابات أو الجبال. أحرقت جميع القرى على خطّ انسحاب القوات اليونانيّة[113].

عندما جاء موعد انسحاب اليونانيّين، كانت مصادر كثيرة شاهدة على أعمـــالهم الوحشية. قدّمت الحكومة العثمانيّة وحكومة أنقرة منذ زمن بعيد قوائمَ مفصّلة عن القرى المحروقة وأعمال القتل والاغتصاب والنهب. المراقبون البريطانيّون أدرجوا كثير منها. انضمّت إلى هذه المصادر تقارير مفصّلة على نحو متزايد من مصادر غربيّة أخرى منها مراسلو الصحف. كانت الحكومة الـــبريطانيّة تواجـــه صـــعوبة متزايدة في قمع السخط الذي نشأ من المجازر اليونانـــيّة. تساءل عضو البرلمان أوبري هربرت (Aubrey Herbert) عمّا إذا

كان صحيحًا مقتل (5000) من أصل (7000) تركيّ في يالوة. أجاب المُتحدّث باسم الحكومة (تشامبرلين Chamberlain) إنه لا يملك إحصائيّات مفصّلة، لكنه اعترف بـ«تجاوزات خطيرة»[114]. صرّح فسكاونت سان ديفيد (Viscount St. David) في خطاب برلمانيّ «أُخبرت بأن عدد القرى التركيّة التي أحرقها اليونانيّون نحو ثلاثمئة إلى أربعمئة [تصريح ربما، غير علني في الحقيقة]». أقرّت الحكومة أن قرى أُحرقت، لكنها لم تكن مستعدّة لأن تقول كم كان عددها[115]. ومع الأدلّة المتزايدة، ظلّت الحكومة البريطانيّة رافضة تزويد مجلس العموم حتى بتقرير سميرنا[116]. في غضون ذلك، كانت الحكومة البريطانيّة تتلقّى تقاريرَ من لجنة التحقيق التابعة لها عن «أعمال وحشية ذات طبيعة مروّعة، بما فيها القتل والتعذيب والتشويه» وإفادات بأن «سلوك الجيش اليونانيّ في أثناء الانسحاب يُرثى له وغير جدير بأمّة ذات حضارة»[117].

في مثال نموذجيّ عن أعمال اليونانيّين في أثناء انسحابهم، طوّق الجيش اليونانيّ والعصابات اليونانيّة قرية قراطبة (Karatepe) التركيّة في 14 شباط عام (1922 م). وضعوا جميع السكان في المسجد ثمّ أحرقوا المسجد. أطلقوا النار على القلّة التي استطاعت النجاة من الحريق. سرقوا كل الممتلكات الثمينة المنقولة والدواب[118].

نجت بروسة من مصير الكثير من المدن الأناضوليّة الأخرى بسبب وجود ضباط ورجال التحالف في المدينة، وحقيقة إن القوات التركيّة كانت تحاصر الجيش اليونانيّ وتحتجزه في بروسة. أدرك اليونانيّون أن هناك إمكانية قوية بأن يصبحوا أسرى حرب. إن إحراق بيوت وأنتَ تتوقّع أنك ستكون قادرًا على الإفلات شيء، وأن تتوقّع أنك ستصبح أسير المالكين شيء آخر تمامًا. ومع ذلك، حاول بعض اليونانيّين إشعال نار في المدينة، فاكتشف ممثّلو التحالف المحاولة وأخمدوا النار. دمّر الجنود اليونانيّون الجسور في المدينة، وأحرقوا في

الـــنهاية أربعين منزلاً وكنائسَ يونانيّة[119]، لكن الأضرار كانت لا تُذكر مقارنة بما جرى في مناطق أخرى.

حين انسحب الجيش اليونانيّ من بروسة، تجمّع مسيحيّو المدينة واللاجئون المســيحيّون مــن مــناطق أخرى في مبانٍ تابعة للفرنسيّين والإيطاليّين. تولّى حمايـتهم هـناك ثلاثون دركيًّـا تركيّـاً كانوا بقوا في بروسة. رفض الآمر الـيونانيّ تسليح رجال الدرك، ومع ذلك استطاعوا حماية اليونانيّين والأرمن. تسلّمت القوات القوميّة لدى وصولها إلى بروسة مهمّة الحماية، وبحسب لجنة الـتحالف التي أُرسلت لمراقبة الأحداث في بروسة، لم تسمح القوات النظاميّة التركيّة بأي أعمال وحشية.

لم يشــارك القــرويّون المســلمون في الجوار جميعًا في الأمان الذي قُدّم لمسيحيّي بروسة:

> **نقــل القنصــل الإيطاليّ، السيد ميازي (Miazzi) إنه تفقّد توًا قرية تركــيّة حيث قتل الونانيّون نحو ستّين امرأةً وطفلاً. جرى الاعتداء على أكثرهم قبل قتلهم. قُطعت أثداء النساء. أيّد القنصل الفرنسيّ النقيــب كوشر (Kocher) بعد ذلك، الذي تفقّد هو الآخر مسرح الأعمال الوحشية[120].**

على خطّ الانسحاب اليونانيّ من مدانية (Mudanya) إلى بروسة، أُحرقت القرى التركيّة حتى الأرض[121].

7/ 2/ 9] اضطهاد يهود غربيّ الأناضول

نظــرًا إلى مجــتمعهم الأصــغر تقريبًا، ربما عانى يهود غربيّ الأناضول الاحــتلال اليونانيّ معاناة المسلمين ذاتها. من سوء الحظّ أن السجلات عن الــيهود شحيحة، لأنهم لم يكونوا محاربين أو جماعةً أولاها مراقبو التحالف اهــتمامًا خاصًا. المصادر التركيّة هي المصادر الوحيدة التي تذكر يهود تلك

الحقبة بأيّ تفصيل. فهرست المصادر التركيّة قتل اليونانيّين لليهود ونهب متاجرهم وبيوتهم في المدن الأناضوليّة. في نازللي، على سبيل المثال، استطاع الأتراك تسمية (11) من يهود المدينة قتلهم اليونانيّون (وخمسة أصابوهم بجروح) من أصل عدد إجماليّ كبير ليهود لقوا حتفهم[122]. ومع ذلك، حتى المصادر التركيّة نادرًا ما كانت تذكر اليهود. إن أفضل الأدلّة على معاناة اليهود إحصائيّة. يُظهر الجدول (24) أعداد اليهود في المنطقة العسكرية قبل الحرب وبعدها. غادر الأناضول نصف السكان اليهود في المنطقة العسكرية في غربي الأناضول أو لقوا حتفهم. بسبب الإحصائيات غير الدقيقة أو غير المتوافرة عن هجرة اليهود (التي كانت جديرة بالذكر) لا يمكن حساب الوفيات بين يهود غربي الأناضول بدقّة، ومع ذلك، لا بدّ من أن إجماليّ وفيات اليهود كان مذهلاً.

الجدول (24)

اليهود في غربيّ الأناضول في عامي (1912 م) و(1927 م)

الإقليم	عام (1912 م)	عام (1927 م)
خداوندكار	(5,290)	(2,011)
آيدين	(44,206)	(18,728)
إذميد	(512)	(5)
بيغا	(409)	(1,092)

المصادر: مكارثي، <[السكّان اليهود] Jewish Population[123]> والإحصاء السكّانيّ التركيّ لعام (1927 م).

[10/2/7] اضطهاد المسيحيّين

هجمات المسلمين على اليونانيّين: كما ذُكر في الفصول السابقة، ليس الهدف هنا وصف أو التعليق على الأعمال الوحشية التي ارتكبها الأتراك ومسلمون آخرون. بحث آخرون هذه المسألة بإسهاب وبتفصيل مذهل.

وخلال هذه العملية، ضاعفوا تلك الأعمال عشرة أضعاف على الأقلّ واستثنوها من أي قرينة تاريخيّة. لتجنّب ارتكاب الخطأ نفسه، لا بدّ من بعض الإشارة إلى قتل الأتراك اليونانيّين، وكذلك قتل اليونانيّين الأتراك.

اتّخذت أعمال المسلمين الأتراك ضدّ اليونانيّين، إغريقيّين وأناضوليّين، نمطين: أعمالاً رسميّة من الحكومة القوميّة وأعمال انتقام شخصيّة.

كما كانت الحال في حروب سابقة في البلقان والقفقاس، اعتمد غزاة غربي الأناضول على الدعم الفعّال للمسيحيّين في المجتمعات المحليّة. بُني استقطاب المسيحيّين والمسلمين خصوم على أساس هوّيات دهريّة وكذلك قوميّة حديثة. ومع أن المجتمع اليونانيّ كان جزءًا فعّالاً ومندمجًا اقتصاديّـًا في الإمبراطورية العثمانيّة، فإن من الواضح أن اليونانيّين في الإمبراطورية عدوا أنفسهم من الأرثوذكس الشرقيّين في المقام الأول، تمامًا كما عدّ المسلمون أنفسهم من أمّة الإسلام في المقام الأول. من غير المؤكّد أن يكون يونانيّو أو مسلمو الأناضول فكروا يومًا في الوقوف إلى غير جانب إخوانهم في الدين. حتى أولئك الذين لم يرغبوا في القتال والموت في سبيل جماعتهم كانوا سيضطرّون إلى فعل ذلك، لأنهم لن يجدوا الراحة في المعسكر الآخر. مع كلّ ذلك، من الصعب فهم العنف اليونانيّ ضد الأتراك. ومع كلّ شيء، تمتّع اليونانيّون بفائدة اقتصاديّة كبيرة في إمبراطورية تسامحت مع اختلافاتهم الدينيّة واللغويّة والعرقيّة. يجب على المرء أن يظن أن اليونانيّين في الأناضول، مثل اليونانيّين في أورُبة، كان يكرهون الأتراك في الدرجة الأولى لأنهم حكموا، وكان عليهم أن يمحوا هذه الصورة، ولا بأس بحقيقة أن القرويّين الأتراك الذين قتلوهم لم يشاركوا في الحكومة العثمانيّة أكثر ممّا شاركوا فيها هم أنفسهم.

يمكن تقديم عدد من الأسباب للصعاب السياسية. كان نظام الملل واحدًا منها. كانت إحدى أفضل ميزات التقليد العثمانيّ في الحكم التَسامح مع

التنوّع العرقيّ والدينيّ، ولكن كان يمكن أمّة مطبّعة بطابع تركيّ أن تكون أكثر أمانًا، وأن تعطي الأمم الأوروبّية ذرائعَ أقلّ للتدخّل. السبب الآخر للاضطراب الذي حدث بعد ذلك هو التكتيك العثمانيّ «فرّق تسُد»، حيث جرى تطوير بعض أنظمة الحكم الداخليّة. عوضًا من ذلك، عملت الحكومة العثمانيّة على الموازنة بين القوى المختلفة. حين سُحبت السلطة العثمانيّة، خصوصًا في زمن الحرب، فسد الأمن العام في الأقاليم في أكثر الأحيان. عندما لم يكن هناك أحد للعمل شرطيًا، قاتلت المِلل بعضها. كان ذلك صحيحًا في شرقي الأناضول على وجه الخصوص، حيث كانت السلطة العثمانيّة أكثر ضعفًا، لكنه ظهر أيضًا في المحيط الأكثر حضارة بكثير في غربي الأناضول.

قبل الاجتياح اليونانيّ، كانت السلامة والأمن في المناطق المختلفة من الأناضول متناسبَين مع قوة الحكومة المركزيّة في المنطقة. حيثما وُجدت القوة المسلّحة للحكومة العثمانيّة، لاحظ المراقبون على نحو ثابت أوضاعًا هادئة واستقرارًا سياسيًا[124]. فعلاً، كانت الحكومة العثمانيّة، التي استسلمت للحلفاء، بعد الحرب العالميّة الأولى تساعد في عودة اليونانيّين والأرمن إلى غربي الأناضول[125]. في ذلك الوقت، كانت هناك حاجة إلى قوة كبيرة من رجال الدرك بسبب وجود عصابات قطّاع الطرق في أجزاء من الأناضول. في شمالي الأناضول وغربها، كانت تلك العصابات مؤلّفة من مسلمين هجروا الجيش العثمانيّ أو مسيحيّين فرّوا إلى الجبال أو إلى اليونان ليتجنّبوا التجنيد الإلزاميّ أو الترحيل[126]. أصبحت عصابات قطّاع الطرق المسلمة والمسيحيّة أقوى وأكثر عددًا مع نهاية الحرب، حيث عاد الفارّون من الخدمة العسكريّة والمرحّلون والنازحون واتّخذوا مهنة في المتناول. بعد الاجتياح اليونانيّ، كانت العصابات اليونانيّة والإرمينيّة مسؤولة عن أكثر وفيات الأتراك في الأراضي المحتلّة من اليونانيّين، كما رأينا آنفًا. بالمقابل، كانت العصابات المسلمة الأداة الرئيس في مقتل يونانيّي غربي الأناضول والأرمن.

كانـــت أسوأ المجازر ضد المسيحيّين من فعل العصابات المسلمة. جاهر بعضـــها بالقضية القومية، وبعضها الآخر لم يفعل؛ بدّل بعضها المواقع حين تبدّل الحظّ (العصابات حول جركس عثم، على سبيل المثال). كان كثير من هذه العصابات، كالعديد من العصابات المسيحيّة، قطّاع طرق فقط يستغلّون الوضـــع السياســـيّ. كانت أسوأ الأعمال الوحشية التي ارتكبتها العصابات المسلمة في منطقة إزنيق-إذميد-بروسة في النصف الثاني من عام (1920 م). قُتل مئات المسيحيّين[127] في إزنيق وأورتة كوي (Ortaköy) وأقحصار ومدن وقرى صغيرة.

مـــا إن هُزم الجيش اليونانيّ، حتى كان استرداد الأتراك لغربي الأناضول بســـرعة حـــتى إن الأدلّة الوثائقيّة على الانتقام التركيّ الأخير من اليونانيّين محـــدودة جدًا. من الواضح أن الانتقام في بعض الأمكنة كان رهيبًا. لا يبدو أن اليونانـــيّين عـــانوا كـــثيرًا على أيدي القوات القوميّة التي حافظت على انضباط جيّد على نحو عام، لكن ثأر القرويّين الأتراك كان شأنًا آخر[128]. من الصعب التخيّل، نظرًا إلى أحداث الاحتلال اليونانيّ، أن القرويّين الأتراك سيتحمّلون وجود اليونانيّين في مناطقهم. لهذا السبب، فرّ يونانيّو الأناضول إلى السواحل، وفي النهاية إلى الجزر اليونانيّة والبرّ الرئيس اليونان. جاء عدد كـــبير آخـــر مـــن خـــلال التبادل السكانيّ اليونانيّ التركيّ عقب الحرب الأناضـــوليّة. في تعدادهـــا السكانيّ الأول بعد الحرب الأناضوليّة، أحصت الحكومة اليونانيّة (1,104,216) لاجئًا من تركيا يقيمون في اليونان (الجدول 25) منهم (802,123) من الأناضول.

الجدول (25)

اللاجئون اليونانيّون من تركيا

المنشأ	النازحون
آسيا الصغرى*	(626,954)
شرقيّ ثراقيا	(256,635)

البحر الأسود (بونتس)	(182,169)
القسطنطينيّة	(38,458)
المجموع	(1,104,216)

* الأسماء كما جاءت في المصدر.
المصدر: تعداد السكان اليوناني عام (1926 م)

نزوح وترحيل اليونانيّين والأرمن: لقي عدد غير معروف من اليونانيّين حتفهم بسبب هجرة اليونانيّين من الأناضول عقب حروب البلقان. ومع أن الحكومة العثمانيّة لم تهاجم يونانيّي الأناضول فعلاً في ذلك الوقت، إلاّ أنها عززت مناخ الخوف بينهم[129]. نظّمت جمعيّة الاتحاد والترقّي التي تتولّى مهمات الحكومة التركيّة، مقاطعةً للأعمال اليونانيّة في المنطقة الساحليّة الجنوبيّة الشرقيّة[130]. خشي اليونانيّون في المنطقة الساحليّة الانتقام بسبب أعمال اليونانيّين في أوروبة في أثناء حروب البلقان. كان هذا صحيحًا خصوصًا بعد توطين اللاجئين الأتراك في المنطقة. كان هناك أيضًا رغبة عند الشبّان اليونانيّين بألاّ يجنّدوا إلزاميًّا في الجيش العثمانيّ. نتيجة لذلك، فرّ من غربي الأناضول إلى اليونان ربما أكثر من (100,000) يونانيّ. جرى ترحيل عدد إضافيّ إلى المناطق الداخليّة من الأناضول موالين ممكنين للعدو في أثناء الحرب العالميّة الأولى[131]. يبدو أن أكثر هؤلاء بقوا على قيد الحياة بعد الحرب العالميّة الأولى وعادوا إلى بيوتهم بين عام (1918 م) وعام (1919 م).

كانت سياسة القوميّين الرسميّة الرئيسة ضد اليونانيّين في أثناء حرب الأناضول ترحيلهم من منطقة البحر الأسود إلى شرق وسط الأناضول. جرى ذلك على نحو مُعلن لمنع اليونانيّين المحلّيّين من مساعدة اجتياح إغريقيّ في منطقة البحر الأسود بالطريقة التي ساعد فيها اليونانيّين المحلّيّين اجتياح غربي الأناضول. لسوء الحظّ إن ترحيل المسيحيّين كان ولا يزال مسألة عاطفيّة إلى درجة أنه من الصعب الوصول إلى الحقيقة بشأن اليونانيّين الذين نُقلوا عنوةً. أكّد اليونانيّون أن الأتراك كانوا يدفعون بكل سكان منطقة

البحر الأسود اليونانيّين[132]، رجالاً ونساء وأطفالاً، إلى مناطق الأناضول الداخليّة لقتلهم. وأكّد الأتراك أنهم كانوا يُرحِّلون الشبّان فقط الذين يمكن أن يتحالفوا مع جيش يونانيّ غازٍ وأنهم كانوا رجال عصابات وقطّاع طرق فعليّين أو ممكنين. (تؤيّد الأدلّة الإحصائيّة زعم الأتراك، إذ كان صغار السنّ والمسنّون والنساء اليونانيّون لا يزالون في منطقة البحر الأسود حين جرى التبادل السكانيّ في وقت لاحق). ردّ الأتراك على تساؤلات البريطانيّين والأميركيّين بشأن عمليات ترحيل منطقة البحر الأسود بالسؤال لماذا لم يكن الحلفاء مهتمّين على نحو متساوٍ بشأن مصير الأتراك في ظلّ الحكم اليوناني"[133].

لم ينكر القوميّون الأتراك قط أن الترحيل كان قائمًا. سوغوا ذلك بأنه لأسباب عسكرية. على هذا الأساس، كان هناك مسوّغًا. نبّهت الأوضاع المحلّيّة والتجربة السابقة الأتراك إلى ضرورة عدّ يونانيّي الأناضول أعداء ممكنين. كذلك، كانت العصابات اليونانيّة تعمل في منطقة البحر الأسود، تهاجم القرى التركيّة وتتحدّى الحكومة[134]. أعلن مسؤولو الكنيسة الأرثوذكسيّة اليونانيّة في طربزون بوضوح أنهم يرغبون في إقامة جمهورية البونتوس اليونانيّة[135]، واتّفق جميع الأطراف على أن هناك حركة ثوريّة ناشطة وقائمة تدعى «بونتوس Pontos». الأهمّ من ذلك كلّه، أن للأتراك تجربة حيّة مع الاجتياح اليونانيّ لغربي الأناضول، وكانوا يخشون أن تتكرّر التجربة على ساحل البحر الأسود. كانوا يعلمون أن على أتراك البحر الأسود أن يتوقّعوا المعاملة نفسها التي عامل بها الغزاة اليونانيّون إخوانهم في إزمير أو آيدين أو منمن.

كان الترحيل طريقة شرق أوسطيّة وبلقانيّة تقليديّة لإبطال تأثير العدو. مارسها العثمانيّون ومن قبلهم البيزنطيّون. في الأوان الأخير، رحّلت الحكومة العثمانيّة مئات آلاف اليونانيّين ومسيحيّي الأناضول من المناطق العسكرية

والمـــناطق العســـكرية الممكنة بين عامي (1914 م) و(1915 م). كان ذلك تكتـــيكًا فعّـــالاً، خصوصًا ضد العصابات، لأنه حرم العصابات والغزاة من الدعم الأهليّ. أصبح هذا التكتيك في الحقيقة عنصرًا ثابتًا في الحملات المقابلة للعصـــابات في القـــرن العشرين التالي، وإن كان يوصَف اليوم بأنه «إعادة إسكان» بدلاً من ترحيل. لكن ترحيل يونانيّي البحر الأسود كان خطأً عند القوميّين الأتراك في عام (1920 م).

مع كلّ فوائد الإدراك المؤخّر، نعلم الآن أنه لم يكن باستطاعة اليونانيّين إنـــزال قوة كبيرة على شاطئ البحر الأسود. لم يكن هناك خطر حقيقيّ من مشـــاركة اليونانـــيّين المحلّـــيّين في اجتياح يونانيّ. لم يكن ثوريّو «جمهورية البونـــتوس» قـــوة سياسية أو عسكرية قوية قط، وكان من الأفضل التعامل معهم بوساطة الشرطة بدلاً من الترحيل. كان التهديد الحقيقيّ لأتراك البحر الأســـود الدعم اليونانيّ المحلّيّ للعصابات وقطّاع الطرق اليونانيّين، وهو فعلاً تهديـــد حقـــيقي"[136]. ومع ذلك، من غير المؤكّد إذا كانت إضاعة الوقت والمال والرجال (الذين استُخدِموا على نحو أفضل مقاتلين أو قوات درك في الـــريف) في عملية الترحيل توازي الكسب الصغير ضد العصابات اليونانيّة. سياســـيّـــًا، كان الترحيل خسارة واضحة. عاد الترحيل على أعداء الأتراك بالفـــائدة، إذ أتـــاح لهـــم الخـــروج مرة أخرى بمزيج من أنصاف الحقائق والأكاذيـــب الـــتي انتشـــرت بخصوص الأرمن في عام (1915 م). لم تنشر الصـــحف الغربيّة مسوغات القوميّين بشأن الترحيل، بل روايات مثيرة عن الصفوف الطويلة لليونانيّين الذين يعانون المجاعة ويموتون على الطرقات.

إن الترحـــيل عمل يدلّ على اليأس. في الحرب، لا يمكن تسويغه إلاّ في الأوضاع المحفوفة بالمخاطر، لأنه يعاقب كثيرًا من الأبرياء للتغلّب على قليل مـــن الأعداء. سواء كانت الأسباب معنويّة أم عسكريّة أم للدعاية، ما كان يجب أن يُقدِم القوميّون على الترحيل الجماعيّ ليونانيّي البحر الأسود.

جـــرت مناقشـــات حادّة بشأن عمليات ترحيل البحر الأسود في ذلك الوقت. تكمن الصعوبة الرئيس في اكتشاف الحقيقة آنئذ والآن في أن الأدلّة المنطقـــية شحيحة جدًا. في الحقيقة، بُنيت كل التقارير السلبية على روايات أرســـلها مبشّـــرون أميركـــيّون. مثل أكثر تقاريرهم السابقة عن المسلمين، كانـــت روايات المبشّرين من عام (1919 م) وحتى عام (1922 م) مبنيّة على التطرف أكثر منها على الملاحظة. لم يتّفق المبشّرون فيما بينهم حتى على ما شاهدوه[137].

كـــان سبب وفيات المرحّلين من سمسُن قلّة الاهتمام بحاجاتهم. كثيرًا ما غـــادروا مـــن دون طعـــام أو ماء، وفي بعض الأحيان من دون حماية من اللصوص الذين كان من بينهم أحيانًا أولئك المكلّفون حمايتهم. نتيجة لذلك، مـــات مـــنهم عدد غير معروف لكنه كبير تقريبًا. كانت حربوط في إقليم معمـــورة العزيز في شرقي الأناضول الوجهة النهائيّة لليونانيّين. بحسب أعلى الأرقـــام الـــتي قدّمهـــا عمّال إغاثة الشرق الأدنى الأميركيّون، المشهورون بـــتقديراتهم المناهضـــة للأتراك، رُحّل (30,000) ومات منهم (8000) على الطـــريق إلى حربوط، وآخرون بعد ذلك. لكن المبشّرين الأميركيّين لم يكن باســـتطاعتهم إحصـــاء القتـــلى، ومن المرجّح أن تكون تقديراتهم بخصوص المرحّلين والقتلى مبالغًا فيها[138].

في تقويم عمليات ترحيل البحر الأسود، وكذلك الهجرة القسريّة السابقة، كثيرًا ما يجري إغفال حقيقة واحدة، لو كانت نيّة القوميّين قتل اليونانيّين أو إجـــبارهم على الفرار، لما كانت هناك حاجة إلى ترحيلهم على نحو رسميّ. يـــبرهن عـــلى ذلك فرار مسلمي غربي الأناضول. الذين لم يُرحّلوا قط بل أُجـــبروا على الفرار أو الموت. من الواضح إذًا أن الزعم أن الأتراك اعتزموا «الإبـــادة بوســـاطة الترحيل» هو زعم كاذب. بين طريقة النزوح القسريّ اليونانـــيّة والطـــريقة التركيّة، ربما تكون الطريقة التركيّة هي المفضّلة. ومع ذلك، نتج من ترحيل اليونانيّين كثير من عدم الإنسانيّة والوفيات.

يبدو أن عمليات الترحيل هذه كانت الأمثلة الوحيدة على النشاطات المنظّمة ضد المدنيّين اليونانيّين في أثناء الحرب. كان أكثر الأعمال التركيّة ضد اليونانيّين أعمال أفراد وعصابات. كان كثير من تلك الأعمال ناتجًا من كراهية منذ عهد بعيد وطمع في النهب؛ يمكن تسمية ذلك جملةً عمليات انتقام، لأنها نشأت بعد أعمال يونانيّة سابقة، وربما ما كانت لتحدث لو أن اليونانيّين لم يقوموا بالغزو. ومع ذلك، ربما يكون الأكثر دقّة عدّها ردود أفعال للسلسلة الطويلة من الهجرة القسرية وعمليات الترحيل التي بدأت بنفي وقتل مسلمي اليونان القديمة في حرب الاستقلال اليونانيّة. في هذا السياق، لا تكون لمسألة من قَتل أولاً في عام (1919 م) قيمة تُذكر.

من الجدير بالذكر أن المناطق التي كانت ستصبح مسرحًا للحرب الأناضوليّة كانت هادئة تمامًا وكان الأمن فيها مستتبًّا، إلى أن هجم اليونانيّون. شهد على ذلك مراقبون محايدون، بمن فيهم لجنة التحالف سميرنا للتحقيق (The Allied Smyrna Investigatioon Commission). في الحقيقة، حتى بعد اجتياح إزمير، كان القرويّون الأتراك في المناطق التي تحت السيطرة التركيّة في أمان إلى أن احتلّ اليونانيّون المنطقة فعلاً[139]. جاء وقت مواجهة المسيحيّين للخطر في أثناء الاحتلال اليونانيّ، خصوصًا في أثناء تقهقر اليونانيّين وبعده، حين أخذ المسلمون بثأرهم. في مناطق كشبه جزيرة يالوة-كمليك، حتى العصابات القوميّة لم تظهر خلال الاحتلال اليونانيّ؛ كانت العصابات الوحيدة يونانيّة وأرمنيّة[140]. في منطقة آيدين في عام (1919 م) كان الجنود الأتراك مضبوطين إلى أبعد الحدود حتى بعد أن أصبحت الأعمال الوحشية اليونانيّة ضد الأتراك معروفة جيّدًا. في تعليقه على إحدى المناطق التي زُعم حدوث مجازر ضد المسيحيّين فيها، صرّح الممثّل البريطانيّ مورغن (Morgan): «مع الشائعات المتواصلة المقابلة، لم يُقتل أيّ أرمنيّ في برغمة، وفعلاً لم تحدث حالة قتل [من الجنود الأتراك] لأيّ من السكان الأرمن أو اليهود أو اليونانيّين»[141]. حتى آيار عام (1921 م) كان المسؤولون الأتراك

لا يزالون يحافظون على الأمن كلما أمكن ذلك وكان المسيحيّون في أمان. أفادت لجنة التحقيق في شبه جزيرة إذميد (Commission to Investigate the Ismidt Peninsula) التابعة للتحالف: «هناك أدلّة على أن قرى متاخمة ذات مذاهب مختلفة تعيش جنبًا إلى جنب في المناطق نفسها من دون مشاكل مع أن اليونانيّين أقليّة والإدارة تركيّة». (كانت «المناطق نفسها» تلك هي المناطق التي خرّب اليونانيّون، بحسب اللجنة، فيها الأمن العام واضطهدوا الأتراك)[142].

ليس هناك من ريب في أن عددًا من اللاجئين اليونانيّين والأرمن لقوا حتفهم بسبب غياب العناية اللازمة. حين كان اللاجئون المسيحيّون تحت السيطرة التركيّة في مدن كأسكيشهر، ذهب ما توافر من خبز ومأوى إضافيّين إلى اللاجئين المسلمين أولاً، والقليل الذي تبقّى، إن تبقّى، للاجئين المسيحيّين. على سبيل المثال، أرسل الحلفاء اللاجئين المسيحيّين (أو سمحوا لهم بالعودة) إلى ديارهم القديمة في أسكيشهر. رفضت الحكومة التركيّة المحلّيّة طرد اللاجئين المسلمين من ثراقيا الذين أُنزلوا في البيوت السابقة للمسيحيّين[143]. لم يجرِ توطين اللاجئين المسيحيّين بسهولة إلاّ في المناطق التي كانت سيطرة الحلفاء عليها قوية، كجزر مرمرة (قبل الاحتلال اليونانيّ). في الحالات كهذه، جرى طرد اللاجئين المسلمين لإتاحة الفرصة أمام اللاجئين المسيحيّين في الحصول على مساكن[144].

حصل الانهيار الكبير في انضباط القوات القوميّة في المدينة التي بدأ فيها الاجتياح اليونانيّ، إزمير. حين وصلت القوات التركيّة وجدت مدينة هجرها الجيش اليونانيّ. عبر الجيش وكثير من المدنيّين أرصفة إزمير البحريّة إلى السفن اليونانيّة وسفن التحالف. في الأشهر التي تلت، حذا حذوهم مئات آلاف[145] اليونانيّين الأناضوليّين والمهاجرين الأرمن. ما كان للمسيحيّين الأناضوليّين أن يعودوا قط[146]. حافظ الجيش القوميّ في البداية على النظام

في المدينة جيدًا[147]. أُنيط بالقوات حماية القنصليّات الأجنبيّة والمباني المعرّضة للخطر. كبحت القوات التركيّة مواطني إزمير الأتراك المتألّمين أشدّ الألم من سنوات من الحكم اليونانيّ. ثمّ تغيّر ذلك. بعد أيام من سيطرة الجيش القوميّ على المدينة، أصبحت أرواح وممتلكات المسيحيّين في خطر. بدأ نهب ممتلكات المسيحيّين في المدينة، وقتل مسلمون محلّيّون كثيرين من اليونانيّين والأرمن الذين بقوا في المدينة، ببعض المساعدة من الجنود الأتراك. بالنظر إلى أن الانضباط العسكريّ كان ساريًا عدة أيام قبل أن يبدأ النهب، فإنه من الممكن أن السلطات العسكرية كانت على علم بما سيحدث.

كان الفصل الأخير من مسرحيّة إزمير حريقًا هائلاً طمس إزمير العثمانيّة. أُشعلت النار في الحيّ الأرمنيّ، من الأرمن المحلّيّين أو الأتراك المحلّيّين أو القوات القوميّة؛ السجلّ التاريخيّ مشوّش إلى أبعد الحدود. يمكن المرء أن يُنظّر أنه كان في الحقيقة أكثر من حريق واحد؛ أشعل الحرائق انتقامًا مسيحيّون لا يريدون أن تكون المدينة للأتراك وجنود غير منضبطين ومدنيّون يريدون بسهولة رؤية مبان تحترق (في الحروب، أشياء كهذه ليست مجهولة)[148]. إن الفكرة التي يُصرّح بها تكرارًا أن الحكومة القوميّة التركيّة هي التي أحرقت عمدًا ثاني أكبر مدنها مباشرةً بعد أن أصبحت ملكها من جديد إنما هي سخف بدهيّ.

فُقد بين عام (1912 م) وعام (1922 م) نحو (300,000) يونانيّ أناضوليّ-يونانيّون من ساحل البحر الأسود وغربي الأناضول في المقام الأول[149]. لقوا حتفهم، كالأتراك، من الجوع والمرض والقتل. بسبب الافتقار إلى إحصائيات وفيات محدّدة، من المستحيل معرفة عدد الذين ماتوا في سنة معيّنة. مات أكثرهم في حرب الأناضول، ولكن لا بدّ من أن كثيرًا منهم ماتوا نتيجة الأوضاع الرديئة في أثناء الحرب العالميّة الأولى. في النهاية، كان الاجتياح اليونانيّ للأناضول كارثة على اليونانيّين الأناضوليّين بمنزلة كارثة الأتراك الأناضوليّين.

7/ 3] نتائج الحرب وآثارها المدمِّرة

7/ 3/ 1] سرقة وتدمير ممتلكات المسلمين

كـــان فقدان ممتلكات المسلمين مسألة سرقة من أفراد يونانيّين أناضوليّين وضباط يونانيّين ومجنّدين ومسؤولين. كان بعض السرقات متوقّعًا، نظرًا إلى أنها كانت دائمًا جزءًا من الحرب. ولكن، أُضيف إلى هذا الاستيلاء المعروف على الغنائم التدمير المتعمّد لممتلكات الأتراك عملاً سياسيًا. بهذا، كما بأمور أخـــرى كثيرة، عكَس الاجتياح اليونانيّ للأناضول حروب الأعوام (1877–1878 م) و(1912–1913 م).

جرى أكثر السرقات في قرى تركيّة مهجورة، إذ فرّ السكان مع انتشار شـــائعة وصول القوات اليونانيّة لا أكثر، وكان الفرار على عجل إلى درجة أنهم لم يأخذوا معهم إلاّ قليل من الطعام وبعض الملابس، مبتهجين أنهم على قـــيد الحياة. على سبيل المثال، حين أصبح الجنود اليونانيّون على مقربة من أودة مش، ظاهريّـــا لتقصير خطوط القتال، أصبح (4000) تركيّ مشرّدين عـــلى الفور، تاركين وراءهم كلّ شيء، فاستولى الجنود اليونانيّون على كلّ شيء. ساق الجنود الحيوانات وحمّلوا أكياسًا من الحبوب والتبغ على عربات للـــنقل. حتى إنهم هدموا البيوت من أجل مواد البناء. شحنوا كلّ المنقولات إلى مركـــز القيادة اليونانيّ الإقليميّ في أودة مش[150]. علّق المفوّض الساميّ البريطانيّ دي روبك (de Robeck) على هذه السرقة قائلاً:

> **أدّى التصـــحيح الصـــغير في الخـــط اليونانيّ الذي كان ضروريّـــا لتحســـين وضعهم التكتيكيّ إلى جعل (4000) شخص إضافيّ معدمين ومن دون مأوى في بداية فصل الشتاء.**
>
> **لا يســـتطيع المرء إلاّ أن يُظهر، وهو يتلقّى تقريرًا بعد تقرير من هذا الـــنوع، كم هي تلك الأحداث في آسيا الصغرى الغربيّة متعارضة كليّةً مع المبادئ والمُثل العليا التي قاتل الحلفاء من أجلها في الحرب[151].**

كمـــا أشـــار دي روبك، دُمّر العديد من القرى التركيّة في منطقة أودة مش-تيرة. من أصل مئة منزل في سوكلي (Sevikli) على سبيل المثال، لم يبقَ إلاّ بيت واحد قابل للسكن بعد أن عبر اليونانيّون[152]. جمع جيمس مورغن (James Morgan) ممـثّل المفوّض الساميّ البريطانيّ في إزمير، أمثلة عن أنواع النهــب التي كانت تجري في المنطقة وأرسل النتائج إلى إم. ستِرغيادِس (M. Sterghiades) المفــوّض الســاميّ الــيونانيّ في إزمير. وصف النهب والقتل وخطف النساء وتدمير القرى التركيّة بالتفصيل وطلب إيضاحًا[153]. لم يرد السيد ستِرغيادِس.

أدرجــت الحكومــة العثمانيّة بالاسم (76) قرية في وادي مندر (Meander) دمّرها اليونانيّون في أثناء اجتياحهم الأوّليّ للمنطقة (أي، في عام 1919 م)[154]. لــيس هــناك سبب للظن أن قائمتهم ليست دقيقة، لأن أسماء القرى ثبّتتها مصــادر الــتحالف وتقارير تركيّة أخرى. في الواقع، لأن أسماء تلك القرى المُدرجة معروفة عند الحكومة، لا بدّ من أن تكون مستوطنات صغيرة أخرى ليســت معروفة جيدًا دُمّرت هي الأخرى. ومع تقدّم الجنود اليونانيّون إلى أيــوالي، نهــبوا جمــيع القرى التركيّة في طريقهم. استمرّ النهب في أيازمند (Ayazmend) وحدهــا ثلاثــة أيام. نُقل أكثر الغنائم «بالقوارب إلى متيلنة (Mitylene)»[155]. أصبحت مدن كآيدين وأودة مش مراكز تجميع البضائع المنهوبة لبيعها في الأسواق أو إرسالها إلى اليونان[156].

كــان اليونانيّون يختارون للنهب بيوت المسؤولين العثمانيّين وممتلكاتهم الشخصــية المــنقولة، خصوصًــا أفراد الجيش والدرك. إن سرقة الضباط العثمانــيّين كانت من الشموليّة حيث لا تدع مجالاً للشكّ في أن اختيارهم كان مقصودًا وأن السرقات سمحت بها السلطات اليونانيّة، وربما شجّعتها. لا يمكن تحديد مدى النهب الذي أصاب أفراد الجيش العثمانيّ في أكثر المناطق. لكــن ســجلّ نهب أفراد الجيش العثمانيّ في إزمير كان واضحًا واستطاعت

الحكومة العثمانيّة تقديم أرقام دقيقة جدًا عن ضباط حامية آيدين الذين كانوا عرضة للسرقة مع خسائرهم. أدرجوا بالاسم (310) ضباط سرقت أسلحتهم وممتلكاتهم الشخصية المنقولة وجيادهم وأمتعتهم وحتى مفروشاتهم، في إقليم آيدين وحده[157].

على فظاعته، لم يكن لتدمير البيوت والمباني التأثير الطويل الأمد الذي تركه نهب وإتلاف المواشي. مع مرور الزمن، يمكن إعادة بناء البيوت. (كانت أسوأ خسارة خسارة الأخشاب التي تُستخدم في البناء؛ في الأناضول المتروعة الأحراج، كان الخشب المحروق لا يعوَّض في أكثر الأحيان). ولكن، حتى يصبح عدد الجياد والحمير والغنم كافيًا من جديد، سيحتاج الأمر إلى أجيال من الاستيراد وتربية المواشي. ومع أنها ليست بالدقّة التي تظهرها الأرقام، فإن الإحصائيات بشأن فقدان المواشي في مناطق الحرب (الجدول 26) التي قدّمها الممثّل التركيّ عصمت باشا في مؤتمر لوزان، تدلّ على حجم المشكلة. يبدو أن التصريحات التركيّة بعد الحرب، مثل «لا حيوانات لحمل الأثقال في المنطقة المدمّرة»[158]، كانت صحيحة. صادر الجيش كلّ حيوان قادر على حمل الطعام أو المعدّات العسكرية أو قتله بوحشيّة في أثناء التقهقر اليونانيّ[159].

في النهاية، تدلّ الإحصائيات والوصف المعاصر على مصير رهيب لفلاحيّ غربي الأناضول المسلمين. بعد سنوات من الحرمان في الحرب العالميّة الأولى، جعل اليونانيّون الفلاحين المسلمين لاجئين بعد أن اجتاحوا أرضهم. الذين نجوا وجدوا بيوتهم حين عادوا مدمّرة مع قليل من الخشب لإعادة البناء، ومحاصيلهم جُذامة محروقة، وقليل من البزور لزرع جديد. حتى ولو وجد الفلاحون بزورًا، فإنهم لم يجدوا من أدوات الحرث إلاّ ما ندر. ما تبقّى من أدوات الحفر والفلاحة على قلّتها، قام بجرّها بشرٌ؛ اختفت حيوانات الحراثة. ظلّ فلاحو غربي الأناضول يعانون طويلاً آثار الحرب بعد الانتصار النهائيّ للجيوش التركيّة.

الجدول (26)

عدد الحيوانات المفقودة في الأراضي المحتلّة

	جياد	حمير وبغال	أبقار	جواميس	جمال	ماعز	غنم
صنجق إزمير	(40,774)	(13,962)	(24,105)	(32,971)	(5464)	(192,739)	(156,031)
صاروخان	(24,502)	(13,170)	(12,997)	(20,254)	(1988)	(44,034)	(86,137)
آيدين	(7126)	(4830)	(7543)	(11,115)	(30)	(25,471)	(29,581)
دكزلي	(1832)	(3314)	(3061)	(1759)	(38)	(34,321)	(28,249)
بروسة	(3730)	(630)	(38,820)	(29,058)	—	(1251)	(39,916)
أرتورول	(504)	(258)	(36,364)	(27,181)	—	(403)	(29,640)
إزميد	(5702)	(2790)	(28,437)	(34,113)	—	(12,100)	(161,109)
أسكيشهر	(28,202)	(15,796)	(82,347)	(34,374)	(748)	(297,614)	(1,120,009)
قرقسي	(4862)	(1122)	(4281)	(6973)	(164)	(6066)	(40,203)
أفيون	(528)	(954)	(1860)	(2859)	—	(4164)	(28,260)
كوتاهية	(13,222)	(2850)	(17,500)	(18,618)	—	(99,922)	(33,752)
إقليم هيمنة	(3086)	(3710)	(7665)	(8955)	(72)	(103,254)	(17,370)
المجموع	(134,040)	(63,926)	(264,980)	(228,230)	(8504)	(821,339)	(1,770,316)

المصدر: عصمت باشا في مؤتمر لوزان[160]؛ أخطاء الإضافة موجودة في الأصل.

كانت لسرقة القوات اليونانيّة ممتلكات وأموال الحكومة العثمانيّة والمسؤولين غاية مضاعفة هي إثراء الحكومة اليونانيّة وتعطيل أعمال الحكومة العثمانيّة في الأراضي المحتلّة. ومع حقيقة أن ابتزازات كهذه كانت مناقضة لشروط الهدنة وعُهدة التحالف إلى اليونانيّين على نحو صريح، لم يفلت من اليونانيّين إلاّ القليل من الممتلكات الحكومية العثمانيّة. صودرت في إزمير وبورصا وباندرمة (Bandırma) وأدرميد (Edremid) وقرةسي وغيرها الموارد

الماليّة الحكوميّة وحتى كل مخزون الطوابع البريديّة. في إزمير، فقدت الحكومة العثمانيّة، وفقًا لحساباتها، (17,332,961.95) قرشًا بالذهب والفضّة والأوراق النقديّة، وأكثر من ذلك في «الممتلكات الشخصية المنقولة»[161]. كما صودرت التجهيزات والأدوات والآلات والحيوانات والمواد الخام من مؤسّسة نشر الخشب التابعة للحكومة العثمانيّة والكليّات الزراعيّة والمصانع العسكريّة. وُضعت اليد على مِلكيّة المصرف الزراعيّ العثمانيّ وجرى نقلها. في الحقيقة، كان الفرق الوحيد بين أعمال السرقة هذه وتلك التي وقعت على المواطنين الأتراك الصفة الرسميّة لها، حيث كان الجنود اليونانيّون يُبرزون أوامرَ رسميّة قبل الاستيلاء على الممتلكات[162].

الجدول (27)

المباني التي دُمرت في مدن غربيّ الأناضول

المدن	المباني المدمّرة	المباني القائمة قبل الحرب
مغنيسا	(13,633)	(14,773)
الأشهر	(4350)	(4500)
صالحلو	(2000)	(2200)
قصبة	(6126)	(6326)
كمدنس (Gemdens)	(431)	دُمّرت كليّـًا
آيدين	(6243)	دُمّرت كليّـًا
نازللي	(2121)	دُمّرت كليّـًا
سنخي (Senhe)	(1731)	دُمّر أكثرها
ميخاليججق (Mihalıççık)	(1965)	دُمّرت كليّـًا
بازو (Pazow)	(408)	دُمّرت كليّـًا
بلجك	(2245)	دُمّرت كليّـًا
سكود	(948)	دُمّرت كليّـًا
ينيشهر	(1187)	دُمّر نصفها

بوزيوك (Bozüyük)	(748)	دُمّرت كليّـاً
بازارجق	(644)	دُمّرت كليّـاً
إزنيق	(615)	(648)
قوة مرسل	(830)	(847)
يالوة	(232)	(286)
أسكيشهر	(1867)	دُمّرت جزئيّـاً
ميخاليج	(905)	دُمّرت كليّـاً
سوشاك (Suşak)	(1971)	دُمّر أكثرها
كدوس (Kedos)	(694)	دُمّرت كليّـاً
جوريل (Çevril)	(405)	دُمّرت كليّـاً
أشمة (Eşme)	(307)	دُمّرت كليّـاً
باندرمة	(1305)	دُمّر أكثرها
أفيون	(394)	دُمّرت جزئيّـاً
المجموع	(54,205)*	

المصدر: الوفد التركيّ في لوزان[163].

* المجموع كما هو في الأصل؛ المجموع الفعليّ (54,305).

الجدول (28)

المباني التي دُمّرت في الريف

السنجق أو القضاء	المباني التي دُمّرت
سنجق إزمير	(13,599)
سنجق صاروخان	(9084)
سنجق آيدين	(8326)
سنجق دكزلي	(634)
سنجق بروسة	(13,668)
سنجق أرتوورول	(3235)

سنجق إذميد	(17,728)
سنجق أسكيشهر	(21,711)
سنجق قرةسي	(6385)
سنجق أفيون	(278)
سنجق كوتاهية	(894)
قضاء هيمنة	(1127)
المجموع	*(87,669)
المجموع الكلّيّ، بما في ذلك المدن	(141,874)

* لا يتضمّن التدمير في المدن.
المصدر: الوفد التركيّ في لوزان[164].

من الواضح أن أسوأ تدمير للبيوت والقرى والممتلكات الحكوميّة والدينيّة والعامة حدث في أثناء التقهقر اليونانيّ. دُمّر كليّـًا أكثر ما كان على خطّ سـير اليونانـيّين، ولا ريب في هذه الحقيقة. استخدم المصوّرون القوميّون والغربـيّون التصوير على نحو فعّال في توثيق التدمير. ظهرت في الصور مدن مـثل أفـيون وعشاق وأشمة والأشهر وسوكة (Söke) ومدن أخرى مُدمّرة كاملة تقريبًا[165].

7/ 3/ 2] تخريب النظام المدنيّ

كـان أحـد أنشطة اليونانيّين الرئيس في الأراضي المحتلّة تخريب النظام العثمانيّ للحكومة المدنيّة. كانت الغاية من ذلك مضاعفة: أولاً، لا يستطيع اليونانيّون السماح بوجود حكومة غير يونانيّة قائمة وتمارس أعمالها في منطقة يخطّطون لها لتصبح جزءًا من اليونان. يجب أن يكون الحكّام والبيروقراطيّون والقضاة ورجال الشرطة يونانيّين فحسب. بتخريب الحكومة المدنيّة العثمانيّة لمصلحة حكومة يونانيّة، يستطيع اليونانيّون أن يطالبوا بحكم الأناضول فعلاً بدلاً من أن يبقوا جيشًا فقط في حالة احتلال مؤقت. فعندما تكون الحكومة

الوحيدة يونانيّة، ألن يلجأ الحلفاء إلى اليونانيّين عندما يتطلّعون إلى الاستقرار بعد الحرب في غربي الأناضول؟. ثانيًا، بالتخلّص من الحكومة العثمانيّة، خصوصًا رجال الدرك، يصبح المسلمون من دون حماية وتحت رحمة اليونانيّين المحلّيّين والعصابات اليونانيّة والجنود النظاميّين اليونانيّين. وبنزع أسلحة القرويّين الأتراك الذي نفّذه الجنود اليونانيّون، لمن سيلجأ هؤلاء إذا ما هوجموا؟ كان الملجأ الوحيد هو الفرار، تمامًا كما أعدّ له اليونانيّون[166].

قضت قواعد الاحتلال التي وضعها الحلفاء، وكذلك شروط هدنة مُدروس، باستمرار العمل المألوفّ للإدارة المدنيّة العثمانيّة في الأراضي المحتلّة. فعل اليونانيّون ما في وسعهم لضمان أن ذلك لن يحدث. وبينما اضطرّوا للقبول بما يشبه إدارة مدنيّة عثمانيّة في مناطق قريبة من مراقبة التحالف، كونها منطقة مرمرة، لم يسمح اليونانيّون عمومًا للمسؤولين العثمانيّين بالخدمة حتى ولو اسميًّا. لم يُسمح للحكّام الذين عيّنتهم حكومة اسطمبول بتولّي مناصبهم. طُرد الذين في الخدمة من مناصبهم. في الحقيقة، كان الذين طُردوا إلى اسطمبول من المحظوظين، إذ رُحّل العديد من المسؤولين العثمانيّين عنوةً إلى اليونان، ولم يُشاهَدوا بعد ذلك ثانيةً في كثير من الأحيان، أو ببساطة قُتلوا. اعتُقل بعضهم وقُتلوا على الفور[167].

كانت الفوضى العامة في المنطقة التي احتلّها اليونانيّون ناجمة جزئيًّا من غياب قوة حفظ الأمن في المنطقة. اشتكت الحكومة العثمانيّة والحلفاء من أنه إضافة إلى الجرائم الواضحة للجيش الغازي والموالين له، فإن الجرائم العاديّة لا يمكن منعها أيضًا[168]. كان ذلك في مصلحة الغزاة اليونانيّين أيضًا الذين أكّدوا أن فقدان النظام أظهر الحاجة إلى قوة يونانيّة ضخمة.

باستثناء أقصى شمال شرق الأناضول وقليقية، لم يكن هناك جيش عثمانيّ مؤثّر حين اجتاح اليونانيّون. كان وجود ما تبقّى من رجال الدرك بعد الحرب العالمية الأولى مقتصرًا على مناطق قليلة وكثيرًا ما كانوا يفتقرون إلى

السلاح. كانت القوة المحدودة للدولة كافية لحماية الخدمات الرئيسة، وفي المدن عادةً. كثيرًا ما كانت المناطق الريفية غير مخفورة. في رسالة اعترضتها الاستخبارات العسكرية البريطانيّة، اشتكى متصرّف سنجق جانيك الواقع على البحر الأسود، عثم بيه، إلى الباب العالي في نيسان من عام (1919 م) بأن ما لديه من رجال الدرك يكاد يكفي لحراسة السجون والبريد فضلاً على ملاحقة قطّاع الطرق والمتمرّدين. وأضاف إن هناك في أقضية سنجق جانيك «(439) رجل عصابات، منهم (58) مسلمًا والبقية من اليونانيّين»[169]. نقل المفوّض الساميّ البريطانيّ هوراس رمبولد (Horace Rumbold) أن نزع سلاح رجال الدرك ترك الأتراك من دون حماية، ولهذا «روّعتهم العصابات اليونانيّة والإرمينيّة»[170].

توقّفت كل هيئات الحكومة العثمانيّة النظاميّة عن العمل في الأراضي المحتلّة. جرى استبدال حكوميّين يونانيّين بها في بعض الأحيان، لكن ذلك لم يحدث عادةً. كان يجرى تجاهل المديرين والموظّفين العثمانيّين في أحسن الأحوال، وكانوا يُقتلون في أسوأ تلك الأحوال. قُتل محافظ شيلة ودُفن جثمانه بسرعة من دون طقوس دينيّة. قدّم قائمّقام الأشهر شكاوى متكرّرة إلى السلطات اليونانيّة، وكان ردّ السلطات إبعاده من المدينة مع (27) من الوجهاء الدينيّين والمدنيّين. لم يُشاهدوا بعد ذلك ثانيةً[171]. جرى إبعاد (28) من وجهاء سفريحصار (Sivrihisar) القياديّين، بمن فيهم أعضاء مجلس البلديّة كافة، إلى إزمير[172].

كان الترحيل الذي شهدته الأشهر تكتيكًا يونانيًّا مألوفًا وربما فعّالاً في تخريب السلطة التركيّة. كان أولئك الذين رُحّلوا حكّامًا وزعماء دينيّين ومالكين أراضٍ ووجهاء قرى، عمومًا، أولئك الذين كانوا محترَمين والذين كان نفوذهم يمكّن أن يشكّل تحدّيًا لسلطة اليونانيّين. كما ذُكر آنفًا، نادرًا ما كان المرحّلون يبقون على قيد الحياة[173]. لم يُسمع ثانيةً من أولئك الذين

أُخذوا من الأشهر وآيدين ونازللي ومدن أخرى. (ربما لم يكن لهذا التكتيك التأثير المطلوب من القيادة اليونانيّة. نقلوا الأتراك الأكبر سنًّا والأكثر محافظةً الذين من المرجّح أن يلاقوا احترامًا في مجتمع مسلم تقليديّ، وكذلك نقلوا مسؤولين عثمانيّين كان من المرجّح أن يكون ولاؤهم على نحو رئيس لحكومة اسطمبول. ترك هذا القوميّين رمزًا وحيدًا للسلطة التركيّة).

7/ 3/ 3] اللاجئون المسلمون

إن عددًا معيّنًا من اللاجئين هو جزء من أي حرب؛ لا يبقى على أرض المعركة إنسان عاقل، إلاّ ربما أولئك الذين يخوضون المعركة. عندما تصبح قراهم وبيوتهم أرض معركة، يصبح سكان المنطقة لاجئين. لكن الحرب الأناضوليّة أحدثت أعدادًا مفرطة من اللاجئين الأتراك. كان ذلك ناتجًا من الطرد المتعمّد لأتراك غربي الأناضول بغية تأسيس دولة ذات أكثريّة يونانيّة، وهو تكتيك اللاجئين نفسه الذي استخدمه اليونانيّون والبلغار والصرب والروس بنجاح في حروب سابقة. كان للاحتلال اليونانيّ للأناضول أنماط من الإكراه الإداريّ الخاصة به: فرض ضرائب عالية وصادر المحاصيل؛ لم يسمح بتداول العملة العثمانيّة التي لم يكن بالإمكان إلاّ اليونانيّة بها بسعر صرف رسميّ منخفض على نحو زائف، مدمّرًا بذلك اقتصاد القرويّين الأتراك والدولة العثمانيّة؛ قام بترحيل قياديّي القرى والمدن، تاركًا الأتراك من دون زعماء تقليديّين، وبترحيل المواطنين العاديّين عن قراهم للعمل القسريّ في مشاريع؛ قلّص تنقّلات الأتراك كثيرًا، إلاّ إذا كانوا يخطّطون لمغادرة الأراضي اليونانيّة نهائيًّا، حيث كان يجري تسهيل ذلك. باختصار، عملت الحكومة اليونانيّة ما في وسعها لضمان أن يصبح المسلمون أقليّة في الأراضي المحتلّة من الأناضول تمامًا كما أصبحوا في البلقان[174].

كثيرًا ما كان الأتراك يفرّون عددًا من المرات. تُذكّر معاناتهم بسبب الهجرات المتعدّدة بمعاناة اللاجئين في حروب البلقان. فعلاً، كان عدد من

لاجئي إقليم آيدين الأتراك لاجئين من حروب البلقان أصلاً. حين وصل خبر الإنزال في سميرنا إلى بقية إقليم آيدين، بدأ الأتراك المحلّيون يخافون واليونانيّون المحلّـيّون يهدّدون. أدرك الطرفان عاقبة الاحتلال اليونانيّ للقرى التركيّة. فرّ كـثير مـن الأتراك من الريف الخطِر إلى مدن كمغنيسا[175]. وكما أثبتت أحـداث مغنيسـا بعـد ذلك، لم يوفّر هذا الفرار الأمان، وأصبح الناجون لاجئين مرة أخرى.

> **[الجـنرال هارينغتون (Harrington) في اسطمبول] قمتُ بزيارة عدّة مخيّمات للاجئين الأتراك. من أصل (65,000) لاجئ، هناك (23,000) لاجئ تقريبًا في محنة حقيقية. خلال زيارتي السابقة، شاهدتُ (7000) مؤلّفـين مـن رجـال مسنّين غير قادرين على العمل تقريبًا، ونساء وأطفـال. حالتهم يُرثى لها. وعاء من الحساء كلّ يومين وكِسرة من الخبز في أيام متناوبة، هذا كلّ ما يحصلون عليه كما رأيته. تقوم لجنة الإغاثة البريطانيّة برئاسة السير آدم بلوك بعمل عظيم، وهي تستحقّ كلّ دعم. إنها تعمل على توفير وعاء يوميّـا. ملابسهم خِرق فقط. حالتهم أسوأ من حالة الروس[176].**

انتقلت مدينة آيدين من يد إلى يد ثلاث مرات في عام (1919 م)؛ كانت في الـبداية تحـت سيطرة الأتراك، ثمّ استولى عليها اليونانيّون، ثمّ استردّها الأتراك، ثمّ استولى عليها اليونانيّون من جديد. ربما مات ألفا تركيّ وأربعمئة يونـانيّ في القـتال والمجازر المصاحبة، لكنّ عدد اللاجئين يجعل التفاوت في المعاناة بين اليونانيّين والأتراك أشدّ وضوحًا من الوفيات. بعد خسارة المدينة، التي أصبحت الآن خرابًا، مرة ثانية لمصلحة اليونانيّين، أصبح (3000) يونانيّ مـن دون مـأوى مقابل (25,000) تركيّ. بخلاف الأتراك، كان لليونانيّين مكـان يذهبون إليه، إذ كان الجيش اليونانيّ مسيطرًا وكانت بيوت الأتراك وقـراهم متوافرة. ازداد عدد الأتراك اللاجئين من مدينة آيدين أكثر بوصول أتراك من القرى المحيطة بآيدين الذين احتلّ اليونانيّون قراهم أو أحرقوها[177].

لم يفر اللاجئون هربًا من قوات الطرف الآخر فحسب، بل فرّ كثيرون، أو ربما أكثر اللاجئين، مسلمين ومسيحيين، بسبب الخطر من الوجود في مناطق عسكرية أيضًا. في الحقيقة، كان المرجّح أن يأتي الخطر على اللاجئين المسلمين من الجنود المسيحيّين ورجال العصابات، لكنّ ذلك ما كان ليؤدّي إلى أيّ فرق لدى اللاجئين، إذ كان العلم بوجود الخطر كافيًا. وهكذا، فرّ جميع اليونانيّين والأرمن والأتراك من المعارك والعصابات في مناطق مثل أطة بازاري-كيوة (Geyve) في شمال غربي الأناضول. قُدّر عدد اللاجئين في مدينة إذميد وضواحيها في تشرين الثاني من عام (1920 م) بنحو (12,000) يونانيّ و(6000) أرمنيّ و(10,000) مسلم[178].

في مقابل اللاجئين الأتراك من المناطق التي سيطر عليها اليونانيّون في الحرب، كان هناك لاجئون يونانيّون وأرمن من المناطق التي سيطر عليها القوميّون الأتراك في غربي الأناضول. كانت أعدادهم في أكثر المناطق قليلة تقريبًا. قدّرت حكومة أثينا، المعروفة بمبالغتها في الأرقام، وجود (1800) لاجئ مسيحيّ فقط (مدعومة بالإدارة اليونانيّة التي لا بدّ من أنها لم تشمل بعضهم) في منطقة مغنيسا-آيدين-نازللي[179]. كانت المجموعات الكبيرة الوحيدة للاجئين المسيحيّين محتشدة في إذميد وفي بروسة (التقدير اليونانيّ 16,000) وعلى كيوس (Kios) (التقدير اليونانيّ نحو 7500)[180]. يبدو أن العدد الأخير كان مؤلّفًا على نحو رئيس من لاجئي فترة الحرب العالميّة الأولى، وليس الصراع التركيّ اليونانيّ الأحدث.

من الصعب قياس المعاناة المتفاوتة للاجئين اليونانيّين والأتراك، وتخمين الاختلافات يكون عادةً ممارسة غير مفيدة. يكفي أن يكون اللاجئون جائعين ومشرّدين لنعدهم بشرًا يعانون. ومع ذلك، منذ زمن التبادل السكانيّ وحتى اليوم، لم ينتبه الغرب إلاّ إلى معاناة اليونانيّين. بدأ تجاهل معاناة الأتراك المسلمين الذين أُرسلوا من اليونان إلى تركيا والتعتيم عليها عقِب توقيع

معاهدة لوزان. بعد الاعتراف بأنه لم يذهب إلى آسيا الصغرى ليرى هو نفسه أحوال اللاجئين الأتراك، كتب الدكتور فريدتجوف نانسن (Fridtjof Nansen) المفوّض السامي للاجئين في عصبة الأمم:

> **ومع ذلك، من الواضح من الأدلّة التي تلقّيتها أن وضع السكان في هذه المنطقة من آسيا الصغرى، مع أنها من دون ريب خطيرة، هو واحد من الأوضاع التي تستطيع السلطات التركيّة من موقعها التعامل معها من دون مساعدة كبيرة من الخارج، ولا أظن أن المشكلة هناك مشابهة في خطورتها لمشكلة اللاجئين في اليونان[181].**

أحد التفسيرات التي تبدو ظاهريًّا منطقيّة لمعاناة اللاجئين اليونانيّين التي يُفترض أنها أشدّ، هو بسهولة أن اليونانيّين الذين غادروا الأناضول في أثناء الحرب وبعدها كانوا أكثر من الأتراك الذين غادروا اليونان. (تركوا الأتراك الذين غادروا أوربة في أثناء حروب البلقان خارج المعادلة). كان ذلك إحصاءً صحيحًا، لكنه بلغة المعاناة لا يعني شيئًا. ليست المسألة الحقيقيّة أيّ بلد سكانه أكبر أو أيّ بلد استوعب لاجئين أكثر، بل أيّ بلد استطاع تقديم الرعاية للاجئين الذين وصلوا. إذا ما طُرح هذا السؤال، فإن من الواضح أن تركيا كانت أقلّ استعدادًا من اليونان بكثير لدعم المهاجرين. جاء اللاجئون الأتراك إلى بلد خرّبته الحرب. في مناطق التقهقر اليونانيّ خصوصًا، لم يكن هناك أكثر من بضعة بيوت لأتراك الأناضول الناجين، ناهيك باللاجئين. فقدت الدولة أكثر قدرتها الصناعيّة في الحروب، لذلك، لم تكن فرص العمل الصناعيّة متوافرة. ومع أن معاناة اللاجئين اليونانيّين كانت مخيفة، إلاّ أن اليونان كانت على الأقلّ دولة مستقرّة لم تتأثر بتدمير كهذا. كانت البيوت فيها سليمة وصناعاتها لا تزال قائمة؛ ومع ذلك كان اليونانيّون هم الذين تلقّوا المعونة الدوليّة. تبرّعت منظّمات الإغاثة الأميركيّة كالصليب الأحمر الأميركيّ وغوث الشرق الأدنى (Near East Relief) بالملايين لإيواء وإطعام اللاجئين اليونانيّين. سلّف مصرف إنغلترا اليونان مليوني جنيه استرلينيّ

مساعدة للاجئين وقرضَين كبيرين جعلا المجموع عشرين مليون جنيه استرلينيّ من عام (1924 م) حتى عام (1938 م)[182]. وبينما كان اليونانيّون يفضّلون منحًا بدلاً من قروض، بل ويحتاجون إليها، لم يحصل الأتراك الذين كانوا بحاجة أكبر إلى قروض، على شيء.

أعداد اللاجئين: لا يمكن معرفة أعداد اللاجئين من الاجتياح اليونانيّ بدقّة قط. مع الانهيار الفعليّ للحكومة العثمانيّة، أوقفت الوكالة الوحيدة التي ساعدت اللاجئين المسلمين بفعّاليّة وأحصتهم، وكالة اللاجئين العثمانيّة، أكثر أعمالها الميدانيّة. ذُهل المراقبون الأوربيّون من ضخامة هجرة المسلمين، لكنهم لم يستطيعوا إلاّ تقدير أعداد اللاجئين. كثيرًا ما تحدّثت التقارير البريطانيّة عن أعداد كبيرة من اللاجئين الأتراك من مناطق مثل إزمير أو آيدين أو يالوة، مستخدمة تعابير مثل «لا بدّ من أن هناك مئة ألف لاجئ»[183] في تلك المنطقة وحدها. قدّرت وكالة اللاجئين العثمانيّة أن عدد اللاجئين في ربيع عام (1921 م) كان بين (200,000) و(350,000)[184].

تشير التقديرات التي أُنجزت في غمرة الأعمال اليونانيّة الأولى في إقليم آيدين إلى عدد كبير من اللاجئين المسلمين. نقل ضابط البحريّة الإيطاليّ الكبير جي جيوفانيني (G. Giovannini) أنه بحلول منتصف تمّوز عام (1919 م) كان (20,000) لاجئ في المخيّمات على الجانب الجنوبيّ لنهر مندر، ضحايا الجنود والمدنيّين اليونانيّين الذين استولوا على حيوانات حمل الأثقال التي يملكونها وعلى قمحهم وأحرقوا قراهم[185]. بحلول آب عام (1919 م) كان هناك من (40,000) إلى (50,000) لاجئ مسلم من منطقة برغمة في مخيّمات صومة[186]. بحلول أيلول عام (1919 م) كان (60,000) تركيّ مسلم على الأقلّ من آيدين لاجئين[187]. قدّرت وزارة الداخليّة العثمانيّة أنه في عام (1920 م) كان هناك نحو (800,000) لاجئ «في الداخل» (أي وسط الأناضول)، (200,000) لاجئ من روميليا رغبوا في العودة؛ (407,000)

لاجـئ مسلم من الأقاليم الشرقيّة؛ و(150,000) من «الأحداث الجديدة في سميرنـا»[188]. وكمـا في الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) وحـروب البلقان، اضطرّ كثير من اللاجئين المسلمين إلى التنقّل عددًا من المـرات. عـلى سبيل المثال، حين احتلّ الجيش اليونانيّ فوجنين (Foçadin) وأقضية قوجحصار (Koçhisar) وصومة وقرق غاج (Kırkağaç) (في آيدين) في حزيـران من عام (1919 م) فرّ أتراك هذه المناطق إلى قرةسي[189]. حين سـقطت قرةسـي في يد اليونانيّين، اضطرّ هؤلاء إلى الفرار من جديد. من المحـزن على نحو خاص إدراك أن كثيرًا من هؤلاء النازحين كانوا طُردوا من بيوتهم في أورُبة أصلاً في أثناء حروب البلقان.

من بين جميع التقديرات لعدد اللاجئين المسلمين، تبدو الأرقام التي قدّمها عصـمت باشـا في مؤتمر لوزان للسلام الأكثر دقّة. قدّر أن مليونًا ونصف مليون تركيّ أناضوليّ أُبعدوا أو ماتوا في منطقة الاحتلال اليونانيّ[190]. ربما يـبدو هـذا القدير مرتفعًا، لكنه ينسجم تمامًا مع تقديرات مراقبين أورُبيّين معاصـرين. عـلاوة على ذلك، قدّم عصمت باشا أرقامه عن اللاجئين في المؤتمـر مـرفقة بإحصـائيّات مفصّـلة عن التدمير في المنطقة المحتلّة، وهذه الإحصائيّات تجعل التقدير يبدو ممكنًا. أثبت عصمت باشا، مستشهدًا بتعداد سـكانيّ أُجـري بعد الحرب، أن عدد المباني المدمّرة في المنطقة المحتلّة كان (160,739). البيوت المدمّرة وحدها تتسبّب في مئات آلاف اللاجئين[191]، ولم تُدمّر بيوت اللاجئين كلّها.

كانت الروايات الأورُبيّة عن أعداد اللاجئين مجزّأة بالضرورة، لكنها تؤيّد تقدير عصمت باشا إذا ما جُمعت. نقل الممثّل البريطانيّ في آيدين، بلير فِش (Blair Fish) أن عدد اللاجئين الأتراك في إقليم آيدين كان (177,000) في 30 أيلـول من عام (1919 م)[192] بعد 4 أشهر فقط من الإنزال اليونانيّ. وافق المفوّض السامي الإيطاليّ في اسطمبول على تقدير عثمانيّ بوجود (457,000)

لاجئ بحلول أيلول من عام (1920 م)[193] وهذه الأرقام لم تشمل اللاجئين الجدد في خريف وشتاء عام (1920 م) وعام (1921 م). صرّح الدكتور نانسن بأن (75,000) لاجئ تركيّ جاؤوا إلى منطقة اسطمبول وحدها[194] منذ أيلول عام (1920 م). تجعل هذه الأرقام تقدير عصمت باشا الأكثر مصداقيّة. نظرًا إلى أن نحو (640,000) مسلم ماتوا في منطقة الاحتلال في أثناء الحرب، يمكن المرء أن يقدّر أن نحو (860,000) كانوا لاجئين ناجين من الحرب. طبعًا، كثير من الذين ماتوا، إن لم يكن أكثرهم، كانوا لاجئين أيضًا. إذا قدّر المرء أن نصف المسلمين الذين ماتوا كانوا لاجئين، فإن القول إن (1,2) مليون لاجئ مسلم أناضوليّ فرّوا من اليونانيّين وإن ثلث هؤلاء لقوا حتفهم يكون دقيقًا تقريبًا[195].

غادر عدد من المسلمين شرقي ثراقيا خلال فترة الاحتلال اليونانيّ من عام (1918 م) وحتى عام (1923 م). من المعروف أن أكثر من (9000) من هؤلاء فرّوا إلى بلغاريا[196]. أجرت الحكومة اليونانيّة تعدادًا للسكان في شرقي ثراقيا في عام (1920 م)[197] لكنها أحصت فقط إجماليّ عدد السكان وليس الجماعات العرقيّة أو الدينيّة. في عام (1920 م) قدّر العثمانيّون أن (200,000) لاجئ من «روميليا»[198] كانوا في منطقة اسطمبول. من هؤلاء، جاء (30,000) على الأقلّ من شرقي ثراقيا[199]. لم يجرِ إحصاء اللاجئين المسلمين الذين ذهبوا من شرقي ثراقيا إلى الأناضول.

7/ 3/ 4] وفيات المسلمين

يجعل نزوح بعد الحرب إلى أقاليم غربي الأناضول التقدير الدقيق لعدد المسلمين الذين ماتوا في أثناء الحرب العالميّة الأولى والحرب الأناضوليّة صعبًا. إن الطريقة الوحيدة لإحصاء الوفيات هي طرح عدد السكان بعد الحرب من عدد السكان قبل الحرب؛ يُشوّش هذه الإحصاءات المسلمون الذين انتقلوا

من إقليم إلى آخر. كانت أرض غربي الأناضول أفضل أرض في تركيا، وربما جاء كثيرون إليها قبل إجراء الإحصاء التركيّ الأول (الذي تعتمد عليه أرقام عـــام (1922 م) في الجدول 29) في عام (1927 م). من الواضح أن كثيرين انتقلوا من قونية إلى آيدين القريبة، ما يزيد على نحو زائف عدد الوفيات في قونية ويخفّض عدد الوفيات في آيدين.

الجدول (29)

فقدان المسلمين في غربيّ الأناضول في أعوام (1912—1922 م)

الأقاليم العثمانيّة	قبل الحرب*	عام (1922 م)	عدد المفقودين
آيدين	(1,887,673)	(1,400,949)	(486,724)
خداوندكار	(1,643,491)	(1,437,971)	(205,520)
إذميد	(271,751)	(259,712)	(12,039)
أنقرة	(1,273,207)	(1,158,376)	(114,831)
قونية	(1,550,843)	(1,123,889)	(426,954)
الفقدان الإجماليّ			(1,246,068)

* عدد السكان في عام (1912 م) إضافة إلى اللاجئين من حروب البلقان[200].

المصدر: مكارثي، <[المسلمون والأقليّات] Muslims and Minorities>.

4/7] الاستنتاج

مـــع نهايـــة الحرب اليونانيّة التركيّة، كان أكثر غربي الأناضول خرائبَ. ليست مسألة مَن عانى الشدّة أكثر، اليونانيّون أم الأتراك، ذات أهميّة. كانت الخسائر على الجانبَين كبيرةَ إلى حدّ أن عدّ كارثة هذا الطرف أو ذاك أكثر أهمـــيّة إنما هو تجاهل للأبعاد الحقيقية لكارثة إنسانيّة. لم يكن اختيار معاناة الأتراك هنا لأنها بطريقة ما أسوأ، بل لأن المعرفة بها لا تكاد تُذكر.

بلغـــة الـــتاريخ الطويـــل لوفـــيات المسلمين والهجرة القسريّة من غربي الإمبراطورية العثمانيّة، كانت الحرب في غربي الأناضول هي الذروة. ظهرت

في الأناضـــول مـــن جديـــد كل تكتيكات الاستئصال العرقيّ والدينيّ التي استُخدمت في السابق في موريا والحرب البلغاريّة وحروب البلقان. إن الفرق هـــو أن الأتـــراك في الأناضول كانوا مكرهين على الدفاع عن أنفسهم، لا يمكن طردهم أبعد من ذلك. اعتمدوا في السابق على الإمبراطورية العثمانيّة لتدافع عنهم وعن بيوقم، وخسروا. أما الآن، فإنهم دافعوا عن أنفسهم، من غير السلطان الذي ساسهم ستّة قرون، ونجوا.

Suudi Arabistan Türkleri derneği

جمعية أتراك السعودية

Turan

8] نهاية أرض المسلمين

بعـد أن وضـعت الحروب أوزارها، كانت مجتمعات مسلمة في منطقة بحجم أوروبـة الغربيّة كاملة[1] قُلّصت أو أُبيدت. تقلّصت مجتمعات البلقان التركـيّة العظيمة إلى جزء من أعدادها السابقة. في القفقاس، طُرد الجركس والـلاز والأبخاز والأتـراك وآخرون من جماعات مسلمة صغيرة. تغيّرت الأناضول، المنطقة الوحيدة التي انتصر فيها الأتراك، كليّـاً، فالأقليّة المسيحيّة فيها لم تعد موجودة، وغربي الأناضول وشرقيّها أقرب إلى الخرائب. أُنجزت إحدى أكبر مآسي التاريخ.

1/8] الآثار

كمـا يمكـن أن يكـون متوقّعًا، ولكن نادرًا ما يُعترف به في الكتب المدرسـيّة، أثّـرت وفـيات وهجرة ملايين المسلمين في الأنظمة السياسية والاقتصـادية والاجتماعـية للإمبراطورية العثمانيّة ومَن خَلَفها. إن الآثار الرئـيس واضـحة. كان التجانس العرقيّ والدينيّ في المناطق من صربيا إلى القفقاس ناجمًا من طرد المسلمين. كان حجم وقوة روسيا (الاتحاد السوفييتي

لاحقًا) مرتبطَين مباشرة بالتوسّع الروسيّ على حساب المسلمين في جنوبي روسيا والقرم والقفقاس. لكن آثارًا أخرى ليست بهذا الوضوح ربما تحتاج إلى توضيح. من ضمنها، آثار الكارثة القوميّة التركيّة في سياسات الحكومة العثمانيّة والحكومة الجمهوريّة التركيّة وعلى التركيبة السكانيّة التركيّة.

8/1/1] سياسات الحكومة العثمانيّة ودروس التاريخ

كانت مسألة الشرق جزءًا من التاريخ الدبلوماسيّ الأورُبيّ أجيالاً. فصّلت مجلّدات عديدة بطريقة رزينة وواقعيّة علميًّا الحروب والمكائد الدبلوماسيّة التي أدّت إلى تدمير الإمبراطورية العثمانيّة مرفقة بمصورات تُظهر الفقدان المتدرّج للأراضي العثمانيّة. لم تُذكر الخسائر في الأرواح التي صاحبت حلّ مسألة الشرق. ولكن بشأن الأتراك والمسلمين الآخرين، كانت مسألة الشرق أكثر من خسارة أرض، أكثر من إصابة الهيبة الاستعماريّة لـ«رجل أورُبة المريض» بالأذى؛ كانت تمثّل خسارة فادحة في الأرواح البشريّة. نظرًا إلى عدد الوفيات واللاجئين مقارنة بإجماليّ عدد السكان، لم تتجشم أي دولة أورُبيّة أخرى خسائرَ بهذا الحجم منذ حرب الثلاثين عامًا.

ربما تجاهل المؤرّخون آثار أحداث التوازن السكانيّ في القرارات السياسية، لكن لم يكن بوسع حكومات ذاك الزمان أن تفعل ذلك. حين قاتل العثمانيّون الثوريّين في اليونان، كانوا يحاولون الانتقام لمقتل الآلاف من مواطنيهم الأتراك ويحبطون مصيرًا مشابهًا يباغت أتراك أورُبة الآخرين، ولم يكونوا يحاولون دعم إمبراطورية في طريقها إلى الزوال فحسب. بعد عام (1878 م) جلب وجود مئات الآلاف من اللاجئين على عتبة باب العثمانيّين الخطر على الأتراك والمسلمين الآخرين في أورُبة إلى عُقر دار العثمانيّين. لذلك، عندما حاول العثمانيّون التمسّك بمقدونيا وشرقي الأناضول، كانوا في الحقيقة يحمون شعبهم ممّا لا يمكن أن يكون إلاّ نفيًا وقتلاً. لم تكن

مشكلة سياسية فقط من النوع الذي يمكن أن يُقلق أي دولة أخرى. عندما خسرت فرنسا الألزاس–لورين (Alsace-Lorraine) لألمانيا، لم تتوقّع أن يُقتل أو يُطرد الفرنسيّون في هذين الإقليمَين. لم تتوقّع النمسا أن يقهر مصير كهذا ألمان تيرول (Tyrol) بعد الاحتلال الإيطاليّ. بينما كان على الأتراك أن يتوقّعوا حدوث ذلك بعد احتلال أراضيهم. نادرًا ما جرى بحث أو تحليل تأثير توقّعات معقولة كهذه في السياسة العثمانيّة. فعلاً، كثيرًا ما كان دفاع العثمانيّين عن أراضيهم يصوَّر على أنه عمل إمبراطورية آفلة تحاول التمسّك بأراضيها على نحو غير شرعيّ ضدّ رغبات السكان المسيحيّين ومع الهزيمة المحتومة. الانطباع هو أنها إمبراطورية وحشية أو حمقاء، وليست إمبراطورية تحاول جاهدة أن تحمي أرواح مواطنيها. إن النظر إلى التاريخ العثمانيّ الأخير على أنه دفاع نبيل عن مواطنين عثمانيّين فحسب، إنما يكون تعتيمًا يتعذّر تسويغه على عدة عوامل أخرى أثّرت في القرارات السياسية العثمانيّة، تمامًا كتجاهل محاولة الإمبراطورية الدفاع عن مواطنيها الذي يتعذّر تسويغه أيضًا.

إن أفضل مثال على التعتيم التاريخيّ ربما يكون المعاملة التقليدية التي تلقّتها الحرب العالمية الأولى في الشرق العثمانيّ في التاريخ المعاصر. لا يذكر أكثر التاريخ إلاّ ترحيل العثمانيّين للأرمن. مجرّدًا من سياقه التاريخيّ، يبدو القرار العثمانيّ بترحيل الأرمن غير منطقيّ ومدفوعًا بكراهية لأقليّة على نحو رئيس. في الحقيقة، من تاريخ الأحداث في البلقان والقفقاس، أدرك العثمانيّون ما عليهم أن يتوقّعوه من ثورة قوميّة واجتياح روسيّ لشرقي الأناضول. في بلغاريا واليونان ومقدونيا، أدّت العمليات نفسها إلى قتل الأتراك. هل يمكن العثمانيين أن يتوقّعوا أيّ اختلاف في الأناضول؟. مئة عام، توسّع الروس بطردهم للمسلمين، إذ طردوا التّتار القِرَميّين والجركس، وفي جنوبي القفقاس، استبدلوا الأرمن بالأتراك. في عام (1915 م) كان الروس مستعدّين للزحف من جديد. كانت جماعات الثوريّين الأرمن بدأت ثورتها في كل

أنحـــاء شـــرقي الأناضول بقتل المسلمين وحتى الاستيلاء على مدينة وان. ما المصـــير الـــذي يمكـــن أن يتوقّعه مسلمو الشرق حين قام الروس باجتياح مناطقهم؟. المصير نفسه الذي واجهه أتراك بلغاريا ومقدونيا.

لا يمكن للحكومة العثمانيّة أن تتجاهل دروس التاريخ العثمانيّ. في سياقه التاريخيّ، كان ترحيل الأرمن العثمانيّين منطقيّـــاً. هذا لا يعني إصدار حكم أخلاقـــيّ على الترحيل؛ كانت أعمال كل الأطراف في فترة الحرب العالميّة الأولى حافلة بعدم الإنسانيّة إلى درجة أنه لا يجوز لأيّ طرف أن يكون أوّل المنـــتقدين. ومع ذلك، إذا تفحّص المرء تاريخ الهجرة القسريّة والوفيات التي قاساها الأتراك والمسلمون الآخرون، فإنه سيجد تعليل ترحيل الأرمن جزءا مـــن عملـــية تاريخـــيّة. وهذا مفضّل من جميع النواحي على نظريّات تفسّر الأحداث التاريخيّة ببساطة على أنها سلسلة من الأعمال غير المنطقيّة.

2/1/8] تركيبة تركيا السكانيّة

زادت هجرات القرن التاسع عشر عدد المسلمين في الإمبراطورية العثمانيّة إلى حدّ كبير. ولأنه من المستحيل في الوقت الراهن تقدير عدد سكان أكثر أورُبة العثمانيّة على نحو دقيق في مطلع القرن التاسع عشر، فإن مناطق شرقي تراقـــيا واسطمبول والأناضول فقط يمكن الاستفادة منها للمقارنة. في تلك المـــناطق الـــتي تقع ضمن حدود تركيا الحديثة تقريبًا، ازداد مقدار السكان المسلمين من خلال التروح من (70%) إلى (80%) تقريبًا من الإجماليّ منذ عام (1800 م) وحـــتى عام (1912 م) مباشرة قبل حروب البلقان. انخفض مقدار السكان الأرمن واليونانيّين، مع أن عددهم ازداد على نحو كبير زيادات عادية، مـــن (21%) إلى (17%) مـــن الإجمـــاليّ. زادت الهجرة الداخليّة لأكثر من (400,000) تـــركيّ في أثناء حروب البلقان وبعدها الأكثرية المسلمة، لكن هذه التغيّرات في عدد السكان التي حدثت في عامي (1912–1913 م) قزّمتها

التغيّرات في أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها التي نتجت منها جمهورية تركيّة ومسلمة سكانيّاً.

كانت الجمهورية التركيّة الجديدة بعد الحروب أمّة متأثّرة إلى حدّ كبير بالهجرة الداخليّة مئة سنة خلت. يقرّ أكثر التاريخ بالأثر الكبير الذي خلّفته هجرة الأقليّة المسيحيّة إلى الخارج في تركيا، لكنه لا يناقش تأثير ملايين المهاجرين المسلمين وذرّياتهم. ليست هناك طريقة دقيقة لتتبّع التأثير السكانيّ للاجئين المسلمين في سكان تركيا، لكنّ المرء يستطيع أن يضع نموذجًا تقريبيّاً لموقع اللاجئين وذرّياتهم بين سكان الجمهورية. لو مرّ اللاجئون بالأوضاع السكانيّة نفسها مثل بقية سكان الأناضول وثراقيا المسلمين، لكان عددهم مع ذرّياتهم نحو ثلاثة ملايين بحلول عام (1923 م) أو خمس إجماليّ سكان تركيا المسلمين تقريبًا. استقرّ اللاجئون على نحو رئيس في غربي الأناضول واسطمبول وشرقي ثراقيا وأجزاء من شمال شرقي وجنوبي الأناضول. كان بالإمكان أن تشكّل ذرّيات اللاجئين ثلث سكان تلك المناطق المعنيّة تقريبًا[2].

[8/ 1/ 3] سياسات الجمهورية التركيّة

بعد هزيمة اليونانيّين في الأناضول، بدأ مصطفى كمال أتاتورك وزملاؤه القوميّون الأتراك إعادة هيكلة جذرية للحكومة العثمانيّة والاقتصاد والمجتمع وتأسيس الجمهورية التركيّة. كان أحد الأسس الاجتماعيّة والسياسية للجمهورية الجديدة التاريخ المشؤوم للمئة سنة الماضية، خصوصًا خسائر حروب أعوام (1912–1922 م). امتدّت آثار خسائر المسلمين والأتراك الضخمة سنوات بعد الحرب، مؤثّرة في السياسة الخارجيّة والداخليّة في جمهورية تركيا الجديدة.

كانت السياسة الخارجيّة للجمهورية التركيّة من نوع الحياد المسالم. حتى في ثلاثينيّات القرن العشرين، حين تجدّدت قوة العصبية والتحرّريّة الوحدويّة

في أكثر أوربة، ظلّت تركيا راضية رسميًا بالأراضي المتبقيّة في الأناضول وشرقي ثراقيا. لفهم السياسة الخارجية التركيّة على المرء أن يعدّ تركيا بلد حدثت فيه هجرة داخليّة للاجئين ووفيات كبيرة حديثًا. لم يكن بمقدور أتاتورك وزملائه أن ينسوا أن قسمًا كبيرًا من الأتراك طُرد من البلقان، أو أن يستجاهلوا الكراهية التي خلقها الاجتياح اليونانيّ للأناضول. فعلاً، كان من السهل تحريض الشعور الملتهب للتحرّريّة الوحدويّة والانصياع لصيحات «إلى الأمام إلى سالونيجة» في الفترة بعد حرب الأناضول. كان القيام بذلك يعني بقاء المثل الأعلى القديم لدولة عسكرية. ربما نتج أو لم ينتج من ذلك توسّع تركيّ، لكنه كان سيعني بالتأكيد أنها دولة توسّعيّة ذات تطلّعات خارجية، وليست دولة إصلاحيّة ذات طموحات داخليّة كالتي تصوّرها أتاتورك. برفضه أيّ تعبير عن التحرّريّة الوحدويّة، حوّل أتاتورك طاقات المواطنين والحكومة إلى الإصلاح. بكلمة أخرى، دفع تاريخ نزوح اللاجئين والوفيات الحكومة التركيّة إلى اتّباع سياسة خارجيّة هادئة. كانت أي سياسة أخرى ستعني كارثة للإصلاح الاقتصاديّ والاجتماعيّ الضروريّ جدًا. هذا لا يقلّل بحال من الأحوال من حكمة الزعماء الذين اختاروا السياسة الخارجيّة التركيّة. كان الرجال الأصغر سيختارون "الشهرة" بدلاً من المهمّة الشاقّة لإعادة صنع مجتمع.

هل يستطيع أحد أن يصدّق أن الإصلاحات الجذريّة من النوع الذي استهلّه أتاتورك كان سيُكتب لها النجاح في القرن التاسع عشر؟. غيّر أتاتورك اللغة وموقع الدين وشكل الحكومة والتعليم واللباس وحتى الهويّة الشخصيّة للناس (من "مسلمين" إلى "أتراك"). لم ينجح أيّ زعيم شرق أوسطيّ في إصلاح جذريّ كهذا، مع أن آخرين حاولوا. هل كان شعب مطوّق بإحكام بـ "عادات قديمة" ومقتنع بصحّة أساليب حياته المحافظة سيتقبّل إصلاحات كهذه؟ كلاّ، بالتأكيد. لكن أتراك عام (1923 م) لم

يكونوا شعبًا كهذا. رأوا بأبشع الطرق وأشدّها تأثيرًا أن الأساليب القديمة لم تُفلح. ربع مواطنيهم تقريبًا في عداد الأموات. شُرّد مئات الآلاف من الذين اعتمدوا على السلطان، وهم يعيشون في أرض جديدة حياةً محفوفة بالمخاطر. كانت هناك حاجة إلى قائد يتصف بقوة وبصيرة استثنائيّتَين ليوجّه الإصلاح، ولكن، لا بدّ من أن تاريخ الأتراك أنفسهم أقنعهم بالحاجة إلى الإصلاح.

8/2] الاستنتاج - الوفيات والهجرة

ليست الإحصائيات مؤشّرات على الخسارة المروّعة، لكنها تستطيع أن ترسم فداحة المعاناة البشريّة. تخدّر أعداد القتلى المسرودة بالملايين مشاعر المرء. من الغريب أن التفكير في تفاصيل موت شخص واحد يؤثّر فينا عاطفيًّا أكثر من معرفة أن ملايين لقوا حتفهم. ومع ذلك، لا بدّ من الاطّلاع على الإحصائيات لتقدير مدى خسائر المسلمين.

إن الأعداد في الجدول (30) هي تقديرات دنيا لوفيات المسلمين. لم يجرِ تسجيل أو حتى تقدير كثيرين من القتلى المسلمين. علاوة على ذلك، في حساب الأرقام في الجدول، كان الاختيار دومًا على التقديرات الدنيا. لو وقع الاختيار على التقديرات العليا لكانت ارتفعت الأرقام النهائيّة للوفيات والهجرة بالملايين. (على سبيل المثال، قدّر كمال قرباط Kemal Karbat أن عدد المسلمين القفقاس الذين طُردوا مليونان، بقي على قيد الحياة منهم مليون ونصف المليون)[3]. لم يجرِ إدراج الذين ماتوا من الجنود المسلمين والمدنيّين ولم يكونوا في المناطق العسكرية (من المجاعة التي سبّبتها الحرب ومن المرض، إلى آخره) مع أن هذه الوفيات يمكن أن تُعدّ بحقّ نتيجة للعوامل نفسها التي قتلت أولئك الذين أُدرجوا في الجدول. (على سبيل المثال، كانت الخسائر في السكان المسلمين في الأناضول بين عامي (1914–1922 م) نحو ثلاثة ملايين في الحقيقة؛ أُدرج في الجدول (2,4) مليون فقط لأنه جرى

استبعاد المناطق الوسطى والشماليّة من الأناضول التي لم تكن ضمن المناطق العسكرية). باستثناء أرقام الفترة ما بين عام (1914 م) وعام (1922 م) لم يجرِ إدراج أكثر الجنود الأتراك الذين قُتلوا في الحروب أيضًا. خاض جنود من الأناضول على نحو خاص جميع الحروب العثمانيّة الروسيّة وماتوا بأعداد كبيرة.

إذا ما أُدخلت التقديرات عن "المجهولين" عاملاً في الحسابات، لكانت النتيجة (5,5) مليون قتيل مسلم تقريبًا. طُرد أكثر من خمسة ملايين[4] لاجئ من بيوتهم، وكثير من هؤلاء أُدرج في عداد الأموات في النهاية.

الجدول (30)

وفيات وهجرة المسلمين

	الوفيات	اللاجئون
الثورة اليونانيّة	(25,000)*	(10,000)* (عدد الذين بدؤوا الرحلة)
حروب القفقاس (1827–1829 م)	غير معروفة	(26,000) (عدد الناجين)
الترحيل القِرَمي	(75,000)*	(300,000) (عدد الذين بدؤوا الرحلة)
الترحيل القفقاسيّ	(400,000)*	(1,200,000) (عدد الذين بدؤوا الرحلة)
بلغاريا (1877–1878 م)	(260,000)	(515,000) (عدد الذين بدؤوا الرحلة)
الحرب الشرقيّة (1877–1878 م)	غير معروفة	(70,000) (عدد الناجين)
حروب البلقان	(1,450,000)	(410,000) (عدد الذين بدؤوا الرحلة)
القفقاس (1905 م)	غير معروفة	—

شرقيّ الأناضول (1914–1921 م)	(1,190,000)	(900,000) (لاجئو الداخل)
القفقاس (1914–1921 م)	(410,000)	(270,000) (عدد الذين بدؤوا الرحلة)
غربيّ الأناضول (1914–1922 م)	(1,250,000)	(480,000)†(عدد الذين بدؤوا الرحلة)
	(1,200,000)	(لاجئو الداخل)
	(5,060,000)	(5,381,000)

* تقديرات تقريبيّة.
† التبادل السكانيّ اليونانيّ التركيّ.
ملاحظة: لم يتضمّن الجدول أكثر وفيّات العسكريّين وبعض المدنيّين.

حين تُنجز التحليلات، وتُدوَّن أعداد اللاجئين والقتلى، وتوُزَّع الملامة، لا يبقى إلاّ الأسى على جميع أولئك الذين ماتوا، ممثّلين مُكرَهين في مسرحيّة مأساويّة. يمكن الأرقام التي يحدّدها العالم بالدراسات الإحصائيّة والتصنيفات التي يقوم بها المؤرّخ أن تحيل الأهوال إلى أفكار مجرّدة بسهولة. تقدّم مفاهيم مثل "الاستعمار" و"القوميّة" تفسيرات ضروريّة وثمينة عن ظواهر تاريخيّة، لكنها غير كافية في ذاتها. ومع أن كتب التاريخ نادرًا ما تُعرِّج على التعاطف والتقمّص العاطفيّ، إلاّ أنها ضروريّة إذا أراد المرء أن يفهم خسائر المسلمين في البلقان والقرم والقفقاس والأناضول. يجب على المرء أن يحاول أن يفهم موت أكثر من خمسة ملايين كائن بشريّ وتدمير الحياة العاديّة لملايين الأفراد الآخرين، ملايين الروايات عن أهوال فرديّة. المهمّة مستحيلة. بدلاً من ذلك، نحن مضطرّون إلى تحليل إحصائيات ودراسة الحركات الجماعية للناس، تحليلات بعيدة بطبيعتها عن المعاناة التي تشكّل البيانات.

لم يفهم المصير الحقيقيّ لهؤلاء المسلمين إلاّ أولئك المعاصرون الذين شاهدوا الميّت والذي يموت، كموظّفي السكّة الحديديّة في بلغاريا العثمانيّة في عام (

1878 م) الذيـــن عـــثروا على طفلة صغيرة تركيّة حيّة وسط الأجساد المجمّدة لأربعمئة لاجئ، لا بدّ من أن بعضها كان لأسرتها. كان مصير هؤلاء المسلمين مصـــير أُسـرة الطفلـــة، طُردوا من ديارهم ليموتوا. كان أيضًا مصير الطفلة الصـــغيرة التي أنقذها غرباء. تشكّل ذريّة هذه الطفلة وذريّات جميع الآخرين الذين نجوا أكثر مواطني الجمهورية التركيّة الحديثة.

ملحق:
المنهجيّة والحسابات

1] المسلمون البلغار

لــيس هناك إلاّ مجموعتان من الإحصائيات التي يمكن عليها بناء تحليلات الســكان الــبلغار قبل عام (1878 م)- حوليّات الحكومة لإقليم تونا وإقليم أدرنــة. يقــدّم الجدول (31) عدد السكان المسجّلين في حوليّات الإقليمَين للمــناطق الــتي كانت ستصبح بلغاريا وروميليا الشرقيّة. إن عدد السكان المُدرج في الجدول (31) أقلّ من التعداد الصحيح بمقدار الثلث تقريبًا، وأعداد الســكان في الــنصّ عُدّلت على هذا الأساس[1]. إن عامل التصحيح (عدد الســكان الأصــليّ مضــروبًا في 1,5) ليس دقيقًا. إنه مستنتج من المقارنة بإحصــائيات عثمانــيّة أخرى ومن الشروط المحلّية. على سبيل المثال، كان عــامل التصــحيح لإقليم أدرنة في عام (1911 م) حين كانت الإحصائيات العثمانــيّة أكــثر دقّة، (1,2196) وعامل التصحيح لإقليم كوسوفو في العام نفســه (1,4056)[2]. إضــافة إلى ذلك، ينسجم هذا الرقم إلى حدّ بعيد مع الــرقم الدقيق الوحيد، التقدير المعاصر لسكان إقليم تونا، للقنصل البريطاني

ريــد (Reade) في شملا الذي صحّح التعداد العثمانيّ الأقلّ (عامل التصحيح 1,5470) اســتجابة لاستعلام حكومته[3]. حين طُبّق عامل التصحيح (1,5) على أجزاء من إقليم أدرنة التي بقيت في الإمبراطورية العثمانيّة، كانت النتائج دقــيقة إلى حـــدّ ما. لسوء الحظّ، بسبب الأحداث التي ذُكرت في الفصل الثالــث، لا يمكن تطبيق مقارنة كهذه على المسلمين في بلغاريا. ولكن يبدو أن عامل التصحيح الذي كان دقيقًا في إقليم أدرنة يمكن أن يكون صحيحًا بشــأن إقليم تونا. لكن يجب النظر إلى الأرقام التي جرى الوصول إليها على أنهــا تقديــرات معقولــة، بدلاً من إحصاءات سكانيّة دقيقة. لأن إحصائيات الحولــيّات كانت لأعوام (1285 هــ/ 1868–1869 م) و(1288 هــ/ 1871–1872م)[4] فــإن عــدد السكان استُخرج حسابيّــًا لعام (1877 م) بمعدّل (0,012) في السنة، جرى التقيّد بالمعدّل نفسه في إقليم أدرنة بعد ذلك، تحت الشروط نفسها[5].

الجدول (31)

عدد سكان بلغاريا المسجّلين

عام (1285 هــ/ 1868–1869 م) وعام (1288 هــ/ 1871–1872 م)

	مسلمون	غــــير مسلمين	غجر*	المجموع
سنجق أدرنة قضاء كزل أغاج (Kızıl Ağaç)	(1,708)	(3,644)		(5,352)
قضاء بنار حصار (Pınar Hisar)	(1,127)	(6,689)		(7,816)
سنجق فيلبية (ما عدا قضاءَي أخي جلبي Ahi Çelebi وسلطان يري Sultan Yeri)	(90,937)	(166,687)		(257,624)
سنجق إسلامية (İslimiye)	(35,577)	(49,287)	(1,496)	(86,360)
إجمالي إقليم أدرنة	(129,349)	(226,307)	(1,496)	(357,152)

إقليم تونا (ما عدا سنجق طلجة Tulça وقضاء جمعة Cuma)	(331,759)	(558,058)		(889,817)
المجموع	(461,108)	(784,365)	(1,496)	(1,246,969)

* مدرجة كأقباط فقط. غير مدرجة في إقليم تونا.

المصدر: حوليّات إقليم تونا عام (1291 هـ). حوليّات إقليم أدرنة عام (1288 هـ).

الجدول (32)

عدد سكان بلغاريا في عام (1887 م) وفقًا للمجموعات الدينيّة

الدين	عدد السكان
أرثوذكسيّ	(2,424,371)
مسلم	(676,215)
كاثوليكيّ	(18,505)
بروتستانتيّ	(1,358)
يهوديّ	(24,352)
آخر	(9,574)

المصدر: إحصاء عام (1887 م).

تم الوصول إلى أعداد السكان المسلمين البلغار الناجين في عام (1879 م) (الفصل الثالث) باستخدام أعداد السكان المسلمين البلغار في الإحصاء البلغاريّ لعام (1887 م)[6] وطرح منها أعداد المسلمين الذين نزحوا إلى الإمبراطورية العثمانيّة من عام (1879 م) حتى عام (1887 م) ثمّ إضافة أعداد اللاجئين الذين كانوا على قيد الحياة حتى عام (1879 م)[7]. تفترض هذه العملية أن سكان بلغاريا المسلمين لم يزدادوا ازديادًا عاديًا بين عامي (1897 م) و(1887 م) وهذا الافتراض معقول نظرًا إلى الأوضاع المذكورة في الفصل الثالث، وهي تفترض أيضًا أن إحصائيات اللاجئين صحيحة تقريبًا، وهذا افتراض مهم. افترضتُ أن نزوح المسلمين من بلغاريا إلى الإمبراطورية

العثمانيّة في أعوام (1879–1887 م) الذي لم يسجَّل بهذا النحو، يماثل النزوح في أعـــوام (1887–1892 م). افـــتُرض الأخير أنه مساوٍ لمعدّل انخفاض عدد سكان بلغاريا المسلمين (على فرض أنه ليس هناك زيادةً عادية) من إحصاء عام (1887 م) حتى إحصاء عام (1892 م)[8]. هذا يعني (52,731) نازحًا. في الفترة الزمنيّة (1879–1887 م) نفسها سجّلت الحكومة العثمانيّة (144,509) مهاجرين داخليّين[9]، جاء كثير منهم من بلغاريا[10].

عـــندما كان التصحيح ضروريّـــًا، حاولتُ أن أصحّح الإحصائيّات، في الفصـــل الثالث وغيره، حتى "تعمل ضدّ" نظريّتي الشخصيّة، وفي هذه الحالة افـــتراض خســـائر بشريّة مسلمة ضخمة في الفترة بين عام (1877 م) وعام (1879 م). لذلـــك، ربمـــا يكون تقدير عدد سكان بلغاريا المسلمين في عام (1877 م) أقلّ من الواقع، وعدد اللاجئين الناجين أكثر من الواقع. إذا كان شـــيء ما، فهو أن أعداد القتلى المسلمين في تلك الحقبة ربما تكون أكبر مما ذكرتُ.

2] حسابات الوفيات في الأعوام (1912–1922 م)

شرحتُ حسابات الوفيات في البلقان وغربيّ الأناضول على نحو واسع في كـــتابيّ ‹[المسلمون والأقليّات] Muslims and Minorities› و‹[سكان أورُبة العثمانـــيّة] The Population of Ottoman Europe›. إن طريقة معرفة الخسائر في عدد السكان مبنيّة أساسًا على طرح عدد سكان منطقة ما بعد الحروب مـــن عددهم قبل الحروب. على نحو دقيق، ليس الرقم الناتج عدد الوفيات، وإنما هو تقدير تقريبيّ بعد حسم عدد المهاجرين.

إن طـــريقة التحقـــق من عدد الوفيات في الحرب العالميّة الأولى والحرب التركيّة الإرمينيّة في القفقاس لا تختلف عن الطريقة المطبّقة في الأناضول، لكن هـــناك صـــعاب معيّنة بسبب أنماط الإحصائيّات السكانيّة المتوافرة لروسيا

والاتّحاد السوفييتيّ. احتفظت الإمبراطورية الروسيّة بإحصائيّات سكانيّة على أساس الدين؛ لكنّ الاتّحاد السوفييتيّ لم يفعل ذلك. بدلاً من الهويّة الدينيّة، نشر إحصاء الاتّحاد السوفييتيّ عام (1926 م) إحصائيّات مفصّلة جدًا على أساس المجموعات العرقيّة (190 مجموعة). من الصعب جدًا مقارنة نمطين من البيانات، لأن كثيرًا من المجموعات العرقيّة كان من ديانات مختلطة. لهذا السبب، قارنتُ في الوثيقة الإحصائيّة الأخيرة للإمبراطورية (الحوليّة الإحصائيّة عام 1915 م) وفي الإحصاء السكانيّ السوفييتيّ عام (1926 م) المجموعة العرقيّة «التّتريّة-التركيّة» وليس الدينيّة. افترضتُ أن الوفيات «التّتريّة-التركيّة» تنطبق على المسلمين كلهم. (كان 79% من مسلمي منطقة عبر القفقاس في عام 1914 م من «التّتار-الأتراك»). لن تسبّب هذه العمليّة إلاّ تناقضات ضئيلة فقط في حساب وفيات المسلمين، إذ إنها تسبّب تقديرًا أقلّ للوفيات من المقدار الفعلي، لأن التّتار الأتراك لم يعيشوا جميعًا في المناطق العسكرية، ولكن جميع الكُرد تقريبًا عاشوا هناك، وهم يشكّلون المجموعة الكبيرة الثانية. ربما كان معدّل وفيات الكُرد أعلى من معدّل التّتار الأتراك، ولكن معدّلهم حُسب على ذاك الأساس حتمًا.

نُقلت الأعداد السكانية عام (1914 م) كما ظهرت في الحوليّة الإحصائيّة الروسيّة عام (1915 م) أما أعداد عام (1921 م) فجرى استنتاجها بعمليّة أكثر تعقيدًا: جُمع عدد سكان ثلاث مجموعات عرقيّة (الأتراك والتّتار والأتراك العثمانيّين) للوصول إلى تقدير تقريبيّ لمجموعة «التّتار-الأتراك» حُسب عام (1914 م). جرى تصوّر ذلك بالعودة إلى عام (1921 م) بمعدّل زيادة (0,01) في السنة. أُضيف إلى العامل الناتج عدد سكان الأقاليم الجمهوريّة التركيّة التي كانت جزءًا من روسيا في عام (1914 م) (إقليم قارص وسناجق ألتو وأيدر وقلب Kulp وأرتوين وشوشات Şavşat) كما سُجّلت في الإحصاء التركيّ عام (1927 م) وجرى تصوّرها بالعودة إلى عام (1921 م).

وكما هي الحال في جميع العمليات المماثلة، يجب فهم أرقام الوفيات لدى القفقــاس عــلى أنها تقديرات تقريبيّة. باستثناء ما ذُكر في النصّ، لم يكن بالإمكان تعليل الهجرة[11]. لأنني قرّرت أن أُخطئ دائمًا على حساب نظريّتي الخاصــة بارتفاع عدد وفيات المسلمين، يستطيع المرء أن يفترض أن بيانات وفيات المسلمين في النصّ إنما هي تقديرات أقلّ من الواقع.

الهوامش

1] الأرض المقبلة على الضياع

1) ‹George Finlay, 1861: 172›. لا يذكر العديد من كتب تاريخ الثورة اليونانيّة المجازر ضدّ الأتراك أو إنها لا تعطيها أهميّة تُذكر، مثلاً ‹ Eduard Blaquire, 1824; John Lee Comstock, 1851›. لا يستطيع المرء إلاّ بأن يشعر أن هذه الأمور لا تليق بالموقف العقدي للمؤلفين. لاستعراض يشدد على مذابح المسلمين، انظر ‹ Musulman et Chrétiens. Notes sur la guerre de l'indépendence greque, 1895›.
2. Finlay, pp. 179-86.
3. Finlay, pp. 187.
4) ‹Thomas Gordon, 1832: 149›. يمكن إيجاد مثال على الظن السائد خلف مشاعر «الموت للأتراك» في كتاب ‹W. Alison Phillips, 1897: 48›: « . . في نيسان كان العصيان المسلّح شاملاً. في كلّ مكان، كما لو كان بإشارة متّفق عليها سابقاً، ثار الفلاحون، وقتلوا جميع الأتراك، الرجال والنساء والأطفال، الذين استطاعوا الوصول إليهم.
يجب ألا أن يبقى أتراك في موريا
أو في العالم بأسره.
وهكذا، دوّت أنشودة، من فم إلى فم، أعلنت بدء حرب الإبادة. جرت تصفية [25,000] نفس بشريّة من سكان موريا المسلمين. خلال ثلاثة أسابيع من اندلاع الثورة، لم يبقَ مسلم واحد، باستثناء أولئك الذين نجحوا في الفرار إلى المدن».
5. Finlay, pp. 201-03.
6. George Finlay: *A history of Greece* (edited by H. F. Tozer), vol. VI, Oxford, 1877, p. 119. See also, Phillips, pp. 32 and 33.
7. Finlay (1877), vol. VI, pp. 116-21, and Phillips, pp. 32-35.

8) ‹C.M. Woodhouse, 1952: 77›. حتى وودهاوس الذي لا يألو جهدًا عادةً ليتجنّب قول أيّ شيء يمكن أن يُفسَّر بأنه تعاطف مع الأتراك، اضطرّ إلى الاعتراف بذلك.

9. Phillips, pp. 60-61.

10) ردّت الحكومة العثمانيّة على المجازر في اليونان بضراوة أيضًا. شُنق البطريرك اليوناني وآخرون في اسطنبول، وقوبلت انتفاضات إقليم آيدين وجزيرة كيوس بقتل اليونانيّين.

11) إن تقديرات وفيات المسلمين هي عمومًا في حدود (25,000) ولكن في ظل غياب تسجيل للسكان، لا يستطيع أحد أن يكون متأكدًا من الأعداد حقيقية. تدلّ قراءة المجازر كما رُويت على عظم الوفيات. على سبيل المثال، ليست الفقرات التالية المختارة من فنلي ‹Finlay, 1877› شاملة بحال من الأحوال: «من 26 آذار إلى 22 نيسان عام (1921 م) قُتل [15,000–10,000] مسلم 'بدم بارد' (ص 152)؛ تبع ذلك مقتل جميع من في مسلُنغي (Missolonghi) باستثناء (22) (ص 163)؛ خمسمئة أسرة في فراتشوري (Vrachori) (ص 165)؛ جميع الرجال والنساء والأطفال تقريبًا في نوارينو (Navarino)؛ أكثر من ألفين في تريبولتزا (Tripolitza) (ص 219) إلى آخره». ذكر دغلس دكن ‹Douglas Dakin, 1973: 59› أن «15,000 من أصل 40,000 تركيّ هلكوا» لكنه لا يُقدّم دليلاً على كيفيّة نجاة هذا العدد الكبير من الأتراك، في حين تشير مصادر سابقة إلى أن قلّة فقط استطاعت النجاة. يبالغ دكن دائمًا في عدد وفيات اليونانيّين ويقلّل من شأن وفيات الأتراك.

12. Alan W. Fisher, *The Russian Annexation of the Crimea, 1772-1783*, Cambridge, 1970, pp. 90-95.

13) اقتُبس هذا المقطع الصغير من تاريخ القرم من < Alan Fisher, 1978:1-69 >.

14) قدّر ألن فشر عدد النازحين القرميين ب(30,000–20,000) قبل عام (1789 م).

15. Mark Pinson, "Russian Policy and the Emigration of the Crimean Tatars to the Ottoman Empire, 1854-1862," *Güney-Doğu Avrupa Arastirmalan Dergisi*. I (1972), pp. 38-41.

16. Fisher, "Emigration of Muslims" and Djafer Seidahmet, *La Crimée*, Lausanne, 1921, pp. 47-50.

17. Pinson, pp. 42-43.

18. Fisher, "Emigration of Muslims."

19. Pinson, pp. 43 and 44.

20. Fisher, "Emigration of Muslims."

21) انتقص الجنرال توتلبن (Totelben) نفسه من تأثير أيّ شعور أو فعل تتريّ ضدّ الروس، قائلاً: إن التّتار لم يؤثّروا في الخسائر الروسيّة في الحرب ‹Pinson, 43›.

22. *Atrocitée Russes. Documents Soumis a la Conférence de Constantinople*, Constantinople, 1877, esp. pp. 3, 4, and 36. Seidahmet, pp. 39-43.

23) هذا نقاد بصيرة قيّم من مارك بنسون الذي ظن أن نزوح النوغيه كان «القشّة المُطفحة للكأس» لدى القرميين < Pinson, 46 >.

24) مترعجة من حجم النزوح الكبير، تردّدت الحكومة الروسيّة في أن تسمح أو لا تسمح بمغادرة هذا القسم الكبير من السكان المنتجين. كان إذن المغادرة يمنح ويرفض بالتناوب، كانت الرغبة في مشاهدة جميع المسلمين يرحلون تتصارع مع الخوف من اقتصاد مدمّر ‹Pinson I, 48-56›. كان هذا أحد أسباب بقاء مجتمع تتريّ في القرم إلى

أن جاء طرد ستالين له. (تحت قيادة سوفياتية أكثر تسامحًا، سمح للبعض بالعودة). انظر ‹Alexandre Bennigsen and S. Enders Wimbush, 1985:240-241›.

25. F.O. 195-644, Suter to Bulwer, Varna, 23 July 1860.

(26 ‹F.O. 195-644, Suter to Bulwer, Kustendji, 22 October 1860› وصف كمال قرباط توطين اللاجئين القرميين بتفصيل مثير للاهتمام في ‹International Journal of Turkish Studies 3, 1981:1-25›. ليست المقالة قيّمة لمعلوماتها عن مقدونيا ودوبرجا فحسب، بل لرأيها في سياسة التوطين العثمانيّة والاهتمام الذي أولته السياسة الرسميّة العثمانيّة للاجئين أيضًا.

(27 لتقدير الأعداد انظر ‹ Fisher, Russian Annexation of the Crimea, pp. 145 and 146; "Emigration of Muslims› هناك خلاف واسع بشأن عدد المهاجرين القرميين. قدّر كمال قرباط عددهم ب[1,800,000] «بين عامي 1783 م و1922 م»(› Ottoman Population 1830-1914: Demographic and Social Characteristics, 1985: 66› بينما يقدّم آخرون أرقامًا مغايرة. حين يكون هناك جدل في مجموعة التقديرات التي ينبغي استخدامها، فإن سياستي هنا وفي أيّ موضع من هذا الكتاب هي اختيار التقديرات الأدنى للوفيات والهجرة. إن فرضيّة هذا العمل هي أن وفيات السكّان المسلمين وهجرتهم القسريّة كانت كبيرة. لذلك، باختياري التقديرات الأدنى ربما أكون أقدّم أرقامًا أقلّ من الحقيقية، ولكن بجعلي إثبات الفرضيّة أكثر صعوبة، أعتزم جعل البرهان جديرًا بالتصديق.

(28 ‹Fisher, Emigration of Muslims› منح الروس الملديفيّين والبلغار والصرب واليونانيّين أيضًا أراضيَ في القرم– نازحين من الإمبراطورية العثمانيّة. هاجر عدد كبير من اليهود إلى القرم من أمكنة أخرى في الأراضي الروسيّة ‹ Fisher, Emigration of Muslims›.

2] شرقي الأناضول والقفقاس

1. Ivan Golovin, *The Caucasus*, London, 1854.
2. On the geography of the Caucasus and Eastern Anatolia, see: W. E. D. Allen and Paul Muratoff, *Caucasian Battlefields*, Cambridge, 1953; J. C. Dewdney, *Turkey: An Introduction Geography*, New York, 1971; W. B. Fisher, *The Middle East*, London, 1950, 1978; John F. Baddeley, *The Rugged Flanks of the Caucasus*, London, 1940; "Al-Kabk" in E.I.[2], vol. IV, pp. 350-51 (D. N. MacKenzie).

(3 خدم فرسان غير نظاميين مسلمين، بمن فيهم أكراد وسكان الجبال، مع الروس في الشرق في حرب القِرَم. انظر ‹*Caucasian Battlefields, pp. 60, 67, 72, 83*›.

4. Caucasian Battlefields, p. 293.
5. Muriel Ann Atkin, "The Khanates of the eastern Caucasus and the Origins of the First Russo-Iranian War," unpublished Ph.D. dissertation, Yale University, 1978, p. 7.

(6 ‹Atkin, pp. 25-27. Atkin also notes pp. 19z200›. أمثلة أخرى على دعم رجال الدين الأرمن للروس في مطلع القرن التاسع عشر: «استمرّ أرمن وجورجيّون، خصوصًا أولئك الذين كان لهم أقارب في إيران أو كانوا متورّطين في أعمال هناك، في

أن يكونوا مصادرَ مهمة للمعلومات عند المسؤولين الروس، لذلك، كان لهم تأثير في القرارات السياسية والتكتيكيّة الروسيّة. قدّم دانييل (Daniel) المرشّح المدعوم من الروس لمنصب بطريرك الكنيسة الأرمنيّة (بعد وفاة أرغوتنسكي-دولغوروكوف) المعلومات للروس. أمر [القيصر] ألكسندر تسيتسيانوف (Tsitsianov) أن يقصد البطريرك دانييل وأتباعه على نحو خَاص للحصول على المعلومات وأن يعتمد على نصيحة دانييل. في عام (1808 م) كافأ ألكسندر دانييل برهبنة سان آن، من الدرجة الأولى، لخدماته في تقديم معلومات للروس. على مدى السنوات التالية، بينما كان الروس يقاتلون لتوسيع جبهتهم إلى الكور (Kur) والآراس (Aras) استمرّ الأرمن في إرسال رسائل إلى المسؤولين الروس يشجّعونهم فيها على الاستيلاء على المناطق التي يحكمها المسلمون وإنقاذ الأرمن من اضطهاد المسلمين».

ربما كان الروس القوة المسيحيّة الوحيدة التي يمكن أن يعتمد عليها الأرمن، لكنّ الروس كانوا يخدمون مصالحهم تمامًا واهتمامهم بالمسيحيّة موضع شكّ. على سبيل المثال، راجع تطوّر السياسة الروسيّة المبكرة والتوسع الروسيّ في القفقاس في ‹Atkin, 30, 37›.

7. Atkin, p. 139.
8. Atkin, p. 144. See also pp. 210, 219.

9) ‹H.P. Pasdermadjian, 1971: 307, 309› من الواضح أن بعض الأرمن أنفسهم شعروا بأن دعمهم للغزو الروسيّ في القفقاس حاسم. انظر ‹G. Pasdermadjian, 1918: 16›.

10) ‹See Caucasian Battelfields, pp. 148, 149› لم يكن جميع الأرمن الذين ذهبوا إلى روسيا سعيدين هناك. نقل القنصل البريطانيّ في أرضروم، تيلر، أن «عدة مئات من الأسر» الأرمنيّة عادت إلى إقليم أرضروم من روسيا ‹F.O. 195-799, no. 2, Taylor to Lyons, Erzurum, 19 May 1866›. كان هذا طبعًا مبالغة في أعداد النازحين. للاطلاع على الهجرة المضادة، انظر ‹F.O. 195-1237, no. 2, Everett to Trotter, Erzurum, 4 November 1879›.

لقصّة مثيرة للاهتمام عن تعلّق القرويّين الأرمن بالروس، انظر ‹Bilâl N. Şimşir, 1983: 54›.

11. Louise Nalbandian, The Armenian Revolutionary Movement: The Development of Armenian Political Parties through the Nineteenth Century, Berkely and Los Angeles, 1963, p. 68.
12. Nalbandian, pp. 81-82.
13. Nalbandian, pp. 173-76.

14) على سبيل المثال، أجرى نالبنديان (Nalbandian) مقابلة مع أحد الأساقفة الثوريّين «الراحل مُشيغ سيروبيان (Mushegh Seropian) رئيس أساقفة قيليقية السابق، وأحد أوائل أعضاء حزب هنتشاكيان الثوريّ»، ‹Nalbandian, 208; See also Documents sur les Atrocités Arméno-Russes, pp. 22-24›.

لا يمكن هنا بحث الدور المهم للمبشّرين البروتستانت الأميركيّين في تطوّر العصبية (nationalism) الأرمنيّة وآمال الأرمن، لكن المهتمين يمكنهم مراجعة ‹Joseph L. Grabill, 1971: 46-53›.

15. Nalbandian, p. 174.

16. Atkin, p. 144. See also pp. 82, 242.

17) «إذا كان للسلطات الروسيّة أي رغبة في وضع حدّ للمذبحة، فإنها لم تقم بأي محاولة لفعل ذلك». ‹Atkin, 259›.

18. Atkin, pp. 257-59.
19. Atkin, pp. 263-64.
20. Atkin, pp. 173-75

21) لم تكن الحركات السكانيّة الضخمة غير مألوفة كما يظن بعضهم. تنقلت أعداد كبيرة من مسلمي وأرمن القفقاس قرونًا للهرب من المجاعة أو المرض أو حكومة سيّئة أو للبحث عن أوضاع أفضل فقط. إن الأدلة على تلك التنقلات شحيحة، ولأن مصدرها الرئيس التأريخ الروسيّ، فإنها متحيّزة بالضرورة.

22. George A. Bournoutian, Eastern Armenia in the Last Decades of Persian Rule, 1807-1828 (A Political and Socioeconomic Study of the Khanate of Erivan on the Eve of the Russian Conquest), Malibu, California, 1982, p. 69.

23) ‹Bournoutian, 1982: 39, 40, 74›. إن بحث بورنوتيان دراسة ممتازة موثّقة بعناية للوضع في منطقة أروان حتى وبما فيه الفتح الروسيّ. كما إنها تشمل نظرة عامة موجزة ومفيدة عن تاريخ العلاقات الأرمنيّة الروسيّة في هذه الفترة. انظر على نحو خاص الصفحات 27–29، و38–40 عن المساعدة العسكرية الأرمنية للروس، والصفحتين 41 و42 عن التناقض الأرمني تجاه الروس.

24) «سُمح لأربعة آلاف أسرة مسيحيّة التي مُنحت (40,0001) [كذا] بمرافقة الجيش [الروسيّ]، حذت حذوها (10,000) أسرة أخرى في وقت لاحق، وهذا يعني هجرة (90,000) نفس هربًا من طغيان أسيادهم المحمّديّين» › Lieut.-General W. Monteith, 1856›. ليس مونتيث إلاّ شاهدًا منطقي، كما تشهد على ذلك جملته الأخيرة. لتقديرات أخرى، راجع ‹John F. Baddeley, 1908: 222, 223›.

(25) ‹H.F.B. Lynch, 1965: 308, 310›. أدرج باسدرماجيان، من دون ذكر المصدر، تقديرًا ل(35,000) أرمنيّ من «سلمس (Salmas) وأورمية (Urmiah)» في بلاد فارس وقال إن (100,000) أرمنيّ جاؤوا من الإمبراطورية العثمانيّة بعد حرب عامي (1828 و1829 م)، من الشكرد وقارص ووان. جرى توطين الأخيرين في أخ القلقي (Akhalkalaki) (40,000) وفي شيراق (Şirak) (12,000) وفي أروان وسوان (Sevan) ومناطق أخرى (25,000).

26. F.O. 195-562, no. 37, "Report on the Political and Military State of the Turkish Frontier in Asia" by J.I. A. Simmons, 16 November 1857.

27. For a short summary of the peoples, see Harry H. Walsh, "Ibero-Caucasian" in Richard weekes, ed., *Muslim Peoples: A World Ethnographic Survey*, Westport, Connecticut, 1978, pp. 174-80. See also, "Cerkes" in E.I.[2], vol. II, pp. 21-23 (Ch. Quelquejay) and the sources in note 2.

28) مُنحت في معاهدة غولستان (Gulistan) عام (1813 م).

29) مع أنه يمكن القول إن روسيا لم تحكمها فعلا حتى مطلع القرن التاسع عشر.

30) معاهدتا تركمنجي عام (1828 م) وأدرنة عام (1829 م).

31) (W.E.D. Allen) قال عن شامل «أعظم زعيم حرب عصابات في تاريخ الحرب» ‹Caucasian Battelfields, p. 107›.

بخصوص تاريخ شامل والفتوحات الروسيّة الأولى في القفقاس، راجع › John F. Baddeley. 1908‹ الذي لا يزال أفضل معالج للتاريخ العسكريّ لتلك الحقبة. على قارئي الكتاب أن يُدخلوا في حسابهم مَيْل باديلي الواضح. لا يمكن الاعتماد على مَن يصف القوى المسلمة الكبرى في منطقة القفقاس ب«الأتراك الذين لا يصحّ ذكرهم، والفارسيّين الذين لا يصحّ ذكرهم حتى أكثر» في أنَ يكون تحليله منطقيًا (ص 18). راجع أيضًا وصف لزلي بلانش الرائع ›Leslie Blanch, 1960‹. إن أفضل تحليلٍ حديث لثورة شامل وَمصدر ممتاز للمراجع هو ›Paul B. Henze, 1983: 5-44‹.

32) بشأن إلى نوع المعاملة التي خُصّصت للجيوش الفعليّة التي قاومت الروس (القتل مثلاً) راجع ›Baddeley, 55, 67, 89, 98‹.

33) تابع ليو تولستوي ليعلن أن الروس غيّروا التكتيكات على نحو "إنساني"، فقصفوا القرىَ بالمدفعيّة أولاً، وبعد أن هزموا الذكور القفقاس، أخذوا النساء والأطفال أسرى بدلاً من قتلهم على الفور. أثبتت الأدلّة اللاحقة أن انطباعات تولستوي بشأن تغيير السياسة لم تكن صحيحة دائمًا، إذ دُمّرت قرى كاملة حتى ستينيّات القرن التاسع عشر. انظر أيضًا › Atrocités Russe. Documents á la Conférence de Constantinople, Constantinople, 1877, pp. 12-35‹

34. F.O. 97-424, no. 29, Stevens to Russell, Trebizond, 10 October 1863. See also the petition from the Circassians, transmitted in F.O. 881-1259. Bulwer to Soukoum-kale, 29 June 1864.

35. F.O. 97-424, no. 2, Dickson to Russell, Soukoum-Kale, 17 March 1864. Consul Dickson and others reported many examples of migration to the Ottoman Empire (F.O. 881-1259, Dickson to Russell, Soukoum-Kale, 13 April 1864).

36. Comité de bienfaisances des Emigrés Politiques de la Ciscaucasiens en Turquie, Aperçu historique sur les Ciscaucasiens pendant la Guerre Mondiale, Constantinople, 1918, p. 10.

37. F.O. 81-1259, Dickson to Russell, Soukoum-Kale, 22 February 1864.

38) › F.O. 97-424, no. 260, Napier to Russell, Soukoum-Kale, 22 February 1864‹. عن الادعاء الروسي بحسن معاملة الجركس انظر › F.O. 97-424, no. 260, Napier to Russell, St. Petersburg, 19 May 1864‹. كان نابيير لطيفًا جدًا مع الروس، لكنّه شكّك في رواياتهم. كانت إفادته عن وفيات الفتح الروسيّ سهلة ودقيقة: «من الظلم النظريّ لإجراءات الحكومة الروسيّة في هذا الشأن، ربما يكون التكلّم تافهًا. لم يكن من حقّ الروس أن يقهروا القبائل الجركسيّة ولم يكن من حقهم أن يحرموها من ممتلكاتها ومن استقلالها أيضًا. هناك ظلم مضاعف» › F.O. 97-424, no. 260, Napier to Russell, St. Petersburgh, 19 May 1864‹.

39) جرى توطين سكان المستعمرات الألمان واليونانيّين والبلغار على السواحل أيضًا. انظر › Alan Fisher, 1987: 356-371‹.

40. F.O. 97-424, no. 13, Palgrave to Stanley, Trebizond, 16 May 1867.

41. F.O. 97-424, no. 6, Palgrave to Russell, Trebizond, 17 April 1867.

42) › F.O. 97-424, Palgrave to Barron, Trebizond, 26 September 1867; F.O. 97-424, Palgrave to Lyons, Trebizond, 14 July 1867‹. «جرى التأكد من

جميع الروايات بشأن العنف الذي جرى به تجريد الأبخاز وطردهم من بلادهم. تضاف إلى ذلك تفاصيل الوحشيّة غير المسوّغة؛ أكّد المنفيّون أنفسهم أن العديد من أبناء بلدهم، بعد أن أدخلوا عنوة في سفن روسيّة، تحت ذريعة نقلهم إلى تركيا، نُقلوا بدلاً من ذلك إلى كيرتش (Kertch) أو نوفوروسيسكا (Novorusiska) [كذا!] ومن ثم إلى الداخل الروسيّ. يجعل القياس السابق النقطة الرئيسة لهذه التوكيدات ممكنة جداً.
(F.O. 97-424, no. 18, Palgrave to Stanley, Trebizond, 28 May 1867).

43. F.O. 97-424, no. 13, Palgrave to Russell, Trebizond, 16 April 1867.

44) McCarthy, Bulletin of the Turkish Studies Association; Fisher "Emigration of Muslims" يذكران أنه ما بين (17–28%) من سكان الأجزاء المتأثرة من القفقاس أصبحوا نازحين «إذا كان بالإمكان الوثوق بالإحصاء الروسيّ المحض العاشر (عام 1857 م)». إنه محقّ في التشكيك في الإحصاء. أشكُّ كثيرًا في أن يكون الروس أحصوا القبائل المسلمة بدقة. إن إحصاء أقلّ من الحقيقة بكثير ممكن جدًا. يدرج فشر عددًا من التقديرات الأخرى، ويورد أحمد جواد عرن (Ahmet Cevat Eren) تقديرات عديدة عن أعداد النازحين الجركس. يُقدّم كمال قرباط على نحو ثابت أرقامًا أعلى في Kemal Karpat, 1985: 27, 67.

45) إن أرقام أعداد النازحين المسلمين القفقاس، مثل أرقام التّتار القرميين، حدسيّة. التعدادات الدقيقة غير موجودة وتقويم التقديرات يعتمد على مصداقيّة الذي قام بالتقدير الأصليّ، وليس على التحليل الإحصائيّ. للتقديرات الخاصة بي، اعتمدتُ على بيانات ثلاثة مؤرّخين هم كمال قرباط وألن فشر ومارك بنسون. يبدو أن عدد النازحين ربما كان [600,000] بين عامي (1856 م و1864 م)، و[200,000] بعد عام (1864 م). ومع ذلك، كان هؤلاء اللاجئين الناجين. يدلّ سجل وفيات القفقاس المرعبة على أن موت الثلث تقريبًا ليس مبالغة. لذلك، يبدو التقدير أن عدد الذين بدؤوا الرحلة كان (1,2) مليون والذين استقرّوا فعلاً في الإمبراطورية العثمانيّة (800,000) معقول. يجب إدراك أن هذه الأرقام ليست بحال من الأحوال ثابتة.
Fisher, 1973: 72; Pinson, 1973: 72; Karpat, 1985: 68-79, and 1972: 11. See also Comité de Bienfaisances des Emigrés Politiques de la Cis caucasie en Turqui, Aperçu Historique sur les Ciscaucasiens pendant la Guerre Mondiale, Constantinople, 1918, pp. 9ß13.

46) لم يغادر جميع الجركس أو الأبخاز كليّة. حدثت ثورات على نطاق ضيّق ضد الروس في حرب عامي (1977 و1878 م) تبعتها هجرات إضافيّة إلى الإمبراطورية العثمانيّة، خصوصًا هجرات الأبخاز. انظر Caucasian Battelfields, pp. 126-31.

47. Russia, *Premier Récénsement General de la Polpulation de l'Empire de Russie, 1897* (redigé par Nicolas Trointisky), St. Petersbourg, 1905. pp. 256-59.

48. On the Russian lack of assistance or consideration to the embarking Circassians, see F.O. 97-424, no. 287, Napier to Russell, St. Petersbourg, 1 June 1864.

49. F.O. 97-424, Stevens to Russell, Trebizond, 21 December 1863.
F.O. 195-812, Stevens to Erskine, Trebizond, 26 February 1864.
F.O. 195-812, no. 8, Stevens to Bulwer, Trebizond, 7 April 1864.

50. F.O. 97-424, Stevens to Russell, Trebizond, 19 May 1864.
51. Apreçu jistorique sur les Ciscaucasiens, p. 10.
52. F.O. 195-812, no. 10, Stevens to Bulwer, Trebizond, 19 May 1864. See also: F.O. 195-812, Stevens to Erskine, Trebizond, 13 February 1964, and F.O. 97-424, no. 9, Stevens to Bluwer, Trebizond, 15 April 1864.

53) «أصبحت الأحياء القريبة من المقابر غير قابلة للسكن بسبب الطريقة غير المتقنة في دفن القتلى، والعواقب الكريهة الصادرة من ذلك؛ هجر أسر كاملة مساكنها. القناة الرئيسة التي تُغذي سبل الشرب ملوّثة، حيث عُثر على جثة جركسيّ تطفو في ذلك المكان منذ بضعة أيام. الشوارع والساحات في حالة رديئة وقذرة؛ أصبحت المؤن شحيحة وعزيزة، والوقود مفقود تمامًا، يزيد هذا كلّه من البؤس ويفضي إلى انتشار الأمراض» ‹F.O. 881-1259, Stevens to Russel, Trebizond, 17 February 1864›.

54) «أنتم على علم بالهجرة الكبيرة والمفاجئة للجركس إلى الأراضي العثمانيّة. اكتسبت الحكومة الروسيّة الآن أرض هذا العرق الشجاع والمخلص الذي فاز بشيء واحد أفضل من الأرض- الحريّة، أو على الأقلّ بحياة متحرّرة من هيمنة عدو أجنبيّ. إنهم ينطلقون إلى السواحل مخلّدين بدفاعهم ويبحثون عن ملتجأ آمن في إمبراطورية مجاورة. باختصار، ذهبت بلاد الجركس؛ ما تبقى هو إنقاذ الجركس. إن الحكومة العثمانيّة مستعدّة لتوفر الملجأ الذي يرغبونه. لكن مواردها الماليّة لتحقيق ذلك، كما تعلمون صاحب اللورديّة، هزيلة؛ ما فعلته حتى الآن، وهذا، بالمقارنة، قليل، كان بكلفة (200,000)» ‹F.O. 881-1259, Bulwer to Russell, Constantinople, 3 May 1864›.

55) على الأرجح إن الحكومة العثمانيّة فعلت ما في وسعها للاجئين، مع أنها لا تملك الكثير لتعطيه. السجلات العثمانيّة مليئة بالإشارات المفهرسة لقرارات الحكومة بالتبرّع لمصلحة النازحين. كانت مجالس الحكومة منهمكة على نحو كبير في مداولات بشأن المعونات للاجئين. فيما يلي بعض الأمثلة على تلك الوثائق:
بشأن الوضع العام للاجئين: Cevdet داخليّة؛ 1280-#2157. (جميع ما يلي هو من الإيرادات ومصنّف على أساس المجلس الفرعيّ، العام، رقم البيان) مجلس مخصوص 1280-#1220 و1279-80-#837. داخليّة 1281-#36490 و#37096. مجلس Vala 1281-#23041، #23524، و#23323. مجلس Vala 1282-#23885، و#24004، و#24269. مجلس مخصوص 1283-#25094. مجلس Vala 1284-#26193.
بشأن الأدوية والأطباء ..إلخ الذين أُرسلوا إلى اللاجئين: مجلس Vala 1281-#23171 و#23392. مجلس مخصوص 1283-#24898. داخليّة 1285-#40688.
بشأن الدرك والموظّفين الحكوميّين الذين أُرسلوا إلى اللاجئين: مجلس Vala 1281-#23263. مجلس Vala 1282-#24727. مجلس مخصوص 1283-#25052.
بشأن المساجد التي بُنيت للاجئين والـــhocas التي أرسلت إليهم، إلى آخره: مجلس Vala 1281-#23217 و#23518 و#23617. مجلس Vala 1282-#24322. مجلس مخصوص 1283-#24791 و#24886.

هذه مجموعة صغيرة من الوثائق بخصوص الاستجابة العثمانيّة للنزوح القفقاسيّ. لسوء الحظّ أن الوثائق العثمانيّة لا تخبرنا أكثر من واقعة اهتمام العثمانيّين ونفقاتهم. سمّوا موظّفين وحدّدوا مبالغ، لكنهم لم يقدّموا إلا القليل من الوصف عن مأزق اللاجئين. حاول العثمانيّون أن يحتفظوا بسجلات دقيقة عن أعداد اللاجئين الذين وطّنوهم في الأقاليم المختلفة (راجع الإيرادات، مجلس Vala 1281-#23167 بشأن ترتيبات الحكومة العثمانيّة للتعداد السكانيّ للمهاجرين) وكثير من هذه السجلات متوافر في الأرشيف العثمانيّ. (راجع «بشأن الوضع العام للاجئين» آنفًا على سبيل المثال). ومع ذلك، لم يجرِ العثور على سجلات مجملة عن اللاجئين الجركس وفهرستها. حتى لو جرى العثور على سجلات كهذه، فإنها ستكون سجلات عن أولئك الذين وصلوا إلى الأقاليم العثمانيّة المختلفة فقط، وليس عن أولئك الذين بدؤوا الرحلة. (انظر ‹Fisher, Emigration of Muslims› بشأن أعداد اللاجئين الممكنة).

56) ‹F.O. 97-424, Dickson to Stuart, Pera, 5 December 1864› انظر أيضًا برقية دكسون في 9 تشرين الثاني عام (1864 م) ضمن المجموعة نفسها، حيث تُدرج (74,206) جركس ومكان وجهتهم.

57. Report of R. H. Lang, Acting Counsul, in F.O. 97-424, no. 81, Stuart to Russell, Therapia, 30 October 1864.

58. See F.O. 97-424, no. 9, Palgrave to Stanley, Trebizond, 26 April 1867, and F.O. 97-424, no. 13, Palgrave to Stanley, Trebizond, 16 May 1867.

59. F.O. 195-812, no. 9, Stevens to Bulwer, Trebizond, 15 April 1864.

60. F.O. 195-812, no. 10, Stevens to Bulwer, Trebizond, 19 May 1864.

61. F.O. 195-812, no. 4, Stevens to Erskine, Trebizond, 17 February 1864, and F.O. 97-424, no. 3, Stevens to Russell, Trebizond, 17 February 1864.

62. F.O. 97-424, Dickson to Stuart, Pera, 14 December 1864.

63. On the problem raised by Circassian settlement in Ottoman Europe, see Mark Pinson, "Ottoman Colonization," pp. 78-82.

64. F.O. 195-762, Stevens to Russell, Trebizond, 10 October 1863.

65. F.O. 97-424, no. 6, Palgrave to Russell, Trebizond, 17 April 1867.

66) عن تمرد الكرد في هكاري في عام (1879 م) انظر ‹F.O. 195-1237, no. 80, Trotter to Layard, Erzuroum, 5 September 1879. Also F.O. 195-1237, Clayton to Trotter, Van, 19 August 1879, F.O. 195-1237, no. 83, Trotter to Layard, 12 September 1879, especially the two enclosures from Captain Clayton in Diyarbakr. F.O. 195-1237, no. 89 Trotter to Layard, Erzuroum 17 September 1879, and 27 September, including enclosures from Captain Clayton. F.O. 195-1237›. الأخير يغطي كثير من المراسلات الأخرى عن التمرد الكردي الذي انتهى فعليًا عندما هزمت الجيوش النظامية العثمانية الأكرد ونفت قادتهم إلى ألبانيا.

جرت تغطية وضع الكرد قبالة الجيش العثمانيّ والمسلمين المحلّيين والسكان المسيحيّين على نحو شامل في ‹C.B. Norman, 1878›. ولكن، على المرء أن يُدخل في حسابه تعاطف نورمان الشديد مع الروس وحماسته ضدّ الأتراك، ما يجعل كلّ ما كتبه موضع ريبة. إذ ظن، على سبيل المثال، أن الأتراك كانوا مذنبين في مباشرتهم لحرب عامي (1877-1878 م). استقصى نورمان على نحو خاص أمثلة على النهب الكرديّ.

في بعض الأحيان، تولّىَ القرويّون تخطيط وتنفيذ الانتقام من مضطهديهم أنفسهم. ‹F.O. 78-2992, no. 3, Biliotti to Salisbury, Trebizond, 18 January 1879›.
أحد أفضل المصادر عن الشرق العثماني حتى عام (1890 م) وعن الكُرد والأرمن، هو أوّل كتابين لبلال إن. شمشير ‹Bilâl N. Şimşir, 1983, Vol. I (-1880) and Vol. II (1880-1890)›. الإشارة هنا هي لأرقام الوثائق وليس الصفحات.

67) بشأن التمردات ، انظر ‹Hassan Arfa, 1966:23-25; Arshak Safrastian, 1948:45-62›. لسوء الحظّ، ليس هناك تاريخ واف عن الكرد. كثيرًا ما يشابه كتاب (Arfa) القصير السخف، مع كثير من الأخطاء الحقيقيّة، وتوجّه كتاب سافراستيان مجاملًا للأتراك على نحو واضح. يلقي سافراستيان اللوم على العثمانيّين، على سبيل المثال، لإيقافهم غارات الكرد على المدنيّين. إنه يرى أن إعاقة أعمال الكرد هذه إنما هي فرض ظالم للسلطة التركيّة.

68) ‹Lynch, Vol. II:421› ذكر أن الكُرد «استغلّوا قوة ضدّ الأخرى» في حرب عامي (1829 م و1854 م).

69) كان تشارلز وِليَمز مخطئًا إلى حدّ سخيف، تمامًا كما كان في أكثر الأحيان، بخصوص استرداد القواتَ العثمانيّة لبايزيد. (للتاريخ الحقيقي، انظر ‹Caucasian Battlefields, page 148, and F.O. 65-978, no. 121, Ricketts to Derby, Tiflis, 2 October 1877›). ومع ذلك، فإن تحليله لموقف الكرد والجركس يستحقّ الملاحظة. وصف الجركس والكُرد في الجيش العثماني بممزّقين لانضباط الجند، لكنهم عناصر أسس للجيش، لأنهم في الحقيقة وفروا سلاح الفرسان الوحيد المتاح. (تشارلز وِليَمز «أحد المراسلين الخاصّين المرتبطين بمساعدي غازي أحمد مختار باشا» ‹The Armenian Campaign, 1878:129-130›).

70. F.O. 195-1100, no. 46, Zohrab to Derby, Erzeroum, 8 August 1876, enclosure, "Extract from a letter from the Reverend George Knapp to Consul Zohrab, dated Bitlis 25th July 1876."

71. F.O. 195-1237, Clayton to Trotter, Van, 19 August 1879.

72) يحدث هذا إلى حدّ ما في أي دولة في حالة حرب. أظهرت القفقاس الروسيّة زيادة كبيرة في الجرائم في الوقت نفسه، مع أنها لا تضاهي خطورة الوضع في الإمبراطورية العثمانيّة. انظر ‹F.O. 65-928, Ricketts to Derby, Tiflis, 26 August 1877›.
حتى قبل حرب عامي (1877–1878 م) كانت القوات أقلّ بكثير من أن تستطيع حماية الشرق. اشتكى القنصل البريطاني زوراب (Zohrab) في أرضروم الذي كان الوحيد المهتمّ بمشكلات السكّان الأرمن، مرارًا من الوضع السيئ هناك. في تبادل مع الحاكم العثماني لأرضروم، تلقّى ردًّا صريحًا تمامًا: «أخبرني سميح باشا بكلّ صراحة بأنه لا يستطيع الاستغناء عن قوات لتتمركز في بتليس، إذ، كما قال، لو أعطى جنودًا لحماية كل بلدة مهدّدة الآن من الكُرد لبقي من دون جيش يدافع عن الجبهة أو يحمي القلاع . . » ‹F.O. 195-1140, no. 13, Zohrab to Layard, Erzeroum, 3 January 1877; See also F.O. 195-1187, no. 109, Biliotti to Layard, Trebizond, 30 July 1878›.

73) قال الكُرد المنقذون إنهم تصرّفوا لأن مواطني المدينة كانوا «زبائنهم». ‹F.O. 78-2623, no. 58, Zohrab to Derby, Erzeroum, 12 July 1877› محتوى، «مقتطف

من رسالة من الأب جي ناب (G. Knapp) مبشّر أميركيّ في بتليس». في روايات كهذه، كان الأب ناب مصدرًا موثوقًا نوعًا ما، لأن المسيحيّين لم يدخلوا في الرواية. حيث ظهر الأرمن، وقف تحيّزه في طريق صحّة شهادته. من المثير للاهتمام، أن حل المبشّرين لمشكلات الشرق التي خلقها الاحتياح الروسيّ كان أن الروس يجب أن ينتصروا! صرّحوا بآمالهم أن يُهزم العثمانيّون بسرعة علنًا. (يتساءل المرء عما إذا كان لديهم أي فكرة عن الاستقبال الروسيّ الرديء تقليديّـًا للمبشّرين البروتستانت).

74) كثيرًا ما عبر الكُرد الحدود الفارسيّة بالاتّجاهَين لشنّ غارات أو الهروب من العقاب. في إحدى المناسبات على الأقلّ، لاحقتهم قوات الدرك عبر الحدود «لتشتبك مع بعض القبائل الكرديّة الأكثر تهوّرًا» ‹F.O. 424-169, no. 2/1, Devey to Lloyd, Van, 6 December 1890, in British Documents II, no. 383›.

75) حاول البريطانيّون المنتصرون حديثًا في الحرب العالمية الأولى إخضاع أكراد جنوب شرقي الأناضول حيث يستطيعون الاستيلاء على المنطقة جزءًا من انتدابهم للعراق. أخفقوا إلى حدّ بعيد. ‹Paul C. Helmreich, 1974: 26, 27, 203-205›. تُبرهن حقيقة أن العثمانيّين ثمّ الجمهورية التركيّة استطاعوا بسط السلطة هناك أن ولاء الكُرد أشدّ مما يمكن توقّعه.

76. F.O. 195-1237, no. 22, Trotter to Malet, Diarbekir, 22 March 1879.
77. F.O. 195-1237, no. 22, Trotter to Malet, Diarbekir, 22 March 1879.
78. F.O. 195-1237, no. 22, Trotter to Malet, Diarbekir, 22 March 1879.

79) ‹F.O. 195-1237, no. 22, Trotter to Malet, Diarbekir, 22 March 1879›. كان لترُتر آمال كبيرة في أن تكون للوجود الأورُبيّ تأثيرات مفيدة. «فعلت أخبار وصول القنصل البريطاني وتمركزه في ديار بكر الكثير في تهدئة هذه القبائل المتمرّدة على القانون». من غير ريب.

80. On the financial condition of the empire, see Şevket Pamuk, "Foreign Trade, Foreign Capital, and the peripheralization of the Ottoman Empire," Ph.D dissertation, University of California at Berkeley, 1978; Charles Issawi, *An Economic History of the Middle east and North Africa*, New York, 1982, chapter 1; Roger Owen, *The Middle east in the World Economy, 1800-1914*, London, 1981; and the bibliographies in each.

81. F.O. 195-1237, Trotter to Layard, Erzeroum, 16 Sebtember 1879. See also F.O. 195-1237, no. 14, Trotter to Salisbury, Diarbekir, 28 December 1878.

82) ‹Turkey no. 51 (1979), p. 12-16, no. 4, Layard to Salisbury, Therapia, 30 October 1878 in British Documents I, no. 11›. لم يكن متوافرًا من الميزانيّة العثمانيّة السنويّة إلاّ (11,4%) فقط لكل أعمال وزارة الداخليّة عام (1875 م). كانت تلك الوزارة مسؤولة عن كل النظام العام والإدارة في الأقاليم ‹Shaw, p. 155›.

83) ‹F.O. 78-2844, no. 29, Biliotti to Derby, Trebizond, 25 February 1878›. لدى قراءة التقارير الأورُبيّة عن الهجمات الكرديّة، من الصعب في كثير من الأحيان معرفة إذا كان يجري اختيار الأرمن للنهب الكرديّ أم أن الأورُبيّين ينقلون الخسائر الأرمنيّة فحسب. على سبيل المثال، في التقرير السابق، ذكر القنصل بيليوتي أن «هناك ذعرًا بين الأرمن» وأورد عددًا من الوفيات في قرى مختلفة. لم يُشر في الحقيقة إلى أن

الوفيات كانت وفيات أرمنيّة. وُصف الشخص الوحيد الذي اخير على نحو انتقائيّ بأن الكرد قتلوه لأنه «مسلم محبّ للأرمن». ربما تكون الحقيقة أن جميع السكان المقيمين عانوا، والأرمن ربما أكثر من غيرهم. لأن النشاط الرئيس للمغيرين الكرد كان السرقة ولأن الأرمن كانوا بحسب جميع الروايات أغنى من المجموعات الأخرى، فمن غير المألوف ألاّ يتجشموا خسائر أكبر. كانت الكراهية لغير المسلمين سببًا ثانويًّا للتمييز ضد الأرمن وأقلّ شأنًا بكثير. بخصوص العلاقات بين الأرمن والكرد، انظر ‹ Lynch, vol. II, pp. 431-33›.

84. Rassam to Layard, Van, 15 October 1877, in *British Documents I*, no. 43.

85. On the "normal"activities of the tribes against Muslims and Armenians, see Turkey No. 23 (1880), no. 147, Calyton to Trotter, Van, 25 May 1880, in *British Documents II*, no. 9.

86. F.O. 78-1017, no. 2, Holmes to de Redcliffe, Diarbekir, 7 November 1854.

87. F.O. 195-1187, no. 168, Biliotti to Layard, Trebizond, 25 October 1878. On other Kurdish revolts in the 1877-78 war, see F.O. 195-1237, no. 6, Trotter to Salisbury, Erzeroom, 28 November 1878.

88. F.O. 195-1237, Trotter to Layard, Erzeroum, 19 September 1879.

89. F.O. 78-3132, no. 7, Trotter to Salisbury, Diarbekir, 3 March 1879 and no. 9, 17 March 1879.

90) السجلات القنصليّة مليئة بالتحرّكات العسكرية ضد القبائل الكرديّة. أرسل العثمانيّون كتائبَ من القوات من جميع أنحاء الشرق لإخماد ثورات عام (1879 م). حتى إنه جرى استخدام قبائل كرديّة موالية لتقاتل القبائل الخائنة. انظر ‹ F.O. 195-1237, Trotter to Layard, Erzeroum, 2 October 1879›.

91) تحوي تقارير الدبلوماسيّين البريطانيّين أمثلة عديدة عن تذمّر الأوربيّين من سَجن أرمن أُدينوا بالخيانة، خصوصًا الأساقفة ورجال الدين الأرمن المدانين.

92. F.O. 78-3137, Biliotti to Salisbury, Tripoli, 1 October 1880.

93. See F.O. 195-1237, no. 22, Trotter to Malet, Diarbekir, 22 March 1879.

94. F.O. 195-799, no. 1, Taylor to Lyons, Erzerum, 3 November 1865.

95. F.O. 195-799, Taylor to Lyons, Erzerum, 25 November 1865.

96) ‹ F.O. 195-1237, no. 3, Trotter to Salisbury, Diyarbekir, 17 June 1879. See also F.O. 222-1, Kitchener to Wilson, Ada Bazar, 29 August 1879; F.O. 222-1 Layard to Kitchener, Therapia 23 August 1879; F.O. 195-1141, no. 59, Biliotti to Layard, Trebizond, 8 August 1877; F.O. 78-2987, Stuart to Wilson, Konieh, 31 July 1879›. كثيرًا ما كانت تُفهم مشكلات الجركس من وجهة نظر غريبة وهي أن توطين الجركس في الإمبراطورية العثمانيّة كان إجراء ضدّ الأرمن. على سبيل المثال، ظن إيه. أو. سركيسيان (A. O. Sarkissian) أن الجركس «شُجّعوا على نحو خاص على التوجّه إلى الأقاليم الأرمنيّة» وهذا، نظرًا إلى مخطّطات الاستيطان، هراء فقط. ‹A.O. Sarkissian, 1938›.

97) على سبيل المثال، انظر ‹ F.O. 78-3137, Biliotti to Secretary of State for Foreign Affairs, Tcharchamba, 23 August 1880›. قام بيليوتي، القنصل البريطانيّ في طربزون، بجولة واسعة على منطقته القنصليّة في عام (1880 م) ربما ما إن أُتيح له ذلك من الناحية العمليّة بعد الحرب. كان مهتمًا على نحو خاص بحالة القرى

التي جرى توطين المهاجرين المسلمين فيها وبخطط هجرة المسيحيّين إلى روسيا. أرسل تقاريرَ مفصّلة إلى لندن عن الظاهرتَين.

98. F.O. 78-3137, Biliotti to Principal Secretary of State for Foreign Affaires, Samsoon, 31 August 1880.

3] بلغاريا

1) يحقّق المحقّق البريطانيّ كَلن (Cullen) في وضع اللاجئين المسلمين لمصلحة القوى في مؤتمر برلين. (انظر الهامشَ 166).
«لا يمكن أولئك الذين شاهدوا إجراءات الروس أن يشكّوا إلاّ بشقّ الأنفس في أن هدفهم المتعمّد كان طرد العرق التركيّ من الأقاليم التي احتلّوها واستبدال العرق السلافيّ به. هكذا كانت سياسة روسيا في البلدان الأخرى التي احتلتها» ‹F.O. 424-67-Confidential [3598], no. 97, Layard to Derby, Constantinople, 21 January 1878, quoted in Bilâl N. Şimşir, 1968:153›. (لا ريب في أن كتاب شمشير هو أثمن كتاب جرى جمعه عن مسألة المسلمين البلغار في تلك الفترة).

2) ليست هناك روايات محايدة فعلاً عن أهوال البلغار. على سبيل المثال، لا تُقدّم الكتب الآتي ذكرها، مثل كتب أخرى كثيرة، إلاّ القليل من المساعدة في فهم خسائر سكان بلغاريا المسلمين. نادرًا ما تأتي هذه الكتب على ذكر السكان المدنيّين، خصوصًا المسلمين. والكتب هي ‹Tsenko Genov, 1979: 136-53; Valentine Baker, 1897; F.V. Green, Report on the Russian Army and its Campaigns in Turkey›. لإفادة أكثر توازنًا، انظر ‹Millmann, Eastern question, pp. 125-89; Millmann, 1980:218-31›.

3. L. S. Stavrianos, *The Balkans Since 1453*, New York, 1958, p. 379.
4. An estimate in I. H. Danşmend's *Izahli Osmanh Tarihi Kronolojisi*, book 4, Istanbul, 1972, where it is also stated that 3,000 houses were destroyed.
5. F.O. 195-1137, Dupuis to Layard, Adrianople, 10 July 1877. Rape led to rape and murder to murder. Seldom, of course, were the guilty those who suffered the retribution.

6) لم يكن المسيحيّون بحال من الأحوال الوحيدين الذين عانوا النهب الجركسيّ. انظر تقارير كثيرة في ‹F.O. 222-1 e.g., two reports from H.H. Kitchner, who had been sent to Adapazari specifically to report on the Circassians, on 29 August and 3 September 1879›. خاف الجميع، بصرف النظر عن الدين، اللاجئين الجركس الذين أُرسلوا إلى العالم العربيّ.

7. See F.O. 195-1077, Reade to Elliot, Rutschuk, 3 May 1876, in which Reade predicts problems with Circassians.
8. F.O. 195-1077, Reade to Elliot, Rutschuk, 9 May 1876.
9. F.O. 195-1077, no. 30, Reade to Elliot, Rutschuk, 19 July 1876.
10. See F.O. 195-1073, Dupuis to Elliot, Philippopolis, 29 August 1876.
11. F.O. 195-1077, Burgas, Brophy to Elliot, 27 May 1876.
For other examples, see F.O. 195-1073, Dupuis to Elliot, Adrianople, 26 May 1876.

12) زعم العثمانيّون أن القرويّين قاتلوا القوات العثمانيّة، لكن ذلك يبدو بعيد الإمكان. انظر ‹F.O. 195-1077, Brophy to Layard, Burgas, 20 August 1876›.

13) ‹F.O. 195-1077, Reade to Elliot, Constantinople, 4 January 1877› (تقرير عن محضر جلسة لجنة شفقت باشا للتحقيق). ثمة أرقام مختلفة أخرى، مضخّمة كثيرًا، لكن يبدو أن هذه الأرقام هي أكثر الإحصائيات المجمّعة دقة. استنتجتها لجنة مفوّضة بالتحقيق، ولم يستنتجها صحافي ذو خيال خصب.

14) من الجدير بالذكر أن الروس أيضًا استخدموا العنف التحذيريّ في الحرب الروسيّة التركيّة (1877–1878 م) وبعدها. (إن تعبير 'الحرب الروسيّة التركيّة' المستخدم هنا بتكرار متعارف عليه، لكنه مضلّل. التعبير الأصحّ هو 'الحرب الروسيّة العثمانيّة'). على سبيل المثال، جرى نهب قرية تيمورجيلر المسلمة وقتل جميع الذين لم يستطيعوا الفرار لأن قفقزيّـــا قتل في القرية ‹F.O. 195-1185, no. 66, Calvert to Layard, Adrianople, 2 November 1878›.

15. F.O. 78-2496, no. 43, Blunt to Elliot, Salonica, 21 July 1876.

16. F.O. 195-1077, Burgas, Brophy to Elliot, 22 July 1876, and 26 August 1876.

17. F.O. 195-1077, Burgas, Brophy to Elliot, 29 October 1875.

18. F.O. 195-1077, Burgas, Brophy to Elliot, 14 September 1876 and F.O. 195-1073, no. 27, Dupuis to Elliot, Adrianople, 8 October 1875.

19) لوصف لنجاحات الجهود العثمانيّة وإخفاقاتها والصعاب العامة التي واجهتها، انظر ‹F.O. 195-1073, no. 5, Dupuis to Elliot, Philippopolis, 6 September 1876›.

20) نقل القنصل ريد في روسجك أن المشكلة الرئيسة في قمع اضطرابات الجركس والجند غير النظاميّين كانت ضعف العثمانيّين «بسبب العدد القليل من رجال الشرطة الذين تحت تصرّفهم» ‹F.O. 195-1077, no. 47, Reade to Elliot, Tutschuk, 5 October 1876›.

21) ‹F.O. 195-1077, 17 May 1876› «الحقيقة هي أن السلطات المحليّة لا تملك وسائل قمع كافية تحت تصرّفها» ‹F.O. 78-2496, Blunt to Elliot, Salonica, 25 September 1876›.

22) الجبل الأسود أعلن الحرب على الإمبراطورية العثمانيّة في (30 حزيران 1876 م) وصربيا في (2 تمّوز).

23) ‹F.O. 78-2496, Blunt to Elliot, Salonica, 25 September 1876. See also the extensive accounts in F.O. 195-1077, no. 114 and F.O. 195-1137›. يمكن إيجاد صورة مفصّلة عما حدث أو لم يحدث في الأهوال في ‹F.O. 195-1073, Dupuis to Elliot, Adrianople, 7 August 1876; F.O. 78-2490, Dupuis to Her Brittanic Majesty's Secretary of State, Adrianople, 7 August 1876›. لتقويم متعاطف تقريبًا للمعاملة التركيّة للبلغار، انظر ‹Charles S. Ryan, 1897:22-23›.

24. F.O. 195-1077, Reade to Elliot, Rutschuk, 5 October 1877, F.O. 78-2496, Blunt to Derby, Salonica, 23 August 1876, F.O. 195-1073, Dupuis to Elliot, Adrianople, 7 August 1876.

25. See R. T. Shannon, *Gladstone and the Bulgarian Agitation of 1876*, London, 1963 and Walter G. Wirrhwein, *Britain and the Balkan Crisis*, 1875-1878, New York, 1935.

26) تقدير لجنة التحقيق العثمانيّة. هذا الاختلاف في الأرقام واحد من اختلافات كثيرة تحدث في الوثائق عن أهوال البلغار. فبينما يبدو أن الحكومة العثمانيّة والأوروبّيين اتّفقوا عمومًا على المجازر الأخيرة ضدّ المسلمين، فإنهم اختلفوا في كثير من الأحيان في الأهوال. على سبيل المثال، اتّهم العثمانيّون القنصل بروفي بإرساله تقارير زائفة عن الأعمال الوحشية للجركس والجند غير النظاميّين، وقدّم العثمانيّون شهادات بلغار كانوا «على أرض الحدث» لدحض مزاعمه. ردّ بروفي بأن الشهادات كانت قسريّة ‹ F.O. 195-1077, Brophy to Layard, Burgas, 16 September 1878›.

27) تقدير الموظّف القنصليّ الأميركيّ شويلر (Schuyler) الذي أجرى تحقيقه مع مراسل من الأخبار اليوميّة (Daily News) المناهضة للأتراك ومترجم بلغاريّ.
ستبقى مسألة أعداد القتلى في الأهوال البلغاريّة مفتوحة دائمًا. ليس هناك طريقة للفصل إحصائيّــا بين وفيات المسيحيّين البلغار في الأهوال والوفيات التي حدثت في وقت لاحق في الحرب. كانت تقديرات شويلر، والتقديرات المضخّمة كثيرًا التي ظهرت بعد ذلك، تخمينات فقط جرى استنتاجها من روايات «شهود عيان» مسيحيّين بلغار، تروى عادة بطريقة غير مباشرة. يجب ألا أن تكون هناك حاجة هنا لإثبات خطأ استنتاج المرء لأرقامه من أولئك الذين كان لهم اهتمام متأصّل في زيادة تقديراتهم إلى حدها الأعلى. بالمقابل، كان يهمّ الحكومة العثمانيّة أن تخفض تقديراتها إلى حدها الأدنى.

28) وجدتُ أكثر الإفادات دقة، ولو أنها مختصرة، عن الأهوال في ‹ Charles and Barbara Jelavich, 1977, Chapter9›: «منهمكة في مكان آخر، لم يكن لدى الحكومة العثمانيّة إلاّ عدد محدود من الجنود النظاميّين لترسلهم ضد المتمرّدين. من ثم، كانت مضطرّة إلى استخدام مفارز. كان إحساس العثمانيّين قويّــا جدًا نظرًا إلى أن المتمرّدين البلغار، مثل بقية شعوب البلقان في أوضاع مماثلة، قتلوا المدنيّين الأتراك المقيمين. علاوة على ذلك، لم تُقمع الثورة إلاّ بعد قتال عنيف وبعد ارتكاب الطرفين للأعمال الوحشية. كان للانتقامات العثمانيّة، المعروفة بالأهوال البلغاريّة، دعاية كبيرة في أوروبة حيث لا تُعرف إلاّ الرواية البلغاريّة للقصّة . .» (ص 139).

29) طالب مؤتمر القسطنطينيّة، الذي باشر أعماله في (12 كانون الأول 1876 م) بأن يقبل الأتراك بإقليمَين متمتّعَين بالحكم الذاتيّ في بلغاريا، بوسنة-هرسك متّحدة ومتمتّعة بحكم ذاتي، وبجبل أسود أوسع ومن دون فقدان أراضٍ صربيّة، مع الانتصار العثماني على صربيا. بدعم من دزرايلي، رفض العثمانيّون.

30) ذكرت الحكومة العثمانيّة أن عددًا قليلاً من المدنيّين بقوا في روسجك حين بدأ القصف الروسيّ «Rusçuk'un 25.000'e yakin nüfusundan pek az kalip...» في ‹ Şimşir I, 14›.

31) أحد التعليقات المثير للاهتمام على الحكم الروسيّ البلغاريّ في بلغاريا هو التغيّر في آراء القناصل البريطانيّين بخصوص الأتراك والبلغار. قبل عام (1877 م) كان المرء يأمل في أحسن الأحوال أن يري قنصلاً مناهضًا للأتراك على نحو معتدل. لم يكن التعاطف مع الأتراك أمرًا واردًا مطلقا. وجد قناصل مثل بروفي وريد، أتينا على ذكرهما مرارًا هنا،

القليل من الأمور الجيدة التي يمكن ذكرها عن الحكومة العثمانيّة أو الأتراك. كانت تقارَن الحكومة العثمانيّة بالحكومة البريطانيّة باستمرار وتوجد مفقودة. تغيّرت تلك الآراء في أثناء الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) وبعدها، إذ كان لدى القناصل شيء يمكن مقارنة العثمانيّين به على نحو إيجابيّ، نظام الحكم الذي خَلَفهم. كان التعاطف مع مأزق المسلمين واضحًا، ولكن هكذا كان أيضًا التقويم الأكثر حصافة لحالة بلغاريا تحت الحكم العثماني، خسران جرى التفجّع عليه. القنصل البريطانيّ بروفي في برغوس:

«مضى على وجودي في هذا البلد أكثر من عشر سنوات وخدمتُ مدة ثماني سنوات نائبًا للقنصل: كنتُ دائمًا من أول الذين يُعلمون سفارة صاحبة الجلالة بالمفاسد تمامًا كما كانت في الحكومة المحليّة التركيّة التي لم تكن قليلة بحال من الأحوال، ولكن يجب عليّ أن أقول إنه بعد تجربتي لبعض، أسوأ– لأنها الأصعب– مرحلة من الحكم التركيّ هنا، لست متعجبًا قط من أنه تحت الإدارة الاسميّة للقوى الأوربيّة العظمى، وبعد ستّة أشهر من حكم (على الأقلّ في منطقتي) غير مُتنازع عليه، لا أستطيع أن أقول إلاّ إن حالة السنجق الأخيرة أسوأ بعشر مرّات من حالته الأولى» ‹ F.O. 195-1189, no. 36, Brophy to Layard, Bourgas, 9 September 1878›.

32. Arifi Paşa to the Ottoman Embassy in Paris, 21 July 1877, quoted in *Atrocités Russes*, p. 16, my translation. The statement appeared in English papers on 23 July 1877 (Wirthwein, p. 255). For a list of wounds on women and children in Edirne, which further proves this point, see F.O. 195-1137, no. 90, Blunt to Elliot, 6 August 1877, enclosure no. 8. see also F.O. 424-59-Confidential (3344), pp. 18-19, no. 22, quoted in Şimşir I.

33) لا تعطي المصادر وصفًا مفصّلاً عن الوحدات القوزاقيّة المتورّطة قط، تذكر عادة أن عملاً ما، كثيرًا ما يكون وحشيـــًا، ارتكبه «القوزاق».

34) يمكن أن يُسامَح المرء إذا، بقراءة الأعمال الوحشية المختلفة التي ارتُكبت بحقّ أتراك البلقان، بدا وكأنّ الأعمال الوحشية ملفّقة، أو على الأقلّ مضخّمة كثيرًا، من أولئك الذين يُزعم أنهم عانوا. إن أحد الردود على ذلك هو نوع الأدلّة التوكيديّة التي قدّمها القناصل والمراسلون ومراقبون أوربيّون آخرون. ومع ذلك، أظن أن الأدلّة المستنتجة من اللاجئين المسلمين موثوقة في ذاتها عمومًا. إن الذين تعاملوا مع الأتراك في أعوام (1876–1878 م) فترة طويلة يعترفون بأنه من غير الممكن أن يبالغ الأتراك في معاناتهم. والعكس تمامًا كان صحيحًا– كان من غير الممكن أن يذكر الأتراك هزائمهم أو يقلّلوا من شأنها، وكانت مجازر أتراك البلقان هزيمة منكرة. تحدّث القنصل البريطاني بلانت في أدرنة عن صعوبة دفع الأتراك للحديث عن معاناتهم، بسبب «كره الأتراك المعتاد للحديث عن المعاملات المهينة التي أصيب بها أيّ منهم. (إنها السياسة ذاتها، أحبّ أن أضيف، التي دفعتهم إلى إخفاء، التشويهات التي مارسها جنود الجبل الأسود باستمرار على ضحاياهم الأتراك بدلاً من التبليغ عنها)» ‹ F.O. 195-1137, no. 90, Blunt to Layard, Adrianople, 6 August 1877›.

35) ‹ F.O. 195-1184, Blunt to Layard, Adrianople, no. 20, 5 January 1878, and no. 20, 13 January 1878›. علق بلانت على الخلاف بشأن استخدام القطارات

لنقل القوات أو اللاجئين، في حين عدم نقل اللاجئين سيعني موتهم. كثيرًا ما كانت احتياجات اللاجئين تفوز، معرقلة المجهود الحربيّ العثماني إلى حد بعيد.

36. Necati Ökse, "The Turco-Russian War (1877-1878)," *Revue Internationale d'Histoire Militaire*, vol. 46 (1980), p. 158.

37) «كلّ ما يجري في هذه الأمور إنما يُظهر أن هدف الروس المقرّر هو طرد جميع المسلمين من البلد- ولكن من تصريحاتهم المتكرّرة أمام أورُبة بشأن هذا الموضوع يتركون ذلك كليّة للبلغار الذين يفهمونهم، ونظرًا إلى أن كراهية الأخيرين الفطريّة الموسومة بالحقد لجميع من في البلد خارج مجتمعهم كانت دائمًا موضوع رداءة سمعة شاملة، يمكنكم صاحب السعادة أن تتصوّروا الحيويّة البالغة التي ينفذون بها وجهات نظر الروس» ‹F.O. 195-1189, Reade to Layard, Varna, 14 June 1878›.

38. For two good examples of this, see F.O. 195-1137, no. 66 Blunt to Layard, Adrianople, 14 July 1877 and F.O. 195-1137, no. 69, Blunt to Layard, Philippopolis, 19 July 1877. Both transmit reported by Vice-Consul Calvert, who investigate the reports in person. See also, no. 82, Blunt to Layard, Adrianople, July 1877.

39. These reports were collected by Edmund Calvert (enclosure in F.O. 195-1137 no. 90, Blunt to Layard, Adrianople, 9 August 1877). (Unless F. R. J. Calvert is indicated, all future references to Calvert are Edmund Calvert.) See also Layard to Derby, 5 August 1877, quoted in Şimşir I, number 74.

40) ‹F.O. 195-1137, no. 33, Dupuis to Blunt, Adrianople, 6 August 1877›. في رقم (88) (enclosure in Blunt to Layard, Adrianople, 3 August 1877) أعطى القنصل بلنت سليمان باشا تقريرًا عن الأحداث في أسكي صغرى وذكر أنه أخبر سليمان باشا بأنه لن يصدّق أشياء كهذه ما لم يجرِ إثباتها. شاهد الدليل بعد ذلك (رقم 90) وكان مقتنعًا.

41. F.O. 195-1137, no. 90, Blunt to Layard, Adrianople, 6 August 1877.
42. F.O. 195-1137 no. 90, Calvert to Blunt, Kyzanlik, 15 July 1877.
43. Safvert Paşa, quoted in Şimşir I, number 26.
44. F.O. 195-1137, Blunt to Layard, Adrianople, 1 August 1877.
45. Safvert Paşa, quoted in Şimşir I, number 26 and Layard to Derby, 14 July 1877, quoted in Şimşir I, number 27. See also, F.O. 78-2582, no. 967, Layard to Derby, Therapia, 21 August 1877.

46) على سبيل المثال، التقرير بخصوص وجود مئة قتيل حين دخل «الروس» إلى قرية إيسوا (Issova) ‹F.O. 78-2582, no. 967, Layard to Derby, Therapia, 21 August 1877›.

47. F.O. 195-1137, no. 90, Blunt to Layard, Adrianople, 6 August 1877.
48. F.O. 195-1137, Telegram from Blunt to Embassy, Kyzanlik, 14 July 1877.

49) وصف ولينغتون ليك (Wellington Lake) («جرّاح مستشفى ستافورد هاوس القديم في روسجك») قصف الروس للمستشفى وتدميره، شاجبًا تجاهلهم المتعمّد لمعاهدة جنيف. متفادية المستشفى البلغاريّ في المدينة، دمّرت المدفعية الروسيّة مستشفى ستافورد هاوس البريطاني الذي عالج الأتراك، مع أن الروس كانوا يعلمون أنه مستشفى، حقيقة أثبتها ليك على نحو حاسم. صرّح بأن الأفكار الأورُبيّة المعتادة عن الروس والأتراك مغلوطة، كانت «أورُبة كلها» ستدين تركيا لو أنها فعلت شيئًا شنيعًا

كهذا، «لكنّ الأتراك لم يهاجموا المستشفى الروسيّ قط. في كلّ ناحية، تضع روسيا نفسها على المستوى نفسه مع أسوأ الهمجيّين والمتوحّشين، وأيّ تقريع لن يكون شديدًا ما فيه الكفاية» ‹ F.O. 195-1189, 5 Stafford House Committee, Varna, 11 January 1878›.

50. Safvert Paşa to the Ottoman Mission in Paris, 16 July 1877, quoted in Şimşir I, p. 141.

51. F.O. 424-57-Confidential 3321, p. 132, No. 258, Layard to Derby, Constantinople, 14 July 1877, quoted in Şimşir I, p. 135.

52. Turkey No. 28 (1877), quoted in Şimşir I, p. 136, Blunt to Layard, Kyzanlik, 14 July 1877.

53) «حين وصل الروس إلى جمعة من قسطنديل دعوا السكّان المقيمين واللاجئين إلى الاستسلام والتخلي عن أسلحتهم. أعطى الأخيرون الردّ المعتاد بأنهم على استعداد لفعل ذلك إذا تعهّد الروس بضمان أرواحهم وممتلكاتهم. أحضر الروس عندئذ أربعة مدافع في الليل وقصفوا المكان مدمّرين بيوت المسيحيّين والمسلمين على السوّاء. فرّ المسلمون بعد ذلك إلى الجبال مخلّفين قتلاهم وجرحاهم» ‹ F.O. 195-1184, no. 13, E. Calvert to Layard, Adrianople, 8 May 1878›.

54. F.O. 195-1044, no. 56, Reade to Elliot, Varna, 28 July 1877.

55) تتيجة لهذا العمل، أعفي حاكم القضاء العسكريّ الروسيّ من منصبه، ولكن الأسرى الأتراك الذين أسروا في الهجوم لم يُطلق سراحهم وأُرسل واحد على الأقلّ إلى سيبيريا «لقتله جنديًا في أثناء الدفاع عن القرية» ‹ F.O. 195-1252, Brophy to Layard, Bourgas, 3 February 1879 and 15 January 1879›.

56. F.O. 195-1252, Brophy to Layard, Bourgas, 3 February 1879.

57. F.O. 195-1189, Brophy to Layard, Bourgas, 16 May 1878.

58. F.O. 195-1136, no. 27, Calvert to Blunt, Philippopolis, 30 July 1877, enclosure no. 7 in Blunt's no. 90.

59. The examples of this diplomatic records are numerous. See Şimşir I.

60) في مناسبات نادرة، قام الروس بتصرّف رمزيّ علنيّ من ناحية إيقاف نهب وقتل البلغار للمسلمين. في إحدى المرات، «أحضر إلى هنا [أدرنة] أربعون بلغاريّـــا، مقيّدين بالسلاسل، من جوار قرق كليسا حيث كانوا يسرقون ويسيئون معاملة المهاجرين الأتراك الذين كانوا يعودون إلى قراهم من القسطنطينيّة تحت جواز مرور من السلطات الروسيّة» ‹ F.O. 195-1184, no. 13, E. Calvert to Layard, Adrianople, 8 May 1878›؛ لا يذكر كلفرت إذا كان البلغار حوكموا أو عوقبوا). عادة، كان يجري الإعلان عن المحاولاتَ الروسيّة القليلة لوقف الأعمالِ الوحشية البلغاريّةِ «زخرفة واجهات». في بعض الأحيان، كان ضابطِ روسيّ إنسانيّ ربما يوقف أعمالاً لاإنسانيّة على مسؤوليته الشخصيّة، ولكن لم يعاقَب المذنبون البلغار قط تقريبًا. على سبيل المثال، حين هاجم البلغار قرية مسلمة في (20 آب 1878 م) قام بتفريقهم ستّة جنود روس، لكنهم لم يعتقلوهم أو يعاقبوهم. توجّه البلغار على الفور إلى سبع قرى مسلمة محتلة، حيث قاموا بالتعذيب والقتل والنهب. «إن قرى أللكونو (Allagünü) وأورنوة (Avreneoh) ودنيسوة (Denisova) التركيّة المهجورة أشعلت العصابات نفسها النار فيها أيضًا: يفعلون ذلك لمنع إمكان أن يشغل اللاجئون الأتراك العائدون بيوتهم السابقة

من جديد» ‹F.O. 195-1189, no. 32, Brophy to Layard, Burgas, 24 August 1878›.

61. F.O. 195-1184, no. 13, E. Calvert to Layard, Adrianople, 8 May 1878.
62. F.O. 195-1137, Blunt to Layard, Philippopolis, 19 July 1877.
63. F.O. 195-1252, Michell to Layard, Philippopolis, 18 June 1879.
64. F.O. 195-1253, Brophy to Layard, Bourgas, 13 August 1879.

65) انظر، على سبيل المثال، ‹F.O. 195-1185, no. 37, Calvert to Layard, Adrianople, 27 August 1878›.
شعر بعضهم، بمن فيهم الأمير الذي كان سيصبح بعد ذلك أول ملك لبلغاريا، أن اللوم على الأعمال الوحشية في بلغاريا يقع على البلغار أكثر مما يقعَ على الروس: «11 شباط. اتّصل أمير باتنبرغ (Battenberg) ألكسندر هذا الصباح بقنصليّة صاحبة الجلالة وسأل إذا كنتُ أستطيع أن أخبره عنَ المكان الذي ترسو فيه سفينة صاحبة الجلالة 'سلطان' وإذا كان دوق أدنبره على متنها. نظرًا إلى أنني كنت غير قادر على تقديم معلومات عن الموضوع، طلب مني صاحب السموّ إرسال برقية إلى سفارة صاحبة الجلالة في القسطنطينيّة، حيث فعلت، وأعطيته البرقية لإرسالها عبر السلطات الروسيّة. تحدّث الأمير بلغة مريرة عن البلغار. قال: إذا كان الأتراك سيّئين فالبلغار أسوأ ألف مرة؛ وإنه يُشفق على من سيحكمهم؛ وإنه من الضروريّ جدًا أن يكون حكمهم بقبضة حديديّة. عزا غياب الانضباط الحالي في الجيش الروسيّ المحتل والنهب الجاري في هذه المدينة والمدن الأخرى إلى التأثير الشيطاني لهؤلاء البلغار، الذين يعدّهم أناسًا جديرين بالازدراء» ‹F.O. 195-1184, «Consul Blunt's Journal», Adrianople, February 1-12th, 1878›. ربما يفسّر موقف الأمير بعض الصعاب التي واجهها بعد ذلك في حكمه لبلغاريا).

66. F.O. 195-1185, no. 73
67. F.O. 195-1137, no. 104, Blunt to Layard, 18 August 1877.
68. For example, the Turkish Quarter of Eflehanh was burned by "Russians and insurgents" (F.O. 195-1136, no. 27, Calvert to Blunt, Philippopolis, 30 July 1878.)
69. For examples, see F.O. 195-1189, no.44, Brophy to Layard, Bourgas, 6 November 1878; French Consul at Adrianople Waddington to the Ministre des Affaires Étrangères, Adrianople, 19 August 1878; and Donoughmore to Wolff, Philippopolis, 20 September 1878, quoted in Şimşir I, number 347 and 369.
70. F.O. 195-1137, no. 43, Blunt to Layard, Adrianople, 19 July 1877.
71. F.O. 195-1137, no. 32, Dupuis to Blunt, Adrianople, 4 August 1877.
72. F.O. 195-1254, Michell to Layard, Philippopolis, 4 September 1879.

73) وبدرجة أقل يونانيّـــا. شارك اليونانيّون في مصادرة ممتلكات المسلمين عندما كان ذلك ممكنًا. (انظر ‹F.O. 195-1184, no. 14, Calvert to Layard, Adrianople, 14 May 1878›). «يجب القول أن اليونانيّين في هذا الجوار أصبحوا الآن أكثر وضوحًا من البلغار في اضطهادهم الأتراك» ‹Layard to Derby, Constantinople, 15 March 1878›. لكن البلغار الذين كانت السلطة في يدهم كانوا يعملون على أن تكون الغنائم لهم. انظر ‹F.O 195-1185, no. 36, Calvert to Layard, Adrianople, 15 August 1878› لمثال لاستجابة السلطات الروسيّة المختلفة للأعمال

الوحشية التي اِرتكبها اليونانيّون والبلغار ضد المسلمين. لم يحاكَم البلغار، بينما كان اليونانيّون يحاكمون أحيانًا. انظر أيضًا ‹ F.O. 195-1184, no. 51, Calvert to Layard, Adrianople, 3 October 1878›.

74) نقل القناصل في جميع مناطق بلغاريا أن محاكم بلغاريا المحتلّة وقوانينها، وكذلك مكاتب المحتلين الروس، كانت دائمًا ضد المسلمين. (انظر على سبيل المثال، ‹ F.O. 195-1189, no. 46, Reade to Layard, Varna, 14 June 1878›). جاءت الاستثناءات القليلة لعدم المبالاة الروسيّة الرسميّة بالهجمات على المسلمين حين كان المهاجمون يونانيّين لا من البلغار. انظر على سبيل المثال، ‹ F.O. 195-1185, no. 36, Calvert to Layard, Adrianople, 15 August 1878›.

75) ‹ F.O. 195-1184, " Consul Blunt's Journal, Adrianople, February 1-12, 1878"›. ذكر القنصل البريطاني إف آر جيه كلفرت أن الجنود العثمانيّين حموا فيليبّوبولس من السلاّبين ومحرقي المباني وأنقذوا ممتلكات المسيحيّين. حتى عندما كان الأتراك ينسحبون لم تُنهب «إلا بضعة متاجر». حين وصل الروس، كان أكثر الأتراك فرّوا، لكن البلغار الذين رافقوا الروس هاجموا «اليونانيّين والروم الكاثوليك والأرمن» الذين بقوا. جرى نهبُ جميع الممتلكات التركيّة وأكثر الممتلكات الأخرى وقتلُ عدة مئات (من أصل 15,000) مسلم تقريبًا الذين بقوا ‹ F.O. 195-1184, F. R. J. Calvert, Acting Consul at Philippopolis, to Layard, 20 January 1878›.

76. F.O. 195-1184, Calvert to Blunt, Philippopolis, 10 March 1878.

77. F.O. 195-1184, "Consul Blunt's Journal," entry for 3 February.

78) على سبيل المثال، انظر تغطية مجلة ‹ديلي نيوز/ Daily News› الحرب في ‹ The War Correspondence of the Daily News, London, 1878›. تتحمّل ‹ديلي نيوز›، صحيفة موالية لغلادستن على نحو متطرّف، أكثر المسؤوليّة بخصوص خلق وإشاعة الأهوال البلغاريّة. لم أجد في (643) صفحة من صفحاتها عن الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) إلا إشارة واحدة إلى اللاجئين المسلمين، وصفحات عديدة عن اللاجئين البلغار، وعدة إشارات إلى مجازر وهميّة صرفة ضد البلغار، ولكن من دون ذكر المجازر ضد المسلمين. لدى صحيفة ‹ديلي نيوز› والصحف المشابهة، لم يَكن يمكن تطبيق كلمة «اضطهاد» على أحد قط إلاّ المسيحيّين.

79. F.O. 195-1189, no. 5, Reade to Layard, Varna, 26 January 1878.

80. F.O. 195-1137, Dupius to Blunt, Adrianople, 29 August 1877.
F.O. 195-1137, no. 47, Dupuis to Blunt, Adrianople, 2 September 1877.
F.O. 195-1137, no. 31, Dupuis to Blunt, Adrianople, 1 August 1877.
F.O. 195-1137, no. 159, Blunt to Layard, Adrianople, 22 September 1877.

81. F.O. 195-1189, no. 9, Reade to Layard, Varna, 6 February 1878.
F.O. 195-1189, no. 13, Reade to Layard, Varna, 2 March 1878.

82. F.O. 195-1137, no. 99, Blunt to Layard, Adrianople, 14 August 1877.

83) لمثال لمجازر البلغار المروية، انظر ‹ F.O. 195-1144, enclosure no. 9 in no. 7, Brophy to Layard, Bourgas, 11 August 1877›، التي تتحدّث عن الأعمال الوحشية على الجانبَين. من غير المؤكد أن يكون حدث إغفال لكثير من الأعمال

الوحشية التي ارتكبها مسلمون. بحث الأورُبيّون بتلهّف عادةً عن تلك الأعمال (لو لفقوها في أحيان أخرى).

84. F.O. 195-1185, no. 51, Calvert to Layard, Adrianople, 3 October 1878.

85. F.O. 195-1137, no. 42, Blunt to Layard, Adrianople, 17 July 1877.

86) ‹F.O. 195-1137, no. 51, Dupois to Layard, Adrianople, 27 July 1877› على سبيل المثال، المجازر المذكورة آنفًا في عثمان بازار وجورنا. يبدو أن الدليل الوحيد على تلك المجازر كانت كلمة «وجيه بلغاريّ من شملا» لم يُذكر اسمه ‹F.O. 195-1189, no. 9, Varna, Reade to Layard, 6 February 1878›.

87. F.O. 195-1137, no. 87, Blunt to Layard, Adrianople, 3 August 1877.

88. F.O. 195-1137, no. 78, Blunt to Layard, Adrianople, 14 August 1877.

89) على سبيل المثال، في قرق كليسا، ارتكبت أربع «حالات من الانتهاكات» ضد بلغار. «قامت السلطات التركيّة في كلّ حالة بسجن المذنبين على الفور» ‹F.O. 78-2618, no. 15, Adrianople, Blunt to Derby, 16 May 1877›. هذا مثال جيّد للوضع، إذ يبدو أن أكثر الإساءات ضد البلغار كان على نطاق ضيّق، كثيرًا هجمات فرديّة. في الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877–1878 م) نادرًا ما ذكرت الأدبيات الدبلوماسيّة أعمالاً وحشية على نطاق واسع ضد البلغار. حين يقارن المرء ذلك بالتقارير عن الأهوال البلغاريّة، فإنه يبدو من الواضح أن تلك المجازر كانت في الحقيقة قليلة.

90. F.O. 195-1137, no. 115, Blunt to Layard, Adrianople, 4 September 187; F.O. 195-1137, F. R. J. Calvert to Layard, Philippopolis, 30 September 1877.

91. F.O. 195-1137, no. 87, Blunt to Layard, Adrianople, 3 August 1877.

92) لأمثلة عن معاملة القيادة العثمانيّة العليا الرسميّة للجنود العثمانيّين الذين يرتكبون أعمال نهب، انظر ‹Ryan, pp. 150-151›.

93. Reade to Derby, Rustchuk, 2 May 1877, and Sankey to Layard, Kustendji, 8 May 1877, quoted in Şimşir I, nos. 5 and 86.

94) هناك دائمًا عدد معيّن من اللاجئين في زمن الحرب. يكون الذين على الطرق العسكرية للجيوش مغفلين إذا لم يفرّوا. وهكذا، حتى البلغار فرّوا من الجيش الروسيّ المتقدّم: «تلقّى جمال باشا الليلة الماضية برقية من أسقف سليمنيا البلغاريّ تقول إن المجتمع البلغاريّ في تلك المدينة قرّر أن يتّخذ ملتجأ مع السكان الأتراك المقيمين في برغوس، ويأملون أن يجدوا طريقهم من هناك إلى القسطنطينيّة. أبرق جمال باشا على الفور بتعليماته إلى حاكم سليمنيا بأن يقدّم المساعدة والحماية للاجئين المسيحيّين والأتراك على السواء» ‹F.O. 195-1184, Blunt to Layard, Adrianople, 11 January 1878›. إنه طبعًا أكثر من ممكن أن أولئك الذين طلبوا مساعدة العثمانيّين كانوا من البلغار الموالين للعثمانيّين وخافوا أن يرتبط مصيرهم بمصير الأتراك.

95) كما في مصطفى باشا، حيث اضطرّ اللاجئون الذين استقرّوا إلى أن يغادروا حين قتل البلغار نساء مجموعتهم وأطفالها ‹F.O. 195-1184, «Consul Blunt's Journal»›.

96. See Table 3, below.

97. F.O. 195-1184, no. 1, Blunt to Layard, Adrianople, 1 January 1878.

98. F.O. 195-1184, no. 20, Blunt to Layard, Adrianople, 13 January 1878.

99. F.O. 195-1184, Blunt to Layard, Adrianople, 11 January 1878.

100. F.O. 195-1184, no. 1, Calvert to Blunt, Philippopolis, 10 March 1878.

101. Ethem Paşa to Süleyman Paşa, Tatarpazarcik. 13 January 1878, quoted in Şimşir I, number 140.
102. Blunt to Layard, Constantinople, 1 February 1878, quoted in Şimşir I, number 185.
103. F.O. 195-1184, no. 20, Blunt to Layard, Adrianople, 13 January 1878.
104. Blunt to Layard, Constantinople, 1 February 1878, and the enclosure in Layard to Derby, Constantinople, 21 January 1878, quoted in Şimşir I, nos. 185 and 153.
105. Blunt to Layard, Constantinople, 1 February 1878, quoted in Şimşir I, no. 185.

106) أشارت التقارير البريطانيّة إلى مصير بعض اللاجئين. في حرمنلي (Harmanlı) حيث اجتمع ما يقدَّر ب(60,000) لاجئ، «هاجم الجنود الروس الجماهير المذعورة على نحو متكرِّر، متسبّبين بمَذبحة مخيفة. كان الهلع عامًّا. فُقد كثير من الناس، خصوصًا الأطفال، في أثناء عبورهم النهر» ‹F.O. 424-79-Confidential [3910], p. 306, no. 352, enclosure no.1, Report of Walpole to Wolff, quoted in Şimşir II, p. 117›.

107) هذا تقدير استقرائيّ من الأدلّة على عدد كبير من القرى المسلمة التي شاهدها الأورُبيّون.

108. Calvert to Blunt, Philippopolis, 30 July 1877, quoted in Şimşir I, no. 63.
109. Ethem Paşa, 13 January 1879, quoted in Şimşir I, no. 140.
110. Enclosure in Layard to Salisbury, Therapia, 7 May 1878, quoted in Şimşir I, no. 262.
111. See the many reports in Şimşir II, especially nos. 54, 165, 187, and 189.
112. F.O. 195-1184, Calvert to Blunt, Philippopolis, 10 March 1878.

113) يُقرأ النصّ «15» عامًا من العمر، خطأ نسخ واضح.

114) ‹Consul-General Fawcett to Layard, Constantinople, 9 July 1878, quoted in Şimşir I, pp. 514 and 515›. هذا جزء من تقرير مفصّل شكّل جزءًا من تحقيق قوى مؤتمر برلين في وضع اللاجئين في منطقة رهودوبة. قدّم على نحو مفصّل في ‹Şimşir I, pp. 513-32› وهو وصف دقيق ومخيف لحالة اللاجئين.

115. See Şimşir I, no. 311.
116. The French consul at Adrianople, Adrianople, 15 April 1878, quoted in Şimşir I, no. 250. An estimated 10,000 (62 percent) of the cases died (Şimşir's calculation).

117) ‹The French Consul at Adrianople, 15 April 1878, and Layard to Salisbury, Constantinople, 28 April 1878, quoted in Şimşir I, no. 250 and no. 257›. «تحتوي المساجد والأمكنة العامة الأخرى التي حوّلت إلى ملاجئ ما بين (800) و (900) حالة تيفوس» ‹Layard to Salisbury, Constantinople, 28 April 1878, quoted in Şimşir I, no. 257›. للاطلاع على تقرير أكثر تكاملاً عن مقدار الوفيات بين اللاجئين، انظر ‹Drs. Mordtmann, Gabuzzi, et Stécouli, Les réfugies de la Roumeli en 1878: Rapport presenté au Counseil International de Santé, Constantinople, 1879›.

118. Dickson to Layard, Constantinople, 19 June 1878, quoted in Şimşir I, no. 303.
119. Ibid. See also F.O. 195-1185, no. 47, F.R J. Valvert to Layard, Philippopolis, 7 September 1878, and F.O. 195-1254, no. 299, Michell to Salisbury, Philippopolis, 25 October 1879.

120. Justin McCarthy, *The Arab World, Turkey, and the Balkan*, Boston, 1982, p. 108. See also Şimşir I, nos. 192, 208, 209, 213, 249.
121. Reade to Salisbury, Varna, 8 July 1878, quoted in Şimşir I, no. 312.
122. F.O. 195-1189, no. 44, Blunt to Layard, Bourgas, 6 November 1878.

123) ‹F.O. 195-1185, no. 78, Calvert to Layard, Adrianople, 30 November 1878›. لم تكن العقوبة ظالمة بالقدر الذي قد يظنّه المرء، لأن الجنرال المسؤول، كما صرّح القنصل كلفرت، الجنرال سكوبيليف (Skobeleff) كان كبش فداء لا أكثر. ظن كلفرت أن ضابطًا روسيًّا لا يمكنه أن يتّخذ إجراء كهذا وحده قط، نظرًا إلى أن الضباط كان لديهم الكثير من «الخوف المُدقع من تحمّل المسؤوليّة وإمكان استياء رؤسائهم حتى يحاولوا عمل شيء على مسؤوليتهم. في الحقيقة، يجد كثيرون أن الأعمال التي يجب عليهم القيام بها بغيضة» ‹F.O. 195-1185, no. 79, Calvert to Layard, Adrianople, Nov. 30, 1878›.

124) «نُقل أن تدمير البيوت التركيّة المتبقيّة بدأ من جديد على نطاق واسع» ‹F.O. 195-1253, Michell to Layard, Philippopolis, 24 June 1879›.

125. F.O. 195-1254, no. 299, Michell to Salisbury, Philippopolis, 25 October 1879.

126) ‹F.O. 195-1184, no. 23, Blunt to Layard, Adrianople, 17 June 1878. See also F.O. 195-1185, no. 55, F.R.J. Calvert to Layard, Philippopolis, 25 September 1878 and no. 153, F.O. 195-1185, no. 43, E. Calvert, Philippopolis, 16 September 1878›. «إنها حقيقة واضحة ولا تقبل الجدل حيث إن السلطات الروسيّة تعطي موافقة ضمنيّة على الأقلّ على الأعمال الشريرة البغيضة التي لا يزال البلغار يرتكبونها يوميًّا ضد المسلمين العُزُل» ‹F.O. 195-1185, no. 36, E. Calvert to Layard, Philippopolis, 15 August 1878›.

127) يمعن هذا الفصل النظر في مكابدات مسلمي بلغاريا التي كانت أعظم من مكابدات مسلمي المنطقة التي هاجمتها صربيا. ولكن، مقارنة ببلغاريا فقط يمكن القول إن وضع مسلمي المنطقة التي احتلّتها صربيا كان أحسن حالاً. سجّل القنصل البريطاني بيكر (Baker) في نيش أن عدد سكان نيش المسلمين انخفض من (8300) إلى (300) بعد الغزو الصربيّ مباشرة. سُرق أكثر ممتلكات المسلمين وأُحرق أكثر بيوتهم. استُخدمت المساجد لأغراض عسكرية أو رسميّة أو دُمّرت. لم يذكر بيكر وجهة اللاجئين ‹F.O. 260-7, Vice-Consul Baker to G. F. Gould, H. M. Minister Resident, Belgrade, Nisch, 20 September 1879›.

128) ‹F.O. 195-1184, no. 23, Blunt to Layard, Adrianople, 17 June 1878›. «جرى استئناف تدمير البيوت التركيّة الذي كان توقّف فترة، بنشاط أكبر من قبل، وبإقرار عليّ ومساعدة من الشرطة هذه المرة» ‹F.O. 195-1185, no. 33, F. R. J. Calvert to Layard, Philippopolis, 20 July 1878›. «يبدو أن سلوك البلغار أكثر فسادًا وتمرّدًا ووحشية من سلوك الدرك التركيّ على نحو مطلق» ‹F.O. 195-1252, Brophy to Layard, Bourgas, 6 February 1879›.

129) ‹F.O. 195-1254, no. 4, Brophy to Mitchell, Bourgas, 27 August 1879›. يبدو أنه من الأفضل عدم الاستشهاد بأمثلة رهيبة للاغتصابات في الوثائق. انظر، على سبيل

المثال، F.O. 901-2, The Memorandum of A. Simmons to Wolff, 8 November 1878.

130. F.O. 195-1185, no. 37, F. R. J. Calvert to Layard, Philippopolis, 20 July 1878.
131. F.O. 195-1254, no. 255, Michell to Salisbury , Philippopolis, 6 September 1879.
132. F.O. 195-1254, no. 4, Brophy to Michell, Bourgas, 27 August 1879.
133. For examples of the many petitions received, see Şimşir II, pp. 371-448.
134. F.O. 195-1254, no. 39, Brophy to Layard, Bourgas, 30 September 1879.
135. F.O. 195-1185, no. 55, F. R. J. Calvert to Layard, 25 September 1878.

136) تردّد الروس بشأن عودة اللاجئين. طلب أحيانًا من اللاجئين في منطقة شملا–فارنا مثلا أن يعودوا إلى قراهم وقُدّمت لهم وعود جوفاء بالأمان. في أحيان أخرى، مُنعوا من دخول الأراضي التي تحت السيطرة الروسيّة إلى أن سلّم العثمانيّون حصونهم المتبقية في بلغاريا. أدّت السياسة الأخيرة إلى طريق مسدودة لأن العثمانيّين رفضوا مغادرة المنطقة إلى أن يُسمح للاجئين فعلاً بالعودة واستلام مزارعهم وبيوتهم السابقة بسلام، Layard to Salisbury, Therapia, 2 August and 5 August 1878, quoted in Şimşir I, nos. 336 and 337.

137) «تدلّ التصريحات العلنيّة للمسيحيّين، وهي ليست أقلّ من أفعالهم، كما تُنقل من جميع أجزاء البلد يوميّـــًا، على تصميم مقرّر بإحداث هجرة جماعيّة للمسلمين. يجري نهب المواشي من قرية تركيّة بعد الأخرى وقتل أصحابها إذا أبدوا مقاومة. جرى إعلام الفلاحين الأتراك في كلّ مكان بأن عليهم أن يستعدّوا لمغادرة البلد. يجري تدمير المساجد في القرى المهجورة إلى الأرض ويحتلّ البيوت الباقية مسيحيّون من أمكنة مجاورة. في جميع الحالات التي حاول فيها اللاجئون العودة إلى بيوتهم جرى طردهم، ولم يُستجب لطلباتهم بالحماية ولو مرة واحدة»، F.O. 195-1184, Calvert to Layard, Adrianople, 17 June 1878.

138. See Şimşir II, nos. 53, 64, 154, 164, 172.c

139) F.O. 195-1254, nos. 46 and 47, Brophy to Layard, 22 November and 27 November 1879:

«نظريّـــًا، جرى تطبيق القوانين التالية:

1] من حقّ اللاجئين أن يعودوا ويضعوا أيديهم على ممتلكاتهم وعلى ريع الأخيرة الذي جرى إيداعه في الخزائن المحلّيّة.
2] تتولّى الشرطة مهمة المساعدة والحماية.
3] يُعدّ حاكم أدريانوبلة قوائمَ باللاجئين في مجموعات من القرى للراغبين بالعودة.
4] تتّخذ الحكومتان الإجراءات الضروريّة لإقصاء رجال خطرين على الهدوء العام.
5] يجب على سلطات المصدر أن تزوّد اللاجئين بأسباب المعيشة مدة شهر.
6] يجب إعادة بيوت اللاجئين المسلمين التي يشغلها الآن بلغار مسيحيّون إلى أصحابها واتّخاذ الإجراءات الضرورية لإجلائهم.

.‹F.O. 195-1253, Michell to Layard, Philippopolis, 17 June 1879›

140) جرى توثيق مشاكل عودة اللاجئين على نحو جيّد ووافر، مع أن التقارير عن أكثر المآسي لم تصل إلى القناصل الأوربّيين. على سبيل المثال، كان (53) لاجئا عائدًا من منطقة يعبولي للاغتصاب والابتزاز، إلى آخره، ولهذا السبب غادروا بيوتهم على نحو دائم ‹F.O. 195-1185, no. 56, Calvert to Layard, Adrianople, 10 October 1878›.

في بعض الحالات، وُضعت قوائم باسم القرى بينما كانت تصل التقارير عن مجازر ضد اللاجئين، كقائمة كلفرت عن الاضطرابات في «خلفة-كيوي (Khalfa-Kioi) وكولمن (Gölemen) وخضرجا (Khidrja) وصماولي (Smavli) وقرة بنار». جرى في كل قرية من تلك القرى توثيق أعمال إحراق البيوت وسرقة المحاصيل والسرقات والضرب والاغتصاب ‹F.O. 195-1185, Calvert to Layard, Adrianople, 8 November 1878›.

141. Reade to Salisbury, Varna, 8 July 1878, quoted in Şimşir I, no. 312. F.O. 195-1189, Brophy to Layard, Bourgas, 2 August 1878. F.O. 195-1189, no. 36, Brophy to Layard, Bourgas, 9 September 1878.

142. Şimşir I, nos. 318, 320, 323, 631, 376, and 414.

143. F.O. 195-1185, Calvert to Layard, Adrianople, 15 August 1878.

144) كان استخدام المسالخ العامة و"الدور" المشابهة للاجئين شائعًا. لا بدّ من أن الأثر النفسيّ في اللاجئين كان كبيرًا. لحالات مشابهة في أسكي صغرى، انظر ‹F.O. 195-1254, no. 299, Michell to Salisbury, Philippopolis, 25 October 1879›.

145) ‹F.O. 195-1189, Reade to Layard, no. 60, Varna, 30 July 1878›. أضاف القنصل ريد التالي: «يبدو من الواضح مما سبق ومن تصرّفات الروس والبلغار الأخرى أن الهدف الحقيقيّ هو تخليص البلد من جميع المسلمين».

146. F.O. 195-1184, Calvert to Blunt, Philippopolis, 10 March 1878.

147) كان "متمرّدو" رهودوبة لاجئين من مناطق أخرى من بلغاريا على نحو كليّ تقريبًا، انضمّ إليهم «سكان القرى المجاورة التي نهبها البلغار ودمّروها» ‹F.O. 195-1184, no. 8, Calvert to Layard, Adrianople, 24 April 1878. See also F.O. 195-1185, no. 29, Calvert to Layard, Adrianople, 4 July 1878›.

148. F.O. 195-1189, Brophy to Layard, Bourgas, 22 August 1878. F.O. 195-1252, Brophy to Layard, Bourgas, 14 April 1879.

149. F.O. 195-1254, Michell to Layard, Philippopolis, 23 August 1879.

150. See, for example, F.O. 195-1254, Michell to Layard, Philippopolis, September 1879, the signed complaints of several hundred turks, and 4 September 1878, and analysis of the state if the eastern Rumelian Turks.

151. F.O. 195-1252, Michell to Layard, Philippopolis, 5 September 1879. See the summaries of petitions addressed to the commission by Muslims in F.O. 901-2, Wolff to Salisbury, Philippopolis, 12 November 1878.

152. F.O. 195-1252, Brophy to Malet, Bourgas, 26 March 1879 and F.O. 195-1252, Brophy to Layard, Bourgas, 8 May 1879.

153) لم أجد دليلاً على قانون فعليّ بهذا المعنى، لكنّ هناك روايات عديدة في السجلات الدبلوماسيّة عن مسؤولين بلغار يصرّحون بأن على النساء المسلمات أن يغيّرن ثيابهنّ، إضافة إلى أمثلة لا حصر لها لفرض ذلك بالقوة.

154) ‹F.O. 195-1254, no. 340, Michell to Salisbury, Philippopolis, 7 November 1879; F.O. 195-1254, Michell to Layard, Philippopolis, 4 September 1879; F.O. 195-1254, no. 340, Michell to Salisbury, Philippopolis, 7 November 1879›. حُلّت (الجمعيّات الرياضيّة/ geymnastic societies) رسميًّا في تشرين الثاني عام (1879 م) ولكن سُمح لأعضائها بالاحتفاظ بأسلحتهم (هذه الجمعيات تظهر من جديد بعد ذلك).

155) ‹F.O. 195-1252, Brophy to Layard, Bourgas, 22 April 1879, and F.O. 901-17 "Telegram from Lord Donoughmore" to Salisbury, 9 April 1879›. وصف اللورد دونومور (Donoughmore) «الوسائل التي جرى تبنّيها لجعل حالة أتراك روميليا الشرقيّة على ما هي عليه الآن، حالة فقر مُدقع مع إمكانيّة إبادة تامّة تقريبًا» ‹F.O. 901-16, Donoughmore to Wolff, Philippopolis, 27 September 1878›. تحوي هذه الوثيقة وصف للأنشطة البلغاريّة ضد الأتراك في روميليا الشرقيّة).

156. F.O. 195-1137, no. 32, Dupuis to Blunt, Adrianople, 4 August 1877 and no. 33, 6 August 1877.

157. F.O. 195-1184, an article in the Jewish Chronicle of 5 October 1877, reprinted from the Standard. Consular verification of the story, which is filled with graphic descriptions of horrors, indicated that it was essentially correct, though highly colored (F.O. 195-1184, no. 15, Blunt to Layard, Adrianople, 7 January 1877).
See also F.O. 195-1137, no. 105, Blunt to Layard, Adrianople, 21 August 1877, and F.O. 195-1137, no. 40, Blunt to Layard, Adrianople, 22 August 1877.

158. F.O. 195-1153, Michell to Layard, Philippopolis, 24 June 1879.

159) ‹Brophy to Layard, Bourgas, 24 August 1878, quoted in Şimşir I, no. 353›. فرضت السلطات معاملة لليونانيّين الأصليّين أفضل بكثير من معاملة الأتراك، لكن بعض اليونانيّين عانوا الاضطهاد أيضًا ‹F.O. 901-16, Donoughmore to Wolff, Philippopolis, 27 September 1878›.

160) يجب إضافة في المقطع نفسه للعدل حيث إن اثنين من القياديّين البلغار في المدينة حاولا حماية اللاجئين الأتراك واليهود.

161. F.O. 195-1184, no. 15, Blunt to Layard, Adrianople, 7 January 1877.

162. F.O. 195-1137, Blunt to Layard, Adrianople, 29 August 1877.

163. "There exists a register on which has been written all the names of the refugees in the Kaza [İsketçe] by age, sex, and place of origin" (Procès-Verbal No. 4 of the International Commission of Rhodope, 24 July 1878, quoted in Şimşir I, p. 550). For examples, see Wallace to Wolff, 9 January 1879, quoted in Şimşir II, p. 120, and Edhem Paşa to Caratheodory Paşa, 28 May 1879, quoted in Şimşir II, p. 290, as well as the many others in Şimşir II. The only numbers of refugees analyzed here are Surviving Refugees, For considerations of the total number of refugees, see Şimşir's note on p. 628 of Şimşir I.

164) كما يُظهر الجدول [1] كانت التقديرات الأوربيّة عن أعداد اللاجئين التي لم يجرِ اختيارها انتقائيًا، منسجمة على نحو رائع. يُستمدّ بعض انسجامها من حقيقة أن عددًا

من الأرقام استُنتج من تقدير واحد، تقدير الموظّف على أرض الحدث، وهوعادةً قنصل بريطاني أو نائب قنصل أو موظّف لمؤسّسة خيريّة أوربّيّة. ظهر كثير من هذه التقديرات إلى الوجود بادئ بدء على أساس تعداد الحكومة العثمانيّة للاجئين. ولكن، من الجدير بالذكر أن الأدبيات الدبلوماسيّة خالية تمامًا من الاختلافات الإحصائيّة التي سبّبتها عادة تقديرات كهذه. إن وجود بعض الأرقام المفصّلة التي استُمدّت منها التقديرات، يثبّت أصالة التقديرات أيضًا.

165. Hanley of the *Morning Advertiser*, Pera, 20 July 1877, quoted in *Russian Atrocities in Asia and Europe*, Constantinople, 1877, p. 77.
166. Layard to Derby, 19 August 1877. F.O. 424-59, p. 198, no. 274, quoted in Şimşir I.
167. Gambier of the *Times*, Chumla [sic], 17 July 1877, quoted in *Russian Atrocities*, p. 72.
168. Boysset, French vice-Consul at Philippopolis to Mouy at Constantinople, Philippopolis, 17 November 1877, quoted in Şimşir I, no. 105.
169. F.O. 195-1136, Calvert to Blunt, Philippopolis, 30 July 1877, enclosure no. 7 in Blunt's no. 90.
170. Calvert to Blunt, Philippopolis, 10 March 1878, and Calvert to de Winton, Philippopolis, 17 March 1878, quoted in Şimşir I, nos. 221 and 245.
171. Reade to Layard, Varna, 21 August 1878, and "Sawas Pacha," Constantinople, 24 August 1878, quoted in Şimşir I, nos. 350 and 352.
172. Reade to Layard, Varna, 31 January 1878, quoted in Şimşir I, no. 175.
173. Layard to Derby, Constantinople, 8 February 1878, quoted in Şimşir I, no. 194.
174. Brophy to Layard, Bourgas, 13 March 1878, quoted in Şimşir I, no. 227.
175. Reade to Layard, Varna, 2 March 1878, quoted in Şimşir I, no. 209.
176. Reade to Layard, Varna (?), 29 June 1878, quoted in Şimşir I, no. 308.
177. F.O. 424-59, p. 161, no. 227/10, Lt. Layard to Layard, Adrianople, 4 August 1877, quoted in Şimşir I, no. 73.
178. Gay of the *Daily Telegraph*, Pera, 19 August 1877, quoted in *Russian Atrocities*, p. 102-5. This article and others by Gay in the volume are especially important, though sensationalized, sources on sufferings the Muslim refugees.
179. The French consul at Adrianople, quoted in Şimşir I, no. 250, p. 409.
180. F.O. 195-1184, Acting Consul Calvert to Layard, Adrianople, 24 April 1878.
181. The French consul at Adrianople, quoted in Şimşir I, no. 250, p. 409, note.
182. Ibid.
183. Server Pacha, 19 September 1877, and Reade to Layard, Rasgard, 21 September 1877, quoted in Şimşir I, nos. 92 and 93.
184. Fournier, French Ambassador at Constantinople to Waddington, Therapia, 8 July 1878, quoted in Şimşir I, no. 310.
185. Layard to Derby, Constantinople, 6 February 1878, quoted in Şimşir I, no. 192.
186. *Jago to Derby, Damascus, 4 March 1878, quoted in Şimşir I, no. 213.*
187. F.O. 97-527, p. 5, Reported from Consul Alvarez at Kosova, 10 May 1880.
188. Ibid.

189) أي، جزء فقط من إقليم أدرنة كان جزءاً من المنحة للبلغار.

190) لأن الإحصائيات العثمانيّة قسّمت السكان على أساس المجموعة الدينيّة (أي الملل) وليس اللغة، لا يستطيع المرء تمييز البوماك من الأتراك في الكشوفات الرسميّة. يمكن عدّ التّتار أتراكًا، لأنهم قريبون عرقيًا ولغويًّا.

191) لم يجرِ إدخال سكان طلجة المسلمين في هذه الحسابات لأن طلجة مُنحت لرومانيا في مؤتمر برلين.

192) قدّر (المفتّشون الخاصون لمصلحة الهجرة/ Special Inspectors of the Emigration Service) العثمانيّون «أكثر من 500,000» ‹Les réfugies de la Roumelie, p. 8›:

مهاجرون مرّوا عبر العاصمة	(300,000)
مهاجرون مرّوا عبر رودوستو (Rodosto)	(50,000)
مهاجرون مرّوا عبر ددة أغاج	(50,000)
مهاجرون مرّوا عبر فارنا وبرغوس وبلجك	(100,000)
المجموع	(500,000)

المصدر: ‹Les réfugies de la Roumelie›.

193) احتفظ الروس بسجلات شاملة عن النازحين من إقليم أدرنة إلى روميليا الشرقيّة. أدرجوا (20,222) غادروا بالقطار بحلول تشرين الثاني من عام (1878 م) وهو رقم حلله القنصل كلفرت ووافق عليه. ذكر كلفرت أن البلغار حملوا كثيرًا من «الأمتعة الزائدة» مؤلفة من مواد منهوبة من الأتراك ‹F.O. 195-1185, Calvert to Layard, Adrianople, 8 November 1878›. بشأن طرد الأتراك من بيوتهم وأراضيهم لإفساح المجال أمام اللاجئين البلغار، انظر ‹F.O. 901-17, no. 10, Donoughmore to Wolff, Philippopolis, 10 April 1879›.

194. In Syria, 25,000 (quoted in Şimşir I, no. 253). See also Şimşir's note on p. 594 of Şimşir I.

195) استمرّت الهجرة من بلغاريا بمعدّل ثابت طوال بقيّة القرن التاسع عشر. في عام (1887 م) كانت بلغاريا 21% فقط مسلمة. للاطلاع أعداد التقديرات والوثائق العثمانية عن اللاجئين المسلمين، انظر ‹Ahmet Cevat Eren, Tükiye de Göç ve Göçmen Meseleleri, Istanbul, 1966, pp. 79-89›

196. F.O. 195-1185.

4] الشرق من عام (1878 م) حتى عام (1914 م)

1) استُخرجت مادة هذا الوصف القصير للحرب من ‹Caucasian Battlefields, pp. 105-217›.

2. F.O. 65-978, no. 115 Ricketts to Derby, Tiflis, 29 August 1877.

3) بحسب تصريح القنصل الروسيّ، أوبرملر (Obermüller) ‹F.O. 195-1140, Zohrab to Elliot, Erzerum, 8 January 1877›. رأى القنصل زوراب أن التسجيل فكرة جيدة، لأنه «ربما يكون ذا فائدة كبيرة للمسيحيين، بترويضهم على استخدام الأسلحة وتعويد المسلمين على رؤية المسيحيّين في زيّ الجنود».

4. See, for example, the report of bribery in F.O. 65-978, no. 92, Rickette to Berby, Tiflis, 10 June 1877.
5. F.O. 65-978, no. 113, Ricketts to Derby, Tiflis, 22 August 1877. See also F.O. 65-978, no. 92, Ricketts to Derby, Tiflis, 10 June 1877.

6) حاولت الحكومة الروسيّة إلقاء اللوم بخصوص مجزرة أردخان على الكاراباباك الذين كانت القوات النظاميّة الروسيّة «عاجزة عن إيقافهم»، هدف ملائم لأن الكاراباباك كانوا مسلمين. تبيّن بعد ذلك أن القوزاق والقوات النظاميّة كانوا أعضاء بارزين في المجموعة التي نهبت وقتلت مسلمي أردخان. على أي حال، كان الكاراباباك تحت إمرة القادة الروس طوال الحرب ‹F.O. 65-978, no. 92, Ricketts to Derby, Tiflis, 10 June 1877›. كان الكاراباباك مجموعة قبليّة صغيرة تقريبًا عاشت في إقليم قارص وفي أذربيجان الروسيّة.

7) ‹F.O. 65-978, no. 125, Rickets to Derby, Tiflis, 15 October 1877›. كان القنصل ريكتس في تفليس معلّقًا دقيقًا على نحو خاص على الوضع في القفقاس. هذا من حسن الحظّ، لأن أقرب قنصل بريطاني جغرافيًّا في الإمبراطورية العثمانيّة، القنصل زوراب في أرضروم، كان شاهدًا متطرفًا ورديئا إلى أبعد الحدود. على سبيل المثال، بالتزامن مع مجزرة أردخان، نقل زوراب أن الجميع كانوا راضين عن الروس: «مع تقدّم الجيش الروسيّ، يخرج المحمّديّون والمسيحيّون ليقابلوه بابتهاج» ‹F.O. 195-1140, Telegram from Zohrab to British Embassy in Constantinople, Erzeroom, 6 May 1877›.
أطلقت القوات الروسيّة النار عمدًا أيضًا على مستشفى أردخان حين استولت على المدينة، كما شهد بذلك أطبّاء أوروبّيون في ذلك الحين ‹F.O. 19511187, letter from Kwiatkowski, the consul of Austria and Hungary at Trabzon to Vice-Consul Biliotti, Trebizond [Trabzon], 13 October 1877›.

8) ‹L. Bernard, les Atrocité Russes en Bulgarie et en Arménie pendant la guerre de 1877, Berlin 1878, pp. 61-64›. ذكر القنصل البريطانيّ للقوقاز، ريكتس، أدلّة قدّمها جنود روس على طعن الروس نساء وأطفال مسلمين بالحراب ‹F.O. 65-977, Ricketts to Derby, Tiflis, 29 May 1877›.

9) ‹F.O. 195-1187, no. 21, Biliotti to Layard, Trebizond, 22 January 1878›. حصل بيليوتي على معلوماته من أحدهم «الدكتور روزنتال، جراح نمساويّ في الخدمة التركيّة» الذي كان في المدينة حين سقطت. وصف سرقة شاملة لجميع سكان المدينة، بمن فيهم مسيحيّين أرمن.

10) ‹F.O. 65-1016, no. 8, Ricketts to Derby, Tiflis, 5 February 1878›. ذكر ريكتس أيضًا إطلاق الروس قذائف المدفعيّة عمدًا على مستشفى قارص.

11. F.O. 65-1016, no. 1 Ricketts to Derby, Tiflis, 1 January 1878.
12. F.O. 65-978, 137, Ricketts to Derby, Tiflis, 26 November 1879. Ricketts feared that few Turkish prisoners would survive.
13. Charles Williams, *The Armenian Campaign*, London, 1878, p. 280.
14. Major Kamsaragan [*sic*] (F.O. 195-1237, no. 42, Trotter to Layard, Erzeroum, 7 June 1879).
15. F.O. 78-2845, no. 101, Biliotti to Salisbury, Trebizond, 14 August 1878.

16. Turkey No. 53 (1878), no. 213, Layard to Salisbury, Therapia, 16 September 1878, in Bilâl N. Şimşir, *British Documents on Ottoman Armenians II*, Ankara, 1982, no. 92.

17) ‹F.O. 195-1237, no. 2, Trotter to Salisbury, Erzeroom [Erzurum], 13 November 1878›. شعر ترُتر بأنه لا يمكن قول الشيء نفسه دائمًا عن القرى التي جرى إيواء الجنود فيها، لأن الضباط الضعفاء سمحوا أحيانًا لرجالهم بالخروج من السيطرة. انظر أيضًا تحليل القنصل بيليوتي الذي توصّل إلى استنتاجات ترُتر نفسها ‹F.O. 78-2845, no. 117, Biliotti to Salisbury, Trebizond, 6 September 1878›.

18. See the numerous references in F.O. 195-1237, correspondence of Clayton to Trotter.

19. Consul Ricketts at Tiflis gave descriptions of the causes of Armenian migrations. (See F.O. 65-978, no. 121, Ricketts to Derby, Tiflis, 2 October 1877.)

20. F.O. 195-1237, no. 2, Trotter to Salisbury, Erzeroom, 13 November 1878.

21. F.O. 65-978, Ricketts to Derby, Tiflis, 28 November 1877. See also, F.O. 65-978, no. 139, Ricketts to Derby, Tiflis, 29 November 1877.

22. The estimate of H. Pasdermadjian in *Histoire de l'Arménie*, 3rd ed., Paris, 1971, p. 311, which is probably only a guess. See also F.O. 424-63, no. 77, Ricketts to Derby, Tifkis, 28 November 1877, *British Documents I*, no. 49.

23) أجرى القنصل بيليوتي دراسة دقيقة للقوارب التي أنزلت المهاجرين المسلمين في طربزون في عام (1877 م) قبل انتهاء الحرب أو الهجرة. قدّر أن (30,000) تقريبًا «نزلوا في طربزون أو مرّوا عبرها. يجب إضافة المهاجرين الذين ذهبوا مباشرة من الساحل القفقاسيّ إلى موانئ تركيّة أخرى إلى هذه القائمة . . قرابة (15,000) يجعل الإجمالي (45,000) مهاجر» ‹F.O. 195-1141, no. 72, Biliotti to Layard, Trebizond, 3 September 1877›. أخبر الموظّف القنصليّ دولرز (Doulers) في سمسُن بيليوتي بأن (8000) تقريبًا نزلوا في سمسُن و(7000) في أونة وفطسة (Fatsa) وترما (Terme) ‹F.O. 195-1141, no. 74, Biliotti to Layard, Trebizond, 7 September 1877›. لم تتضمّن الأرقام السابقة أيّ مهاجر عبر برًا أو وصل بحرًا بعد أيلول عام (1877 م) لذلك، فإن الرقم الإجمالي (60,000) هو أقل من الرقم الحقيقي.

24. F.O. 195-1237, Trotter to Layard, Erzeroum, 7 October 1879. Given their origin, these figures are probably fairly reliable.

25. Official return of refugees from Kars in Sivas Vilâyeti (1881): 27, 712 (F.O. 78-3281, W.S. Richards to Wilson, Siwas, 23 June 1881). See also F.O. 78-3280, Richards to Wilson, Siwas, 29 May 1881, for Richard's lower estimate, made before the official figures were released.

26. On difficulties of refugees setting in and lack of Ottoman funds, etc., see F.O. 78-3280, Richards to Wilson, Siwas, 29 May 1881.

27. F.O. 195-1237, Clayton to Trotter, Mush, 31 July 1879; F.O. 195-1141, Biliotti to Layard, Trebizond, 8 August 1877.

28) ‹F.O. 78-2582, no. 964, Layard to Derby, Therapia, 20 August 1877›. تابع السفير ليَرد وصف بعض أعمال التعذيب التي مورست على المسلمين. نقل القنصل ريكِتس أن مسلمي القفقاس الذين ثاروا في أثناء الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877

–1878 م) قمعهم الروس بضراوة شديدة. نُفيت قبائل كاملة إلى سيبيريا وقُتلت أعداد من النساء والأطفال والثوّار ‹ F.O. 65-978, no. 121, Ricketts to Derby, Tiflis, 2 October 1877›.

29. F.O. 78-3137, Biliotti to Secretary of State for Foreign Affairs, Trebizond, 15 June 1880.

30) لا بدّ من أن جاذبيّة وطنهم كانت قويّة. هناك تقارير عن أن بعضهم عاد فعلاً، مع استمراريّة الحكم الروسيّ. لا أحد يعلم لماذا سمح الروس لهم بالعودة. انظر ‹F.O. 78-3137, Biliotti to Secretary of State for Foreign Affairs, Trebizond, 15 June 1880›.

31. F.O. 78-3281, Marlow to Dufferin, Therapia, 28 June 1881.
32. F.O. 65-1092, no. 23, Lyall to Granville, Tiflis, 14 July 1880.
33. F.O. 65-1092, no. 23, Lyall to Granville, Tiflis, 14 July 1880.
34. F.O. 78-3281, Marlow to Dufferin, Therapia, 28 June 1881.
35. See F.O. 195-1187, no. 130, Biliotti to Layard, Trebizond, 5 September 1877.

36) شعر القنصل بيليوتي بأن «سكان لازستان سيكونون إضافة قيّمة لتركيا؛ إنهم ذوو صفات أرفع بكثير من الجركس والأبخاز» ‹ F.O. 78-2845, no. 118, Biliotti to Salisbury, Trebizond, 7 September 1878›.

37) إن وصف القنصل بيليوتي لوضع اللاز موجز رائع للصعاب الملازمة لهجرة اللاز ‹ F.O. 78-3137, Biliotti to Her Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Trebizond, 20 April 1880›.

38. F.O. 78-2845, Biliotti to Salisbury, Trebizond, 5 September 1878.

39) ‹ Ottoman government statistics, quoted in F.O. 78-380, Biliotti to Dufferin, Trebizond, 5 January 1882›. لفت بول هنز (Paul Henze) نظري بدقة إلى أن كثيرين من اللاز تخلّفوا، ربما لأن الإحصائيات السّوفييتيّة تعرّفهم ب«الأجار».

40) جرى إيواء القوات في القرى والمدن، إلى حدّ ما لحماية السكان المسيحيّين، مباشرة بعد أن وضعت الحرب أوزارها. انظر ‹ F.O. 195-1237, no. 2, Trotter to Salisbury, Erzeroom, 13 November 1878 (also entered in F.O. 78-2846›.

41) ربما كان أفضل تحليل للمنطقة في هذه الفترة تحليل مارك سايكس (Mark Sykes). لم يكن سايكس الشخص الذي يختار جملة لطيفة عندما تفي جملة قاسية بالغرض، ولكن يبدو أن تحليلاته لنفسيّة الثورة والمجزرة قريبة من إصابة الهدف. أتوقع أنه نادرًا ما يُستشهد به بشأن المسألة الأرمنيّة التركيّة لأن كتاباته تجعل كل طرف يبدو سيّئا، الأرمن لخلقهم مشكلاتهم بنفسهم، والأتراك لتصديقهم مزاعم الثوريّين الأرمن والتصرّف وفقا لذلك. انظر ‹ Dar ul-Islam: a record of a Journey through Ten of the Asiatic Provinces of Turkey, London, 1904, pp. 72-78, 115-17, 126-27, and 130-31›. انظر ‹ Dar ul-Islam: a Record of a Journey through Ten of the Asiatic Provinces of Turkey, London, 1904, pp. 72-78, 115-17, 126-7, and 130-1›. ثمة كثير من المواد المثيرة في ‹ Türklere Karşi Ermeni Komitecileri, Istanbul, 1973, including quotes from major Armenian and Turkish figures›. لكن دليُرمن (Deliorman) لا يقدم أي اقتباسات ولا هوامش ما ينتقص انتقاصًا كبيرًا من فائدة الكتاب.

42) شعر كثير من الأرمن بأن روسيا ستمنح الأرمن حكمًا ذاتيـــًا، مع الاضطهادات السابقة للكنيسة الأرمنيّة. على سبيل المثال، انظر › F.O. 424-122, no. 32/1, Clayton to Trotter, Van, 13 December 1880, in British Documents II, no. 56‹.

43. On the openly expressed sympathies, see F.O. 424-1107, no. 213, Everett to Trotter, Erzeroum, 24 November 1880. See also F.O. 424-122, no. 1/1, Memorandum of Lt. Chermside, Smyrna, 22 December 1880 in British Documents II, no. 47, and F.O. 424-141, no. 16/1, Eyres to Everett, Van, 16 March 1884, in British Documents II, no. 227.

44. F.O. 195-1237, no. 3, Trotter to Salisbury, Diarbekir, 17 June 1879. Also F.O. 195-1237, Clayton to Trotter, Van, 19 August 1879.

45. F.O. 424-68, no. 639, Layard to Derby, Constantinople, 18 March 1878, in British Documents I, no. 64.

46. Louis Nalbandian has written an excellent analysis of the aims and actions of Armenian revolutionaries- The Armenian Revolutionary Movement: The Development of Armenian Political Parties through the Nineteenth Century, Berkely and Los Angeles, 1963. See also the excellent descriptions in Salahi Ramsdam Sonyel, The Ottoman Armenians, London, 1987, pp. 109-54, and Esat Uras, Tarihte Ermeniler ve Ermeni Meselesi, Ankara, 1950, pp. 423-60.

47) صرّح أميركيّ في سيواس، الدكتور جُويت (Jewett) بأن الأرمن المحلّيين علقوا بين «حكومتَين» الأولى الحكومة العثمانيّة والثانية شبه حكومة الثوريّين الأرمن. وبحسب قوله، اضطهدت الاثنتان الأرمن › F.O. 78-4683, Jewett to Nicolson, Sivas, 10 September 1893‹. عرّف البريطانيّون جُويت بأنه «قنصل أميركيّ»، لكن يبدو أن ذلك بعيد الإمكان. انظر أيضًا › F.O. 78-4683, no. 547, decipher from Mr. Herbert, Constantinople, 28 October 1895‹.

48. William Langer quoted in Kamuran Gürün, *The Armenian File*, London, 1985, p. 128. See also Sonyel, pp. 156 and 157.

49) إن دور الموظّفين الروس في الظهور الأولي للحركة الثوريّة الأرمنيّة غير معروف تمامًا. أما أن روسيا أدّت دورًا فعّالاً في الحركة، فهذا ما يوافق عليه المعاصرون. انظر › F.O. 424-132, no. 101, Everett to Trotter, Mamakhatun, 5 June 1882 in British Documents II, no. 189 and the enclosures in F.O. 424-132, no. 36, Dufferin to Granville, Constantinople, 11 February 1882, in British Documents II, no. 167‹.

50. Turkey No. 7 (1880), no. 3, pp. 2-8, Layard to Her Majesty's Secretary of State for Foreign Affairs, Constantinople, 27 April 1880, in *British Documents I*, no. 354.

51) في الاضطراب في إقليم وان في عام (1892 م) قتل الكرد الأرمن، وقتل الأرمن الكُرد، وقتل الكُرد الأتراك (جنودًا وموظفين) › F.O. 78-4683, no. 17, Fitzmaurice to Graves, Van, 20 June 1892‹. جرت تغطية تلك الفترة في العلاقات التركيّة الأرمنيّة في ›Sonyel, pp. 155-99‹.

52. Gürün, pp. 139-42. Sonyel, pp. 155-59.

53. Gürün, pp. 150-54.

54. "Zeitunlis have surrounded the Turkish troops between Marash and Zeitoun" (F.O. 78-4683, no. 565, decipher from Herbert, Therapia, 31

October 1895, quoted from H.M. Consul in Aleppo; Herbert said that the Turks might be defeated).

(55 قدّر الجنرال العثمانيّ المسؤول عدد الثوار الأرمن في منطقة زيتون-مرعش بثمانية آلاف › F.O. 78-4683, no. 610, decipher from Herbert, Therapia, 5 November 1895, quoted from H.M. Consul in Aleppo‹. انظر أيضًا ‹Sonyel, pp. 158-72› وكذلك أعداد من الرسائل لا حصر لها من السفير العثمانيّ، تضم برقيات من اسطنبول عن بدء الأرمن بالاضطرابات في إقليم (ولاية) أضنة، في › F.O. 78-4683 and F.O. 78-4683, no. 534A, decipher from Currie, Therapia, 27 October 1895, evidence of H. M. Consul in Aleppo‹.
ومع أن الدافع الثوريّ للثورة يبدو واضحًا، ألقت مصادر أرمنيّة معاصرة اللوم بخصوص الاضطرابات في زيتون في تسعينيّات القرن التاسع عشر على كلّ شيء ممكن، بما فيه مؤامرة عثمانيّة مزعومة لحقن السمّ في الأطفال الأرمن في أثناء إعطائهم اللقاحات › F.O. 78-4683, F.O. summary of notes by Mr. Campbell of 8 January 1891‹.

(56 ›Gürün, pp. 154-56. See also Sonyel, pp. 172-3‹. لرؤية صورة أكثر تفصيلاً عن تمرد وان (1895–6 م)، انظر › General Mayewski (Consul Général de Russie à Van puis à Erzéroum), Les Massacres d'Arménie (found in the British Library-9134q2). This copy, dated 1916, states that it is a "painstaking transcription" from his report titled Statistique des Provinces de Van et de Bitlis, which was published in limited number by L'Impremerie Militaire à Pétersbourg . The copy used is in Russian and French, and the section on the Van rebellion is pp. 33-49. Other than this copy, I have only seen the Ottoman Turkish translation of the complete original, Van ve Bitlis İstatisiği, Mehmet Sadik, trans. Istanbul, 1330‹.
يقدّم ميفسكي (Mayewski) عدة رؤى مثيرة للاهتمام عن الثوريّين الأرمن الذين يشجبهم بقوة، لكنه ينسب أكثر دعمهم إلى البريطانيّين!.

57. Also called Muşeg and Mushech.

(58) › Gürün, pp. 166-70 and Sonyel, pp. 281 and 282. See also United States National Archives, Department of State Records (hereafter U.S.) 867.4016/13, Rockhill to Secretary of State, Constantinople, 26 Februrary 1913. La Situation des Arméniens en Turquie, exposée par des documents, 1908-1912, vol. III, the Report of "the late Babiguian Effendi, deputy from Adriamople," on the Adana massacre‹. هذا كتيّب نشرته البطريركيّة الأرمنيّة. يذكر المؤلّف في الصفحة (19) اختلافات مهمة في الأرقام الإجماليّة المقدّمة عن أعداد الذين قتلوا. بحسب بابيكيان، قال الأرمن وبعض الصحفيّين الأجانب إن العدد يراوح بين (25,000) و(30,000) لكنّ الحكومة قالت إن العدد (6000) تقريبًا. يذكر بابيكيان الأرقام العثمانيّة عن الذين قتلوا وهي (1487) مسلمًا و(4196) غير مسلم، أي إن العدد الإجماليّ هو (5683) لكنّه يضيف أن أعدادًا أخرى لم تدخل السجل. (نُقل أنه جرى استخراج الرقم 5683 من تحليل لسجلات الحكومة عن عدد السكان). بخصوص مشكلات الأرمن، راجع المنشورات المختلفة الأخرى في السلسلة نفسها في › U.S. 867/4016/13, 17, 20, 21 (same title as basic series

above). من المثير للاهتمام أن الحكومة العثمانيّة لم تمنع على ما يبدو طباعة وانتقال وثائق الدعاية الأرمنيّة هذه.

59. F.O. 78-4483, Graves to Nicolson, Erzeroum, 5 October 1893, Consul Stevens reported that families of Armenians moved from the Eleşkirt region to Kars and whole villages were expected to move soon (F.O. 78-4683, no. 22, Stevens to Rosebery, Batoum, 23 August 1893).

60. F.O. 78-3137, Biliotti to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Tripoli, 1 October 1880.

61. F.O. 78-3137, Biliotti to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Fasta, 1 August 1880.
Consul Biliotti spoke to Greek emigrants from Gümüşhane who were leaving for Russia because of the closure of the Ottoman mines and the need for work (F.O. 78-2992, no. 39, Biliotti to Her Majesty's Principal Secretary for Foreign Affairs, Trebizond, 24 April 1879).

62. F.O. 78-3137, no. 14, Biliotti to Her Majesty's Principal Secretary for Foreign Affairs, Trebizond, 29 May 1880.

63) إن ما يُثبت ذلك هو حقيقة أن بعض الأرمن الذين فرّوا إلى روسيا في عامي (1877–1878 م) عادوا إلى الإمبراطورية العثمانيّة وهم يحملون جوازات سفر روسيّة ‹F.O. 78-2992, Biliotti to Salisbury, Trebizond, 24 February 1879›.

64) تحدّث كثير من القرويّين الأرمن عن الهجرة لكنهم لم يفعلوا ذلك وربما لم يكن في نيّتهم أن يفعلوا ذلك أصلاً. راوحت دوافعهم لنشر الشائعات عن رحيلهم الوشيك من ضمان معاملة أفضل من البكوات المحلّيين إلى إجبار الحكومة العثمانيّة على عدم توطين اللاز في قراهم (في هذه الحالة، قالوا إنّهم سيرحلون). انظر ‹F.O. 78-3137, Biliotti to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Trebizond, 14 May 1880›.

65. On the Russian use of disinformation and psychological pressure to foster Armenian emigration, see F.O. 424-74, no. 436, Plunkett to Salisbury, St. Petersburgh, 19 September 1878 in *British Documents I*, no. 213, and F.O. 424-72, no. 211, Layard to Salisbury, Therapia, 14 July 1878 in *British Documents I*, no. 182.

66) بعد إبدائه ملاحظة عن كم كانت روسيا مستعدّة لقبول هجرة أكثر المسيحيّين من الشرق العثمانيّ وتسهيلها، أضاف القنصل بيليوتي، «لكن يبدو أن الحكومة الروسيّة تعارض السماح للمسيحيّين المعدمين من تركيا بالتوجّه إلى روسيا، وجرى إرسال الأوامر بهذا الشأن إلى الولاة [العثمانيّين] ‹F.O. 78-3137, Biliotti to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Fatsa, 1 August 1880›.

67) في الحقيقة «فطسة وأونة وثرمة (Therme) وجهارشنبة».

68) ‹F.O. 78-3137, Biliotti to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Uniah, 15 August 1880›. مثال آخر من القنصل بيليوتي: «نقل قائمّقام أردو إليه [الحاكم العام لإقليم طربزون] منذ فترة غير بعيدة أنه نظرًا إلى أن سكان ثلاث قرى يونانيّة في منطقته أبدوا عزمهم على مغادرة البلد، فإنه استفسر من بعض السكان الأصليّين عن دوافع رحيلهم المرتقب، وأنّهم لم يخفوا عنه أنّهم يفعلون ذلك بتحريض من الموظّف القنصليّ الروسيّ في كراسوند (Kerassond) الذي وعدهم بالمال والأرض وميزات أخرى في روسيا» ‹F.O. 78-3137, no. 6, Biliotti to Her

Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Trebizond, 30 April 1880›.

69) ‹F.O. 78-3137, Biliotti to Her Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Trebizond, 30 April 1880›. جرى تطبيق السياسة العثمانيّة في تقييد الهجرة، في الوقت نفسه، التحقيق في أسباب الشكاوى الأرمنيّة في مناطق أخرى أيضًا. انظر ‹Turkey No. 1 (1890-91), no. 37/6, Lloyd to White, Erzeroum, 1 May 1890, in British Documents II, no. 350›.

70. Biliotti enumerated the Christian emigrants in his district. See F.O. 78-3137, Biliotti to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Fatsa, 1 August 1880.

71. F.O. 424-145, no. 66/1, Wratislaw to White, Erzeroum, 24 May 1888, in *British Documents II*, no. 286.

72. F.O. 78-3132, no. 7, Trotter to Salisbury, Diarbekir, 3 March 1879.

73. F.O. 195-2992, Biliotti to Her Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Trebizond, 9 May 1879.

74) ‹Firuz Kazemzadeh, The Struggle for Transcaucasia, New York, 1951. Reference here are to the 1981 reprint, pp. 16-19›. تذكر فيروز كاظم زاده أن الروس «أدوا دورًا شائنًا في الشعب الأرمنيّ الأذربيجانيّ. كانت لديهم القوة لمنع سفك الدماء، ولكن بدلاً من ذلك امتنعوا من التدخّل في العداء بين الشعبَين» (ص 19). بخصوص الحرب بين الطوائف، راجع ‹Tadeusz Swietochowski, Russian Azerbaijan, 1905-1920:41-43›. ‹Luigi Villari, 1906:144-99› يبحث في الموضوع ذاته، مع تعليقات مثيرة للاهتمام (أي ص 145، 196) لكنّ رواياته كثيرًا ما تكون مخالفة لجميع روايات الآخرين وآراءه متطرفة إلى درجة يستحيل معها عدّه مصدرًا موثوقًا.

75. F.O. 65-1714, no. 7, Stevens to Landsdown, Batoum, 25 February 1905.

76. F.O. 65-1714, no. 9, Stevens to Landsdown, Batoum, 1 March 1905.

77. F.O. 65-1714, no. 15, Stevens to Landsdown, Batoum, 10 March 1905.

78) «يبدو أن الاضطرابات نشأت بسبب قتل جنود أرمن لمحمّديّ وهجوم أرمن على محمّديّ محترم في شارع مفتوح» ‹F.O. 65-1699, no. 142, Hardy to Landsdowne, St. Petersburg, 26 February 1905›.

79. F.O. 65-1714, "Report on the Situation in Baku from October 15 to 31 (o.s.), 1905" by A. E. Ranald McDonell, Acting Vice-Consul, transmitted in Stevens to Landsdowne, Batoum, 22 November 1905.

80) ‹F.O. 65-1714, no. 43, Stevens to Landsdowne, Batoum, 12 September 1905›. لم يكن القنصل بي ستيفنز صديقًا لأولئك الذين سمّاهم تتارًا. ومع أنه حاول أن نقل الأحداث على نحو دقيق، كان يحابي القضيّة الأرمنيّة باستمرار. على سبيل المثال، «استطاع تفوّق ذكائه واقتصاده [لما يسمّيه 'العرق الأرمنيّ'] أن يُحدثا منافسة لا يستطيع التتار أن يطمحوا إلى التعامل معها بأي درجة من النجاح قط» ‹Ibid›.

81. F.O. 65-1714, Stevens to Landsdown, Batoum, 20 June 1905.

82. F.O. 65-1714, no. 33, Stevens to Landsdown, Batoum, 20 June 1905.

83. F.O. 65-1714, Stevens to Landsdown, Batoum, 9 October 1905.

84) ‹Leonard Ramsden Hartill, 1928:20-21›. هذا الكتاب هو قصة أوهانوس أبريسيان (Ohanus Appressian) خلال سنوات الحروب في القفقاس من عام (1905 م) وحتى عام (1921 م) كما رُويت للأميركيّ هارتل. ومع أن هارتل "صاغ" قصة أبريسيان، فإن التفاصيل، خصوصًا آراءه المجحفة بالتّتار، إنما هي نموذجيّة للأميركيّين في سنّه إلى حد لا يمكن أن تكون من تأليف أرمنيٍّ. حيث إن بعض ما وصفه أبريسيان كان من الدقة بحيث لا يمكن دحضه. على سبيل المثال، يعطي وصفه لسقوط قارص بيد الأتراك وصفًا دقيقًا للتقهقر الأرمنيّ المندفع، وهو أمر لم يُقبل على أنه حدث دقيق تاريخيّـــا إلاّ حديثًا على ضوء أدلّة جديدة. لو اعتمد هارتل على المصادر الأدبيّة المتاحة له آنذاك، لكان قدّم رواية مختلفة تمامًا، رواية تصف دفاعًا شجاعًا عن المدينة.

85) ‹The Russian Empire, 1801-1917, 1967: 611›. تلوم فيروز كاظم زاده السلطات الروسيّة على تراخيها من دون أن تتساءل عن أهدافها: «أدت السلطات الروسيّة دورًا شائنًا في الشغب الأرمنيّ الأذربيجاني. كانت لديها القوة لمنع سفك الدماء، ولكن بدلاً من ذلك امتنعت من التدخّل في العداء بين الشعبيّن. اعترف [نائب الملك] فورونتسوف-داشكوف (Vorontsov-Dashkov) نفسه بأن السلطات كانت ساكنة تمامًا تقريبًا خلال مجازر شباط عام (1905 م)» (ص 19).

5] حروب البلقان

1. Justin McCarthy, "The Population of Ottoman Europe Before and After the Fall of the Empire," *Proceedings of the Third Conference on the Social and Economic History of Turkey*, edited by Heath W. Lowry and Ralph S. Hattox, Istanbul, 1990, pp. 275-98.
2. For a detailed consideration of the population of ottoman Europe, see McCarthy, "The Population of Ottoman Europe".
3. See Justin McCarthy, "Muslim Refugees in Turkey: The Balkan Wars, World War I, and the Turkish War of Independence," in *Humanist and Scholar: Essays in Honor of Andreas Tielze*, Istanbul, 1993, pp. 87-111.

4) ‹Barbara Jelavich, 1983:97›. مع انتهاء حلفاء البلقان من وضع خططهم للحرب، غيّرت روسيا، الخائفة بحقّ هذه اللحظة من اندلاع حرب أوروبّية شاملة في البلقان، من سياستها. طالبت روسيا، في مذكّرة مشتركة مع النمسا (8 تشرين الأول عام 1912 م) بالمحافظة على الوضع الراهن. لكن سبق السيف العَذل.

للاطلاع على تاريخ حروب البلقان انظر المؤلفات في ثبت المصادر.

5) وافقت بلغاريا وصربيا في معاهدتهما في (13 آذار 1912 م) على تقسيم بعض الأراضي العثمانيّة، ولكن ظلّ الكثير منها موضع خلاف.

6) في [3] آيار، أجبرت النمسا الجبل الأسود على التخلّي عن أسكودار.

7) أنهت معاهدة بوخارست حرب البلقان الثانية في 10 تموز عام (1913 م). وقّعت الإمبراطورية العثمانيّة معاهدة سلام منفصلة مع بلغاريا، معاهدة القسطنطينيّة، في 29 أيلول عام (1913 م).

8. F.O. 371-1762, Lamb to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Salonica, 9 March 1913.

9) بذل الروس جهودًا بلا جدوى لضمان أن يحتفظ الجبل الأسود بأسكودار وصربيا بدورازو (Durazzo) لكن المصالح النمساويّة هيمنت وجرى تسليم المدينتَين.
10. F.O. 195-2438, no. 6650, Lamb to Lowther, Salonica, 3 December 1912.
11. For a description of the komitaji mentality, see Hermengiled Wagner, *With the Victorious Bulgarians*, London, 1913, pp. 244-46.
12. F.O. 195-2438, no. 7076, Morgan to Lowther, Cavalla, 28 December 1912.
13. F.O. 195-2438, no. 6650, Lamb to Lowther, Salonica, 3 December 1912.
14. F.O. 195-2438, no. 6650, Lamb to Lowther, Salonica, 3 December 1912.
15. F.O. 195-2438, no. 6866, Lamb to Lowther, Salonica, 13 December 1912.
16. F.O. 371-1762, no. 55161, Greig to Crackanthorpe, Monastir, 19 November 1913.
17. F.O. 320-2, Report of Lt.-Colonel Muricchio, an official Italian observer, in Lamb to Grey, Valona, 20 April 114.
18. Reports of Austro-Hungarian consuls given by the correspondent of the *Daily Telegraph, Les Atrocités des Coalises Balkaniques*, no. 1, Constantinople, 1913 (hereinafter quoted in *Les Atrocités I*), pp. 14-18.
Like the other participants in the Balkan Wars, the Ottoman published books that detailed the atrocities of their enemies. The ostensible authors were identified as Le Comité de la Défense Nationale or Le Comité de Publication D.A.C.B. In reality, they can be viewed as governmental publications. As propaganda, they are poor specimens, simply copying reports from Western journalists and official Ottoman reports. This makes better historical sources. In addition to no. 1, cited above, at least five small books were published:
Les Atrocités de Coalises balkaniques, no. 2, Constantinople, 1913 (hereinafter Les Atrocités II).
Les Atrocités de Coalises balkaniques, no. 3, Constantinople, 1913 (hereinafter Les Atrocités III).
Les Atrocités de Bulgares en Thrace, no. 4, Constantinople, 1913.
Les Atrocités de Grecs en Macedoine, no. 5, Constantinople, 1913.
Come Over Inta Macedonia and Help Us, Constantinople, 1913.
19. Report of the correspondent of the *Koelnische Zeitung* (*Les Atrocités I*, pp. 20 and 21).

20) بناءً على تقارير الأب غوستاف ميشيل (Gustav Michel) الذي قدّم عن المجازر في كركوت الرواية ذاتها التي قدّمها القنصل لامب، أيّد تصريحاته المبشّرون البروتستانت (الأب إم برونو M. Brunau من الإرساليّة التبشيريّة الإنجيليّة الألمانيّة والأب بي تيخوفانيان P. Toekhuvanian من الإرساليّة التبشيريّة الإنجيليّة الأرمنيّة والأب إيه ميتسوبولوس A. Mitsopoulos من الإرساليّة التبشيريّة الإنجيليّة اليونانيّة) الذين لم يكن لديهم سبب لتضخيم خسائر المسلمين بالتأكيد › The Crimes of Bulgaria, 1914:12-15›.

نشرت اليونان وبلغاريا في أثناء حربِ البلقان الثانية وبعدها «كتبًا عن الأعمال الوحشية» لدعم موقفهما. وصفت كل واحدة الأخرى بأنّها قاتلة للمدنيّين ومنتهكة لقوانين الحرب، إلى آخره. كانت المواد المتاحة لدعاية كهذه وفيرة، لأن سجلات الطرفين كانت شنيعة. من المثير للاهتمام أن المنشورات اليونانيّة وصفت على نحو لافت للنظر الجرائم البلغاريّة ضد المدنيّين المسلمين، وليس ضد اليونانيّين فحسب. اكتفى البلغار بإدراج الهجمات اليونانيّة على البلغار.

إن الكتب اليونانيّة عن الأعمال الوحشية مصادر قيّمة لكيفيّة معاملة البلغار للمسلمين. ربما لأن السجلّ البلغاريّ كان جليّـــا إلى حدّ بعيد، نادرًا ما شعر اليونانيّون بالحاجة إلى تضخيم الأعمال الوحشية البلغاريّة، وكانت الروايات اليونانيّة منسجمة إلى حدّ بعيد مع المصادر القنصليّة. ولكن، بسبب الطبيعة الدعاويّة للكتب، لم تُستخدم المواد المستقاة منها هنا إلاّ إذا كانت موثّقة.

ومن ضمن الكتب الأكثر شهرة التي تصف تلك المذابح الآتي ذكرها ‹ Dr. Lubomir Miletitch, 1913; Commission d'enquête de l'association Macedonienne, 1913; University of Athens, 1914; Greece, Les Crualité Bulgares en Macedoine Orientale et en Thracem 1912ß1913, 1913. Les professeures de l'Université de Sophia, Sophia 1913›.

عمومًا، نسخت الكتب اليونانيّة كلّها المادة نفسها، وكثيرًا ما كان كلّ كتاب يستخدم كلمات الكتاب الآخر نفسها. تتضمّن التقارير القنصليّة البريطانيّة بعضًا من المواد الخام الموجودة في هذه الكتب الدعاويّة. انظر على سبيل المثال، ‹F.O. 371-1840, no. 40191, O'Reilly to Grey, Sophia, 20 August 1913 and no. 44222, 24 September 1913› إلى رسائل زُعم أنها رسائل مستولى عليها من جنود يونانيّين يتبجّحون بالأعمال الوحشية، إلى آخره. الرسائل المقدّمة نسخ مصوّرة، فإذا كانت مزوّرة، فلا بدّ من أن يكون التزوير على درجة عالية من الإتقان. أظن أن الرسائل حقيقيّة.

(21 « . . مع اندلاع الحرب، ظلّت الصحافة الأورُبيّة صامتة تقريبًا على نحو منهجيّ بخصوص الأهوال المنقولة، لكن التقارير الواردة كلّ يوم من السكان اليونانيّين والمحمّديّين تتضمّن تفاصيل رهيبة إلى أبعد حد عن معاملة البلغار لهم. يؤكد آلاف اللاجئين الذين يصلون إلى هنا يوميّـــا صحّة هذه التقارير. .» وقع على هذا التقرير كلّ من ‹ Crawford Price of the London Times, Emil Thomas of the Paris Temps, P. Tiano of the Paris Journal, Luciano Magrini of the Milan Secolo, P. Donaldson of the Reuter Agency, G. Turbe of the Havas Agency, Captain T. A. Trapmann of the London Daily Telegraph, A. Grohmann of the Frankfurter Zeitung and the Neue Freie Presse of Vienna, and M. Bessantchi of the Vienna Zeit (The Crimes of Bulgaria, pp. 5 and 6)›.

جرى نسخ هذه التقارير في كتاب دعاية رسميّ للحكومة اليونانيّة، لكنه يبدو أنه موثّق جيدًا: «يقدّرون في الدوائر الرسميّة في القسطنطينيّة أن العدد المروّع للمسلمين الذين ذبحهم الجيش البلغاريّ يفوق (300,000) في مقدونيا وثراقيا خلال فترة احتلال الإقليمَين» ‹ Les Cruautés Bulgares en Macedoine Orientale et en Thrace, 1912-1913›. لم أجد مصدرًا عثمانيّـــا يذكر رقمًا كهذا، لكن ذلك يتناسب مع وفيات المسلمين التي جرى حسابها في هذا الفصل.

(22 يضع تقرير لجنة كارنغي للتحقيق (ص 282–283) قائمة برجال اقتيدوا إلى الوَهد من قرى سملجول (Samalcol) وموجتيان (Mouchtian) وأحدلر (Ahadler) وإسرلي (Esirli) وآخرين من قرى أخرى قتلهم «يونانيّو كسروب (Casroub)» من دون ذكر مكان القتل، بعدد إجمالي (195).

مع أن تقرير اللجنة الدوليّة للتحقيق في أسباب حروب البلقان والتصرّفات فيها ‹Report of the International Commission to Inquire into the Causes and Conduct of the Balkan Wars (Washington, D.C., 1914)› يحتوي على كميّة كبيرة من المواد المفيدة ويحاول في كثير من الأحيان (ولا يحقّق إلاّ نادرًا) أن يكون على الحياد، إلاّ أنه مائل للبلغار ومناهض لليونانيّين والأتراك على نحو لا لبس فيه. إن تطرف التقرير ضد المسلمين الأتراك نموذجيّ للتطرف الشائع على نطاق واسع في أورُبة وأميركا في ذلك الوقت (وحتى فترة طويلة بعده). كان يُنظر إلى الإمبراطورية العثمانيّة في كل مكان على أنها دولة «شرقيّة» جديرة بالاهتمام فقط حين يكون الأمر متعلّقًا بأفعالها التي تؤثّر في اليونان أو بلغاريا أو صربيا. أُجريت في الكتاب مقابلات مع مسؤولين في الدول المسيحيّة وأُعطيت آراؤهم مكانة كبيرة؛ لم تجرِ استشارة مسؤولين عثمانيّين. زُوّد كلّ من الدول المسيحيّة بمواد إحصائيّة مفصّلة، ولم تُزوّد الإمبراطورية العثمانيّة بأي مادة منها. وجهات النظر الوحيدة للإمبراطورية العثمانيّة وحكومتها جاءت مما قالته عنهما الدول التي خلفتهما- كما هو متوقع، وصف ليس فيه شيء من الإطراء.

ينشأ تطرف التقرير من تطرف وجهل المؤلّفين. يصف المؤلّف الرئيس، بارون دستورنل دو كونستن (Baron d'Estournelles de Constant) حبّه لبلغاريا بسرور و «الجهودَ النبيلة في نمو وتطوّر الثقافة الماديّة والفكريّة والأخلاقيّة في بلغاريا» (ص 2). يتّهم اليونان في مقدّمته بـــ«العسكريّة» لكنه لم يذكر عسكريّة بلغاريا. في تعليقاته التمهيديّة العامة لم يذكر الإمبراطورية العثمانيّة إطلاقًا. كان أحد أعضاء اللجنة، الأستاذ ميليوكوف (Milioukov) معروفًا مواليًا بلغاريًا إلى درجة أن وجوده في اللجنة أصبح دعوى معاصرة تثير اهتمام الرأي العام، ورفض العديد من الصرب واليونانيّين، بمن فيهم موظفون حكوميون، أن يتحدّثوا إليه.

كان أكثر أعضاء اللجنة سياسيّين. أما العلماء من الأعضاء فكانوا أساتذة في التربية أو القانون ولم يكن لديهم خبرة أو معرفة تُذكر بالمنطقة، باستثناء الأستاذ ميليوكوف الذي كان على معرفة بالبلقان (وكان أيضًا عضوًا في المجلس التشريعيّ لنقولا الثاني، وهذا ليس إعلانًا للنزاهة). لم يكن أيّ عضو يتكلّم اللغة التركيّة، لذلك، لم يستجوبوا اللاجئين أو الجنود الأتراك إلاّ بحضور مترجم رسميّ بلغاريّ أو يونانيّ أو صربيّ. كان غياب اللغويّين والمؤرّخين عن اللجنة واضحًا في كلّ منعطف. بسبب هذا الغياب، كان يحدث هراء من النوع التالي أكثر مما ينبغي: «كان كثير من الأتراك في ظلّ الحكم البلغاريّ منذ نشوء المملكة؛ نادرًا ما اضطرّوا إلى التذمّر من أسيادهم الجدد» (ص 157).

ومع كلّ ذلك، فإن تقرير كارنغي ذو قيمة لبحث عن مسلمي البلقان، لأن معاناة المسلمين كانت فاضحة وواضحة إلى درجة أن المراقبين المتطرفين اضطرّوا أحيانًا إلى الاعتراف بالأعمال الشريرة التي ارتُكبت بحقّهم وتسجيلها. كانت ذات أهميّة على نحو خاص تلك المقابلات المطوّلة التي أُجريت مع مسلمين أورُبيّين وبلقان كانوا على أرض الحدث في أثناء المجازر والأعمال الوحشية (والذين سُمح لهم بالحديث عما عانوه على أيدي اليونانيّين حين كان المترجم بلغاريّـــا، والعكس بالعكس).

23. F.O. 371-1840, no. 44575, no consular officer listed, Sofia, 24 September 1913, "Notes Taken by Two Members of the Balkan Relief Fund.".
24. F.O. 195-2438, no. 6650, Lamb to Lowther, Salonica, 3 December 1912.
25. F.O. 195-2438, no. 6650, Lamb to Lowther, Salonica, 3 December 1912.
26. F.O. 195-2438, no. 3223, "Traduction du télégramme reçu aujourd'hui du généralissime de l'armée ottomane Izzet Pacha à Tchorlou."
27. On 5 November 1912 (F.O. 371-1762, Young to Bax-Ironside, Cavalla, 21 December 1912).

28) «بعد احتلال البلغار لدرامة في الخامس من تشرين الثاني، كما جاء في محتوى رسالتي ذات الرقم (156) في الخامس عشر، أعلن أن السلطات العسكرية أجازت نهبًا شاملا للجزء المسلم من المدينة». جرى تنظيم المسيحيّين المحلّيين في «ضرب من الميليشيا» وأرسلوا لنزع أسلحة المسلمين المحلّيين. نتج من ذلك أعمال وحشية ونهب، إلى آخره. قتل أكثر الذين كانت عندهم أسلحة. «قتل الرعاع المسيحيّون جميع الجنود الجرحى تقريبًا» ‹ F.O. 195-2438, no. 6650, Lamb to Lowther, Salonica, 3 December 1912›.

29. F.O. 371-1762, Young to Bax-Ironside, Cavalla, 21 December 1912.
30. F.O. 195-2438, no. 6558, Badeth to Eyres, Dedeagatch, 21 November 1912.
31. Gustave Cirilli, *Journal du Siège d'Andrinople*, Paris, 1913, pp. 106 and 141.
    Cirilli's accounts were corroborated by the Russian journalist Maschov, writing for *Novoye Vremya* (copied in *Les Atrocités des Bulgares en Thrace*, no. 4, Constantinople, 1913).
32. Cirilli, p. 142.

33) ‹Cirilli, p. 145›. يقدّم سيريلّي قائمة مفصّلة عن أسعار المواد الغذائيّة والبنزين، إلى آخره. لا يذكر القمح في قائمته، إغفال غريب في بلد كان الخبز العنصر الرئيسي للغذاء فيه. ربما لم يكن متوافرًا. يذكر الحليب برفع قليل لسعره تقريبًا (من 0,5 فرنك للتر إلى 1,5 فرنك للتر) وهذا غريب أيضًا، لأن المرء يفترض أن الأبقار جرى التهامها.

34. Cirilli, pp. 154 and 155.

35) ‹Carnegie, p. 114›. المحلّيون أكثر دراية بمن كان لديه ممتلكات وأين يمكن أن تُخبّأ، لذلك، فإن علاقة الجنود والنهّابين المحلّيين كانت تكافليّة.

36. See Carnegie, pp. 326-30, for a Russian description of the state of Edirne, which includes the rapes, etc.
37. Cirilli, pp. 155 and 156. See also F.O. 371-1763, no. 15649, Young to Grey, Philippopolis, 5 April 1913.
38. Carnegie, p. 111.
39. F.O. 371-1762, no. 17618, Letter to Ameer Ali, of the British Red Crescent Society, from G. D. Turner, in charge of aid at Adrianople, Adrianople, 4 April 1913.
40. See pp. 156 and 157.
41. F.O. 371-1762, Young to Bax-Ironside, Philippopolis, 2 January 1913. See also F.O. 371-1762, Young to Bax-Ironside, Cavalla, 21 December 1912.
42. Les Atrocités II. P. 9.

43) في الحرب الروسيّة التركيّة عامي (1877 و1878 م) كان ضباط روس حاولوا وقف الهجمات البلغاريّة على المسلمين. ذكرت السجلات القنصليّة عددًا منهم. لم أستطع أن أجد سجلات مماثلة لضباط بلغار حاولوا وضع حدّ لمجازر ونهب العصابات.

44) F.O. 195-2438, no. 6762, Lamb to Lowther, Salonica, 11 December 1912; Other copies are in F.O. 371-1763 and 424-236. ذكر القنصل البريطاني مورغن أن القوات النظاميّة البلغاريّة نادرًا ما كانت مسؤولة عن هذه المجازر، لكنها لم تفعل شيئًا لمنع العصابات والمحلّيين من القتل. متحدّثًا عن المواد البلغاريّة المعدّة للنشر التي تستنكر الأعمال الوحشية، لاحظ أن "سخط" بلغاريا المعلَن بشأن المجازر كان مبنيّـــا على أساس «إنقاذ سمعة بلغاريا أمام أورُبة» F.O. 195-2438, no. 9076, Morgan to Lowther, Cavalla, 28 December 1912.

45. F.O. 195-2438, no. 6866, Lamb to Lowther, Salonica, 13 December 1912.
46. F.O. 195-2438, no. 6762, Lamb to Lowther, Salonica, 11 December 1912; F.O. 195-2438, no. 6866, Lamb to Lowther, Salonica, 13 December 1912.

47) قدّر العثمانيّون (4700) قتيل، لكن ذلك تضمّن أعدادًا كبيرة من اللاجئين الذين قضوا في المنطقة Les Atrocités I, p. 6.

48. F.O. 195-2438, no. 6866, Lamb to Lowther, Salonica, 13 December 1912.
49. Les Atrocités I, p. 7.
50. The report of Yusuf Kenan Bey, director of the Turkish *Kolej* in Dedeağaç, and the official report of the French general Baumann, Chief Inspector of the Macedonian Gendarmerie, in *Les Atrocités II*, pp. 8-14.
51. F.O. 371-1762, Young to Bax-Ironside, Cavalla, 21 December 1912.
52. F.O. 371-1842, no. 34936, Durham to Nevinson, Scutary [*sic*], 21 July 1913.

53) كانت هناك تجارة مربحة بالفحم، لهذا كان الصرب يقطعون الأشجار بنشاط في إقليم مناستر. ربما فعل أولئك من الجبل الأسود الشيء نفسه.

54. F.O. 371-1762. Lamb to Grey, Vallona, 21 November 1913

55) تقرير عن الناجين الألبان من موظفة وكالة الغوث، الآنسة دُرهام (Durham): «ركبتُ إلى كوبليكلو (Kopliklu) يوم أمس ووجدتّها أكبر بكثير وأسوأ حالاً بكثير مما ظننته عنها. كان يجب عليّ الذهاب إليها من قبل. لكن كان هناك عدد كبير من الآخرين. إن كوبليكلو مروّعة. وأقلّ من إطعام الناس خلال الشتاء، لا أجد طريقة لإنقاذهم. إنهم غير قادرين على زرع أي أرض تُذكر، معدمين على نحو مطلق، في قطع ممزّقة من الثياب، كل شيء محروق ومنهوب . . منذ أنَ عاد الناس البائسون إلى بيوتهم المدمّرة مات (176) منهم– من الإسهال بالدرجة الأولى، ربما بسبب أكلهم للأعشاب وما شابه . .».

ظنت الآنسة دُرهام أن القوى الأورُبيّة التي احتلّت أسكودار للمساعدة في إنشاء أمّة ألبانيّة جديدة، كانت تتجاهل المشكلة الحقيقيّة: «كم يبدو هراء ما تنفقه القوى الخمس والربّ أعلم، للإبقاء على كلّ تلك المدرّعات، وأمراء البحر، والجنود، إلى آخره، يتسكّعون في سبيل فائدة بعيدة لسكان يموتون جوعًا خارج سكوتاري. إلى

حين أن تقرّر القوى ماذا تفعل سيكون عدد كبير من هؤلاء البائسين في عداد الأموات، تمامًا كما تمنّاه أهل الجبل الأسود لهم» ‹F.O. 371-1842, no. 36364, Durham to Nevison, Scutari, 28 July 1913›.

56. F.O. 320-2, Lamb to Grey, Vallona, 25 October 1913. Descriptions of some Greek offenses are included. See also F.O. 320-1, Lamb to Grey, Vallona, 7 November 1913, and F.O. 320-2, Lamb to Grey, Vallona, 3 April 1914.

57. F.O. 371-1840, no. 49288, Lamb to Grey, Vallona, 25 October 1913, and no. 51544, 7 November 1913 and F.O. 320-2, Lamb to Grey, Vallona, 6 February 1914.

58. F.O. 320-2, Telegram from General de Veer to the International Commission of Control, Durazzo, 5 May 1914, copied in Lamb to Grey, Durazzo, 6 May 1914. The same dispatch includes local reports of anti-Muslim atrocities.

59) انظر، على سبيل المثال ‹F.O. 371-1846, no. 46303, letters to and from Aubrey Herbert, October 1913›. صرّح المندوب الإيطاليّ في اللجنة الألبانيّة للتحكّم بأن الاتهامات الألبانيّة لليونانيّين كانت صحيحة وأنه يبدو من الممكن أن عددًا معيّنًا من المسلمين جرى قتلهم كما جرى تدمير بعض القرى. ومع ذلك، يجب إدراك أن إيطاليا كانت لها مصالحها الخاصة في ألبانيا وأن إظهار الاحتلال اليونانيّ بمظهر سيئ كان في مصلحة إيطاليا.

60. F.O. 320-2, Lamb to Grey, Valona, 20 April 1914.

61. See the calculations on pp. 163-64.

62. F.O. 371-1763, no. 9120, enclosure no. 2 in Greig to Lowther, Monastir, 4 February 1913.

63) ‹F.O. 371-1840, no. 43260, Greig to Marling, Monastir, 9 September 1913›. بعد شهر، نقل القنصل البريطانيّ في مناستر، غريغ، «هناك محنة كبيرة ومتزايدة باطّراد بين المسلمين هنا. إنها أكثر وضوحًا في حالة النساء والأطفال. عدا سكان المدينة المعتادين، ما زال كثير من لاجئي العام الماضي هنا، لم يُبذل أيّ جهد لإعادة إعمارِ قراهم. يضاف إلى هؤلاء اللاجئون الذين بدؤوا بالوصول من القرى التي دُمّرت حديثًا. إنهم مُعدمَون أكثر من الشتاء الماضي ومن المرجّح أن يصبحوا كثيرين كذي قبل. يظن المفتيّ أن عدد الذين بحاجة ماسّة إلى المساعدة يصل إلى (3000) تقريبًا. مع اقتراب فصل الشتاء، من المؤكد أن الأعداد الكبيرة من الرجال الذين وجدوا وسيلة لقضاء فصل الصيف في خرائب بيوتهم التي لا سقف لها سيلجؤون إلى هنا» ‹F.O. 371-1762, no. 50886, Greig to Crackanthorpe, Monastir, 29 October 1913›.

64) توصّل القنصل غريغ إلى نظريّة مثيرة للاهتمام لتفسير أفعال الصرب ضد القرى المسلمة: «ربما تكون نيّة الحكومة الصربيّة إجبار المسلمين على هجر قراهم، ومصادرة أرضهم، وتوطين عدد من المهاجرين الصرب في أميركا حاليًّـــا عليها. أخبرني حديثًا الكولونيل جيفانوفتش (Jivanovitch) آمر حامية مناستر بأن هذه السياسة هي السياسة التي عليهم اتّباعها. لهذا الغرض، عدا القتل الجماعيّ وإحراق البيوت والاغتصاب والحرائق المدمرة، وُجدت الوسائل الفعّالة على نحو متميّز في حظر قطع الأخشاب الذي يُطبّق في جميع أرجاء هذا الإقليم» ‹F.O. 371-1762, no. 55161,

›Greig to Crackanthorpe, Monastir, 19 November 1913. مع أن النيّة الصربيّة في التخلّص من المسلمين لا شكّ فيها، فإن عودة أعداد كبيرة من المهاجرين من أميركا ليستولوا على مزارع في إقليم مناستر تبدو غير ممكنة.

65) ‹ F.O. 371-1762, no. 50886, Greig to Crackanthorpe, Monastir, 29 October 1913›. صرّح غريغ أيضًا، في (19 تشرين الثاني 1913 م) «ترتكب العصابات الصربيّة أعمال تخريب الممتلكات والنهب وقتل الرجال والنساء والأطفال بتستّر رسميّ صريح في قرى مسلمة في هذا الإقليم» ‹ F.O. 371-1762, no. 5561, Greig to Crackanthorpe, Monastir, 19 November 1913›.

66) ‹ F.O. 371-1762, no. 5561, Greig to Crackanthorpe, Monastir, 19 November 1913›. كان في حوزة غريغ قوائم مفصّلة، قرية قرية، عن أعمال القتل والتخريب، أرفقها بهذه المراسلة.

67) «في هذه اللحظة، يُطالب بمتأخّرات الضرائب التركيّة، في بعض الحالات حتى عشر سنوات» ‹ F.O. 371-1762, no. 43274, Greig to Crackanthorpe, Monastir, 9 September 1913›.

68. F.o 371—1840,no. 43260, Grieg to Marling, Monastir, 10 September 1913.
69. F.O. 371-1762, no. 40690, Morgan to Onslow, Salonica, 26 August 1913.
70. F.O. 371-1762, no. 40690, Morgan to Onslow, Salonica, 26 August 1913.
71. F.O. 195-2438, no. 6866, Lamb to Lowther, Salonica, 13 December 1912.

72) ‹F.O. 195-2456, no. 2810, Samson to Mallet, Adrianople, 30 June 1914›. يضيف سمسُن، «لاقى العديد من القرى البلغاريّة مصيرًا مماثلاً على أيدي جيش إعادة الاحتلال».

73. F.O. 195-2438, no. 6380, Lamb to Lowther, Salonica, 19 November 1912, and F.O. 195-2438, no. 6229, 23 November 1912, telegram from Lamb, Salonica, 27 November 1912.
74. F.O. 195-2456, no. 155, "Report on the Situation in Western Thrace by Consul Heard," Sophia, 23 December 1913. Consul Heard was obviously pro-Bulgarian, but this evidence seems reliable.
75. F.O. 371-1762, Lamb to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Salonica, 9 March 1913.
76. See, for example, Carnegie, pp. 176 and 177.

77) يقدّم تقرير كارنغي عددًا من الأمثلة. ولكن، بسبب ميل الكتاب، يميل بإسراف إلى تبرئة البلغار وإلقاء اللوم على اليونانيّين والصرب.

78) أصبحت الأكسرخسيّة البلغاريّة التي أعلنها السلطان في عام (1870 م) مستقلّة رسميّـًا عن السلطة الأرثوذكسيّة اليونانيّة في عام (1872 م) بمرسوم عثماني. قبل هذا التاريخ، كان جميع الذين سيصبحون أعضاء في الكنيسة البلغاريّة من الأرثوذكس اليونانيّين. لذلك، لم يكن هناك وقت كافٍ لنشوء تشعّبات مذهبيّة. كان الاختلاف يكمن في السلطة وليس العقيدة.

79) ومع الأحكام الدينيّة التي عدّت التحوّل المؤقت لإنقاذ حياة المرء مقبولاً.

80. F.O. 371-1762, no. 40690, Morgan to Onslow, Salonica, 26 August 1913. See also F.O. 195-2452, no. 773, Lamb to Lowther, 5 February 1913.

81. F.O. 195-2438, no. 6865, Lamb to Lowther, Salonica, 13 December 1912.
82. F.O. 195-2438, no. 773, Lamb to Lowther, 5 February 1913.
83. "An official report to the sub-Perfect of Kavadar, on 2 March 1913 [by Mr. Drakolovits]" (Varnegie, p. 156).
85. A desoatch of August 21 from the Athenian correspondent of the Times, quoted in Carnegie, pp. 155 and 156.

85) على سبيل المثال: «اشتكى سكان القرى المذكورة آنفا أنه منذ مطلع العام، حين أرسلوا استدعاءاتهم إلى الوزارة [البلغاريّة] يستأنفون ضد تحويلهم القسريّ إلى المسيحيّة، لم يهتمّ أحد بشكاواهم، ومن أنهم لاقوا أنواع المعاملة السيّئة المختلفة، كالضرب وإهانة النساء (تمزيق الحجاب واقتحام حمّامات النساء عنوة، إلى آخره) والحضور الإلزاميّ في الكنيسة 'تحت تهديد الحراب' والمعاملة الجائرة والتهديد من جانب الكهنة والآخرين.
ربما يمكن تقدير مدى معاملتهم السيّئة من حقيقة أنهم غامروا بالتماس الحكومة وهكذا جعلوا أنفسهم عرضة لانتقامٍ من جانب مضطهديهم من المرجّح أن يلي إذا استمرت الحكومة في تجاهل التماساتهم.
اعترض الملتمسون بشدة على تحويلهم القسريّ إلى العقيدة الأرثوذكسيّة وتوسّلوا أن يعاد فتح مساجدهم. وإلاّ، يقولون: لن يستطيعوا البقاء في بلغاريا أكثر من ذلك، ويعلنون عن نيّتهم الهجرة إلى مكان آخر [وقّع على الاستدعاءات (301) من قرية و(169) من أخرى]» › F.O. 371-1840, no. 44219, O'Reilly to Grey, Sofia, 24 September 1913; see also Carnegie, pp. 77, 78, 155-8.‹
إن الأدلّة على التنصير القسريّ موثّقة جيدًا. راجع الإشارات العديدة في التقارير الأرشيفيّة البريطانيّة، خصوصًا › F.O. 424-242 and F.O. 424-113-5970, F.O. 424-248-7327, F.O. 424-6405-2508, F.O. 424-351-8124, F.O. 424-248-7327‹. للأدلة الأميركيّة، انظر › U.S. 867.00/490, Rockhill to Secretary of State, Constantinople, 21 February 1913‹.

86) يستطيع المرء أن يفترض أن تنصيرات كهذه توقّفت بعد حروب البلقان مباشرة بدافع الضرورة السياسية، لأن بلغاريا والإمبراطوريّة العثمانيّة سرعان ما أصبحتا حليفتَين في الحرب العالمية الأولى. وربما أدركت بلغاريا أيضًا أن سياسات كهذه تهدف إلى خلق جماهير "بلغاريّة" صرفة كانت تؤدّي إلى نتائج عكسية، تخلق كراهية بدلاً من هويّة قوميّة. نظرًا إلى التاريخ المستمرّ للجهود البلغاريّة في تحويل الأتراك والبوماك عرقيًا إلى بلغار في بلغاريا، جهود استمرّت حتى ثمانينيّات القرن العشرين، فإن السبب الأخير يبدو غير مؤكد.

87. See the sections on those cities in this chapter.
88. See Carnegie, pp. 95-106.

89) على سبيل المثال، سخّر أكثر تقرير كارنغي للنزاعات بين المسيحيّين. ومع ذلك، أدّت مشاعر كهذه إلى سخط بخصوص مجازرِ المسيحيّين بحق المسلمين. كان القنصل لامب في سالونيجة منزعجًا على نحو خاص لأنه تقبّل «الدونيّة الأخلاقيّة للهلال بالصليب»، وشعر بأن الأعمال الوحشية بدت وكأنها تُبطل نتائج هذا المبدأ › F.O. 195-2438, no. 6650, Lamb to Lowther, Salonica, 3 December 1912‹.

(90 طبعًا، كانت هناك هجمات على نطاق ضيّق على المسيحيّين في أثناء المرحلة الأولى من الحرب الأولى، لكنها كانت محدودة جدًا، تمامًا كما كانت المرحلة الأولى من الحرب (أي، قبل هزيمة العثمانيّين).

91. F.O. 195-2456, no. 288, O'Reilly to Grey, Sofia, 1 January 1914, enclosure, Heard's "Report on the Situation in Western [*sic*] Thrace."

92. For example, on the activities of Ottoman soldiers and irregulars near Dedeağaç, see F.O. 371-1840, no 46837, Badetti to Eyres, 30 September 1913 and no. 47618, 8 October 1913.

(93 اتّهمت مصادر بلغاريّة العثمانيّين بإرسال قوات كرديّة وعربيّة عمدًا إلى ثراقيا لمهاجمة الجمهور المسيحيّ، وصرّحت بأن الكرد والعرب قتلة، إلى آخره. بحسب البلغار، يُفترض أن أنور باشا اختار الكرد والعرب على نحو خاص لتنفيذ خطط بإبادة المسيحيّين. ليس هناك أدلّة وثائقيّة أو محايدة تؤكّد تلك المزاعم. في حين كان للأكراد فعلاً تاريخ في النهب والقتل في حروب سابقة، فإن تصوير العرب العثمانيّين بأنهم أسوأ أنواع القتلة النهّابين أمر من الصعب أن يكون له أي مصداقيّة. ومع ذلك، اقتنع تقرير كارنغي بهذا بسهولة. وللدعم، ذكر (ص 127) «كاثوليكيّـــا عربيّـــا» اعترف «لأحد أصدقائه بأن أوامر قائدهم العاجلة كانت أولاً الإحراق والتخريب، ثمّ قتل جميع الذكور، ثمّ النساء». لم يُذكر اسم "صديقه".

(94 ‹Carnegie, p. 129›. يقدّم تقرير كارنغي تقاريرَ مفصّلة عن أنشطة الجنود العثمانيّين والفلاحين المسلمين في ذلك الوقت. لكن الأدلّة مبنيّة على كلمة «شاهد أو شاهدَين» فقط تقريبًا في كلّ حالة. جرى استجواب الشهود في بلغاريا، ونادرًا ما تعزّزت أدلّتهم في المراسلات الدبلوماسيّة. إن ميْل الكتاب للبلغار، مرة أخرى، واضح جدًا. ومع ذلك، يجب على القرّاء مراجعة الصفحات (125–135) من التقرير والحكم بأنفسهم.

(95 ‹F.O. 195-2456, no. 148, Samson to Mallet, Adrianople, 31 March 1914›. صرّح الميجور سمسُن، القنصل البريطانيّ في أدرنة، في [30] حزيران بأن [30,000] يونانيّ غادروا ‹F.O. 195-2456, no. 2802, Samson to Mallet, Adrianople, 30 June 1914› لكن ذلك يبدو مبالغة، لأنه يذكر في الرسالة نفسها أن الهجرة الخارجية لليونانيّين انتهت فعليًا في [28] نيسان. للتحليل الإحصائيّ لليونانيّين في إقليم أدرنة، راجع ‹McCarthy, The Population of Ottoman Europe›.

(96 ظن سمسُن أن [50,000] بلغاريّ من أصل (73,000) مقيم بلغاريّ "في الإقليم" قد هاجروا ‹F.O. 195-2454, no. 5418, Samson to Mallet, 31 December 1913›. لكنّ إقليم أدرنة العثمانيّ كان فيه ضعف هذا العدد من البلغار (171,000 في عام 1911 م؛ انظر الجدول 7). ربما قصد سمسُن بقوله «في الإقليم» هذا الجزء من الإقليم الذي بقي في أيدي العثمانيّين، وفي هذه الحالة يكون الرقم معقولاً.

97. See the complete list of refugees in Bulgarian cities and cantons on 15 September 1913 in Carnegie, p. 385.

98. Reginald Rankin, *The Inner History of the Balkan War*, London, 1914, p. 303.

(99 يقدّم ‹F.O. 371-1762, no. 50886› إحصائيات مفصّلة عن بيوت المسلمين المدمّرة وأعمال القتل والاغتصاب، إلى آخره، في إقليم مناستر. أبلغ المراقبون البريطانيّون أيضًا عن [60,000] لاجئ من مناستر في ألبانيا. «حالة هؤلاء الناس تُنذر بكارثة» ‹ F.O.

371-1762, no. 53682, Consul-general Lamb at Vallona, 21 November 1913; See also F.O. 371- 1762, no. 55161.

100. Carnegie, pp. 177-85. See note 129.
101. F.O. 371-1762, Lamb to Grey, Vallona, 21 November 1913.
102. F.O. 371-1762, no. 52620, Telegram from Vice-Consul Summa at Scutari, 18 November 1913. The number had increased by 500 since 28 October. See F.O. 371-1762, no. 49946, Summ to Grey, Scutari, 28 October 1913.
103. F.O. 371-1762, Lamb to Grey, Vallona, 21 November 1913.
104. F.O. 195-2438, no. 6466, Lamb to Lowther, 20 November 1912.
105. On the Greeks and Bulgarians and the refugees to Salonica see *Les Atrocités I*, pp. 12-14, the report of Nazim Paşa, vali of Selanik Vilâyeti.
106. F.O. 371-1762, Lamb to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Salonica, 9 March 1913.
107. F.O. 195-2438, no. 6650, Lamb to Lowther, Salonica, 3 December 1912.
108. For an interesting short description of the suffering of the Balkan Wars' Muslim refugees in Istanbul, see Hoffman Philip [*sic*], *Cholera in the Near East*, Santa Barbara, California, 1947. See also H. G. Dwight, *Constantinople Old and New*, New York, 1915, pp. 459-99 and 521-33.
109. F.O. 195-2438, no. 6866, Lamb to Lowther, Salonica, 13 December 1912.

110) «من المستحيل التحقّق من التقرير، لكنّ مُخبري شاهد بنفسه مئات الجثث على الطريق» ، F.O. 371-1763, no. 6762, Lamb to Lowther, enclosure no. 1, Salonica, 11 December 1912.

111) لم تُدمَّر البيوت في مدينة ملنيك.

112. Carnegie, pp. 106-8, 204-7, 217-28.
113. F.O. 371-1762, Lamb to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Salonica, 9 March 1913.

114) F.O. 371-1762, Greig to Grey, Monastir, 30 November 1913. كان هناك [8000] «أُدخلوا على القائمة التي جرى الاحتفاظ بها في مقرّ نائب القنصل هنا». يُتوقّع المزيد منهم من القرى التي «دُمِّرت تمامًا». «لا تقدّم الحكومة الصربيّة شيئًا لهم». (إن الاحتفاظ بالقائمة أمر مهم في إثبات المصداقيّة التقريبية للأرقام. ما دام جرى إغفال كثير من اللاجئين وإدراج القتلى على نحو غير صحيح، ربما يستطيع المرء أن يفترض أن الرقم [8000] هو أدنى رقم للاجئين في المدينة في ذلك الوقت).

115. F.O. 371-1762, no. 49946, Summa to Grey, Scutari, 26 October 1913.
116. F.O. 371-1762, no. 52620, Telegram from Vice-Consul Summa at Scutari, 18 November 1913.
117. F.O. 195-2438, no. 58335, Summa to Grey, Scutari, 20 December 1913.
118. F.O. 195-2438, enclosure in no. 156, Lamb to Lowther, Salonica, 15 November 1912, from the Acting Vice-Consul at Cavalla, Vartan Sohag Bey (?), a report of 8 November 1912.
119. F.O. 371-1762, no. 40690, Morgan to Onslow, Salonica, 26 August 1913.
120. F.O. 195-2438, no. 6945, Harris to Lowther, Dardanelles, 23 December 1912.
121. F.O. 371-1842, no. 35285, Heathcote-Smith to Marling, Smyrna, 18 July 1913.

122) ‹Carnegie, p. 151›. قدّم مصدر عثمانيّ الأعداد التالية للاجئين الذين «تجمّعوا في سالونيجة للرحيل على متن السفن إلى موانئ عثمانيّة». هذا لا يعني أن جميع الذين تجمّعوا وصلوا في النهاية أحياء. ومع ذلك، تبدو القائمة دقيقة إلى حد ما. في النصّ، إن ذلك جزء من مجموعة إفادات مفصّلة وظرفيّة عن أحداث زمن الحرب، قرية قرية، في منطقة مقدونيا:

تشرين الثاني (1912 م)	(8866)	آيّار	(12,813)	تشرين الثاني	(17,213)
كانون الأول	(15,493)	حزيران	(9368)	كانون الأول	(15,502)
كانون الثاني (1913 م)	(12,087)	تموز	(21,045)	كانون الثاني (1914 م)	(10,192)
شباط	(12,088)	آب	(29,312)	شباط	(25,060)
آذار	(7,553)	أيلول	(13,380)	آذار	(12,346)
نيسان	(6,725)	تشرين الأول	[غير مقروء، ربما (14,764)]		
المجموع	(243,807)				

(Les Atrocités des Grecs en Macedoine, p. 21)

123. See Stephen P. Ladas, *The Exchange of Minorities: Bulgaria, Greece, and Turkey*, New York, 1932, pp. 16 and 17, and France, Institut National de la Satistique et des Études Économiques, *Les Transferts Internationaux de Populations*, Paris, 1946, p. 76 and Annex IIIa.

124) ربما لم يذهب بعض هؤلاء اللاجئين إلى حلب في النهاية إلى الجمهورية التركيّة، مع أنه من المرجّح أن يكونوا فعلوا ذلك. يجب إضافة عدد غير محدّد من المسلمين الذين جاؤوا إلى حلب من ليبيا بعد الاحتلال الإيطاليّ إلى عدد هؤلاء اللاجئين، (1500) على الأقل بحلول آيّار من عام (1914 م) ‹Report by U.S. Consul J. B. Jackson at Aleppo, 21 May 1914, U.S. Archives 867.55/26›.

125) أوافق على أن هذه الإحصائيات حقيقيّة، مع أنها لم تظهر إلاّ في مصادر ثانويّة. أعطت هذه المصادر جميعها ‹Alexander Antoniades, 1922: 217; Stephen P. Ladas, 1932: 16; Arnold J. Toynbee, 1922: 138›› الأرقام نفسها وأدرجت المصدر ذاته، وزارة اللاجئين العثمانيّة. علاوة على ذلك، قدّم توْينبي وأنطونيادس الأرقام على نحو مختلف (توْينبي على أساس السنة وأنطونيادس على أساس إقليم التوطين) ولكن المجموع الإجمالي نفسه. كانت للأرقام التي طبعها أنطونيادس الهيئة النموذجيّة لجداول الحكومة العثمانيّة الإحصائيّة أيضًا. لذلك، من المرجّح أن هذه الأرقام هي إحصائيات عثمانيّة حقيقيّة التي مثل أكثر السجلات العثمانيّة، لم يُعثر عليها بصورها الأصليّة.
أرقام توْينبي للاجئين على أساس السنة:

(1912–1913 م)	(177,352)
(1914–1915 م)	(120,566)
(1916–1917 م)	(18,912)
(1918–1919 م)	(22,244)
(1919–1920 م)	(74,848)
المجموع	(413,922)

قدّر أنطونيادس [500,000] لاجئ لم يجر عدّهم في المجموع المذكور آنفًا، بينما لم يفعل ذلك تَوِنبي ولادَس. ومع ذلك، أشار أنطونيادس إلى أن هؤلاء كانوا من «الأشخاص الأغنياء وموظفي الحكومة وأسرهم». يستطيع المرء أن يفترض على ما أظن أن الأشخاص الأغنياء كانوا قلّة وأن أكثر العدد من موظفي الحكومة وأسرهم. على هذا الأساس، لم يُدرج الأخيرون في سجلات السكان العثمانيّة للسكان الأصليّين لأقاليم البلقان ومن ثم لم يعدّوا لاجئين هنا. إن تضمينهم في عدد اللاجئين الناجين سيكون متعارضًا مع عمليّة التحقق من عدد القتلى المسلمين بطرح عدد الناجين من عدد السكان المسجّل في الأصل. حتى ولو جرى تضمين الأشخاص الأغنياء وموظفي الحكومة، فإن الرقم (500,000) مرتفع على نحو مضحك، إلاّ إذا أدرج أنطونيادس الجنود الذين يمكن تسميتهم «موظّفي الحكومة». مدافعًا يونانيًا ومسؤولا في الحكومة اليونانيّة، كان لأنطونيادس مصلحة في إظهار الحكومة اليونانيّة في أحسن صورة ممكنة. وهذا يُفسّر عدده الزائف ل[500,000] لاجئ. كان تَوِنبي ولادَس أكثر دقّة وأمانة.

126) كانت لجنة اللاجئين (لجنة المهاجرين) الوكالة العثمانيّة المسؤولة مباشرة عن مساعدة اللاجئين. في المناطق التي كانت السيطرة الحكوميّة العثمانيّة فيها قوية، أحصت اللجنة أعداد اللاجئين على نحو مفصّل، أسرة أسرة وفردًا فردًا، بمن فيهم لاجئو فترة حرب القِرَم.

127. See McCarthy, "The Population of Ottoman Europe."

128) كان قضاء آخر، أحتةبولي (Ahtabolu) (65%) يونانيّـــا. كانت هناك أكثريّة مسلمة كبيرة في جميع الأمكنة المتبقيّة. يجب التأكيد هنا أن هؤلاء "البلغار" كانوا أعضاء في الكنيسة الأرثوذكسيّة البلغاريّة. جماعتهم اللغويّة غير معروفة.

129) [57%]. لن يُعرف قط إذا كان هؤلاء السكان الأصليّون في إقليم مناستر يعدون أنفسهم من المقدونيّين أو البلغار. دينيّـــا، كانوا من البلغار، لكن المنطقة اليوم هي جزء من مقدونيا. بالإضافة إلى المدافعين اليونانيّين والبلغار المذكورين آنفا، انظر المقالة ‹Kiselinovski, 1978:145-152› التي تدافع عن الموقف المقدوني.

130. For detailed statistics and analysis of the figures, see McCarthy, "The Population of Ottoman Europe." On ethnic divisions in Yugoslavia/Serbia before and after the Balkan Wars, see George W. Hoffmann, "Evolution of the Ethnographic Map of Yugoslavia: a Historical Geographic Interpretation" in Francis W. Carter, ed., *An Historical*

Geography of the Balkans, London, 1977, which suffers slightly from a lack of Ottoman sources.

131. See McCarthy, "The Population of Ottoman Europe."

132) لو بقي جميع اللاجئين المسلمين إلى ألبانيا على قيد الحياة، لما تأثرت أعداد القتلى المسلمين في هذه الحسابات كثيرًا، لأن عدد الناجين كان صغيرًا تقريبًا. من غير المؤكد إذا بقي على قيد الحياة العديد منهم. للأدلّة على ذلك، انظر ‹F.O. 371-1762, no. 50886, F.O 271-1762, no. 53682 and F.O. 371-1762, no. 55161›. على أي حال، سيوازن أعدادهم عدد المسلمين الألبان الذين قتلتهم صربيا والجبل الأسود في ألبانيا، الذين لم يُدرج أحد منهم في حساب أعداد القتلى المسلمين هنا.

133) جرى تقدير عدد السكان المسلمين لما كان يُعرف بقضاء أخطبولو وقضاء طرنوة العثمانيَّين، نظرًا إلى أن تصنيف السكان على أساس الدين والمنطقة لم يكن متوافرًا للعام (1920 م). افتُرض أن مقدار السكان المسلمين في كل قضاء مماثل لمقدارهم في الإقليم (برغوس) كله.

134) فاردارسكا بانوفينا (Vardarska Banovina). الحدود هي ذاتها تقريبًا، والإحصائيات على نطاق ضيّق غير متوافرة.

135) من المستحيل معرفة أي كان هجرة وأي كان موت.

136) كانت إحصائيات الهجرة التركيّة فترة التبادل السكانيّ اليونانيّ التركيّ مشابهة للإحصائيات التي احتفظ بها العثمانيّون بعد حروب البلقان. أدرجوا عدد اللاجئين لكلّ سنة بحسب الإقليم الذي جرى توطين اللاجئين فيه. نظرًا إلى أن عدد اللاجئين المسجّل يتطابق إلى حد بعيد مع أعداد اللاجئين الأتراك التي سجّلتها رسميًّا اللجنة المختلطة للتبادل السكانيّ (388,146) فإنه يبدو أن جميع اللاجئين المدرجين في الجدول ذي الرقم (9) تقريبًا جاؤوا من اليونان في هذا التبادل.

المهاجرون إلى تركيا (1921–1926 م) بحسب تسجيلهم

	ذكور	إناث	المجموع
(1921 م)	(5488)	(5591)	(11,079)
(1922 م)	(5189)	(4904)	(10,093)
(1923 م)	(25,553)	(25,136)	(50,689)
(1924 م)	(120,322)	(115,092)	(235,414)
(1925 م)	(28,353)	(28,170)	(56,523)
(1926 م)	(18,481)	(16,570)	(35,051)
المجموع الإجمالي	(203,386)	(195,463)	(398,849)

المصدر: ‹İstatistik Yıllığı III›.

في الحسابات المستخدمة هنا، افتُرض أن جميع هؤلاء المهاجرين جاؤوا من المناطق التي احتلّتها اليونان حديثًا. هذا ليس صحيحًا تمامًا. جاء كثيرون من مناطق أخرى في

اليونان. إن بعض الأتراك الذين جاؤوا من أراضٍ محتلّة سابقًا كانوا جاؤوا أصلاً إلى هناك في عامي (1912–1913 م) من مناطق محتلّة حديثًا، ولكن كثيرًا منهم كانوا مقيمين في اليونان في عام (1911 م). ليس هناك طريقة إحصائيّة للفصل بينهم، وجرى عدّهم جميعًا هنا سكانًا أصليين ناجين للمناطق التي فقدت في حروب البلقان. لأن هذه الطريقة تحسب مسلمين ناجين أكثر من الناجين فعليًـــا، فإن النتيجة هي تقدير أقلّ من الحقيقة لوفيات المسلمين.

137) أي، العدد الباقي في نهاية الفترة، مطروحًا من العدد القائم في بداية الفترة. وُلد أطفال خلال الفترة، ومات كثيرون موتًا مألوفًا؛ لم يُحسب هؤلاء في أرقام الخسارة السكانيّة. ليست هذه الأرقام بالدقّة التي يتمنّاها المرء. إن أرقام الإحصاء من دول البلقان المسيحيّة (الجدول 12) هي عن سنوات مختلفة، ولم يجرِ تضمين وفيات المسلمين الألبان، كما أن عددًا من المسلمين الذين جرى عدّهم في الإحصاء اليوناني عام (1923 م) وصلوا إلى تركيا بعد ذلك وجرى عدّهم لاجئين ناجين (توازنهم أعداد الذين جاؤوا من مناطق أخرى في اليونان، لكنهم عدّوا [الهامش 136] لاجئين من الأراضي المحتلة حديثًا).

6] الحرب الأخيرة في الشرق

1. See for comparisons, J. David Singer and Melvin Small, *The Wages of war 1816-1965: A Statistical Handbook*, New York, 1972. *The Wages of War* is usually and understandably wrong on the mortality of Middle Eastern wars, but one can assume more accurate figures for Europe.
2. See the various reports that follow, especially those of Niles and Sutherland (notes 47, 216-24).

3) من المدهش أن الكتابات التاريخيّة عن الحرب العالمية الأولى في شرقي الأناضول والقفقاس شحيحة، وكُتب أكثرها من وجهات نظر متطرفة على نحو واضح. كان بعض المراجع العامة متوافرًا لبحثي. فمثلاً، حصلتُ على أكثر تفاصيل العمليات العسكرية في المقطع التالي من أفضل التاريخ العسكري الصرف لحروب القفقاس:
W. E. D. Allen and Paul Muratoff, *Caucasian Battlefields*, Cambridge, › 1953. Also consulted were General C. Korganoff, *La Participation des Arméniens à la Guerre Mondiale sur le Front du Caucase (1914-1918)*, Paris, 1927; Commandant M. Larcher, *La Guerre Turque dans la Guerre Mondiale*, Paris, 1926; A. Poidebard, "Rôle Militaire des Arméniens sur le Front du Caucase," *Revue des Études Arméniennes*, I, 1920, pp. 143-61; Genelkuemay Başkanliği, Harp Tarih Dairesi, *Türk İstiklâl Harbi*, Ankara, 1962-1968.‹ مع التقبّل التام والمشؤوم لـ"حقائق" (كما تُقدّم تقليديًـــا) العلاقات الأرمنيّة العثمانيّة، كتب نورمان رافيتش (Norman Ravitch) تحليلاً مثيرًا للاهتمام عن تأريخ المسألة الأرمنيّة › Encounter, vol. LVII, no. 6, December 1981, pp. 69-84‹. يمكن عد مقالته خلاصة للكتابات الغربيّة بخصوص الموضوع حتى نحو عام (1980 م). كُتب كثير طبعًا منذ ذلك الحين، أكثر ذلك من مؤرّخين أتراك وأرمن لا يعترف بهم رافيتش. ليس من غير الملائم هنا إدراج (من دون تعليق)

أعمال نموذجيّة جرت مراجعتها بشأن هذا الموضوع ‹ Arthur Beylrian, 1983; Yusuf Hikmet Bayur, 1953, 1955, 1957, 1967; Kamuran Kürün, 1985; Mehmed Hocaoğlu, 1976; Richard G. Hovannisian, 1967, 1971, 1982; Kâzim Karabekir, 1969, 1989; Firuz Kazemzadeh, 1951, reprint 1981; Akdes Nimet Kurat, 1970; İnayetullah Cemal Özkaya, 1971; H. Pasdermadjian, 1971; Esat Uras, 1950›. استخدمتُ مصادرَ أوروبّيّة في كل مكان من هذا الكتاب، كلما كان ذلك ممكنًا. إن السبب في ذلك جزئيّـا هو صعوبة العثور على المصادر التسجيلية العثمانيّة المناسبة، إلاّ أن السبب الرئيس هو التطرف العلميّ القائم منذ زمن بعيد كلما جرت دراسة للعلاقات المسلمة المسيحيّة في الإمبراطورية العثمانيّة. بسهولة تامة، المصادر الأوروُبّيّة أكثر قابليّة للتصديق، مع حقيقة أن الدعاية العثمانيّة الكاذبة على نحو متعمّد لم تكن قائمة تقريبًا، وحتى "كُتب الأعمال الوحشية/ atrocity books" العثمانيّة تبيّن أنها دقيقة.

لم يكن هناك ضرر يُذكر من استخدام المصادر الأوروُبّيّة في أكثر التاريخ الذي جرى بحثه هنا. كانت السجلات الأوروُبّيّة غزيرة، وكان بالإمكان استخدام الملاحظات الواقعيّة الأوروُبّيّة وتجنّب التحليلات المتطرفة. لم يكن هذا ممكنًا عند الشرق العثمانيّ، خصوصًا في الحرب العالمية الأولى. كان الذين اعتمدتُ عليهم خصوصًا في الفصول الأولى، البريطانيّون، مصادرَ رهيبة عن الشرق في أثناء الحرب العالمية الأولى وبعدها. لأن بريطانيا كانت في حرب ضد الإمبراطورية العثمانيّة، لم يكن هناك مصادر قنصليّة بريطانيّة في تلك الفترة. علاوة على ذلك، يدخل ما كتبه البريطانيّون والفرنسيّون والأميركيّون في أثناء الحرب تحت عنوان «دعاية زمن الحرب». أسوأ حتى من الدعاية السفيهة الموجّهة ضد الألمان في الفترة الزمنيّة نفسها، لم تكن تلك الدعاية صحيحة أو ذات فائدة. وهكذا، لم تكن هناك مصادر نزيهة عن المسلمين في الحرب الكبيرة غير المصادر العثمانيّة.

من حسن الحظّ أن المصادر العسكرية العثمانيّة عن فترة الحرب العالمية الأولى بدأت بالظهور. دقّقتُ في هذه المصادر بنسخها الأصليّة التركيّة العثمانيّة وترجمتها وأنا مقتنع بأنها تمثل تصويرًا دقيقًا لحالة المسلمين. إنها تقارير صحيحة من مراقبين كانوا (على أرض الحدث). كما إنها متناغمة مع مصادر عثمانيّة مطبوعة معاصرة (مثلاً، تقارير لجنة التحقيق العثمانيّة المذكورة في مكان آخر). ومع أنه لا يمكن استخدامها لتاريخ أنشطة المسلمين ضد الأرمن، فإنها مصدر جيّد لأنشطة الأرمن ضد المسلمين، وهذه القصة التي أريد أن أرويها. إن تركيزها على المسلمين لا ينتقص من قيمتها بحال من الأحوال. إن المصادر الأرمنيّة والموالية للأرمن متوافرة بسهولة.

في عام (1982 م) بدأ ‹Askeri Tarih Belgeleri Dergisi› كتابة وثائق متعلّقة بالعلاقات العثمانيّة الأرمنيّة في أثناء الحرب العالمية الأولى وحرب الاستقلال التركيّة ونشرها بحروف لغة أخرى. جرى نشر الوثائق بشكلها المصوّر وبالحروف التركيّة الحديثة. صدرت أربعة كتب حتى الآن. تُرجمت ثلاثة كُتب إلى اللغة الإنكليزيّة، وكلما كان ممكنًا، أشرتُ إلى الترجمات الإنكليزيّة في هذه الهوامش. ما لم تكن أسماء القرى والمدن معروفة في صيغتها الحديثة، فإنها نُقلت كما جاءت في (Belgeler)

ومصادر أخرى. الإشارات هي لأرقام الوثائق وليس الصفحات. فيما يلي، الكتب الأصليّة والمترجمة › Askeri Tarih Belgeleri Dergisi, no. 81/1982; no. 83/1983; no. 86/ 1986; no. 86/1987‹.

4. Clarence Ussher described the situation of the Armenians in Van, with a number of Lacunae concerning the treatment of Muslims by Armenians, in *An American Physician in Turkey* (Boston, 1917). See also the somewhat fictionalized accounts by Rafael de Nogales: *Four Years Beneath the Crescent*, translated by Muna Lee, New York, 1926, and *Memoirs of a Soldier of Fortune*, Garden City, New York, 1932.
5. Report of Muammer, Governor of Sivas, 5/6 June 1915. *Belgeler I*, no. 30.
   Acting Governor of karahisar Ahmet and Commander of Special Forces Lt. General Neşet to the Third Army Command, 2 July 1915, *Belgeler III*, no. 158.
6. District Governor of Urfa to Ministry of Interior, Urfa, 29 September 1915. *Belgeler III*, no. 167.
   "Acting Commander" Fehmi to Supreme Command, Urfa, 5 October 1915. *Belgeler III*, no. 167.
   Osmanh Ordu-ya Hümayunu Başkumandanhği Vekâleti (Semih) Süferaya, 19 Ekim 1915. *Belgeler IV*, no. 2057. Dördüncü Ordu Komutam Cemal, Kudüs, 18 Ekim 1915, *Belgeler IV*, no. 2058.
   As a matter of fact, rebellions occurred on 23 July 1915 in Boghazlian, on 1 August 1915 in Findikchik (Marash), on 9 August 1915 in the village of Germush of Urfa, on 14 September 1915 in Antakya (Musa Mountain), on 29 September 1915 in Urfa, on 7 February 1916 in Islahiye, on 4 April 1916 in Akdaghmadeni, and on 9 April 1916 in Tossia (Gürün, p. 204).
7. Caucasian Battlefield, p. 299.
8. Ibid, pp. 449-50.
9. Ibid, pp. 457-59.
10. See Justin McCarthy, *Muslims and Minorities*, New York, 1983, pp. 163-81.
11. Caucasian Battlefield, p. 289.
12. Ibid, p. 426.
13. Mahmut Kamil to Acting Supreme Commander, Karahisar, 22 July 1915. *Belgeler III*, no. 159.
14. Caucasian Battlefield, p. 438.
15. Ibid, p. 296.
16. Ibid, p. 299.

17) الجيش الثالث، إلى ‹جميع الوحدات/ Erzurum, 18 September 1914, Belgeler I, no. 1›. «في المؤتمر القوميّ الخاص بجميع الأرمن الذي عُقد في تفليس في شباط عام (1915 م) تبين أن الحكومة الروسيّة أعطت الطاشناق أكثر من (200,000) روبل لتسليح الأرمن الأتراك وتحريضهم على الانتفاضة في اللحظة المناسبة» › Kazemzadeh, p. 26‹. تذكر كاظم زاده أن الروس ندموا على أفعالهم بعد ذلك حين أدركوا أن الطاشناق كانت لديهم خطط مختلفة عن خطط الروس بخصوص شرقي الأناضول › pp. 26 and 27‹.

18. Investigation Report to Acting Supreme Command, Ottoman Army, n.d., Van. *Belgeler II*, no. 99.

19) كانت المنظّمات الخيريّة الأرمنيّة متورّطة في توفير البنية التنظيميّة والأسلحة للعصابات. انظر برقية ‹Boghos Nubar Pasha Armenian Charity Association, Tevfik to Fourth Army Command, 26 April 1915. Belgeler II, no. 110›.
تعليقات سي إف دكسن-جنسن (C. F. Dixon-Johnson) المثيرة للاهتمام على الدعم البريطاني للثورة الأرمنيّة قبل وقت الترحيل: «يطالب اللورد برايس (Bryce) و'أصدقاء أرمينيا' بموارد ماليّة لكسوة المتطوّعين الأرمن وتسليحهم في الثاني من نيسان، قبل شهر تقريبًا من هذه 'المجازر' المزعومة التي جرت من دون استفزاز» ‹The Armenians, London, 1916, p. 47›.

20) ‹Documents sur les atrocités Arméno-russes, Constantinople, 1917, pp. 24-27›. جرى استنتاج هذا الكتاب من الشهادات التي جمعها التحقيق العثماني الذي زار المنطقة في الفترة التي بين الاحتلال الروسيّ الأول والثاني. إنه منشور حكوميّ، لكن شهاداته تنسجم تمامًا مع الأدلّة الوثائقيّة المتوافرة.

21. Gürün, pp. 194-96.
The *Belgeler* volumes contain much detailed information and analysis on the Armenian Revolution in eastern Anatolia. For example, see *Belgeler III*, nos. 151, 158, 159, 160.
22. Intelligence report, third Armay command, Horasan, 7/8 October 1914, *Belgeler II*, no. 91.
23. His name, like many others, is found in the sources in various forms-Pastirmadjian, Pasdirmadjian, Pasdirmaciyan, etc.
24. Investigation Report to Acting Supreme Command, Ottoman Army, n.d., Van. *Belgeler II*, no.99.
25. Hovhannes Katchaznouni, "The Armenian Revolutionary Federation (Dashnagtzoutiun) Has Nothing To Do Anymore: The Manifesto of Hovhannes Katchaznouni, First Prime Minister of the Independent Armenian Republic," tr. Matthew A. Callender, ed. John Roy Carlson (Arthur A. Derounian), New York, Armenian Information Service, 1955.
26. Investigation Report to Acting Supreme Command, Ottoman Army, n.d., Van. *Belgeler II*, no.99.

27) يصعب تقويم وضع الأرمن الفارّين من الجيش العثماني. ظن المؤرّخون الأرمن وغيرهم طويلاً أن الأرمن تقدّموا إلى الخدمة العسكرية من دون تردّد، لكنهم قُتلوا بعد ذلك. لكن الأدلّة العثمانيّة مختلفة إلى حد بعيد. اشتكى المسؤولون العثمانيّون من أن الأرمن كانوا لا يطيعون قوانين الخدمة الإلزاميّة وأن أولئك الذين قُبض عليهم وأُدخلوا عنوة في الجيش كثيرًا ما كانوا يفرّون. هل فرّوا بسبب خوفهم من تصرّفات العثمانيّين تجاه الأرمن أو بسبب دوافع قوميّة؟ ربما الاثنين معًا. بعد أن بدأ الفارّون الأرمن الأصليّون بمهاجمة القوات العثمانيّة، أصبح من الواضح أن الأرمن الآخرين في الخدمة العسكرية معرّضون للخطر. من المؤكّد أن السلطات العسكرية والحكومية لم تكن تثق بهم. ذكرت المصادر العثمانيّة على نحو متكرّر هجمات الفارّين من الخدمة على القوات العثمانيّة والقرى المسلمة، على سبيل المثال ‹*Belgeler I*, no. 12 and 1 and 2 of no. 103›.

28. Investigation Report to Acting Supreme Command, Ottoman Army, n.d., Van. *Belgeler II*, no.99.
See also H. Pasdermadjian, Histoire de l'Arménie, 3rd edition, Paris, 1971, p. 413.

29. Message of Abdurrahman, Commander of the Reserve Cavalry Division at Karakilise, 25 October 1914. *Belgeler I*, no. 8.

30) ظن حاكم سيواس العثماني أن [15,000] من هؤلاء التحقوا بالجيش الروسيّ، بينما [15,000] كانوا رجال عصابات ضمن الشرق العثماني، ينتظرون الاحتلال الروسيّ
«Coded Message Received from the Governor of Sivas, Muammer Bey, ›
.‹22/23 April 1915». Belgeler II, no. 107

31. Commander of Fourth Armay Cemal to Acting Supreme Commander, Jerusalem, 14 September 1915, *Belgeler I*, no. 36. This was the action dramatized in Franz Werfel's *Forty days of Musa Dagh*.
32. Acting Commander of 11th Army Corps Hakki to Ministry of War, Mamuretülaziz, 28 February 1915, *Belgeler I*, no. 13.
Message from Bronzar [*sic*] Paşa on behalf of the Acting Supreme Commander, 18 March 1915. *Belgeler I*, no. 17.
Commander of Fourth Armay Cemal Paşa to Acting Supreme Commander, Jerusalem, 11 April 1915, *Belgeler I*, no. 19.
M. Baki to Acting Supreme Commander, Hasankale, 2 February 1915. *Belgeler III*, no. 148.
İzzet Sami and Mahmut Kamil to Acting Supreme Commander, Hasankale, 8 April 1915, *Belgeler III*, no. 151.
33. Gürün, p. 197.
34. Van Governor Cevdet to Third Army Command, 20 April 1915. *Belgeler I*, no. 22.
35. Dördüncü Ordu Komutanı Cemal, Şam, 3 Nisan 1915, *Belgeler IV*, no. 2053.
36. Erkân-i Harbiye Umumiye Dairesi Dahiliye Nezarareti'ne Tezkere, 29 Nşan 1914. *Belgeler IV*, no. 2048.
Various local notables from the Zeytun District to the Harbiye Nezaret-i Celilesi, 23 Ekim 1914. *Belgeler IV*, no. 2049.
37. Kara Schemi, Turcs et Arméniens devant l'Histoire, Nouveaux témoignages russes et turcs sur les atrocités arméniennes de 1914 a 1918, Gèneve, 1919 (hereafter, Kara Schemsi), p. 72.
38. Mahmudin Kazasi Kaymakam Kemal, Report on Investigation of Armenian Murders in Mergehu Village, 15 March 1915, *Belgeler I*, no. 15.
Commander of the Ninth Army Şevki to Chief of Staff of the Office of the Supreme Commander, Kars, 23 October 1918, *Belgeler I*, no. 24.
Acting Commander of Fifth Army Corps Halil Recai to Acting Supreme Commander, Ankara, 23 July 1915. *Belgeler I*, no. 31.
Commander of the Fourth Army Cemal Paşa to Acting Supreme Commander, 19/20 july 1915. *Belgeler I*, no. 32.
Message from Niksar Training Command, 28 June 1915, *Belgeler II*, no. 113.
Konya Conscription Dept. Head Ziya to First Army Corps Command on Armenian gang in Avanos, 23/24 July 1915. *Belgeler II* no. 115.
Col. Fuat to First Army Corps Command on Armenian gangs in Nevşehir region, 27 July 1915. *Belgeler II*, no. 116.
39. Mobile Division Commander at Saray Kâzim to Third Army Command, 29 November 1914. *Belgeler I*, no. 9

40) في كتيّب مثير للاهتمام، اعترف زعيم عصابة أرمنيّ، غارو باسديرماجيان، علنًا بأن الثورة الأرمنيّة في الشرق بدأت قبل بدء الترحيل بزمن طويل. فسّر الثورات بأنها ردّ

فعل لأعمال وحشية عثمانيّة مفترضة ضد الأرمن، مثل الترحيل وقتل سكان زيتون في عام (1914 م) (ا) وإحلال لاجئين أتراك من البلقان محلهم (ص 24) وتلفيقات أخرى مشابهة. ومع حقيقة أن هذه المسوّغات كاذبة، فإنه من الواضح من روايته أن الثوّار الأرمن ثاروا مبكّرًا في الحرب وحتى، في بعض الحالات، قبل أن تبدأ الحرب. يجب التذكر هنا أن غارو كان أحد الزعماء الرئيسين للثورة في ذلك الحين ‹ G. Pasdermadjian [Armen Garo], 1918: 23-26›.

41) استولى أرمن قرى بيرق (Bayrık) والأكوي (Alaköy) وإبلنكانس (İblankanis) وبكانس (Buganis) على المواقع الاستراتيجيّة في منطقتهم وحاصروا قرية كوشة (Kuşa) (Gürün, p. 198).

42. Van Governor Cevdet to Third Army Command, 20 April 1915. *Belgeler I*, no. 22. See also a copy of a military telegram from Van. *Belgeler IV*, no. 2050.

43. Gürün, p. 109.

44) شهادة موظّف الشرطة سليمان أفندي ‹Documents sur les atrocités Arméno-russes, Constantinople, 1917, pp. 10-11›. جرى نقل حروف الأسماء من التهجئة الفرنسيّة وربما تكون تهجئتها بالتركيّة الحديثة خاطئة إلى حد ما. استنتجتُ من أسماء القرى أن بعضها ربما يكون مختلط السكان.

45. Documents sur les Atrocités Arméno-Russes, p. 35.

46. "Déclaration assermentée de Chérif bey, Directeur de l'Instruction publique de Van, qui parvint à échapper par miracle à cette tuerie (Van)," Kara Schemsi, pp. 46-48.

47. "The Report of Captain Emory H. Niles and Mr. Arthur E. Sutherland, Jr. on Trip of Investigation through Eastern Turkish Vilayets" (U.S. 184.021/175).

48. "Rapport du commandant de gendarmerie de Van," signed 11/24 mars 1916, Kara Schemsi, p. 60.

49) مع نهاية الحرب العالمية الأولى، انتهى الوجود اليهوديّ في جنوب شرقي الأناضول الذي كان قائمًا منذ العصور القديمة.

50. See the various depositions in Documents sur les Atrocités Arméno-Russes, pp. 30-41.

51. Documents sur les Atrocités Arméno-Russes, pp. 34-37.

52. See the examples in Documents sur les Atrocités Arméno-Russes, especially the deposition of Şeyh Enver (p.35) and the deposition of Lütfiye Hanim (p.40).

53. Kazas of Hizan, Pervari, Şatak, and Karçekan (Documents sur les Atrocités Arméno-Russes, pp. 24-27).

54) ‹Documents sur les atrocités Arméno-russes, pp. 24-27›. ما إن تقهقر الأرمن من وان وبتليس في عام (1915 م) حتى ذهبت لجنة التحقيق العثمانيّة إلى المناطق المحتلة وحصلت على شهادات خطيّة من موظّفي الحكومة والزعماء الدينيّين وأشخاص آخرين مسؤولين. ظهرت هذه الشهادات بالتفصيل في ‹ Documents sur les atrocités Arméno-russes, Kara Schemsi and Rustem›. كثيرًا ما احتوت تلك الشهادات على روايات شهود عيان عن جرائم بشعة، بما فيها الاغتصاب والقتل. على الذين لا يجدون الإحصائيات والوصف المختصر المقدّمين في هذا الفصل مقنعين بما فيه الكفاية أن يراجعوا الكتب السابقة.

اشتكى مسلمو وان (إلى الحلفاء) بعد الحرب من أنشطة الأرمن في أثناء الحرب. من غير ريب في أن تقريرهم أرسل دعاية، لكن الوقائع كانت حقيقيّة. أكّدوا أن الأرمن قتلوا آلاف المسنّين في وان واغتصبوا النساء ونهبوا كلّ مكان ودمّروا بيوت المسلمين والمباني الدينيّة والمساجد › F.O. 371-3658, no. 58433, Webb to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Constantinople, 9 April 1919, transmitting an appeal from the Muslims of Van Vilâyeti‹.

55. "Déposition sous serment de Féhim bey, fils de Kahraman bey, originaire de Mouradié, membre du Conseil administratif de cette ville, se trouvant actuellment émigré au village de Klet (vilayet de Van)," in Kara Schemsi, pp. 42-43.

56) على سبيل المثال، قرية أوران (Avran) التي عُثر فيها على جثث (19) جنديًّا عثمانيًّا مدفونة في بيت عضو في لجنة الطاشناق ›Kara Schemsi, p. 37‹.

57) ذكر لاجئون مسلمون من مناطق مختلفة أن العصابات القوزاقيّة والأرمنيّة تعاونت في كثير من الأحيان، بما فيه التعاون على اختطاف نساء مسلمات وقتل مسلمين آخرين. انظر ›Kara Schemsi, Depositions 1-10, pp. 35-43‹.

58) على الأخصّ موظّفي الشرطة، الذين من المألوف أن يكونوا أهدافًا للثوريّين نظرًا إلى اعتقالهم لزملائهم وقضاتهم و«وجهاء» آخرين › Testimony of Hassan Efendi, police agent in Bitlis, Documents sur les atrocités Arméno-russes, pp. 9-10‹.

59. See the first 13 depositions in Kara Schemsi, pp. 35-45.

60. "Rapport sur les atrocités commises par les Arméniéns dans la ville de Bitlis," signed by "Hadji Mélik Zadé Chéikh Youssouf, Molla Issa Zadé Abd'ul Halim, Eumer Houloussi (Professeur d'Arab, l'École Militaire), Cazalar Chéikhi Zadé Youssouf, M. Arif (Directeur intérimaire de la police), and Hakki (Secrétaire Général a.i. de Bitlis)" (Kara Schemsi, pp. 65-68).

61) › Rustem, pp. 174-75‹: «تفرّقنا في جميع الاتّجاهات. من أصل [18] شخصًا كانوا يشكّلون مجموعتين للاجئين، وصل خمسة فقط إلى الأمان في ماردين» (إفادة عبد الرزاق من قيالي).

62. Rustem, pp. 175-76.

63. Gürün, p. 197.

64. Ibid., p. 197.

65) › Ibid, pp. 194-200‹. للهجمات على قرى مسلمة، انظر › Documents sur les atrocités Arméno-russes, pp. 27-29‹. إن الشهادات الخطيّة على الهجمات على قرى مسلمة دقيقة، حتى إنها تحدّد أسماء الأرمن في العصابات الذين جرى تعرفهم. على سبيل المثال، «نيشان، مرادي، يوسف، ديكران، زاه، بيكو، سركيس، تنغسال، كزار، موزيس، كفاتشك الذين كانوا يقيمون في قرى قريبة من قرانا». لأمثلة أخرى على رجال العصابات الذين جرى التعرّف عليهم، انظر الأمثلة العديدة في الكتاب نفسه، (ص 33-38).

66. Message from Bronzer Paşa on behalf of the Acting Supreme Commander, 18 March 1915, *Belgeler I*, no. 17.

67. Investigation Report to Acting Surpeme Command, Ottoman Army, n.d., Van, *Belgeler II*, no. 99.

See also the numerous examples of this in *Documents sur les Atrocités Arméno Russes*. On the Armenians regulars and irregulars who fought on the side of the Russians, see the sources listed in note 3, especially *Caucasian Battlefields*, pp. 299-301.

68. Message from Acting Supreme Commander of Tenth Armay Corps Pertev, Sivas, 15 June 1915. *Belgeler I*, no. 29. Commander of the Fourth Army Cemal Paşa to Acting Supreme Commander, 19/20 July 1915, *Belgeler I*, no. 32.
Order of Ministery of War to Central Headquarters, İstanbul, 24 August 1915. *Belgeler I*, no. 35.
Message from Niksar Training Command, 28 June 1915, *Belgeler II*, no. 113.

69) أكّد هربرت غبنز (Herbert Gibbons) وهو مصدر موالٍ للأرمن بشدة باعتراف الجميع، على أن أعمال الأرمن في شرقي الأناضول أدّتْ إلى تحويل «خمس فرق عسكرية تركيّة و(30,000) جنديّ تركيّ وكرديّ غير نظاميّين أو أكثر» عن الحرب لقمع الثورة الأرمنيّة. ربما يكون ذلك مبالغة فاضحة. أكّد غارو أن الثورات الأرمنيّة في الأناضول، خصوصًا ثورة وان واحتلالها، أنقذ الروس من هزيمة أمام العثمانيّين ‹Why Armenia Should Be Free, p. 22›.

70) وزارة الداخليّة، دائرة توطين القبائل والمهاجرين، «القانون المتعلّق بتوطين وإطعام وإسكان وشؤون أخرى تخصّ الأرمن الذين جرى نقلهم إلى أمكنة أخرى جديدة بسبب أوضاع الحرب والمتطلّبات السياسية الطارئة» (30 أيّار 1915 م) ‹Belgeler II, no. 112›.

71) وزارة الداخليّة، دائرة توطين القبائل والمهاجرين، «القانون المتعلّق بتوطين وإطعام وإسكان وشؤون أخرى تخصّ الأرمن الذين جرى نقلهم إلى أمكنة أخرى جديدة بسبب أوضاع الحرب والمتطلّبات السياسية الطارئة» (30 أيّار 1915 م) ‹Belgeler II, no. 112›.

72) تعدّد المذكّرات الأرمنيّة عن الترحيل الحرس عادةً ب«اثنين من الدرك»، أو ما شابه ذلك.

73) رفض اليونانيّون إعادة الأراضي حين أمرهم الحلفاء بذلك بعد الحرب العالمية الأولى ‹F.O. 371-4158, no. 96955, «Report by P. Slade on Situation in Kastamonu», 2 July 1919›.

74) ‹Gürün, pp. 212 and 213›. عُيّنت لجان حكوميّة، برئاسة ضباط عسكريّين، للتحقيق مع أولئك المسؤولين العثمانيّين الذين تصرّفوا على نحو غير قانونيّ ضد الأرمن في أثناء الترحيل. انظر وثيقة القائد العام لقوات الدرك رسيم إلى وزارة الدفاع بخصوص تعيين ضباط في اللجان، اسطنبول، (26 أيلول 1915 م) ‹Belgeler III, no. 165›.

75) صرّح مصدر بريطانيّ بعد الحرب بأن الأرمن «قتلوا ما بين [300,000] و[400,000] كرديّ في منطقتي وان وبتليس»، عمل أرمن في الجيش الروسيّ في المقام الأول ‹Interview of Col.» «Wooley of the British Army, 12 September 1919 in U.S. 184.021/265›. بشأن الأعمال الوحشية ضد المسلمين في إقليم أرضروم خلال الاحتلال الروسيّ، انظر ‹Vehip to Acting Supreme Commander, 21 March 1916. Belgeler III, no. 169›.

76. Caucasian Battlefields, p. 459.
77. For examples, see *Belgeler I*, no. 47. The *Belgeler* volumes are full of individual detailed examples.
78. Caucasian Battlefields, pp. 459-60.
79) بسبب أعمال العصابات الأرمنيّة، أمر القائد العام وهيب محمّد بعدم معاملتهم كالجنود الروس، ومحاكمتهم حين القبض عليهم أمام مجلس عسكريّ وعدم منحهم منزلة أسرى الحرب. من المرجّح في الحقيقة أن يكون الذين ألقي القبض عليهم قتلوا بالرصاص.
80) بالأخصّ الجنرال أوديشليدزيه (Odishelidze) قائد القوات عبر القفقاسيّة من الناحية النظريّة، الذي اضطرّ إلى الاعتراف بوقوع المجازر. أيّدت الروايات مصادر جورجيّة أيضًا. انظر ‹Kazemzadeh, pp. 85, 86›.
81. Third Army Commander Vehib Mehmed to Caucasian Army Corps, 6 February 1334. *Belgeler I*, no. 52. Note that Vehib Paşa name appears in sources spelled as Vehib and Vehip
82) على سبيل المثال، انظر رسالة وهيب محمّد باشا، قائد الجيوش العثمانيّة على الجبهة القفقاسيّة، إلى الجنرال بيرجوفالسكي (Perjovalsky) «القائد العام لجيوش القفقاس الروسيّة»، (2 شباط 1918 م) ‹Belgeler II, no. 124›:

«1- يقتاد الأرمن السكان المسلمين الذكور من أرزنجان والقرى المحيطة وأيديهم مقيّدة ويطلقون عليهم الرصاص في الثكنات.

2- في 28 كانون الثاني عام (1918 م) جمع الأرمن عددًا من مسلمي أرزنجان الذكور في ساحة الكنيسة وأحرقوهم حتى الموت.

3- يواصل الأرمن إشعال النار في بيوت المسلمين في أرزنجان. في هذا السياق، دعني أذكر فقط مبنى المكاتب الحكوميّة في أرزنجان، مسجد ينيجامي (Yenicami) وجميع مساجد زككنج (Zekganç) والقرى المحيطة.

4- عُثر على جثث ستّة مسلمين بجانب الطريق قتلهم الأرمن في 15 كانون الثاني عام (1918 م) في تكة (Teke) جنوب غربي كموشخانة (Gümüşhane)».

انظر أيضًا رسالتين مشابهتَين من وهيب باشا (Belgeler I, nos. 47, 73) توثّقان أعمالاً وحشية إضافيّة.
83. Third Army Commander Vehib Mehmed to Acting Supreme Command, 13/14 March 1334, *Belgeler I*, no. 65.
84) «ثمانية أيام، يعترض الأرمن طريق الناس عنوة ويمنعونهم من مغادرة بيوتهم أو الذهاب من قرية إلى أخرى. يجمعون السكان الذكور ليلاً ونهارًا ويقتادونهم إلى مكان مجهول، بعد ذلك لا يُسمع عنهم شيء»، بناءً على أدلّة من مسلمين أُصيبوا بجراح لكنهم استطاعوا النجاة من إحدى هذه المجازر، قرب خرائب في طشكليسة (Taşkilise) ‹Militia Commander İsmail Hakki to 36th Division Command, Mezraa, 1 March 1334. Belgeler I, no. 50›.
85) «إفادات فارّين ولاجئين» (3 شباط 1918 م) ‹Belgeler II, no. 125›: «أُحضر خمسمئة مسلم تقريبًا من قرى حول أرزنجان إلى أرزنجان وقُتلوا رميًا بالرصاص».
86) «أمر مراد نفسه، مخفورًا بحرّاس أرمن، بجمع جميع المسلمين في ساحة الكنيسة في أرزنجان، وحين جاء المخاتير يستفسرون عن السبب، أُعدموا جميعًا».

كان القائدِ الاسميّ للقوات (عبر القفقاسيّة) الأرمنيّة في أرزنجان الكولونيل موريل الذي كان ملحقًا عسكريًّا روسيًّا في طوكيو سابقا ‹Caucasian Battlefields, p. 460› والذي انتهى به المطاف بطريقة ما في أرزنجان في الخدمة الأرمنيّة. يبدو أن أكثر السيطرة الفعليّة في أرزنجان والمنطقة المحيطة كان في يد زعيم العصابة الأرمنيّ مراد. عُرف بأنه العقل المدبّر لمجازر المسلمين › Belgeler II, no. 124; Belgeler II, no. 125; Belgeler II, no. 128;‹. موقع الكولونيل مرل في مجزرة المسلمين غير واضح. ادعى شاهد عيان روسي أن مرل لم يتمكن من وقف الأرمن، لكنه حاول › Belgeler II, no. 127‹.

87. Congrès National, *Documents relatfis aux Atrocités Commises par les Arméniens sur la population musulmane,* Constantinople, 1919, p. 27. I have assumed this to be a quote from Vehib Paşa. The source only identified "Le Commandant des Armées ottomans du front du Caucase."

88. Vehip Mehmet to Odeshelidje, 21 February 1919. *Belgeler III*, no. 175.

89. Commander of Third Army Vehib Paşa to the Supreme Command, 22 January 1334. *Belgeler I*, no. 45.
Acting Commander of the 36th Caucasian Division Recep to Third Army Command, Kemah, 30 January 1334. *Belgeler I*, no. 48.
Lt. General Vehib Mehmed to General Perjovalsky, Commander in Chief of Russian Caucasian Armies, 2 February 1918. *Belgeler II*, no. 124.
"Statements of Deserters and Refugees," 3 February 1918. *Belgeler II*, no. 125.
Commander of Caucasian 1st Army Corps, Avni, to Third Army Cammand, 6 February 1918. *Belgeler II*, no. 126.
Third Army Commander Vehib Mehmed to Acting Supreme Command, 8 February 1918. *Belgeler II*, no. 129.

90. Head of Second Section, General Headquarters, Ahmet Refik to Seyfi, Chief of Section, General Headquarters, Istanbul, 1 May 1334 (1918). *Belgeler I*, no. 71.

لم يظن الجنرال أوديشليدزيه أن الأحداث في أرزنجان كانت بالسوء الذي صوّره الجنرال وهيب. كان مصدر الجنرال أوديشليدزيه الكولونيل موريل الذي اعترف له بحدوث أعمال وحشية لكنه خفّض من عددها (انظر Documents relatifs, pp. 16-22). ولكن، حين دخلت القوات العثمانيّة إلى المدينة ولم تجد إلاّ الجثث في كلّ مكان، كانت الحقيقة واضحة. جرى تسجيل صور عن المشاهد المختلفة في الشوارع في (Documents relatifs) وهي مرعبة. على سبيل المثال، شكّك الجنرال أوديشليدزيه بروايات عن بالغين وأطفال قتلوا وتُركوا مرميّين في ثكنات المدينة العثمانيّة؛ ردًّا على ذلك، نشر العثمانيّون صورًا لجثث متفسّخة كانت لا تزال هناك حين دخلوا المدينة.

91) ‹Belgeler III, no. 175›: «لم تُدرج في هذا الإحصاء الجثث الملقاة في الآبار التي جرت تغطيتها بالتراب لمنع انتشار الأوبئة، لأن انتشالها مستحيل». ومع ذلك، جرى إحصاء (606) على الأقل.

92. Vehip Mehmet to the Acting Supreme Command to General Odeshelidze, 18 February 1918. *Belgeler III*, no. 175.

93) قبل أسبوع، أظهرت الوثائق العثمانيّة بوضوح أن اللاجئين ينقلون الأخبار بسرعة لافتة للنظر. كان لقرويّي منطقة بايبورد مسوّغ كافٍ ليرتابوا من النيات الأرمنيّة من دون

أي أخبار من أرزنجان، لكّن المصادر العثمانيّة تشير إلى أنهم كانوا تلقّوا الأخبار من أرزنجان حين قرّروا أن يفرّوا.

94. Second Caucasian Army Corps Commander Şevki to Third Army Command, Alucra, 20 February 1334. *Belgeler I*, no. 58.
Third Army Commander Vehib Mehmed to Acting Supreme Command, Suşehri, 20 February 1334. *Belgeler I*, no. 59.
Third Army Commander Vehib Mehmed to Acting Supreme Command, 8 February 1918. *Belgeler II*, no. 129.
13th Caucasian Regiment Commander Lt. Col. Ahmet Riza to Third Army Command, Bayburt, n. d. *Belgeler II*, no. 130.
"Summary of cables from the Third Army Acting Command related to Armenian cruelties and atrocities," Ottoman Army Acting Supreme Command, 17 March 1918. *Belgeler II*, no. 132.
Vehip Mehmet to Beşinci Ordu Kumandanliği, et al., *Belgeler IV*, no. 2061.
95. Captian Ahmet Refik to Seyfi, Director, Second Section. General Headquarters, Tercan, 5 May 1918. *Belgeler II*, no. 136.
96. The best sources on Erzurum during the breakup of Russian control and beginning of Armenian rules are the two memoirs of Lt.-Colonel Twerdokhlebof: *War Journal of the Second Russian Fortress Artillery of Erzeroum From Its Formation until the Recapture of Erzeroum by the Ottoman Army, March 12, 1918* ("Translated from the original Russian"), 1919, and *Notes of a Superior officer on the Atrocities of Erzeroum*, 1919. The first is the primary document and has been reproduced a number of times; it yields a great deal of first hand information not only on Ezrurum, but on events in the countryside and in other areas, such as Erzincan.
97. Documents relatifs, pp. 50-52.
98. Captian Ahmet Refik to Seyfi, Director, Second Section. General Headquarters, Erzurum, 8 May 1918. *Belgeler II*, no. 137.
99. See F.O. 371-3659, no. 99204, telegram from GHQ Constantinople to the War Office, 24.6.19. See Also *Belgeler IV*, number 2068, Lütfü to the Supreme Command, 19 March 1918, which transmits the same information.
100. Head of Second Section, General Headquarters, Ahmet Refik to Seyfi, Chief of Section, General Headquarters, Istanbul, 1 May 1334 (19180. *Belgeler I*, no. 71.
101. Niles and Sutherland, op. cit.
102. Commander First Caucasian Army Corps, Kâzim Karabekir to Third Army Command, 27 February 1334. *Belgeler I*, no. 62.
103. Lütfü Başkumandanlik Vekâlet-i Celilesine, 22 Mart 1918. *Belgeler IV*, no. 2069.
104. Kâzim Karabekir to Third Army Command, 23 February 1918. *Belgeler III*, no. 178.
Vehib Mehmet to Acting Supreme Command, et.al., 23 February 1918. *Belgeler III*, no. 179.
Vehip Mehmet Başkumandanlik Vekâlet-i Celilesine, 26 Şubat 1918. *Belgeler IV*, no. 2063.
İstiklâl Harbimiz, p. 372.
105. Vehip Mehmet to Yildirim Group Command, et.al., 2 March 1918. *Belgeler I*, no. 63.
106. Ministry of Interior to Ministery of Defense, 28 August 1918. *Belgeler I*, no. 85.

Lütfü Başkumandanlik Vekâlet-i Celilesine, 22 Mart 1918. *Belgeler IV*, no. 2069.

107. From an article cabled to Istanbul to be relayed to the *Neues Wiener Tagblatt, Prester Lloyd, Local Anzliger, Algemeen Handelsblat*, and *Vakit* by Dr. Eshnanie, recorded by the Ottoman Censor, Batum, on 23 May 1334, *Belgeler I*, no. 76. I have not ascertained if the article was in fact published, and these quotes have been taken from the English translation of an Ottoman Turkish original.

108. Kâzim Karabekir Ermeni Kolordusu Kumandam General Nazarbekof Cenaplarma, Gümrü, 27 Haziran 1918. *Belgeler IV*, no. 2070.

109. "Summary of cables from the Third Army related to Armenian cruelties and atrocities," 17 March 1918. *Belgeler II*, no. 132.

110. "Statements of Deserters and Refugees," 3 February 1918. *Belgeler II*, no. 125.

111. Kâzim Karabekir to Third Army Command, 23 February 1918. *Belgeler III*, no. 178.

112. Vehip Mehmet Başkumandanlik Vekâlet-i Celilesine, 14 March 1918. *Belgeler IV*, no. 2067.

113. The text of the Mudros Armistice is contained in J. C. Hurewits, *Diplomacy in the Near and Middle East*, vol. II, Princeton, 1956, pp. 36 and 37.

114. See F.O. 371-5210, no. E14888, Rumbold to Curzon, Constantinople, 19 November 1920, transmitting letter of Eyres in Famagusta, 20 October 1920. Eyres' sources, who accused Col. Bremond of high crimes, may have had an anti-French bias. However, later British reports reiterated Eyres' analysis (F.O. 406-44, p. 75, no. 48, High Commissioner's Representative, Smyrna, to High Commissioner, Constantinople, 5 June 1920).

115) التحليل الفرنسيّ الرسميّ لتاريخ الفترة: «إلى أن وصلت التعزيزات الأولى، في حزيران من عام (1919 م) كان الفيلق الأرمنيّ القوة الفرنسيّة الوحيدة في قيليقية. كان تاريخ الجيش الفرنسيّ في المنطقة خلال تلك الفترة مندمجًا مع تاريخ الفيلق؛ من سوء الحظ أنه كان متميّزًا على نحو خاص بأعمال عدم انضباط وعنف أدّت إلى إضرار كبير بنفوذنا» Ministère de la Défense, Etat Major de l'Armée du Terre, Service ، Historique, Général [CR] du Hays, 1918-1919: 120-21.

116) بدءًا من [10 كانون الأول 1918 م]:

(63) ايطًا الموجودون منهم (54)

(4912) لا الموجودون منهم (4298)

(750) طوعًا أرمنيّـــا محليّـــا من سورية

كان الغائبين في «مستودع الذخيرة» في قبرص في المقام الأول ، Gustave Gautherot 1920:139.

117) رسالة من بوغوس نوبار، باريس (26 كانون الأول 1920 م):

[الشروط التي تأسّس الفيلق الأرمنيّ على أساسها]:

1) كان الهدف من تأسيس فيلق الشرق هو إتاحة الفرصة أمام الأرمن ليساهموا في تحرير وطن أسلافهم ومن ثم يوطدوا حقهم في تحقيق طموحاتهم القوميّة.

2) أن يقاتل الفيلق ضدّ الأتراك فقط على أرض وطن أسلافه.

3) أن يشكل الفيلق الأرمنيّ نواة الجيش الأرمنيّ المستقبليّ في الدولة الأرمنيّة المستقبليّة».

F.O. 608-271 registry number unreadable, 10 January 1920, «But de la)
.(Création de la Légion d'Orient [Légion Arménienne]» by Boghos Nubar

118. Gauthertot, pp. 135 and 136. Comte R. de Gontaut-Biron, Comment La France s'est installée en Syrie (1918-1919), Paris, 1923, pp. 53 and 54.
119. U.S. 867.4016/407, H [unreadable] to Secretary of Stae, Constantinople, 13 March 1919, transmitting Aide-Memoire No. 14305 of the Ottoman Ministry of Foreign Affairs.
120. Gontaut-Biron, p. 55.
121. Ibid, p. 54.
122. Üçüncü Kolordu Kumandam Selahattin Harbiue Nazareti'ne, Sivas, 27/28 Aralik 1919. *Belgeler IV*, no. 2076.
123. See U.S. 867.4016/407, H [unreadable] to Secretary of State, Constantinople, 13 March 1919, transmitting Aide-Memoire No. 14305 of the Ottoman Ministry of Foreign Affairs.
124. On robberies of Turks by Armenians in Cilicia ("le Taurus"), see F.O. 371-3658, no. 58433, Webb to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Constantinople, 27 March 1919, transmitting letter from the Ottoman Department of War [*sic*]. On Armenian brigandage in Urfa region, led by "Servitchli Boutros," see F.O. 371-3658, no 58433, Webb to Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Constantinople, 27 March 1919, transmitting letter from the Mufti of Urfa and other official. On Armenian bands attacking Muslims at Sis, see U.S. 867.00/1076, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 11 December 1919, transmitting note from Sublime Porte of 9 November 1919.
125. General Hamelin in letter to High Commissioner, 2 February 1919, in *Les Armées Françaises au Levant*, p. 122.
126. Richard Hovannisian has estimated as many as 120,000 (*The Republic of Armenia*, vol. II, Berkeley and London, 1982, p. 416) and 150,000 (p. 325).
127. Stephen Hemsleyu Longrigg, *Syria and Lebanon under French Mandate*, London, 1958, p. 77.
128. Gontaut-Biron, pp. 54 and 55.
129. Gautheraut, p. 185.

130) اشتكت وزارة الخارجيّة العثمانيّة من أعمال السرقة والقتل التي يرتكبها الأرمن في «طوروس» إلخ مع وصف مفصّل للحوادث في أواخر آذار عام (1919 م) › F.O. 371-3658, no. 58433, Wenn to Secretary of State for Foreign Affairs, Constantinople, 27 March 1919‹. زعم الفرنسيّون أنهم كانوا ينوون طرد الفيلق الأرمنيّ كاملاً من قيليقية، ولكن لم يكن لديهم قوات لتحلّ محله › Les Armées Françaises au Levant, p. 120‹.

131) نقل الأميركيّ، إنغرت (Engert) الذي أُرسل للتحقيق في مقتل أميركيّين في مرعش لكنه لم يقترب أكثر من أطنة قط، الأحداث في مرعش على نحو حيّ ولكن غير دقيق › U.S. 867.00/1122, Engert to Secretary of State, Beirut, 20 February 1920‹.

132. F.O. 406-43, no. E1352, de Robeck to Curzon, Constantinople, 11 February 1920.
133. See the numerous formal complaints by Reşid Paşa to the British in F.O. 371-5043, no. E1358, de Robeck to Curzon, Constantinople, 17 February 1920.
134. For telegram from Turkish committees for National Defense on atrocities by French and Armenians in Maraş and letters from towns and villages

all over the Maraş District, see U.S. 867.00/1137, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 7 February 1920. See also F.O. 406-43, no. E1352, de Robeck to Curzon, Constantinople, 11 February 1920, for similar statements.

135. U.S. 867.00/1128, Bristol to Secretary of State, Constantinople, dates in the documents as "undated 1920, received March 7."

136) «تفيد آخر التقارير من مرعش أن مواطنينا [الأميركيّين] وجميع العناصر غير المسلمة إضافة إلى خمسين جنديّـــا فرنسيّـــا جريحًا خلّفهم الفرنسيّون تحت رعاية الأميركيّين حين جلوا في أمان وتحت حماية السلطات التركيّة . . لا يقوم الأتراك بقتل الأرمن» ‹ U. S. 867.00/1124, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 26 February 1920›. صرّح بريستول بأن القصف الفرنسيّ كان السبب الرئيس للتدمير في مرعش على نحو واضح، وأن نحو [10,000] أرمنيّ بقوا بعد الانسحاب الفرنسيّ، مع «حالات منعزلة» فقط من أعمال القتل. كان هناك هدوء عام. كان المتصرّف التركيّ يعمل جاهدًا على حماية المسيحيّين، لكنه يفتقر إلى الموارد والرجال ‹ U. S. 867.00/1185, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 27 March 1920›. ألقى بريستول اللوم على الفرنسيّين بشأن اضطرابات الأرمن في مرعش، بسبب طرق احتلالهم. قُتل «عدة آلاف تركيّ» و[10,000] أرمنيّ، بمن فيهم نساء وأطفال على الجانبَين. ذكر أن الأتراك قتلوا بعض الأرمن، ولكن الهدوء كان سائدًا بجلاء الفرنسيّين مباشرة. وأكّد أيضًا أن القوميّين الأتراك لم يريدوا إبادة غير المسلمين U. S. 867.00/1179, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 23 › March 1920›. ذكر بريستول أنه لا تقارير حقيقية عن مجازر للأرمن في قيليقية. نصح وزارة الخارجية بأن لا تثق بالدعاية التي تسمعها (U. S. 867.00/1156, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 12 March 1920).

137. F.O. 406-44, p. 75, no. 48, High Commissioner's Representative, Smyrna, to High Commissioner, Constantinople, 5 June 1920.

138) ربما هلك آلاف الأرمن أثناء انسحابهم من مرعش، الذي جرى في ثلوج الشتاء، مع معاناة كبيرة. عدّ البريطانيّون عدد الذين لقوا حتفهم (12,000) وكير (Kerr) (11,000). بحلول حزيران عام (1925 م) كان عدد اللاجئين إلى شمال سورية، بحسب لونغرغ (Longrigg) (ص 138): (89,000) أرمنيّ و(4000) كلداني و(1800) يعقوبيّ و(900) أرثوذكسيّ يوناني و(250) كاثوليكيّـــا سوريّـــا.

139. F.O. 406-44, no. E15253, Director of Mitlitry Intelligence to Foreign Office, 4 December 1920, transmitting, "Note by General Gouraud respecting French Policy in Armenia," Paris, 25 November 1920.

140) › Muzaffer, et al. To the Ministry of Foreign Affairs and the Ministry of the Interior, 7 and 8 May 1920. Gelgeler III, no. 193›. إن بحث النزاع القوميّ التركيّ–الفرنسيّ بشأن أورفة ثانويّ للأحداث التي تجري مناقشتها هنا، لكنه مثير للاهتمام، خصوصًا بشأن ازدواجيّة موقف أرمن أورفة، مكان المبشّرين الأميركيّين، والتفاعل بين الأتراك والفرنسيّين. تجدر الإشارة إلى أن مصطلح 'القوميّين الأتراك' المستعمل هنا يرمز إلى القوات التركيّة في الأناضول وشرقي تراقيا التي كانت تنظّم مقاومة ضد احتلال الأناضول. هذه القوات هي التي اتّحدت في النهاية تحت قيادة مصطفى كمال. راجع التفاصيل في الفصل السابع.

141. On the grave situation of Armenians in the Caucasus, see F.O. 371-6265, no. E23, "Report by Col. Strokes at Tiflis on the Situation in Armenia," 24 December 1920, and F.O. 371-3658, no. 59561, 1918 (the only date) by A. Sahakian, President of the Armenian Parliament. For a general picture, see Richard Hovannisian, *Armenia on the Road to Independence and The Republic of Armenia.*
142. Kara Schemsi, p. 74.
143. Commander of the Ninth Army Şevki to Ministry of defense, 27 December 1918. *Belgeler III*, no. 185.

144) ‹F.O. 371-3660, no. 157887, Wardrup to His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Tiflis, 2 November 1919›، أرسل «تقرير مندوب وزير الغوث بشأن التحقيق في الوضع الاقتصاديّ لمسلمي أرمينيا» الذي كتبه المندوب ماكنسكي (Makinsky) أروان، (9 أيلول عام 1919 م). قدّر ماكنسكي أن «المنطقة قرب آخر ضفة لبحيرة كوكجي (Gokchy) هي الوحيدة التي بقيت في أمان. في منطقة أروان، في المناطق الخاضعة للحكومة، ليس هناك أكثر من (25,000) مسلم؛ وفي أجه ميادزين (25,000) أيضًا، بينما في المناطق الخاضعة للحكومة في سورمالنسك (Sourmalinsk) (15,000) نفس. عدا ذلك، هناك (13,000) لاجئ في أروان علاوة على السكان المحليّين». لمّح ماكنسكي إلى حقيقة أن الأرمن يتلقون مساعدة من أميركا: «يمكن القول إن جميع السكان في حاجة بصرف النظر عن الجنسيّة، ولكن مع الفرق أن المسلمين في حاجة ماسّة أكثر بكثير من الأرمن لأنهم لم يحصلوا على مساعدة». أوقفت القوات الأرمنيّة اللاجئين المسلمين الذين رغبوا في العودة إلى بيوتهم في عام (1918 م) ‹Ministry of Interior to Ministry of Defense, 28 August 1918. Belgeler I, no. 85›.

145. Ninth Division Commander Rüştü to the First Caucasian Army Corps Command, Yukari Talin, 20 June 1918. *Belgeler III*, no. 183.
146. F.O. 371-3660, no. 157887, Wardrup to His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Tiflis, 2 November 1919, transmitting the "Report of the delegate of the Minister of Relief for inquiring into the economical situation of the Mussulmans in Armenia" by the delegate Makinsky, Erivan, 9 September 1919.
147. Şevki to Ministry of Defense, Kars, 4 January 1919. *Belgeler III*, no. 187.
148. Şevki to Ministry of Defense, Kars, 6 January 1919. *Belgeler III*, no. 189.
Kâzim Karabekir to Ministry of Defense, Erzurum, 30 August 1919. *Belgeler III*, no. 191. Karabekir mentioned the general situation of the Muslims of Kars, Erivan, and Azerbaijan in various sections of his *İstiklâl Harbimiz*, although the book generally dealt with political and military matters. See especially pp. 305-18,. 555-56, and 916-17.
149. Sixth Army Commander to 13th Army Corps Command, 17 May 1918. *Belgeler II*, no. 138. See also U.S. 867.00/1191, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 1 April 1920.

150) ‹Belgeler III, no. 194›. هذا التقرير مفصّل ودقيق إلى حد بعيد ويبدو أنه أصليّ. لسوء الحظّ أن قليلاً فقط من التقارير الكاملة كهذا التقرير كان ممكنًا في ظلّ الأوضاع التي كانت سائدة في ذلك الوقت. تألّف التقرير المؤرّخ في (23 تشرين الأول عام 1920 م) من «ثلاث قوائم بأسماء القرى التي أحرقها الأرمن ودمروها خلال العام

السابق بالإضافة إلى عدد المسلمين الذين قتلهم الأرمن». القوائم مفصّلة وتتضمّن معلومات عن النهب وإتلاف المحاصيل . . إلى آخره، وجرائم القتل أيضًا ‹ Chairman of the Popular Council Ali Riza to the Supreme Command of the 12th Division, Kağızman, 23 October 1920. Belgeler III, no. 194›.

151. Şevki to Third Army Command, 13 May 1918. *Belgeler I*, no. 75.

152. Ibid.

153) F.O. 371-3405, no. 196800, and F.O. 371-3301, F.O. to Lord Derby in Paris, 27 July 1918›: «الرجاء تسليم هذه الرسالة إلى بوغوس نوبار باشا. 'إن حكومة صاحب الجلالة قلقة كثيرًا من التقارير المتواصلة التي تصل إليها عن المجازر التي يرتكبها الجنود الأرمن في أرمينيا الأصليّة، قبل أن يجبرهم الزحف التركيّ على الانسحاب، وفي منطقة باكو، حيث الضحايا من التّتار . .'».

154) المقدتر السكاني لإقليم قارص، كما جاء في الحوليّة الإحصائيّة الروسيّة عام (1915 م) [يُفترض أنه لنحو عام 1914 م]، (ص 64 و70):

أرثوذكس	(0,2123)
مسلمون	(0,5016)
كاثوليك	(0,0150)
بروتستانت	(0,0042)
يهود	(0,0042)
مسيحيّون آخرون	(0,2510)
آخرون غير مسيحيّين	(0,0117)

لم يُدرج الأرمن بحسب الدين، لكنهم أُدرجوا تحت «المجموعات العرقيّة »: أرمن (235)؛ تتار أتراك (359)؛ أكراد (148). يلاحَظ أن عدد "الأرثوذكس" ازداد على نحو كبير من عام (1897 م) إلى عام (1914 م) الذي ربما يكون موضع شكّ.

155) يقدّم دبليو إي دي ألن (W.E.D. Allen) وصفًا مفصّلًا للأعمال التركيّة والأرمنيّة والبريطانيّة في إقليم قارص، ويستنتج: «أن المجتمع التركيّ (بمن فيه أفراد أُسر الحكومة المؤقتة) أصبح ضحيّة اضطهاد القوات الأرمنيّة غير المنضبطة وأن تجاوزات كثيرة ارتُكبت في قرى سهل قارص التركيّة» ‹ Caucasian Battlefields, pp. 497 and 498›.

156. A. Rawlinson, Adventures in the Near East, 1918-1922, London, 1924, p. 215.

157. F.O. 371-3660, no. 157887, Wardrup to His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Tiflis, 2 November 1919, transmitting the Memorandum of the Plenipotentiaries of the Kars Musulmans' National Council (A. Kazieff and Asadulla Iskenderbekoff), 1 October 1919.

158. Kâzim Karabekir İngiliz Kaymakami Ravlinson Bey Cenaplarina, Erzurum, 10 Temmuz 1919. *Belgeler IV*, no. 2073.

159) انظر › F.O. 371-3660, no. 157887, Wardrup to His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Tiflis, 2 November 1919‹، يرسل «قائمة بأعمال شنيعة قام بها ممثلو أرمينيا في الأمكنة التي اغتصبوها».

160. Osmanli Ordu-yu Hümayunu Başkumandanliği Hariciye Nezareti Celilesine, 12 Ocak, 1919. *Belgeler IV*, no. 2072.

161. U.S. 860J.4016/60, translation of a statement by Kâzim Karabekir in Bristol to Secretary of State, Constantinople, 19 January 1921.

162) › U.S. 860J.4016/60, translation of a statement by Kâzim Karabekir in Bristol to Secretary of State, Constantinople, 19 January 1921‹. قدّر مسؤولون مسلمون في قارص أن [40,000] جثة تُركت ملقاة على الأرض. هذا التقدير دالّ على ضخامة الخسارة في الأرواح، لكنه بالتأكيد غير موثوق إحصائيّـــا. انظر رسائل › Ali and Asâf to the Ottoman Government and to the English Command in Kırzıoğlu M. Fahrettin, Milli Mücadelede Kars, I. Kitap "Belgeler", Istanbul, 1960, pp. 40 and 41‹.

163. U.S. 860J.4016/58, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 4 January 1921, transmitting letter from Ahmed Muhtar, Minister of Foreign Affairs of the Grand National Assembly of Turkey, 1 November 1919.

164. U.S. 184.021/46, enclosure A, Kianzim (Karabekir) to Lt. R.S. Dunn, Erzurum, 30 June 1919 and 15 August 1919.

165. Rawlinson, pp. 217 and 218.

166. F.O. 371-3660, no. 157887, Wardrup to His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Tifilis, 2 November 1919, transmitting the Memorandum of the Plenipotentiaries of the Kars Musulmans' National Council (A. Kazieff and Asadulla Iskenderbekoff), 1 October 1919. See also the notes and statistics on refugees and mortality in Kirzioğlu M. Fahrettin, *Kars İli ve Çevresinde Ermeni Mezalimi (1918-1920)*, Ankara, 1970, especially pp. 65-71 and 97-111.

167. U.S. 184.021/46, enclosure A, Kiazim [Karabekir] to Lt. R.S. Dunn, Erzurum, 30 June 1919 and August 1919.

168. F.O. 371-3658, no. 42884, translated in flowery prose by the School of Oriental Studies, London Institution. See also F.O. 371-3669, no. 22072, Cromer to Verney, Sandringham, Norfolk, 18 January 1919.

169) ›Rawlinson, p. 227‹. إن إفادة رولنسون موثوقة على نحو خاص لأن لديه سببًا وجيهًا لمناهضة الأتراك، ومع ذلك أفاد بأمانة. قبل تأليف كتابه، لقي معاملة سيّئة حين كان أسير حرب، وظلّ معتقلاً إلى أن جرت مبادلته بأسرى أتراك كان البريطانيّون يعتقلونهم في مالطا. في محادثة مع عميل الاستخبارات الأميركيّة الملازم دَن (Dunn) وصف رولنسون الأعمال الوحشيّة الأرمنيّة ضد المسلمين بالطريقة بنفسها التي وصفها بها في كتاباته. انظر ›Robert Dunn, 1956:309‹. انظر أيضًا › F.O. 371-3658, no. 50074, 29 March 1919, Director of Military Intelligence to Acting Secretary of State, 29 March 1919, om Armenian atrocities on Muslims‹.

170) ›Caucasian Battlefields, p. 481‹. «قتلت عصابات الطاشناق كلّ أذربيجاني استطاعت الامساك به» (Kazemzadeh, p. 74). بشأن مجازر باكو، انظر ›Kazemzadeh, p. 72-76; Swietochokowski, pp. 114-18 and 139‹. يقدّم

رونالد غريغور سَني (Ronald Grigor Suny) وجهة نظر متطرفة ضد المسلمين عن الأحداث (ص 214–226). يذكر على سبيل المثال مصادرَ أرمنيّة فقط عن أعداد الأرمن والمسلمين الذين قتلوا في باكو (ص 224 و339).

171) ‹Caucasian Battlefields, p. 495; Abdulhaluk Çay, 1987: 121-32›. نقل ممثّل بريطانيّ في منطقة عبر القفقاس في نهاية الحرب، أوركارت (Urquhart): «قتل [8000] تتريّ في باكو، و[18,000] تتريّ أعزل من دون رحمة في أليزابيتبول على يد المتمرّدين الأرمن في المقام الأول» انظر ‹ F.O. 371-3301, no. 121685, «Following from Urquhart to Colonel Steel, War Office» telegram from Mr. Lindley (Archangel [!], 8 July 1918)›. أضاف أوركارت إن الأرمن «بدؤوا من جديد عداءهم القبليّ للتتار بدلاً من مواصلة قتالهم للأتراك [أي الجيش العثمانيّ]». أعلنت الحكومة الأذربيجانيّة، «جري قصف السكان المسلمين ورميهم بالرصاص وإحراقهم أحياء» ‹ Claims of the Delegation of the Republic of Caucasian Azerbaijan Presented to the Peace Conference in Paris, Paris, 1919, p. 18›، وزعمت أنه قتل أكثر من [12,000] من مسلمي باكو (ص 19).

172. Kazemzadeh, p. 143, quoting an Armenian commission. The numbers may be exaggerated, but there is no lack of higher estimates. See Jacques Kayaloff, *The Fall of Baku*, Bergenfield, New Jersey, 1976, especially p. 7.

173. Caucasian Battlefields. P. 495.

174) ‹Richard G. Hovannisian, 1967: 194›. كانت قوات أندرانيك النشيطة في منطقة نَخجوان أيضًا في عام (1918 م) كما تشهد على ذلك برقية من القائد العسكريّ الأرمنيّ نزاربيكوف [نزاربيكيان] إلى رئيس اللجنة الأرمنيّة المستقلّة في كومرو (Gümrü): «أرجو أن تُخبر القائد التركيّ بأن أندرانيك وجميع كتائبه التي لم تطع أوامري والتي صُرفت من الخدمة في فيلق الجيش، يرتكبون فعلاً أعمالاً وحشية جداً ضد الناس في منطقة نَخجوان» ‹ Belgeler I, number 79, no. 1008, 27 June 1919, sent on to the Chairman of the Turkish Commission by the Chairman, Brig. General Trakopov; Belgeler I, no. 88; F.O. 371-4156, no. 47610›، التي تنقل شكوى رشيد باشا من التصرفات الأرمنية في نَخجوان وغيره من المناطق في القفقاس.

175. Library of Congress, Bristol Papers, no. 66, notes from Bryan in Tiflis to Bristol and Bristol to American Mission in Paris, Constantinople, 21 and 23 November 1919.

176. U.S. 867.00/1047, Bristol to Polk, Constantinople, 17 November 1919; 867.00/1047, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 17 November 1919; and 867.00/1063, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 4 December 1919.

177) كان بريان (Bryan) منزعجًا من أن مسلمي المنطقة كانوا يكرهون الأميركيّين بسبب الأعمال الشرّيرة الأرمنيّة. قال إن الكراهية نشأت من دعم الولايات المتّحدة للأرمن؛ زوّدت بعثته الجمهورية الأرمنيّة بثلاثة ملايين طلقة من ذخيرة البنادق و«زوّدت وكالة غوث الشرق الأدنى الجيش الأرمنيّ بما يصل إلى (27,000) جراية في اليوم» ‹U. S. 867.00/1047, Commander H. V. Bryan, Liaison Officer to Allied High Commission to Armenia, Tiflis, 3 November 1919›. قال مفوّض الولايات المتّحدة في أرمينيا إن وكالة الغوث الأميركيّة للشرق الأدنى زوّدت الجيش الأرمنيّ

بالدقيق والصابون إضافة إلى السترات والجوارب الصوفيّة..إلى آخره. وقال إن ذلك متوقع › U. S. 867.00/11088, William Hskell, «The High Commissioner in Armenia of the United States Of America, The British Empire, France, and Italy» to Secretary of State, Tiflis, 2 January 1920‹.

178. F.O. 406-43, p. 288, no. 171, Earl Curzon to Mr. Wardrop in Tiflis, 11 April 1920.
179. Bristol War Diary, 14 August 1922, U.S. 867.00/1540.
180. Osmanli Ordu-yu Hümayunu Başkumandanliği Vekâleti Hariciye Nezareti Celilesine, 12 Ocak, 1919. *Belgeler IV*, no. 2072.
181. The Ottoman Foreign Ministry did, however, send less detailed reports on the situation in the Caucasus to the Allies, listing Armenian attacks and murders. See U.S. 867.4016/414, Ravndall to Secretary of State, Constantinople, 24 June 1919, transmitting Ottoman memorandum no. 16178.
182. F.O. 371-3660, no. 157887, Wardrup to His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Tiflis, 2 November 1919, transmitting the Memorandum of the Plenipotentiaries of the Kars Musulman's national Council (A. Kazieff and Asadulla Iskenderbekoff), 1 October 1919.
183. U.S. 860J.4016/58, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 4 January 1921, transmitting letter from Ahmed Muhtar, Minister of Foreign Affairs of the Grand National Assembly of Turkey, 1 November 1919.
184. F.O. 371-3660, no. 144753, Wardrop to His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, translating the letter as received from "Monsieur Djafaroff in his letter No. 3341 of September 25th."
Another, similar report: From T. Vesiroff, Minister of the Republic of Azerbijan at Constantinople, to Bristol, 4 March 1920 (867.00/1284).

185) › F.O. 371-3660, no. 154951 [number difficult to decipher], Cox to Curzon, Tehran, 25 October 1919 ‹، يرسل رسالة «Etola ul Mulk» من وزارة الخارجيّة الفارسيّة إلى ككس (Cox) 21 تشرين الأول عام (1919 م). يضيف أيضًا أن (5000) فارسيّ فرّوا من الجمهورية الأرمنيّة إلى إيران، رجالاً ونساء في الدرجة الأولى، اضطرّوا إلى ترك أطفالهم هناك. ويقول إن الحكومة الفارسيّة تعد القوى العظمى مسؤولة عما حصل وعن تصحيح الوضع؛ أمل بائس › F.O. 371-4952, no. E4925, Letter from the Persian Consul-General in the Caucasus, Tiflis, 5 April 1920‹.

186. Quoted in F.O. 371-3660, no. 144753, Wardrop to His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, translating the letter as received from "Monsieur Djafaroff in his letter No. 3341 of September 25th." The same report was summarized from the semiofficial Georgian paper *Borra* [*sic*-Bor'ba?] in the Press Reports in U.S. 184.021/270.
187. F.O. 371-3660, no. 157887, Wardrup to His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs, Tiflis, 2 November 1919, transmitting a translation by Elsie Mavropulo of the article in The Revolutionary Banner. For representations of the Azerbaijan government on Armenian massacres of Turks see U.S. 867.00/1215, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 14 April 1920.
188. L'Etat Major Ottoman, Atrocités Arméniennes, commises contre le Mussulmans du Caucase durant le mois de Juillet 1919. Istanbul, 2.d., p.7.

189. Osmanli Ordu-yu Hümayunu Başkumandanliği Vekâleti Hariciye Nezareti Celilesine, 12 Ocak, 1919. *Belgeler IV*, no. 2072.

190. U.S. 867.00/1100, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 2 January 1920, commenting on a U.S. Intelligence Report on Transcaucasia. Sentence begins "It will be noted in this narrative that the Armenian government..."

191) «يجري إفراغ القرى التّتاريّة من التّتار شيئًا فشيئًا في منطقة وادي بِصار (Vedi Bassar) باستثناء وادي بيوك (Vedi Beiuk) وأعدّ الجنرال درو تحرّكًا ضد شارور (Sharour) ونهجوان ساري المفعول». لكن الأذربيجان صدّوا الهجمات Intelligence Report from the Caucasus, 31 December 1919, in U. S. › 867.00/1100, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 2 January ‹1920.

192. See Appendix for statistical procedures and evaluation.

193) أي، من دون نهجوان وقلب وأيدر. جرى افتراض أن عدد الأتراك في هذه المناطق الثلاث كان في عام (1915 م) مماثلاً تقريبًا لعددهم في عامي (1926–1927 م) بينما في الحقيقة غادر نهجوان عدد من الأرمن. كما جرى افتراض أن عدد الأتراك الذين هاجروا إلى الداخل وازن تقريبًا عدد الأتراك الذين لقوا حتفهم في نهجوان. إن الخطأ في هذا الافتراض حتى ولو وصل إلى (25%) (وهذا بعيد الإمكان) لن يؤثّر كثيرًا في النتائج › Turco-Tatars» in Nahcivan, 1926:88, 466; Turkish Speakers in Kulp and Iğdir, 1927:20, 581‹.

194) إحدى الروايات الأوربّيّة النزيهة النادرة عن اللاجئين، تقرير عسكريّ بريطانيّ من باكو [1 تموز 1919 م] ذكر أنه خلال الحرب فرّ أرمن من مناطق مسلمة وفرّ مسلمون من مناطق أرمنيّة. فرّ هؤلاء وهؤلاء «لتجنّب القتل والمجازر» › U. S. 867.00/1063‹.

195. See Muslims and Minorities, Chapter 7.

196. U.S. 184.021/46, enclosure A, Kianzim (Karabekir) to Lt. R.S. Dunn, Erzurum, 30 June 1919 and 15 August 1919. See also *Atrocités Arméniennes*, p. 6. On Refugees and Oltu, see *İstiklâl Harbimiz*, p. 811.

197) أجرت الإمبراطورية الروسيّة إحصاء في عام (1897 م) لكنّ الإحصاء السوفييتيّ التالي لم يجرِ حتى عام (1926 م). وبينما سجّلت الإمبراطورية السكان بحسب الدين، فإن السوفييت لم يفعلوا ذلك. أدرجت الإمبراطورية الفئة العرقيّة الرئيسة فقط «التّتار الأتراك» بينما قسّم السوفييت هذه الفئة إلى أقسام عرقيّة مستقلّة. تزيد هذه المسائل صعوبة التحليل المقارن.

198) جرى التخلّي عن هذه المنطقة التي كثيرًا ما تسمّى «قارص وأردخان» إلى روسيا في عام (1878 م). أعيد أكثر هذه الأرض إلى تركيا بعد الانتصار التركيّ على الجمهورية الأرمنيّة والمعاهدة التالية مع الاتّحاد السوفييتيّ. قسّمت المنطقة إلى المقاطعات الجمهورية التالية: إقليم أرتوين (باستثناء قضاء يوسفلي) وقضاء ألتو من إقليم أرضروم وقضاء أيدر وقضاء قلب من إقليم بايزيد وكل إقليم قارص.

199. The 1897 Russian census was published in various forms in forms in Russian and French. The version used here is the detailed, bilingual *Premier Recensement Général de la Population de l'Empire de Russie*,

1897, Reléve Général, "rédige par Nicolas Troinitsky," St. Petersburg, 1905.

200) كان إحصاء الإناث أقلّ بكثير من الواقع، لذلك جرت مضاعفة عدد السكان الذكور للحصول على العدد الإجمالي التقريبيّ للسكان. الرقم الناتج غير دقيق، لكنه أفضل من أعداد السكان غير المصحّحة. هذه الأرقام والأرقام التي ستتبع أدناه هي تقديرات وليست بيانات دقيقة عن أعداد السكان.

201) قدّمت الحوليّة الإحصائيّة الروسيّة عام (1915 م) الرقم (389,800) عددًا لسكان إقليم قارص، شكّل المسلمون (0,5016). قارن أيضًا الهامش ذا الرقم (154) أعلاه.

202) في إقليم وان، فقد [62%] من السكان المسلمين بين عامي (1912 و1922 م) ‹Muslims and Minorities, p. 134›.

203) بمعدّل (0,014) في العام، بما ينسجم مع معدّلات الزيادة الأخرى في أناضول ما بعد الحرب.

204) ربما تكون أرقام وان على الأرجح دقيقة، لأن أرقام أرضروم تأثّرت بالهجرة إلى الداخل في أثناء الحروب وبعدها. وفعلاً، استخدمتُ أرقام وان في حساباتي في «اللاجئون المسلمون في تركيا» في ‹festschrift to Andreas Tietz›.

205) صنّف نصف اللاجئين المسلمين تقريبًا أنفسهم على أنهم من مواليد روسيا، أو (127,988). يجب افتراض هؤلاء جزءا من مجموعة اللاجئين من مناطق كانت ضمن روسيا في عام (1927 م). لا بدّ من أن الأكثريّة العظمى من سكان منطقة قارص عام (1927 م) وُلدوا فعلا في روسيا، نظرًا إلى أن المنطقة كانت ضمن الإمبراطورية الروسيّة من عام (1878 م) حتى عام (1922 م). ومع ذلك، سجّل (212,512) مقيمًا من أصل (341,254) مقيمًا في المنطقة أنفسهم على أنهم من مواليد تركيا. كما رأينا آنفا، إن أكثر الذين سجّلوا أنفسهم على أنهم من مواليد تركيا كانوا في الحقيقة من مواليد الإمبراطورية الروسيّة، خارج حتى حدود عام (1927 م) التركيّة الأكبر.

جاء بعض اللاجئين المسلمين من مناطق في القفقاس أكثر بعدًا شمالاً، فارّين من الاحتلال السوفييتيّ، لكن أعدادهم عُدّت هنا غير مهمة إحصائيّــا مقارنة بأعداد اللاجئين من أروان، إلى آخره.

206) المقاطعات الجمهوريّة، في منطقة إقليم قارص عمومًا:

المقاطعة	الذكور المولودون في روسيا
أماسية (Amasya)	(839)
أرتوين (قضاء يوسفلي)	(1)*
بايزيد (قضاء أيدر وقضاء قلب)	(790)*
بتليس	(938)
أرزنجان	(150)
أرضروم (قضاء ألتو)	(4257)*

كموشخانة	(15)
ريزة	(80)
سمسُن	(2142)
شبين قره حصار (Şebin Karahisar)	(13)
توقاد (Tokat)	(2298)
طربزون	(223)
وان	(2734)
المجموع	(14,480)

* المناطق التي كانت ضمن الإمبراطورية العثمانيّة بعد عام (1878 م) فقط

المصدر: الإحصاء التركيّ عام (1927 م).

أدرجت المناطق التي استردّها الجمهورية التركيّة من روسيا (41) مواطنًا روسيًّا فقط في إحصاء عام (1927 م). لذلك، يجب عدّ الذين أدرجوا على أساس أنهم وُلدوا في روسيا أنهم كانوا في الحقيقة لاجئين.

207) نظرًا إلى أن معدّل الوفيات الإجماليّ للمسلمين الآخرين في منطقة شرقي الأناضول والأرمن في المنطقة نفسها، فإن تقدير الوفيات بالثلث ليس مفرطًا بحال من الأحوال.

208. Ordu, Giresun, Ünye, Samsun, Bafra, and Kastamonu.

209. "To the Office of the Prime Minister," 4 December 1916, *Belgeler I*, no. 41.

210) من الواضح من الوثائق أن تعداد بعض المناطق كان أفضل بكثير من مناطق أخرى. على سبيل المثال: «إن عدد الذين لجؤوا إلى ديار بكر هو (16,901) في المنطقة الوسطى و(16,162) في منطقة ماردين. أرسل إلى أورفة حتى الآن (40,000) لاجئ». من الواضح أن ما عُرف عن اللاجئين في ماردين وديار بكر أكثر بكثير مما عُرف عن أولئك الذين «أرسلوا إلى أورفة ».

211. See *Muslims and Minorities*, Chapter Six, especially pp. 110 and 111.

212. Arnold J. Toynbe, The Western Question in Greece and Turkey: a Study in the Contact of Civilization, London, Boston and New York. 1922, p. 191.

213) تحدّث الذي كتب الوثيقة العثمانيّة عن هؤلاء اللاجئين عن «هجرة جماعيّة لنحو (800,000) إنسان»، ولكن حتى هذا الرقم ربما يكون تقديرًا أقلّ بكثير من العدد الحقيقي للاجئين حتى عام (1916 م).

214) يفترض هذا أن اللاجئين تجشموا عددًا من الوفيات يفوق ما تجشمه مسلمو المنطقة على نحو عام. للوفيات الإجماليّة، انظر أدناه و(Muslims and Minorities, pp. 133-37).

215) كانت تقارير أخرى، كتقارير لجان هاربرد (Harbord) وكنغ-كرين (King-Crane) ذات دعاية واسعة بالتأكيد. بحكم حقوقهما الشخصيّة، كان يجب تضمين إفادات نايلز وسَذرلاند في تقارير هاربرد، لكن ذلك لم يحصل. لا يستطيع المرء إلاّ أن يظن أن أدلّتهما لم تكن تلك التي يرغب أصحاب النفوذ في سماعها. ذكر الجنرال هاربرد في

تقريره أن النقيب نايلز زار مناطقَ في شرقي الأناضول لم تشاهدها لجنة هاربرد، لكن هاربرد شوّه ما كتبه نايلز. انظر ‹Justin MaCarthy, 1994:1809-53› تعيد هذه المقالة طباعة تقرير نايلز وسَذرلاند). علّقت تقارير هاربرد وكنغ-كرين بالتفصيل على الوضع في أقاليم كوان وبتليس من دون زيارتها. لم تجرِ محاولةً تذكر لاستنباط رأي أو شهادة تركيّة. في الواقع، كان مترجمو لجنة هاربرد الوحيدون من الأرمن، لذلك، فإن الافتراض أن يكون التقرير عن أفكار الأتراك دقيقًا بعيد جدًا.

216. Niles and Sutherland, op. cit.
217. Ibid.
218. "Erzerum, Frontier District, i.e., Diading, Kara Kilissa, Alashgird, Zeidekan, Velibaba, Khorasan, Keupri Keui, Jaghan, Hassan Kale, Ilidja, Karabijik, Baiburt."
219. Niles and Sutherland, op. cit..
220. Ibid.
221. Ibid.
222. Ibid. See also *İstiklâl Harbimiz*, pp. 369-71.

223) كان من المفترض أن يكون معدّل الولادات أعلى بكثير من معدّل الوفيات، لكن ذلك لم يكن ممكنًا في أوضاع كالتي كانت تسود في شرقي الأناضول.

224. See notes 207 and 208.
225. See F.O. 371-3658, no. E77890, Boghos Nubar to Balfour, Paris, 15 May 1919.

226) هذه الأقاليم هي الأقاليم العثمانيّة كما كانت عام (1895 م) مقارنة بالمناطق الجغرافيّة ذاتها في الإحصاء التركيّ عام (1927 م).

227. The 1927 Turkish Census figures have been projected back to 1922. For the procedure, see *Muslims and Minorities*, pp. 231-34.

228) افترضتُ أن كثيرين هاجروا من إقليم قسطموني (Kastamonu) وربما جاء آخرون من إقليمي أنقرة وسيواس على نحو خاص.

229. Even İsmet Paşa (representative of the Turkish Republic at the Lausanne Peace Conference) underestimated the deaths in the east. He stated them as 1,000,000 (F.O. 371-9058, no. E219, Address of İsmet Pasha, Lausanne, 5 January 1923).
230. The 1915 Russian *Statistical Yearbook* and the 1926 U.S.S.R census. For explanations of the procedures involved, see Appendix. The years in Table 21 and table 22 are different because Table 21 conforms to the usage in its source, *Muslims and Minorities*.

231) تجعل الهجرة من شمالي القفقاس إلى ما كان يُسمّى منطقة عبر القفقاس عدد الوفيات يبدو كأنه أقل من عدد الوفيات الحقيقي. وتجعل الهجرة من منطقة عبر القفقاس إلى تركيا عدد الوفيات يبدو كأنه أكبر من العدد الحقيقي لدى القفقاس وأقلّ لدى الأناضوليّين، أي:

CP1-CP2 = CM

AP1-AP2 = AM

ولكن CP1 -CP2-M = CM-M

AP1 -AP2 + M = AM + M

حيث CP1 = عدد سكان منطقة عبر القفقاس عام (1914 م)

CP2 = عدد سكان منطقة عبر القفقاس عام (1921 م)

AP1 = عدد السكان الأناضوليّين عام (1912 م)
AP1 = عدد السكان الأناضوليّين عام (1922 م)
CM = الخسارة السكانيّة في منطقة عبر القفقاس
AM = الخسارة السكانيّة في الأناضول
M = المهاجرون
ولكن أكثر المهاجرين من منطقة عبر القفقاس ذهبوا إلى إقليم قارص ومناطق أخرى في الجمهورية التركيّة كانت ضمن روسيا في السابق، وهذا لا يؤثر في حسابات الوفيات في ما كان يُعرف بالأناضول العثمانيّة بعد عام (1878 م).

232) أخذ في الحسبان ما سبق ذكره عن هجرة أكثر من (40%) إلى الداخل.

7] الحرب الأخيرة في الغرب

1. Halide Edib, *The Turkish Ordeal*, New York, 1928, p. 314.

2) بدافع الحاجة المتبادلة والكراهية المشتركة للأتراك.

3) الصفحة (112). الأقاليم هنا بحسب الحدود كما كانت في عام (1895 م) (أي، لسهولة الاستخدام، جرى تضمين سناجق، كسنجقي قرةسي وكوتاهية، أصبحت سناجقَ مستقلّةً بعد ذلك، في الإقليم "الأم"). جرى استخلاص هذه الإحصائيات من بيانات السجلّ السكاني العثماني كما جرى تصحيح التعداد الأدنى من الحقيقي وفقًا للسنّ والجنس. لمجموعة أرقام بديلة، وفقًا لتقديرات البطريركيّة اليونانيّة، انظر ‹Paschalis M. Kitromilides and Alexis Alexandris, 1984-85:9-44›. أظن أن التقديرات في المقالة، غير المبنيّة على التعداد الحقيقي، غير موثوقة، وهي مثل جميع التقديرات اليونانيّة في ذلك الوقت، تبالغ في تقدير عدد السكان اليونانيّين لأغراض سياسية.

4. See McCarthy, Muslims and Minorities, pp. 117-44.
5. See the discussion in Chapter 5.
6. F.O 371-4164, no. 154462, Hadkinson to Robeck in Robeck to Cruzon, Constantinople, 9 November 1919, and F.O. 371-4158, no. 96965, Perring to Calthorpe, Adapazar, 16 June 1919. See also the extremely prejudiced view of Stephen P. Ladas, The Exchange of Minorities: Bulgaria, Greece, and Turkey, New York, 1932, pp. 15-16.
7. F.O. 371-4158, no. 118411, Perring to Calthorpe, Samsoun, 25 July 1919, and F.O. 371-4164, no. 154462, Hadkinson to Robeck included in Robeck to Curzon, Constantinople, 9 November 1919. The Foreign Office documents are full of references to briganda.

8) يجب ألاّ يذهب وصف حالة الاقتصاد العثماني هنا أبعد من البيان الذي أتلفته عمليّـاً الحرب العالمية الأولى. انظر ‹Ahmet Emin, 1930, and Yusuf Hikmet Bayur, 1967:497-546› (وصف مختصر جدًا). كان هناك محلّلون أدركوا أن الأتراك، مع أنهم منهكون من الحرب، سيقاومون الغزو اليوناني. لم يكن العميد البحريّ وبّ (Webb) نائب المفوّض السامي البريطاني في اسطنبول في عام (1919 م) صديقا للأتراك، لكنه قام بتقدير ثاقب النظر للوضع السياسيّ. شعر بأن السلام لن يكون ممكنًا ما دام أن الأتراك كانوا «خاضعين لحكم عرق أجنبيّ وعدواني كاليونانيّين» ‹F.O. 371-4158, no. 130723, Webb to Curzon, Constantinople, 7 September 1919›.

9) هناك عدد من الأعمال بشأن التاريخ السياسيّ والعسكريّ لحرب الأناضول، بعضها لا يكترث كثيرًا وضع المدنيّين الأتراك، لكنه متوافر لتفاصيل عن الحرب. انظر على سبيل المثال › Prince Andrew, *Towards Disaster*, London, 1930; Fahri Belen, *Türk Kurtuluş Savasi*, Ankara, 1973; Col. Bujac, *Les Campagnes de l'Armée Hellénique*, 1918-1922, Paris, 1930; Mustafa Kemal [Atatürk], *Nutuk*, many reprints, first printed in Ankara in 1927 in two volumes; A. A. Pallis, *Greece's Anatolian Venture-and After*, London, 1937. Selâhattin Tansel, *Mondros'tan Mudanya'ya Kadar*, 4 vols., Ankara, 1973 and 1974; Stanford J. Shaw and Ezel Kural Shaw, *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey*, Vol. II, Cambridge, 1977, pp. 340-372; Michael Llewellyn Smith, *Ionian Vision, Greece in Asia Minor 1919-1922*, New York, 1973‹. ‹Michael Llewellyn Smith, 1973› (أفضل وصف باللغة الغربيّة للكارثة اليونانيّة، حيث عمل مؤلّفه جاهدًا على التمسّك المنطقية، مع الاعتماد الساحق على مصادر يونانيّة. ومع أنه أفضل من أكثر الكتب عن هذا الموضوع، فإنه أهمل كثيرًا عن الأتراك. على سبيل المثال، ذكر أحداث الإنزال في إزمير والمجازر في إذميد، لكنه لم يذكر أعمال اليونانيّين في أثناء الانسحاب › Turkey, Genelkurmay Başkanliği, 1962-8‹.

10) بخصوص النص الكامل لاتّفاقيّة الهدنة، مع التعقيب، راجع › W.O. 106-64 "Execution of the Armistice with Turkey"‹.

11. Paul C. Helmreich, *From Paris to Sévres*, Columbus, Ohio, 1974, pp. 94-96. Two treaties covered the prospective Italian possessions in Anatolia: the Treaty of London (26 April 1915) and the Treaty of St. Jean de Maurienne (19 April 1917).

12) كانت الحكومة اليونانيّة، ورئيس الوزراء فينيزيلوس على الأخصّ، من المؤمنين جدًا بالفائدة الدعائية للإحصائيات المزيّفة. اعتمدا على الفكرة الصحيحة أن لا أحد في حكومات التحالف على علم بأيّ شيء كان يجري في الإمبراطورية العثمانيّة. علاوة على ذلك، كان باستطاعتهما الاعتماد على الجهل الإحصائيّ المُطبق للقادة الأورُبيّين الغربيّين. انظر ›Dimitri Kitsikis, 1963, and Justin MaCarthy, 1980:66-76‹. بخصوص افتقار الحلفاء إلى المعلومات والارتباك الأوليّ التالي بينهم، انظر › Laurence Evans, 1965:160-182‹.

كثيرًا ما يكون الفصل بين الخيال والواقع في روايات اليونانيّين عن معاناة اليونانيّين صعبًا. وكما أشار كيتسيكيس، استفاد اليونانيّون من التحريفات الكثيرة ليُشبعوا الشهيّة الغربيّة إلى الحكايات المناهضة للأتراك. ومع أن ضباط المراقبة في التحالف استطاعوا أن يكونوا على أرض الحدث حين قتل اليونانيّون الأتراك، فإنهم على ما يبدو لم يشهدوا قتل الأتراك لليونانيّين إلاّ نادرًا (باستثناء استعادة إزمير الجديرة بالذكر). ربما يدلّ هذا إما على أن الأتراك قتلوا اليونانيّين في الأمكنة البعيدة عن الأنظار وإما أن اليونانيّين لم يكونوا مضطهدين بالصورة التي أوحوا بها. نظرًا إلى حقيقة أن تطرف التحالف كان لمصلحة اليونانيّين وضدّ الأتراك في بداية الحرب، فإنه سيكون من الغريب أن ينقل ممثّلو التحالف أدلّة ضدّ أولئك الذين دعمهم التحالف، ما لم تكن

تلك الأدلّة صحيحة. بدا في كثير من الأحيان أن البريطانيّين في الأناضول، بخلاف البريطانيّين في مؤتمر السلام، ما كانوا يصدّقون الاتهامات اليونانيّة كثيرًا. على سبيل المثال، علّق نائب المفوّض السامي، راتيغان (Rattigan) على تقرير يوناني تلقاه عن الأعمال الوحشية التركيّة في «تاربازار (Tatarbazar)»، «بأن مقتل (7700) من أصل (8000) مقيم يوناني في تاربازار غير صحيح، حتى أن هناك شكًّا بوجود مكان كهذا أصلاً. من الممكن أن يكون المقصود هنا أدا بازار (Ada Bazaar) ولكن لم تصل تقارير عن مجازر لليونانيّين جملة من هذا المكان» ‹ F.O. 371-6515, no. E6441, Rattigan to Curzon, Constantinople, 29 May 1921›.

في أثناء الحرب، نقل البريطانيّون أن اليونانيّين "يلفّقون" روايات أعمال وحشية كاذبة ضد الأتراك. انظر ‹ F.O. 106-1501, General Harrington to War Office, Constantinople, 16 August 1922›.

في عام (1923 م) بعد أن خسرت اليونان الحرب، صرّح رئيس الوزراء اليوناني فينيزيلوس بأن نصف سكان المنطقة التي احتلّها اليونانيّون في الأناضول (1,175,000 من أصل 3,640,000) كانوا من اليونانيّين أو الأرمن. كما صرّح بأن الحكومة اليونانيّة لم تتّخذ إجراءات مناهضة للمسلمين في أثناء الاحتلال قط ‹ F.O. 371-9061, no. E1085, Venizelos to Bompard, Lausanne, 25 January 1923›. كان التصريحان متساويَين في القيمة.

13) كانت الحكومة البريطانيّة تعلم وتوافق سرًا على أن الإحصائيات السكانيّة العثمانيّة غربي الأناضول هي أفضل ما كان متوافرًا. تملّقت الحكومة للإحصائيات التي قدّمها اليونانيّون وآخرون، خصوصًا لويد جورج. ولكن، حين كان الأمر يتعلق بأمور عمليّة، وافق البريطانيّون على البيانات العثمانيّة. على سبيل المثال، نصحت وزارة الخارجية البريطانيّة المفوّض السامي رمبولد في اسطنبول بالاستفادة من الإحصائيات السكانيّة العثمانيّة المنشورة في ‹ Tableau indiquant le nombre des divers éléments de la population dans le Empire Ottoman au ler Mars 1330; F.O. 371-7879, E5735, Oliphant, for Balfour, to Rumbold, London, 10 June 1923›. الاستخبارات البحرية البريطانية استخدمت الإحصائيات ذاتها ‹ F.O. 371-4221, no. 137567, Appendix 1, "Operations and Intelligence Survey Summary No. 2, Period 21st-27th August 1919. Statistics on the Population of the Vilayet of Aidin by Cazas," Smyrna›.

14. On Greeks in Ottoman Anatolia, their nationalism and desire to be part of a Greater Greece, see Smith, *Ionian Vision*, Chapter 2.

15) انظر ‹ F.O. 371-4157, Calthorpe to Balfour, Constantinople, 8 February 1919›، تنقل الرسالة تقريرًا من ضابط البحريّة الكبير، سميرنا [دكسون] عن الأحداث التي سبقت الغزو اليوناني هناك. كانت الجرائم في المقام الأول سرقات، إلى آخره، وهي ربما كانت متوقعة، لكن العصابات اليونانيّة كانت تهاجم المسلمين في ذلك الحين، خصوصًا في ورلا (Vurla). إذا كان للحكومة العثمانيّة في إزمير أخفاق في الأمن العام، فهو أخفاقها في حماية المسلمين على نحو كاف. انظر أيضًا ‹ F.O. 371-4218, no. 94229›، احتجاج الوفد العثماني إلى مؤتمر السلام، يعترض فيه على خرق التحالف لشروط هدنة مُدروس بالسماح لليونانيّين بالغزو.

زُعم أن العثمانيّين أطلقوا سراح المجرمين الأتراك من السجون لإنهاك اليونانيّين، ولكن تبيّن أن ذلك بيان نموذجيّ لتشويه الحقيقة. بحسب المصادر البريطانيّة، أطلق العثمانيّون سراح المسيحيّين، لا المسلمين، من السجون قبل الغزو اليوناني مباشرة لاسترضاء الحلفاء ‹ F.O. 371-4157, no. 72532, Smith to Calthorpe, Constantinople, 7 April 1919›.

16) لم تكن تلك المرة الوحيدة التي يرجّح فيها المؤتمر كلمة فينيزيلوس على كلمة ممثّليه. قارن الأدلّة المقدّمة هنا من مصادر بريطانيّة في الأناضول واسطنبول بتصريحات فينيزيليوس ولويد جورج في مؤتمر السلام.

17. F.O. 371-4218, no. 91491, Mallet (for Balfour) to Curzon, Report of R. L. Berry, Commanding Officer of the U.S.S. Manley.

18. F.O. 371-4219, no. 98615, "Occupation of Smyrna by the Greek Army, 15th May 1919," Smyrna. 24 May 1919.

19. F.O. 371-4218, no. 91630, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 12 June 1919, transmitting the detailed report of Mr. James Morgan, the Representative of the British High Commissioner in Smyrna, on the Greek occupation of the city. This quote is from Morgan's own analysis.

20) هناك جدل فيما إذا جرى إطلاق طلقة واحدة أو عدة طلقات. صرّح أولئك الذين كانوا شهود عيان عمومًا بأنه جرى إطلاق طلقة واحدة، لكن يبدو أن أولئك الذين سمعوا إطلاق النار عن بُعد سمعوا أكثر من طلقة. ربما جعل إطلاق النار من الجنود اليونانيّين الطلقة (أو الطلقات) الأولى غير واضحة.
لم تكن الرواية الرسميّة اليونانيّة للأحداث مرتبطة بالواقع بحال من الأحوال. بحسب وزير الخارجية اليوناني، قتل سبعون يونانيّـــا حين أطلقت القوات التركيّة النار عليهم. يُفترض أن هذا هو سبب الهجوم اليوناني. ألقى الوزير اللوم على الإيطاليّين لتحريضهم على الاضطرابات. لا يُعرف كيف توقع أن يصدّق البريطانيّون ذلك في الوقت الذي كانوا أنفسهم فيه في إزمير ‹ F.O. 371-79256, telegram from Lord Granville, Athens, 24 May 1919›. لعرض مترابط إلى حد بعيد باللغة الغربيّة عن موقف اليونانيّين من الأحداث في إزمير وطوال الحملة الأناضوليّة، مستخرج من مصادر يونانيّة على نحو كامل تقريبًا، انظر ‹Michael Llewellyn Smith's Ionian Vision› (قادت سمث مصادره إلى بعض الاستنتاجات الرائعة، مخالفة أدلّة التحالف، على سبيل المثال، (صَ 208) بخصوص أحداث إزمير قبل الإنزال اليوناني).

21. F.O. 371-4218, no. 91630, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 12 June 1919, enclosure C, "Events Which Happened in Smyrna on the 15th May, during the Greek Occupation, as Witnessed by the Undersigned on the S/S 'Bresci.'" (Signed by nine officers of the ship, W. B. Cresser, Mater, et al.).

22) ‹F.O. 371-4218, no. 91491, Mallet (for Balfour) to Curzon, Paris, 1919› تنقل الرسالة «تقاريرَ وصلت إما مباشرة وإما بوساطة الوفد الأميركيّ عن الأعمال الوحشيّة التي ارتكبتها القوات اليونانيّة في سميرنا. التقارير مفصّلة وظرفيّة وجديرة بالثقة، ولسوء الحظ ليس هناك من ريب في التصرفات الشائنة للقوات اليونانيّة وافتقار السلطات اليونانيّة إلى السيطرة». هذا الاقتباس من المحتوى ذي الرقم (3)، تصريح دونالد وايتول، سميرنا، 18 آيّار عام (1919 م).

23. Original reads "Turkish soldiers and soldiers."
24. F.O. 371-4218, no. 91491, Mallet (for Balfour) to Curzon, Paris, 1919, enclosure no. 9, "Commanding Officer U.S.S. 'Arizona' to Senior Naval Officer, Constantinople," Smyrna, 18 May 1919.
25. Ibid.

26) تقدير السيد فان در زي (Van der Zee) (الهامش 29). قدّر بعضهم (500) وقدّر بعض المصادر التركيّة (2000) لكن هذا الرقم ربما يتضمّن الوفيات في بعض قرى «الضواحي». من الواضح أنه لم تجرِ تقديرات دقيقة.

27) ‹F.O. 371-4219, GHQ General Staff Intelligence, Constantinople, Report of Ian M. Smith, A.C.O. Smyrna, Smyrna, 24 May 1919›. علّق دي روبك (de Robeck) بأنه كان في «المعركة» بين القوات اليونانيّة والثكنات العثمانيّة «عَدد كبير من الإصابات التركيّة. نُقل أن الإصابات اليونانيّة كانت قتيلاً وأربعة جرحى». نظرًا إلى حقيقة أن الأتراك كانوا يحتلّون المباني المحصّنة بينما كان اليونانيّون من دون غطاء في الشوارع، فإن الإصابات تدلّ على معركة غريبة فعلاً ‹F.O. 371-4218, no. 8061, "Report on the Greek Occupation of Smyrna" by de Robeck, 20 May 1919›. لوصف آخر لأعمال اليونانيّين في إزمير، انظر رسالة البحّار الفرنسيّ المذكورة في ‹Ligue pour la Défense des Droits des Ottomans, 1919,:26-29›. تبدو رسالة البحّار الفرنسيّ دقيقة، مقارنة بإفادات أخرى، لكنها تختلف عن الروايات البريطانيّة في أنها تصدر الحكم صراحة، تلقي اللوم على اليونانيّين على نحو مطلق، بينما كان البريطانيّون في ذلك الحين لا يزالون يفعلون ما في وسعهم لتسويغ سلوك اليونانيّين («ضباط أغرار»، «أخطاء خلال الزحف»، إلى آخره). شملت التقارير الدبلوماسيّة البريطانيّة والأميركيّة وكذلك المنشورات العثمانيّة تقاريرَ مفصّلة من موظّفين عثمانيّين. لمجموعة مختارة من هذه التقارير، انظر ‹F.O. 371-4218, no. 85641, Cathorpe to Curzon, Constantinople, 27 May 1919; F.O. 371-4218, no. 91083, Report by Ali Nadir Pasha, Commander of the 7th Army crops; F.O. 371-4218, no. 91491, Mallet (for Balfour) to Curzon, Paris, 1919, enclosure no. 9, "Commanding Officer U.S.S. 'Arizona' to Senior Naval Officer, Constantinople, " Smyrna, 18 May 1919, numerous enclosures. The official Ottoman government report is the *Rapports Officiels reçus des autorités militaires Ottomanes sur l'occupation de Smyrne par les troupes Helléniques*, Constantinople, 1919. See also the following detailed and interesting "atrocity books": Nihad Rechad, *Les Grecs à Smyrne*, Paris, 1920, which contains very complete lists of atrocities; le Bureau Oermanent du Congrés Turc de Lausanne, *Le Régime d'Occupation Hellénique en Turquie*, Lausanne, 1921; and The Permanent Bureau of the Turkish Congress at Lausanne, *Geek Atrocities in the Vilayet*, Lausanne, 1919.›. (لسبب من الأسباب، تحتوي النسخة الفرنسيّة لكتاب ‹Greek Atrocities in the Vilayet of Smyrna, Atrocités Grècques dans la Vilayet de Smyrne, Geneva, 1919› على تفاصيل أقلّ بكثير من النسخة الإنكليزيّة. جرت ترجمة جميع أجزاء الكتاب الفرنسيّ بدقة في النسخة الإنكليزيّة، وأُضيف وصف شامل للمجازر في وادي مندر). إن الكتب التركيّة

عن الأعمال الوحشية مفصّلة وظرفيّة إلى حد لا يمكن معه إنكار أدلّتها. إنها تحتوي على مئات الصفحات من المجازر والاغتصاب والتدمير كثيرًا بتفصيل تصويريّ مقزّز للنفس ومرفق بصور للضحايا. لا بدّ من أن تجميع هذه الكتب، مع صورها لأطفال مشوّهين وجثث منتفخة، كان مهمّة مقيتة.

تحدّد كتب الأعمال الوحشية القرى المدمّرة بالاسم، والمنطقة، والإقليم، وتقدّم تفاصيل أخرى (أسماء الموظّفين، والجغرافيا، إلى آخره). من الواضح أن معلومات الكتب كانت مبنيّة على معاينات للتدمير. أظن أن تلك المعلومات موثوقة بشأن أعداد وأسماء القرى المدمّرة وموثوقة تقريبًا أعداد البيوت والمباني المدمّرة (إلاّ أن الكتب تتغاضى عن أن الأتراك كانوا مسؤولين على الأقل عن بعض التدمير). إن بيانات الكتب عن أعداد الناس الذين قتلوا غير مؤكّدة، إلاّ في حالات إعطاء أسماء الضحايا الذي يحدث أحيانًا. من المستحيل أن تكون الكتب أحصت القتلى على نحو دقيق أو ميّزت إحصائيـًّا الذين ماتوا من الذين فرّوا لاجئين. في أحسن الأحوال، يجب عدّ هذه الأرقام تخمينات مطّلعة.

كانت تقارير الأتراك عن الأعمال الوحشية التي ارتكبها أعداؤهم أكثر مصداقيّة بكثير من تقارير اليونانيّين. إن مسألة إذا كان سبب ذلك نزاهة الحكومة التركيّة أم عدم قدرتها على تنفيذ دعاية ليست ذات أهمّيّة هنا. لا يتطلّب الأمر أكثر من لمحة سريعة على «كتب الأعمال الوحشية» التي طبعها الأتراك واليونانيّون ليدرك المرء الفارق الكبير. الكتب اليونانيّة أكثر ملاسة وأسهل قراءة لكنها تُسهب في العموميّات على نحو تامّ تقريبًا. نادرًا ما تدعم توكيداها بالأدلّة، باستثناء الأدلّة الإحصائيّة. تؤكّد هذه الإحصائيات بسهولة على أن كثيرين ماتوا أو أن اليونانيّين كانوا أكثريّة في منطقة ما بعدة آلاف. أُثبت من التحاليل الإحصائيّة والسجلات التصنيفية أن الإحصائيّات اليونانيّة كهذه كانت مزوّرة. أما منشورات الأتراك القوميّين، فكانت قراءتها مملّة لأنها تدخل في التفاصيل إلى درجة كبيرة. إنها تُدرج البيوت المدمّرة وأسماء القتلى، إلى آخره.

تحقّق الممثّل البريطانيّ في إزمير، مورغان، في عام (1919 م) على نحو متكرّر من روايات العثمانيّين عن الأحداث في إقليم آيدين. على سبيل المثال، ذكر في إحدى الرسائل، «إن الرواية التركيّة عن الأحداث التي رافقت الاحتلال اليوناني لنازللي صحيحة» (F.O. 371-4221, no. 12447, enclosure, Morgan to Calthorpe, Smyrna, 12 August 1919). وذكر في الرسالة نفسها إن رواية الباب العالي عن قصف البحريّة اليونانيّة للقرى التركيّة كانت دقيقة، وكذلك وصف العثمانيّين للحالة العامة للنظام العام، سرقات وأعمال وحشية من الجنود اليونانيّين، إلى آخره.

28. F.O. 371-4218, no. 91491, Mallet (for Balfour) to Curzon, Paris, 1919, enclosure no. 9, "Commanding Officer U.S.S. 'Arizona' to Senior Naval Officer, Constantinople," Smyrna, 18 May 1919.

29. For example, see the van der Zee Report, F.O. 371-4218, no. 91491 and F.O. 371-4219, no. 101446.

30) علّق أحد المسؤولين البريطانيّين حين قرأ عن فرار اللاجئين الأتراك من محيط منمن إلى إزمير، «إن الهجرة من سميرنا ربما تكون كالمستجير من الرمضاء بالنار. لو كنتُ

مكانهم لما حاولت القيام بتلك الرحلة» ‹F.O. 371-4219, no. 102549, comment on cover page by "N.D.C". [Dickinson]›.

31. F.O. 371-4218, no. 86551, "Cable from A.C.O. Smyrna, 18th May 1919." In Cathorpe to Curzon, Constantinople, 24 May 1919.

32) ‹F.O. 371-4218, no. 91491, enclosure 9, Commanding Officer, U.S.S. Arizona to Senior Naval Officer, Constantinople, Smyrna, 18 May 1919, also›: «قتلت السلطات التركيّة بعضهم حين اندفعت الجماهير التركيّة إلى الثكنات للحصول على أسلحة. في اليوم التالي، أعطى الجنود اليونانيّون الجماهير اليونانيّة الأسلحة ذاتها» ‹F.O. 371-4218, no. 91491, Mallet [for Balfour] to Curzon, Paris, 1919, enclosure no. 8›، «ملاحظات عن محادثة مع الدكتور ألكسندر مكلشلَن (Alexander MacLachlan) من الكليّة الدوليّة في سميرنا»). يساعَد ذلك أيضًا في إثبات كم كان تحضير الجند الأتراك لمقاومة وطنيّة ضعيفًا في زمن احتلال إزمير. لو أدرك الجنود العثمانيّون ما كان سيحصل لاحقًا، لكانوا وزّعوا الأسلحة من غير ريب.

33. F.O. 371-4219, no. 98815, Appendix E, British Military Representative to Admiral Koukoulides, Smyrna, 17 May 1919. See also F.O. 371-4218, no. 85641, Cable from A.C.O. Smyrna, Smyrna, 15 May 1919.

34) ‹F.O. 371-4218, no. 91983, Director of Military Intelligence to the Acting Under Secretary of State, London, 17 June 1919: "Copy of Cipher Telegram from G.O.C. 17th Army Corps to Ministry of War. Furnished to the British Liaison Officer in the Ottoman War Office"›. هذا التقرير من اللواء علي نادر عن الأحداث في إزمير. تشهد على دقّته تعليقات وزارة الخارجية البريطانيّة المدوّنة على الوثيقة، على سبيل المثال، «تتطابق هذه في خطوطها الرئيسة مع روايات أخرى تلقيناها» و«تذكر ملاحظة من القيادة العامة، القسطنطينيّة، أن جميع الحوادث التي قدّمها الجنرال العثماني غير مبالغ فيها أكثر مما هو محتّم تقريبًا في حالة امرئ أصيب بمعاملة كهذه».

في قائمة أرسلها إلى رؤسائه عن القتلى من الجنود العثمانيّين، علّق المقدّم إيان إم سمث (Ian M. Smith)، «من اللافت للنظر المقدار العالي للضباط الكبار المصابين بجراح» ‹enclosure in F.O. 371-4218, no. 91983›.

35) ‹F.O. 371-4219, no. 101446, Complaints from the Delegation Ottomane à la Conference de la Paix, 2 July 1919›. في هذه الوثيقة، ذكر «مفتّش الماليّة، موفّق بيه» العثماني: «لا يمكن تحديد عدد القتلى والجرحى بدقة. هناك جثث في الشوارع. يمكن القول من دون مبالغة إن ألفًا قتلوا أو جُرحوا في سميرنا. تجاوز عدد القتلى والجرحى في المناطق المحيطة ['les environs'] (5000)». ليس هناك من طريقة لتأكيد هذه التقديرات أو نفيها. قدّم الأوروبيّون أعدادًا أقلّ للقتلى.

36. Helmreich, pp. 165 and 166.
37. F.O. 371-4222, no. 146629, cover sheet, p.2.
28. See note 116.
39. For evidence of this, see the numerous European and American eyewitness reports published as enclosures in F.O. 371-4218, no. 91491, Mallet to Curzon, Paris, 18 June 1919. The British delegation at the Paris

Conference knew well the İzmir events, but that British policy there was little affected.

40. F.O. 371-4221, no. 12447, Webb to Curzon, Constantinople, 24 August 1919, transmitting letter of 13 July from the Sublime Porte.
41. F.O. 371-4221, no. 115562, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 1 August 1919, transmitting note from Sublime Porte.
42. F.O. 371-4222, no. 141443, Digest of a report from the British "Intelligence Officer Aydin" on a visit to Tireh-16 September 1919.
43. F.O. 371-4224, no. 168764, de Robeck to Curzon, Constantinople, 20 December 1919, Letter from Morgan in Smyrna on "Brigandage in Marli Dere."

44) يجب عدم عدّ ذلك كأنه يُلمّح إلى أن جميع اليونانيّين المحلّيين كانوا سعيدين بدخولهم الحرب اليونانيّة التركيّة؛ وبالتأكيد ليس إلى أن جميع اليونانيّين شاركوا في اضطهاد المسلمين. كان الوضع، كما في مناطق أخرى وحروب أخرى ذكرت سابقًا، أن النزاع استقطب ملأ على نحو تامّ كانت في واقع الحال مستقطبة إلى حد بعيد أصلاً. لو كان لهم الخيارَ، لفضّل أكثر اليونانيّين، مثل أكثر المسلمين، عدم الدخول في حرب بتاتًا، ولكن حين اضطرّوا إلى تأييد جانب، انحاز اليونانيّون إلى جانب اليونانيّين.
شكّلت العصابات اليونانيّة في كلّ مكان من البلد وقامت السلطات اليونانيّة بتسليحها. ازداد نشاط هذه العصابات خصوصًا بعد أن اضطرّ الجيش اليوناني إلى الانسحاب من كواليتزا (Kovalitza) في الربيع. تهاجم القرى وتنهب وتحرق وتقتل. ترافق العصابات قوات نظاميّة يونانيّة أحيانًا، وتكون وحدها في أحيان أخرى، ولكن في جميع الحالات، لا يبدو أن هناك ريبًا في اشتراك القوات النظاميّة، والسلطات، في الجرائم. يتألّف بعض هذه العصابات النظاميّة من أرمن، لكن هؤلاء يتعاونون مع اليونانيّين. هناك درجات مختلفة من الأعمال الوحشية والشموليّة في هجماتهم، ويبدو أن ذلك يعتمد على نزوة الزعيم المعيّن للعصابة أو إنسانيته. في بعض الحالات يقتنعون بالنهب والإحراق، وفي بعضها الآخر تبدو أعمال القتل شاملة إلى حد ما. (كلّ ذلك كان تمامًا الحالة التي وجدناها سائدة بين إذميد وكمليك) ‹ F.O. 371-6557, no. E10550, "Note by Mrs. Arnold Toynbee", 20 September 1921, no place listed›.

45) «لم يجرِ نزع أسلحة غير النظاميّين ويمارس هؤلاء الآن مهنتهم الاعتيادية» ‹ Lt. Comdr. Hadkinson to B.N.R. Smyrna, Aivali, 4.7.19, "Aivali Report", enclosure B in F.O. 371-4221, no. 1244477, Webb to Curzon, 24 August 1919›. برّأ هادكنسون الجنود اليونانيّين لفقدان الأدلة كلما أمكنه ذلك، لكن على المرء أن يفترض أحيانًا أن تعليقاته كانت تهكّميّة: «في وقت واحد، دعا بلاغ آخر المتطوّعين المسلّحين وجرى تسليح أولئك الذين لا يمتلكون أسلحة لتشكيلهم في عصابات كان يُفترض فيها أن تعمل فرق استطلاع. كان عدد هؤلاء ألفًا تقريبًا، وأُدخل في ذهنهم أن لديهم حريّة التصرّف بسبب الخطر الذي سيصيبهم له. انطلق هؤلاء للعمل، فنهبوا وأحرقوا قريتيّ عربلر ومرادلي (Muradeli) وفرّ السكان في غضون ذلك. بعد ذلك، عنّفت السلطات العسكرية اليونانيّة غير النظاميّين الذين شعروا بالندم على أفعالهم الشريرة».

46. See, for example, F.O. 286-759, no. E7932, Report of Major-General Franks, Constantinople, 25 June 1921.

47) بخصوص وجهة نظر دافيد لويد جورج عن الأتراك واليونانيين، انظر ‹ Winston Churchill, 1929:391-414› (على سبيل المثال، «اليونانيون هم شعب المستقبل في شرقي المتوسط. إنهم منتجون ومفعمون بالحيوية. إنهم يمثلون الحضارة المسيحية مقابل الهمجية التركية» ص 391). كذلك ‹Gatson Gaillard, 1921› و ‹ David Lloyd George, 1939› حيث يُظهر لويد جورج افتقاره التام إلى فهم حتى الوضع السكاني الذي قدّم له بدقة في التقارير الاستخباراتية (ص 650). كان يقدّر فينيزيلوس إلى درجة أنه استقى معلوماته من رئيس الوزراء اليوناني بدلاً من موظّفيه في الأناضول.

48. F.O. 371-4219, no. 97051, Harmsworth to Curzon, 27 June 1919.

49. F.O. 371-4224, "Report on the Situation at Odemish and Tireh," by I. O. Odemish Dated 5-12-1919 and "Report on the Situation in Kiamakchi Area" by I. O. Odemish Dated 3rd Dec. 1919.

50) على الباحثين أن يكونوا حذرين في تقويم تحليلات وتصريحات أعضاء سلك وزارة الخارجيّة في لندن الذين كانوا بعيدين عن الأحداث جسديّـــا وحتى أكثر بُعدًا ذهنيّـــا. كتب «الخبرا ء» في وزارة الخارجيّة أحيانًا ملخّصات عما ظنّوه يمثّل الوضع في الميدان. كانت تلك محاولات جديّة ودقيقة أحيانًا لتلخيص الأحداث، ولكن في أكثر الأحيان كانت أمثلة مضحكة عن انتصار التعصّب الأعمى على التحليل. بخصوص الأخير، انظر ‹ «Atrocities in Asia Minor, etc.» by G.W. Rendel (F.O. 371-7875, no. E149, London, 4 January 1922›). من دون أي محاولة للإثبات، ومع التغاضي عن التقارير العديدة لممثلي وزارة الخاجيّة في الأناضول على ما يبدو، ضخّم رندل كثيرًا هجمات الأتراك على اليونانيين وقلّل من شأن مجازر اليونانيّين ضد الأتراك– لم يذكر قط أكثر الأعمال الوحشية التي نقلها الدبلوماسيّون والجنود البريطانيّون. من المفيد مقارنة مزاعمه، ومزاعم أمثاله، بمزاعم البطريركيات اليونانيّة والأرمنيّة. لا يمكن بالتأكيد اتّهام البطريركيات بالتقليل من الخسائر اليونانيّة والأرمنيّة («يجب الأخذ في الحسبان إحتمال المبالغة [في روايات البطريركية] وحتى، في حالة أو حالتين، تكرار الحوادث نفسها تحت تواريخ مختلفة». المفوّض السامي دي روبك). ومع ذلك، فإن تقديرات البطريركية للقتلى المسيحيّين والقرى المحروقة، إلى آخره، أقل بكثير من تقديرات بريطانيّين مثل رندل الذي راقب كلّ شيء من مكان بعيد بُعد لندن. في مكان ما بين الأناضول ولندن، فقد كثيرون آخرون من المسيحيّين › F.O. 371-5057, no. 14500, de Robeck to Curzon, Constantinople, 10 November 1920‹.

51) عكس في البداية نقل الأحداث في نازللي ومدن أخرى في إقليم آيدين ميْل البريطانيّين. في الأيام الأولى لاحتلال آيدين، حين جاءت معلوماتهم الوحيدة من مصادر يونانيّة، ألقى البريطانيّون اللوم على الأتراك بشأن كل الاضطرابات، وأصدروا تحذيرات للحكومة العثمانيّة تلمّح إلى انعدام الثقة بالأتراك، إن لم يكن الذنب. على سبيل المثال، أرسل العميد البحريّ فتزموريس (Fitzmaurice) قائد أسطول إيجه البريطاني ضابطًا للتحقيق في تقارير عن اضطرابات في منطقة نازللي: «أُعطي الضابط تعليمات بتحذير السلطات التركيّة أنه في حال جرى إخلاء نازللي [بوساطة اليونانيّين] ستتحمّل

السلطات مسؤوليّة حفظ النظام؛ وسوف تؤدّي أي اضطرابات إلى تقدّم أكبر للقوات اليونانيّة» (F.O. 371-4219, no. 40, Fitzmaurice to the Senior Officer of His Italian Majesty's Men of War at Smyrna, Smyrna, 20 June 1919). أصبح ذلك مسوّغ البريطانيّين لموافقتهم على تقدّم القوات اليونانيّة خارج المنطقة التي منحها الحلفاء لليونانيّين.

في المراسلة السابقة، ومراسلات أخرى، عبّر فتزموريس عن ظنه أن تقدّم اليونانيّين خارج المنطقة التي منحها لهم الحلفاء كان نتيجةً لعدم قدرة الأتراك على «حفظ النظام». في اليوم التالي، أبرق المفوّض السامي البريطاني في اسطنبول، «أطلب توجيه الحكومة التركيّة إلى استخدام أقصى المساعي لضبط جميع الأعمال العدوانيّة التركيّة وحفظ النظام في إقليم آيدين خارج منطقة الاحتلال اليوناني» (F.O. 371-4219, in a letter to M. Stergiadis, Greek High Commissioner in Smyrna, notifying Stergiadis of Fitzmaurice's cable, 21 June 1919). أرسلت رسائل وبرقيات أخرى بالمعنى العام ذاته. ثمّ، بدأت تقارير المحقّقين البريطانيّين بالوصول بدءا من 23 حزيران. نقلت هذه التقارير رشّ الأتراك بالرشّاشات وأعمال وحشية أخرى عُرفت في السابق. إلاّ أن العنصر المتميّز الرئيس للتقارير كان أن الزحف اليوناني إلى منطقة نازللي والانسحاب المتهوّر منها الذي تلاه وأعمال اليونانيّين حين كانوا محتلين، كل ذلك أدّى إلى القتل العمد لليونانيّين والأتراك على السواء. قتلت عصابات تركيّة يونانيّين فعلاً، لكن ذلك كان في المناطق التي احتلّها الجيش اليوناني فقط وبعد أعمال وحشية يونانيّة سابقة. في المنطقة التي لم يطأها الجيش اليوناني، «من نازللي إلى دكزلي [أي المنطقة التي لا تزال تحت السيطرة التركيّة] يسود النظام التامّ. لم أتلقّ شكوى صحيحة واحدة ضد الأتراك من أيّ مسيحيّ، وأكّد تحقيق عدم وجود أي مشكلة من أيّ نوع في المناطق أعلى الخط [سكّة آيدين الحديديّة]» (F.O. 371-4219, Lt. Holder's Report of 23 June 1919).

ومع أن فتزموريس كان لا يزال يرفض أن يقرّ بأن قتل اليونانيّين للأتراك، كما نقل رجاله أنفسهم، كان السبب في الانتقام من اليونانيّين، فإنه كان على الأقلّ مستعدًا لإلقاء اللوم على اليونانيّين لاستيلائهم على أراضٍ خارج حصّتهم وذكر أن «الأتراك حافظوا على النظام التامّ في الأمكنة الأخرى». وأضاف، «في هذه الأوضاع، لا أستطيع إلاّ أن أتمسّك برأي واحد، وهو أن اللوم يقع على السلطات اليونانيّة وحدها عن الأحداث المشؤومة التي جرت في نازللي في العشرين من حزيران» (F.O. 371-4219, Fitzmaurice to Stergiadis, 25 June 1919). مضت فترة طويلة قبل أن يصف البريطانيّون الأحداث الحقيقية ويقروا بها.

52. The Permanent Bureau of the Turkish Congress at Lausanne, *Greek Atrocities in the Vilayet of Smyrna, Lausanne*, 1919, p. 27.

53) «كانت منمن من أول الأمكنة التي احتلتها القوات اليونانيّة، ولم تحدث أي أحداث هناك بسبب السلوك الرائع للقائمّقام كمال بيه على نحو رئيس» (F.O. 371-4219, no. 104611, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 5 July 1919, Report of Calthorpe's representative, Morgan, on the Menemen massacres). قتل الجنود اليونانيّون كمال بيه في مبنى الحكومة في وقت لاحق.

(54 حذّر أصدقاء يونانيّون بعض الأتراك أيضًا من أن المجزرة ستبدأ في اليوم التالي.

(55 كان ضباط المراقبة مراقبين من الناحية النظريّة مهمّتهم التأكّد من التقيّد بشروط هدنة مُدروس. في الحقيقة، وُضعوا في المكان المناسب ليعملوا جواسيس، وفعلوا ذلك فعلاً.

(56 «يقدّر ضابط فرنسيّ عدد القتلى الأتراك بثمانين على الأقل، بينما يقدّره شهود أجانب آخرون بمئتين» ‹F.O. 371-4219, no. 104611, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 5 July 1919, Report of Calthorpe's representative, Morgan, on the Menemen massacres›.

(57 ‹F.O. 371-4221, 121944, Webb to Curzon, Constantinople, 16 August 1919› ترجمة تقرير لجنة التحقيق العثمانيّة بخصوص منمن. وصلت اللجنة العثمانيّة إلى منمن تحت حماية التحالف. حين وصلت اللجنة، كانت جثث المسلمين لا تزال في الشوارع. إن تقريرها كامل وعزّزه شهود التحالف على نحو تامّ.

(58 ‹F.O. 371-4220, no. 112194, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 22 July 1919›. عزّزت تقارير أخرى أدلّة ضباط المراقبة البريطانيّين. «تتّفق كل الروايات المهمة على أن اليونانيّين مسؤولون عن الاضطرابات في منمن» ‹F.O. 371-4220, no. 120192, Telegram from Admiral Webb, Constantinople, 24 August 1919; see also F.O. 371-4219, no. 102547, Letter from the Ottoman Foreign Ministry (Sefa) to Calthorpe, 19 June 1919›. أضاف وِبّ أن سبب أيّ عنفٍ من جانب الأتراك هو الحاجة إلى الدفاع عن أنفسهم.

متحدّثًا باسم الحكومة اليونانيّة، نفى رئيس الوزراء فينيزيلوس أن يكون اليونانيّون مسؤولين عن الأحداث في منمن، تمامًا كما هي الحال دائمًا حين يتطرّق إلى مواضيع كهذه. ومع ذلك، كانت أدلّة التحالف بما يفيد العكس أقوى من أن يستطيع إقناع حتى أصدقائه. اتّفق جميع معلّقي وزارة الخارجيّة البريطانيّة المذكورين في المصادر التصنيفية على أن فينيزيلوس كذب في ملاحظاته إلى وفود مؤتمر السلام بشأن الأعمال الوحشية اليونانيّة في إقليم آيدين. صرّح نائب المفوّض السامي وِبّ، «تُجمع كل تقارير الأجانب، بمن فيهم الضباط البريطانيون الذين شهدوا أو حقّقوا في الأحداث في منمن في 16 حزيران، على إلقاء المسؤوليّة كاملة على اليونانيّين». مع تحفّظ دبلوماسيّ، علّق سي إي إس بالمَر (C.E.S. Palmer) من وزارة الخارجيّة، «عمومًا، لا يمكن تصديق ملاحظات إم فينيزيلوس» ‹F.O. 371-4221, no. 124451, Webb to Curzon, Constantinople, 24 August 1919›.

عدّ البريطانيّون في الأناضول واسطنبول التقارير من الباب العالي عن أنشطة اليونانيّين ضد المسلمين صحيحة على نحو عام، مع أنّهم شعروا أحيانًا بأن أعداد القتلى في التقارير مضخّمة. كان القبول البريطاني مبنيًّا على المقارنة بين روايات العثمانيّين وروايات الضباط البريطانيّين الذين شاهدوا أو حقّقوا في الحوادث نفسها. على سبيل المثال: «تنسجم الرواية التركيّة في جزئها الرئيس [عن الأحداث في منمن] مع رواية الملازم هايام (Higham) في [الرسالة ذات الرقم] 112194. عدد القتلى كبير، يُدرج على أنه (300–400) في منمن و(1300) في القرى المختلفة. ينسجم اتّهام سبق التصميم مع تقرير الملازم هايام أيضًا؛ يذكر الأخير في الصفحة ذات الرقم (7) أن صليبًا أبيضَ طلي على أبواب أكثر البيوت اليونانيّة. يبدو الأمر كلّه بفظاعة مجازر

C. E. S. Palmer, 29/8/19, commenting on a report made by a › «آيدين
commission sent to Menemen by the Ottoman Ministry of Foreign
.‹Affairs, F.O. 371-4221, no. 121944

59. See F.O. 371-4219, no. 103230, Admiralty Letter (Hunt for the Secretary) to Under Secretary of State, 15 July 1919 for reports on the Greek movement beyond their allotted area.

60. Note from the Ottoman government, containing translation of reports from the "Government de Denizil" and "Sous-goverheur de Nazelli," transmitted in F.O. 371-4220, no. 115562, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 1 August 1919.

61. "Égorgés."

62) «تقرير ،‹F.O. 371-4221, no. 130729, Webb to Curzon, 8 September 1919›
من النقيب هادكنسون، الضابط البديل المرتبط بهذه المفوّضيّة العليا، بخصوص الأحداث التي جرت في آيدين خلال الأيام الأخيرة من حزيران». إن تقارير هادكنسون مثيرة للاهتمام كثيرًا لأنه لم يكن صديقًا للأتراك. انظر › F.O. 371-4221, Hadkinson to Temple, Soma, 29 June 1919; U. S. 867.00/316, telegram, Bristol to Naval Advisor, Paris, Constantinople, 17 July 1919‹. في المرجع الأخير تحدّد هذه البرقية أن اليونانيّين يحرقون الأحياء التركيّة ويقتلون المسلمين عمدًا.

63) تحتوي المصادر في الهامش (62) وصفًا لخسائر اليونانيّين. بخصوص مبالغة فاضحة، انظر ‹U. S. 767.68116/2, Dobbs to State, Athens, 24 March 1920›، تنقل الرسالة من الجنرال اليونانيّ نيدر (Nider) وصفًا للأحداث في آيدين. ذكر نيدر، على نحو أكثر من ريائيّ إلى حدٍّ ما، «إن وحشية الأتراك تفوق الوصف. إن الحيوانات الضارية لطيفة مقارنة بهم». في رسالة إلى القوى في مؤتمر السلام، أكّد رئيس الوزراء فينيزيلوس أن النار التي أحرقت الحيّ التركيّ في آيدين اندلعت من غير قصد بقذيفة مدفعيّة تركيّة. لم يذكر أي أعمال مناهضة للأتراك قامت بها القوات اليونانيّة › U. S. 867.00/304, E. K. Veniselos to Mr. Clemenceau, etc. [translation], Paris, .‹10 July 1919
أثّر إنكار اليونانيّين وآخرين في الرأي العام وفي الرأي في وزارات الخارجيّة في التحالف، حيث كان يُقال إن المسلمين يقتلون اليونانيّين، وليس العكس. اكتشفت وزارات الخارجيّة أخطاءها حين زار موظّفوها آيدين. وجد هؤلاء أن الضحايا كانوا مسلمين (ومع ذلك لم يجرِ إعلام الشعوب بهذه الحقيقة قط). على سبيل المثال، ذهب الكولونيل بويلون (Poillon) الملحق العسكريّ للولايات المتّحدة في أثينا، إلى آيدين مع محاولات القيادة اليونانيّة لمنعه. قال إنه ليس هناك مجازر ضد اليونانيّين في المدينة ووصف أعمال اليونانيّين ضد المسلمين › U. S. 867.00/318, telegram, Drappers .‹to American Mission, Paris, Athens, 19 July 1919
يُبرز نقل أحداث آيدين خطورة الوثوق في تقارير المصادر المتطرفة، خصوصًا الأميركيّين، من دون دراسة متأنّية. كان القنصل الأميركيّ في إزمير، هورتون (Horton) في عام (1919 م) مواليًا لليونانيّين بشدة، إلى درجة أن أفراد المجتمعات الأميركيّة، والتركيّة أيضًا، في إزمير قدّموا شكوى لوزارة الخارجيّة ضد تطرفه › U. S. 867.00-302, John Manola [of New York] to Lansing, received 11 July

1919›. كانت تقارير هورتون عن آيدين تقطيرًا للتقارير من اليونانيّين ‹ U. S. 867.00-288, Horton to American Mission, Paris, Smyrna, 2 July 1919›.
ومع ذلك، مع الأدلّة الساحقة من المراقبين الأميركيّين والبريطانيّين، اضطرّ إلى سحب اتّهاماته للأتراك بقيامهم بأعمال وحشية وصرّح، «في أثناء الاحتلال التركيّ بعد أن انسحب اليونانيّون، قام بحماية السكان المسيحيّين ضابط بريطاني وضابطان فرنسيّان وقوات نظاميّة تركيّة من الفرقة (57) العسكرية القديمة، وهي منضبطة تمامًا **وتنحني احترامًا للأعلام الأجنبيّة** [هذا توكيد من المؤلف] ‹ U. S. 867.oo/295, Horton to American Embassy, Paris, Smyrna, 6 July 1919›. لكنه ظلّ لا يعترف، مع الأدلّة المجمعة من ممثّلي التحالف على أرض الحدث، بأن اليونانيّين هاجموا الأتراك. عدّ الأتراك مسؤولين عن جميع الاضطرابات في إقليم آيدين، والإيطاليّين عن إثارتها. كان يثق باليونانيّين وبمندوبهم السامي، «لا بدّ من أن أقول إن السيد سترغيادس طمأنني منذ البداية بأنه ليس هنا ليشنّ حربًا على تركيا»، الذي كان متأكّدًا من أنه لن يرتكب خطأً. كان هورتون من المؤمنين بعدم السماح للأتراك بالعودة إلى المناطق التي استولى عليها اليونانيّون قط ‹ U. S. 867.00/325, Horton to American Mission, Paris, Smyrna, 19 July 1919›.
إن كتاب هورتون ‹The Blight of Asia, 1926› بحث في انتصار التحامل على العقل. يصف فيه الأتراك بأنهم «أدنى المحمّديّين فكريّـــا»، ولا يتصفون بفضائل أو إنجازات الحضارة، أو ببعضها على الأقل، ومن دون تاريخ ثقافي» (ص 209) و«الفرع الوحيد من العقيدة المحمّديّة الذي لم يقدّم قط أي مساهمة في تطوّر الحضارة» (ص 255).

64. F.O. 608-276, no. 396, 25 June 1920, Ottoman Delegation Observations on the Proposed Treaty [Sevres].

65) وُصفوا بأنهم «قطّاع طرق»، إذًا، ربما كان بعض السجناء على الأقل أعضاءً في العصابات اليونانيّة التي ألقت السلطات العثمانيّة القبض عليها، ثمّ أطلق اليونانيّون سراحهم.

66. "Foule."

67. Note from the Ottoman government, containing translations of reports from the "Government de Denizil" and "Sous-governeur de Nazelli," transmitted in F.O. 371-4220, no. 115562, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 1 August 1919.

68. F.O. 371-4221, no. 124447, Webb to Curzon, Constantinople, 24 August 1919, transmitting a letter from the Sublime Porte.

69. F.O. 371-4221, no. 121623, Summary of British Reports and Conflicting Accounts of Greeks and Turks prepared for Lord Curzon, 26 August 1919.

70. F.O. 371-4219, no. 98815, Report on "The Occupation of Smyrna by the Greek Army, 15th May 1919" Smyrna, 24 May 1919, compiled from dispatches of Consul Morgan and other British representatives." Appendix H: A letter to Morgan from Oscar van Lennup, who had a çiftlik in the "Nahie of Sevdi Keuy," 17th May 1919.

71. F.O. 371-4219, no. 101446, Complaints from the Ottoman Delegation to the Peace Conference, 2 July 1919.

72. *Rapports Officiels reçus des autorités militaires Ottomanes sur l'occupation de Smyrne par les troupes Helléniques*, Constantinople, 1919, the Report of the Commandant of the Gendarmerie, pp. 31-36. The

report tallies point by point with the reports of Morgan and other Allied observers. The mortality figures seem reasonable.

73 F.O. 371-4218, no. 85641, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 27 May 1919, a Cable from “A.C.O. Smyrna,” 15 May 1919.

74. F.O. 371-4227, no. 88773, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 31 May 1919, transmitting letter from Ali Nadir, 17th Army Corps Commander, to Ministry of War, 22 May 1919.

75. F.O. 371-4220, no. 115562, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 1 August 1919, evidence from the Turkish Foreign Ministry.

76. F.O. 371-4220, no. 115562, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 1 August 1919, evidence from the Turkish Foreign Ministry.

77. F.O. 371-4221, no. 124451, enclosure, Lt. Commander Hadkinson from Soma, 29 June 1919. See also F.O. 371-4221, no. 121623, “Memorandum respecting the Greek Occupation of Smyrna,” prepared for Lord Curzon, 26 August 1919.

78. The first report of the naval bombardment came from the Ottoman government (F.O. 371-4221, no. 12447, enclosure in Morgan to Calthorpe, Smyrna, 12 August 1919, a letter from the Sublime Porte to Calthorpe 13 July 1919). They were substantiated by British reports (Report from Morgan İzmir, same source). See also F.O. 371-6518, no. E6975, telegram from Rattigan, Constantinople, 16 June 1921 on the bombardment of İnebolu.

79. F.O. 371-4222, no. 141443, de Robeck to Curzon, Constantinople, 4 October 1919, report of Intelligence Officer Aydin from Visit to Tireh, 16 September 1919.

80) ‹F.O. 371-4224, no. 168764, de Robeck to Curzon, Constantinople, 20 December 1919›. في إحدى الحوادث، سلب اليونانيّون قرية نار الدرة (Narlıdere). كتب القنصل مورغان عن الحادثة. لاحظ أن عصابات قطّاع الطرق في نار الدرة تحدّثوا باللغة التركيّة، لذلك، ربما لم يكونوا من اليونانيّين الإغريق. أكّد المسؤولون المحليّون الأتراك واليونانيّون أنهم من السكان المحلّيين. لكنهم كانوا «يرتدون بزّات عسكرية هلنستية». ذكر مورغان حوادث مشابهة أخرى أيضًا (المصدر ذاته).

81. F.O. 371-4218, no. 88752, Calthorpe to Curzon, a report of meeting with a “Deputation from the Ottoman Council of Ministers,” 28 May 1919.

82. F.O. 371-4224, no. 170731, Advanced British Headquarters, General Staff, “Intelligence,” Smyrna, No. 1023/S.I., “Digest of Report from I. O. Aidin on Visit to Tireh.” On the rape of Muslim women, see Halide Edib, *The Turkish Ordeal*, pp. 308 and 360.

83. See Muslims and Minorities, Chapter 7.

84. F.O. 371-4221, no. 12447, Webb to Curzon, Constantinople, 24 August 1919, transmitting the letter of the Sublime Porte to Calthorpe of 13 July 1919.

85. F.O. 371-4221, no. 12447, “Aivali Report,” Lt. Commander Hadkinson, Aivali, 4 July 1919.

86. F.O. 371-4224, no. 170731, Advanced British Headquarters, General Staff, “Intelligence,” Smyrna, No. 1021/S.I., “Report on the Situation at Odemish and Tireh by from I. O. Odemish Dated 5-12-1919,” and F.O. 371-4224, no. 170731, Advanced British Headquarters, General Staff, “Intelligence,” Smyrna, No. 1023/S.I., “Digest of Report from I. O. Aidin on Visit to Tireh.”

87. F.O. 371-4224, no. 170731, Advanced British Headquarters, General Staff, "Intelligence," Smyrna, No. 1023/S.I., "Digest of Report from I. O. Aidin on Visit to Tireh."

88) ‹ F.O. 371-6557, no. E10550, "Note by Mrs. Arnold Toynbee", 20 September 1921, no place listed›. كانت مصادرهما حين عادا إلى إقليم آيدين من جديد تركيّة، تلك المصادر التي لم يصغيا إليها في زيارتهما الأولى. على أي حال، لم يثق أتراك إقليم آيدين بتوينبي حين زار الإقليم أول مرة. كان قريبًا جدًا من اليونانيّين إلى درجة أنهم كانوا يتحدّثون أمامه بحريّة، وكان في الحقيقة ضيف المندوب السامي اليوناني: «تحدّث [الدكتور حسني بيه، أحد مخبري توينبي] بانفتاح أكبر بكثير الآن مما كان يجرؤ عليه في زيارة أرنولد السابقة، لأنه كان معروفا في ذلك الوقت أن أرنولد على علاقة وديّة باليونانيين؛ كانوا يصطحبونه في جولات هنا وهناك، ومن الواضح أنه كان يتعاطف معهم إلى حد بعيد. إن الأتراك ودودون لكنهم يتحدّثون بتحفظ طبعًا» ‹ F.O. 371-6557, no. E10550, "Note by Mrs. Arnold Toynbee" 20 September 1921, no place listed›.
علّقت السيدة توينبي بأنه، مع أنهما لم يستطيعا أن يراقبا الأحداث السابقة في إقليم آيدين كما فعلا في منطقة يالوة-إذميد، فإنهما يظنان أن ما سمعاه كان صحيحًا، لأنه في المقام الأول، كانت الأعمال الوحشية «بأدقّ التفاصيل في أكثر الأحيان» من النوع نفسه الذي شاهدوا اليونانيّين بأمّ أعينهم يرتكبونه في أمكنة أخرى.

89. Arnold J. Toynebb, *The Western Question in Greece and Turkey: a Study in the Contact of Civilizations*, London, Boston and New York, 1922, p. 284, quoting the Inter-Allied Commission on the Yalova-Gemlik Peninsula.
For short but excellent first-hand account of the situation in the Yalova-Gemlik region, see the *Report* of Maurice Gehri, the Delegate of the International Committee of the Red Cross (separately printed from the *Revue International de la Croix-Rouge*, vol. III, no. 31, 15 July 1921, Geneva).
See also, F.O. 371-6516, no. E6477, French government note to the Foreign Office, London, 6 June 1921. Attesting to Greek atrocities at Iznik.
إن روايات خالدة أديب عن مكابدات الفلاحين المسلمين مهمة ومثيرة للاهتمام، لأنها تروي قصص أفراد. إنها تصف الوجه المرعب للصراع بطريقة لا تستطيع أي إحصائيات تحقيقها ‹Halide Edib, The Turkish Ordeal, pp. 308-96›. إن مقابلاتها مع نساء القرى وتفهّمها لهنّ من أفضل ما طُبع من وصف لعواقب الحرب إطلاقًا.

90. U.S. 767.68116/20, Bristol to State, Constantinople, Jan. 7, 1921.
91. F.O. 371-6513, no. E5889, cipher telegram from General Headquarters, Constantinople, to War Office, 17 May 1921.

92) ‹ F.O. 286-759, no. E6204, Rumbold to Curzon, Constantinople, 20th May 1921›، تنقل الرسالة تقرير لجنة التحقيق المؤقّت عن شبه جزيرة إذميد (الكولونيل فارمر Farmer). إن التقرير المؤقّت أفضل من التقرير النهائيّ في أكثر جوانبه، لأن الأخير كان متأثرًا إلى حد بعيد بالسياسة (انظر الهامش ذا الرقم 105). يجب مقارنة التقرير بالتقرير العثماني المنشور من المنطقة، المفصّل أكثر بكثير، لكنه يتّفق مع تقرير لجنة

التحقيق في كلّ تفصيل يظهر في الاثنين. إن التقرير العثمانيّ وثيقةٍ معبّرة لكنها مخيفة، وهي تُدرجُ القرى والقتلى بالاسم وتتضمّن صورًا رهيبة فعلًا › Ministère de l'Interieur, Direction Generale des Immigrés, Publication No. 5, Atrocités Grecques en Turquie. Second Livre, Constantinople, 1921‹.

93. Ibid.
94. Report of the Commission of Inquiry for the Ismidt Peninsula to His Excellency the British High Commissioner, Constantinople, transmitting in F.O. 286-759, no. 6204, Rumbold to Curzon, Constantinople, 20 May 1921. The members of the Commission were Lieut-Colonel H.M. Farmer, Le.-Colonel S. Vitelli, Lt-Colonel de Witkowski, and Major C,H, Van-Millingen.
95. F.O. 286-759, Rumbold to Curzon, Constantinople, 3 January 1920.
96. F.O. 371-6513, no. E5870, telegram from Rumbold, Constantinople, 21 May 1921.
97. F.O. 371-6515, no. E6310, telegram from Rattigan, Constantinople, 1 June 1921.

98) ربما يتساءل المرء لماذا أقبل أدلّة توْينبي بخصوص اليونانيّين، لكنني أصرف النظر عن أكثر ما كتبه في السابق عن الأرمن. إن الجواب سهل. شاهد توْينبي أعمال اليونانيّين فعلًا؛ لكنه قرأ فقط تقاريرَ (ليس فيها تقرير واحد من الجانب العثماني) عن مأساة الأرمن. لو لم يسافر توْينبي إلى آسيا الصغرى في عام (1921 م) لربما قدّم كتابًا متطرفا ومناهضًا للأتراك مرة أخرى. إنها مفخرة كبيرة له أن تطرفه تلاشى أمام أدلّة لا سبيل إلى إنكارها. كثيرون آخرون (انظر، على سبيل المثال، › Marjorie Housepian's The Smyrna Affair‹ لم يحذوا حذوه.

99. Toynbee, p. 367.

100) › F.O. 286-759, no. E7932, enclosure no. 1 in Rattigan to Curzon, Constantinople, 30 June 1921‹ «تقرير اللجنة التي عُيّنت للتحقيق في الأعمال الوحشية التي ارتُكبت في جزر مرمرة». يذهب التقرير أبعد مما ذُكر هنا ليصف على نحو عام الحالة السيّئة لمنطقة مرمرة التي كانت تحت السيطرة اليونانيّة، بما فيها الضرب والقتل، وليؤكّد ضرورة نزع سلاح القرويّين اليونانيّين.

101) «جرى التحقّق من أسماء أعضاء عصابة قطّاع الطرق وهذه الأسماء هي كالتالي:
يوكوس تاكور أوغلو (Yokos Takor Oghlou)
نيكيت أوغلو إستراتي (Nickit Oghlou Istrati) من أفيسيا
سفدالي أوغلو إستراموس (Sevdali Oghlou Istramos) من أرتاكي (Artaki)
مالي(Mali) أو هراكي (Hiraki) جنديّ فارّ من الجنديّة
يورغي (Yorgi) من باشا ليمان (Pasha Liman)
[لم يُذكر اسم اثنَين من قطّاع الطرق]»
› F.O. 286-759, no. E7932, enclosure no. 1 in Rattigan to Curzon, Constantinople, 30 June 1921‹، «تقرير اللجنة التي عُيّنت للتحقيق في الأعمال الوحشية التي ارتُكبت في جزر مرمرة»).

102. Ibid. On Greek action in the Marmara region, see also U.S. 767.68116/8, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 20 December 1920, and U.S. 767.68116/13, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 13 April 1921.

103. F.O. 286-759, Rumbold to Curzon, Constantinople, 3 January 1920.

104) كان جركس عثم أفضل مثال معروف لزعيم عصابة جركسيّة، قاد في الأصل حركة مدغرة ضد اليونانيّين، لكنه تخصّص في النهاية بنهب المدنيّين، مسلمين ومسيحيّين على السواء، وحتى إنه انضمّ إلى الجانب اليوناني. هزمته قوات مصطفى كمال القوميّة.

105) ‹CMD. 1478, p. 11. Turkey No. 1 (1921)› تقارير عن الأعمال الوحشية في إقليمي يالوة وكمليك وشبه جزيرة إذميد. هذه هي نسخات دعائية عن تقارير فارمر، وآخرين، ذكرت سابقًا، كتب أكثرها لإرضاء اليونانيّين والحكومة البريطانيّة. لكنها مع ذلك لا تستطيع تجاهل مجازر الأتراك. (ستعطي مقارنة هذه النسخات بالتقارير الأصليّة درسًا بنّاء في الدعاية).

106. F.O. 371-6520, no. E7377, telegram from Rattigan, Constantinople, 28 June 1921. See also F.O. 371-6520, no. E7398, telegram from Commander in Chief, Mediterranean, to Admiralty, 29 June 1921.

107. F.O. 371-6520, no. E7420, telegram from Rattigan reporting on the visit of General Franks to Izmit.

108. W.O. 106-1493, "A History of the Turco-Greek War, 1919 to 1922."

109. F.O. 371-6511, no. E5232, Note from the British High Commissioner transmitting a letter from the Ankara government, Constantinople, 4 April 1921. See also U.S. 867.00/1548, Bristol to Secretary of State, 21 September 1922.

110. U.S. 767.68116/34, J. Lorder Park to State, 11 April 1923. A report on the tour of the area of the Greek retreat by American Consul Park (consul at Smyrna) and others.

111. Ibid.

112. F.O. 371-6533, no. E11890, Rumbold to Curzon, Constantinople, 18 October 1921, transmitting telegram from the "Angora Foreign Minister" and the Ottoman Foreign Ministry. F.O. 371-6532, no. E11414, letter of Yusuf Kemal to Rumbold, 10 October 1921. F.O. 371-6520, no. E7299, Sublime Porte note of 7 June 1921. F.O. 371-6520, no. E7306, Ankara government to British High Commissioner, 7 June 1921.

113) ‹F.O. 371-6533, no. E11890, Rumbold to Curzon, Constantinople, 18 October 1921›. في هذه الوثيقة، نقل الأتراك أن الضباط اليونانيّين الأسرى صرّحوا بأن الأمير اليوناني أندريه (André) أمر اليونانيّين بإحراق جميع القرى في طريقهم. بحسب علمي، ليس هناك دليل آخر على أمر على هذا المستوى العالي إلاّ شهادة الضابطَين- مسجلين باسمي كولراكس (Colrakis) وعمانوئيل (Emmanuel). ليست هناك طريقة لمعرفة إذا كانت تصريحاتهما صحيحة. ومع أنه من الواضح أن الأوامر بتدمير كلّ شيء في طريق الجيش اليوناني جاءت من قيادة الجيش اليوناني، فإنه من الواضح أيضًا أن شهادة أسرى الحرب مشبوهة دائمًا. انظر أيضًا ‹Second Section of the General Staff of the Western Front, Greek Atrocities in Asia Minor, First Part, Constantinople, 1922› (نُشر أيضًا بنسخة فرنسيّة مطابقة حيث أُدرج الضابطان باسمي (ربما أدقّ) إيه أكريوتي (A. Acryoti) وكوليزاكس عمانوئيل (Colizakis Emmanuel) والضابط باسم «الأمير أندريا (Andrea)» (مُدرج في النص باللغة اليونانيّة أندرياس Andreas).

114. F.O. 371-6518, no. E6959, Parliamentary statements on the Greek atrocities at Yalova..

115. Speech in Parliament of Viscount St. Davids (President of the Smyrna Aydin Railway) on reports coming to him.

116) F.O.371-7878, no. E5395, Parliamentary Question by Mr. Rees, 23 May ‹
F.O. 371-7879, no. E5975, Parliamentary ‹ 1922›، يطلب نشر وثيقة لجنة سميرنا.
Question of 12 June 1922› يطلب نشر تقرير (لجنة التحالف البينيّة عن الأعمال الوحشية اليونانيّة).
من المثير للاهتمام، أن تقرير سميرنا السريّ الذي حرَم قادة الشعب البريطانيّ شعبهم منه، جرى نشره في فرنسا في عام (1920 م). أخذ الوفد التركيّ إلى مؤتمر باريس للسلام نسخة من تقرير اللجنة النهائيّ (من الفرنسيّين؟) وجرى نشره في عام (1920 م). لا يبدو أن أحدًا في إنكلترة كان مهتمّـــا بالمواد التي نشرها الأتراك، ولم أرَ أيّ دليل على أن أحدًا في إنكلترة كان يعلم بوجود نسخ منشورة من تقرير اللجنة. (جرى نشره في ‹ Les Grecs à Smyrne, Nouveau témoignages sur leurs atrocités.
Un document official probant, Paris, 1920›. افترضتُ أن جامع الكتاب هو الوفد التركيّ. لم يُدرج اسم المؤلّف، لكن أكثر المواد في الكتاب هي ذاتها التي تظهر في منشورات الوفد الأخرى).
للنسخة الإنكليزيّة من تقرير لجنة سميرنا، انظر ‹ United States of America, Department of State, Papers Relating to the Foreign Relations of the United States: the Paris Peace Conference, 1919, volume xii, Washington, 1947›.

117. F.O. 371-6521, no. E767, telegram from Rattigan, Constantinople, 1 July 1921.

118. Letter from Arnold Toynbee to *The Times*, 6 April 1922, transmitting a letter from Turkey of 9 March 1922.

119) «أُرسل ضابط بريطانيّ مع بعثة التحالف إلى بروسة لمراقبة الإجلاء، سلم تقريرًا يُبيّن الضعف الخطير في معنويّات القوات اليونانيّة والأعمال الوحشية التي ترتكبها ومسؤوليتها عن إحراق قرى يونانيّة. أحرق اليونانيّون الكنائس الرئيسة الخاصة بهم مع أربعين منزلاً. أبقى القائد التركيّ شكري قواته تحت سيطرته وحافظ على النظام»
W.O. 106-1501, G.O.C. Allied Forces, Constantinople, to War Office, ‹ 15 September 1922›.

120. F.O. 371-7898, no. E10383, "Report on the Nationalist Offensive in Anatolia by Major H.G. Howell, D.S.O., O.B.E., R.A., British Member of the Inter-Allied Commission proceeding to Broussa," Constantinople, 15 September 1922.

121. F.O. 371-7898, no. E10383, Report by Major Howell, Constantinople, 15 September 1922.

122. The Permanent Bureau of the Turkish Congress at Lausanne, *Greek Atrocities in the Vilayet of Smyrna*, Lausanne, 1919, p. 96.

123. Justin McCarthy, "Jewish Population in the Late Ottoman Period, " A. Levy, ed., The Jews of the Ottoman Empire, Princeton, 1994, pp. 375-97.

124. See the report of Lieut. J.S. Perring in F.O. 371-4157, no. 83004, Webb to Curzon, Constantinople, 20 May 1919, on Bolu, Adapazari, etc.-areas which would later be the sites of atrocities. Also, F.O. 371-4157, no. E62437, Webb to Curzon, Constantinople, 5 April 1919.

(125) «قمتُ بزيارة خندك (Hendek) في الخامس والعشرين من الشهر المنصرم، كان تفتيشي هناك مرتبطًا كليّةً بشكوى أرسلتها البطريركيّة الأرمنيّة تتّهم الأتراك بالاستيلاء على المواشي والأثاث، إلى آخره. بعد تحقيق دقيق، وجدتُ أن الشكوى لا أساس لها من الصحة وأن مزاعمهم مبالغ فيها على نحو فاضح. يعاد سرد القصة المألوفة ذاتها من جديد؛ تُباع المواشي والأثاثات بنصف قيمتها أو أقلّ. سألتُ الموقّعين على التقرير المرسل إلى البطريركيّة إذا كانوا يستطيعون إثبات اتّهاماتهم المذكورة في التقرير وليس حادثة واحدة. قالوا بسهولة إن البطريركيّة طلبت منهم إرسال تقرير إليها منذ أربعة أشهر تقريبًا، وإن الأتراك المذكورين في التقرير كانوا أولئك الذين اشتروا البضائع بأسعار زهيدة جدًا. عبّروا عن أنفسهم على أي حال، وهم راضون عن الأوضاع على نحو عام وقالوا إن أيّ حيوانٍ يخصّهم يستطيعون تتبّع أثره يستعيدونه بسرعة؛ ولكن من سوء حظهم أنه لم يبقَ إلاّ القليل منهم» ‹F.O. 371-3660, no. 140460, Charles Hadkinson to de Robeck, Constantinople, 7 September 1919›.

(126) بحسب أحد المراقبين البريطانيّين، كان المسؤولَ عن الإغارات في إقليم آيدين قبل الغزو اليونانيّ عنصران- لاجئون من أوربة «كريت وألبان وجركس وبوسنيّون» و«لاجئون يونانيّون عادوا من الجزر والعثمانيّون اليونانيّون الذين فرّوا من الخدمة العسكرية العثمانيّة إلى الجزر» ‹F.O. 371-4157, no. 72532, Smith to Calthorpe, Constantinople, 7 April 1919›.

(127) الأرقام التالية هي من البطريركيّات الأرمنيّة أو/ واليونانيّة. حذّر البريطانيّون أن فيها «مبالغات». يمكن الافتراض أن الأرقام الحقيقية كانت أدنى، لكن المجازر وقعت فعلاً.

9 حزيران، أورتة كوي، (270)

10 تموز، كيوة، (500)

15 تموز، أقحصار، (350)

27 آب، إزنيق، (400–500)

لم أدرج بعض البيانات الخياليّة، على سبيل المثال، (فولاجيك/ Fouladjik) حيث يُفترض أنه جرى شنق (400) أو (قرية فندقلية/ Foundouklia) حيث يُفترض أنه جرى رميُ (1700) رجل بالرصاص في إحدى كنائس القرية وقتل كثيرون، إلى آخره ‹F.O. 371-5057, no. E14500›.

أدارت الكنيسة الأرثوذكسيّة اليونانيّة بنشاط حملة لمصلحة جمهورها وكثيرًا ما كانت تُخبر الحلفاء بالأعمال الوحشية التركيّة ضد اليونانيّين. كان كثير من مزاعمها تلفيقًا صرفًا، لكن بعضها كان صحيحًا، خصوصًا ضدّ العصابات القوميّة والعصابات المناهضة للقوميّين (جركس عثم، وآخرين) وقطّاع الطرق. على سبيل المثال، انظر ‹F.O. 371-6516, no. 6596, letter from Greek Archbishop of Neopolis, Casarea [sic], transmitted by the Greek legation to Curzon, London, 6 June 1921. See also F.O. 371-6518, no. E7104, Bulletin of the Greek Patriarchate, Constantinople, 16 March 1921›. طبعًا، طبعت الصحافة اليونانيّة كثيرًا من المزاعم عن أعمال وحشية تركيّة. انظر ‹F.O. 371-6516, no. 6608, Granville to Curzon, Athens, 27 May 1921›.

بخصوص مجازر إزنيق، انظر ‹ F.O. 371-5214, no. 13849, de Robeck to Curzon, Constantinople, 21 October 1920›. في هذه الوثيقة، ألقت القيادة العامة لجيش البحر الأسود اللوم على (جمال بي) الذي نُقل أنه مسؤول أيضًا عن الهجوم على القرى التركيّة وإحراقها. لكن القيادة العامة لم تكن جديرة بالثقة في تقديراتها.
لملخّص سخيف بوضوح عن الأعمال الوحشية التركيّة، انظر (ملاحظات إضافيّة على الأعمال الوحشية التركيّة الحديثة) من جي دبليو رندل من وزارة الخارجيّة ‹ F.O. 371-7057, no. E11885›. لم يتردّد رندل في الكذبِ بخصوص أدلّته (تقارير المبشّر جاكيث Jacquith) أو في كتمان الأدلّة التي تؤكّد الحقيقة بشأن الأعمال الوحشية التركيّة. انظر ‹F.O. 371-7956, no. E11639› بشأن ملخّص استخباراتي حاول رندل إيقاف توزيعه لأنه تجرّأ على رواية أن «رئيس أساقفة سميرنا صرّح قبل الحريق ببضعة أيام بأنها لن تُسلّم إلى الأتراك سليمة».
وبينما كان البريطانيّون يشكّون في الإفادات عن المجازر ضد المسلمين التي وصلت من مصادر عديدة، ويعبّرون عن ريبهم علنًا إلاّ إذا شاهدها ضباط بريطانيّون أو أجروا تحقيقًا شاملاً بشأنها، كانوا كثيرًا ما يسلّمون بشائعات لا أساس لها من الصحة على نحو منتظم عن أعمال وحشية ارتُكبت ضد اليونانيّين والأرمن، خصوصًا في الأيام الأولى للصراع. كثيرًا ما دفع ذلك المسؤولين البريطانيّين إلى سحب تصريحاتهم وتحليلاتهم السابقة حين ظهرت الحقيقة. على سبيل المثال، كانت التقارير التي يحرّض عليها اليونانيّون عن أعمال وحشية تركيّة في إقليم آيدين وغيره ذائعة في عام (1919 م) بما فيها مجزرة مروّعة مزعومة ضد اليونانيّين في عشاق. جرى نقل روايات هذه الأعمال الوحشية إلى لندن في حينها ووصفها كالعادة بأنها لموازنة الأعمال الوحشية اليونانيّة في إقليم آيدين. ولكن، حين جرى التحقيق في "الأعمال الوحشية التركيّة" تلاشت تلك الأعمال:
«من الجدير بالذكر، أنه باستثناء مكانين أو ثلاثة ضمن منطقة العمليات أو بجوارها في إقليم آيدين، حيث قتل جنود غير نظاميّين ورجال عصابات مسيحيّين انتقامًا للأعمال الوحشية اليونانيّة، ليس هناك أي حادثة قتل في أيّ مكان آخر ارتكبها المسلمون ضد السكان المسيحيّين.
وهكذا، تبيّن أن الشائعة عن مجزرة عشاق (موضوع برقيتي No. 1604 of the 4th August and your Lordship's telegram No. 1327 of the 9th August) لا أساس لها من الصحة، ومع أن المدينة كانت محتلّة من جنود غير نظاميّين ينتمون إلى الجيش القوميّ، اتُّخذت إجراءات لمنع التحرّش بالسكان المسيحيّين» ‹ F.O. 371-4158, no. 130723, Webb to Curzon, Constantinople, 7 September 1919›.
إن فهارس وزارة الخارجيّة للمراسلات أمثلة منوِّرة عن التطرف البريطانيّ ضد الأتراك. مُدرجة تحت عنوان «أعمال وحشيّة» يجد المرء كلمة «مزعومة» مطبّقة على الأعمال الوحشية اليونانيّة، كما في «مجزرة اليونانيّين المزعومة ضد الأتراك في ———». لا تُستخدم الكلمة في التقارير عن أعمال الأتراك، مع حقيقة أنها أقلّ وثوقًا، كما في «مجزرة الأتراك ضد اليونانيّين في ———».

128) أظهرت خالدة أديب مشاعر الانتقام عند الأتراك باستشهادها بامرأة قرويّة تركيّة تناشد مصطفى كمال باشا («أنتَ» ها هو ال«sen» التركيّ: أنتَ يجب أن تنتقم لظلمنا، إذا أنتَ أسرت نساءهم في أيّ وقت، عليك أن تتأكّد من أنهنّ سيُعاملن بالطريقة نفسها التي عوملنا نحن بها . . أوه، الكلاب، الخنازير . . عاملونا كما لو كنّا وحلاً، شيئًا بغيضًا تحت كعب أحذيتهم) ‹The Turkish Ordeal, p. 360›. تقدّم خالدة أديب أمثلة أخرى كثيرة للكراهية التي شعر بها القرويّون الناجون.

129. U.S. 867.00/632, Kehl to Secretary of State, Salonica, 25 June 1914.

130) ‹U.S. 867.00/625, Horton to Secretary of State, Smyrna, 10 June 1914› يجب أخذ أدلّة هورتون بشيء من الشكّ لأنه كان أيّ شيء إلاّ مراقبًا غير متطرفة، لكن يبدو أن المقاطعة حدثت. بخصوص هجمات العصابات التركيّة على اليونانيّين في ذلك الوقت، انظر ‹Smith, Ionian Vision, pp. 30-32›.

131) قدّر لادس (Ladas) (ص 16) [150,000] لكن أرقامه كانت مرتفعة دائمًا حين كان الأمر يتعلق باليونانيّين. قدّمت الحكومة اليونانيّة تقديرات مختلفة على نحو واسع (جميعها مبالغ فيه إلى حد كبير) عن أعداد اليونانيّين الذين جرى ترحيلهم أو فرّوا من الأناضول قبل الحرب: [300,000] › F.O. 371-6535, no. E12720, «Memorandum Communicated by the Greek Delegation» received 14 November 1921; and 727000 Greece, Anti-Greek Persecution in Turkey, London, 1921›.

Ahmet Emin, on the other side, felt that the Greek migration situation was not serious (*Turkey in the World War*, New Haven, 1930, pp. 210-11). American Ambassador Morgenthau sent home information on the deportations of Geeks in 1914, all from Greek sources. See U.S. 867.00/630, Morgenthau to Secretary of State, Constantinople, 19 June 1914.

132. Approximately the boundaries of the Vilâyet of Trabzon in 1895, i.e., before the detachment of Canik Sancaği

133) › F.O. 371-6526, no. E9289, Rumbold to Curzon, Constantinople, 10 August 1921› تنقل الرسالة صورة عن المراسلة بين الأميرال بريستول ويوسف كمال. أعطت الحكومة العثمانيّة على نحو أساس جواب القوميّين نفسه، مثلاً، «ردّ غراند فيزير (Grand Vesier) الآن [على مسألة الترحيل] بأن نقل جميع الرجال القادرين على حمل السلاح فرضه القصف اليوناني لمدن البحر الأسود الساحليّة وحركة العصيان المسلّح في بونتوس» › F.O. 371-6526, no. E9144, Telegram from Rumbold, Constantinople, 10 August 1921›.

134) قدّر ضابط المراقبة البريطاني في الشرق، الكولونيل رولنسون أن [20,000–30,000] يوناني من البونتوس كانوا في عصابات في نطاق البحر الأسود ويعملون ضد القوميّين. إن هذه من غير ريب أعداد مضخّمة، لكنها مع ذلك دالّة على المشكلة التي تواجه الأتراك › F.O. 371-7878, no. E5362, Rawlinson's Conversation with Rendel, 23 May 1922›.

135. On the Pontiac Rebellion and the Greek Church, see U.S. 767.68116/30, Caffery to Secretary of State, Athens, 15 May 1922, transmitting letter

from "The Central Committee of the Greek Dioceses of Pontus," Constantinople, 20 May 1922. See also Justin McCarthy, "Greek Statistics on Ottoman Greek Population," *International Journal of Turkish Studies* I (2), 1980, pp. 66-76, on the support of the Bishop of Trabzon for Greek separatism.

136. See other sources in note 134 and 137.

137) انظر› F.O. 371-7876, no. E4648, telegram from Rumbold, Constantinople, 10 May 1922‹. إن المجلّد ‹F.O. 371-7877› حافل بالمواد عن الترحيل. بقراءة هذا المجلّد من الوثائق يتبيّن بسرعة أنها كانت مبنيّة كلها على تقارير المبشّرين. إن أكمل مجموعة لاتّهامات البشّرين موجودة في ‹ U.S. 867.4016/588, Bristol to Secretary of State, Constantinople, 12 July 1922›.

ذكر ضابط المراقبة البريطانيّ الكولونيل رولنسون أن القرى اليونانيّة على سواحل البحر الأسود كانت فعلاً مهجورة، لكن، انضمّ (20,000–30,000) يوناني إلى عصابات يونانيّة ضد القوميّين ‹ F.O. 371-7878, no. E5362, interview with Colonel Rawlinson, 23 May 1922›.

القوميون طلبوا هــ جي جاكيث، مدير الرعاية في منطقة القسطنطينية في الشرق الأدنى الذهاب إلى هربوت وتحري اقامات رتشرد يول، وهو ما فعله. ‹F.O. 371-7878, no. E5381, telegram from Chicago Tribune, 21 May 1922›.

جاكيث قال في رسالة أن أوضاع المسيحيين في هربوت جيدة ‹ F.O. 371-7880, no. E6575, 22 June 1922›. لم يصدق الإنغليز أنه قال ما قاله، ولذا تمت مقابلته، قال إنه حقًا أرسل رسالة ‹ F.O. 371-7880, no. E7288, Henderson to Balfour, Constantinople, 18 July 1922›.للاطلاع على رد بلنغ وجاكيث وكيلي الشرق الأدنى للمساعدة على يول انظر ‹ F.O. 371-7878, no. E5692, from the Anatolian News Agency. The Times of 25 May 1922 contained a Turkish rebuttal of the Yowell charges. See also F.O. 371-6538, no. 14360, U. S. Near East Relief Reports›.

138) مات نحو (65,000) يونانيّ من البونتوس في فترة ما بين عام (1912 م) وعام (1922 م). (في الحقيقة، كان عددهم في (عام 1922 م) أقلّ بـــ (65,000) من عددهم في عام (1912 م) لذلك، فإن التعبير المناسب هنا هو "نقص السكان" وليس موهم). وهذا يشمل الوفيات بسبب أوضاع زمن الحرب والهجرة القسريّة والطوعيّة في أثناء الحرب العالميّة وهجمات قطّاع الطرق والعصابات والأوبئة، إلى آخره. إذا أخذنا في الحسبان أن الترحيل لم يشمل جميع يونانيّي المنطقة بحال من الأحوال، فإن العدد (8000) للوفيات في المسيرة القسريّة ليس سخيفا ‹Muslims and Minorities, pp. 112-13›.

جرى توزيع المهاجرين الأناضوليّين الذين ذهبوا أولاً إلى اليونان ثم إلى أميركا وأمكنة أخرى، إضافة إلى الذين ماتوا قبل تعدادهم في الإحصاء اليوناني، وفقا لمقدارهم في العدد الكليّ للسكان المهاجرين). أما الأرقام التي تعطي تقديرًا أكبر بكثير للوفيات فهي بعيدة الإمكان جدًا.

لحكايات تصويريّة ودمويّة وليست بالضرورة دقيقة عن الترحيل، انظر ‹F.O. 371-7381, no. E8286› «إفادة أثيل طومسون (Ethel Thompson) من بوسطن،

ماساتشوسيتس». قدّر المبشّر الدكتور كندي (Kennedy) أن عدد الذين جرى ترحيلهم عن مدينة سيواس وحدها كان (15,000) يوناني ‹F.O. 371-6536, no. E3197, note from Dr. Kennedy, Constantinople, 21 November 1921›. إذا أخذنا في الحسبان أن آخر إحصاء عثماني (نفوس عام 1330 هـ) أظهر أن (728) يونانيّـا فقط يعيشون في مدينة سيواس والقرى المحيطة، فإن رقمًا كهذا لافت للنظر بالتأكيد. بخصوص أعداد المُرحَّلين من المدن المختلفة، انظر ‹F.O. 371-4157, no. 83004, Webb to Curzon, Constantinople, 20 May 1919, transmitting the report o Lt. J. S. Perring›.

139) هذه الإفادة صحيحة أكثر لدى الغرب عن الشرق، لأن الحرب كانت متواصلة نوعًا ما في شرقي الأناضول والقفقاس.

140) انظر ‹Toynbee, p. 278›. لم أقم هنا أيّ تقدير لمزاعم غير مُؤكّدة ضد الأتراك، ربما يكون بعضها صحيحًا، لكن يصعب تعليلها أو إثباتها. يبدو أن أكثرها واهٍ. انظر على سبيل المثال، مزاعم السفير اليوناني في لندن، السيد رانياكي (Ranyaki) أنّ «عصابات موالية لكمال» نهبت اليونانيّين والأرمن في قيصري وعذبتهم. لم يقدّم إيضاحات عن العصابات أو أيّ تسويغ لوصفها «بالموالية لكمال». هناك في الحقيقة سبب وجيه للشكّ بحدوث مجزرة.

141. F.O. 371-4219, no. 104611, Morgan to Calthorpe, Smyrna, 24 June 1919.

142. F.O. 286-759, no. E6204, Rumbold to Curzon, Constantinople, 20th May 1921, transmitting the Interim Report of the Commission of Enquiry on the Ismidt Peninsula (Colonel Farmer).

143. F.O. 371-4157, no. 18850, Palmer to Calthorpe, Eski Shehir, 27 December 1918. See also F.O. 371-4157, no. 18835, Calthorpe to Balfour, Constantinople, 17 January 1919, transmitting a letter from Mr. King on Turkish refusal to give houses to Greeks in Samsun.

144. F.O. 371-4157, no. 49189, Perring to the British High Commissioner, Constantinople, 5 March 1919.

145. F.O. 371-7956, no. E11426, telegram from Rumbold, Constantinople, 21 October 1922.
F.O. 371-7956, no. E11639, Summary of Intelligence, no. 4, 25 October 1922.

146) بعد أن رحل الجيش اليونانيّ عن إزمير، اعتقل القوميّون جميع الذكور اليونانيّين الباقين الذين تراوحت أعمارهم بين [17 و45] عامًا. ومع أن أكثر هؤلاء الذكور ربما لم يكونوا مقاتلين، كان للأتراك مسوّغ للخوف من أعمال الذكور اليونانيّين. لا بدّ من أن عامل الانتقام كان كبيرًا أيضًا. جرى الاحتفاظ باليونانيّين في كتائب الخدمات. من المؤكّد أن حياتهم لم تكن سارّة. وجدتُ أدلّة متناقضة على معاملتهم. اشتكى الصليب الأحمر اليونانيّ من أن أسرى الحرب اليونانيّين يُستخدمون بقسوة ‹The Anglo-Hellenic League, The Treatment of the Greek Prisoners in Turkey, London, 1923›. من ناحية أخرى، قالت لجنة غوث كارثة سميرنا الأميركيّة إن الأسرى اليونانيّين يعاملون على نحو حسن ‹U.S. 867.4016/813, Treat to Secretary of State, Smyrna, 9 December 1922, transmitting the letter of the Chairman and Secretary of the Smyrna Disaster Relief Committee›.

جرى في النهاية مبادلة أسرى الحرب اليونانيّين بأسرى أتراك أو من خلال التبادل السكاني الشامل. انظر أيضًا ‹ F.O. 371-7956, no. E11251, enclosure 1, Dr. Nansen to High Commissioners of Allied Powers›.

147) «كان انضباط القوات التركيّة [التي دخلت إلى إزمير] جيدًا، وباستثناء بعض الحوادث الثانويّة، كان الوضع هادئًا» ‹ W.O. 106-1502, General Staff Report no. 12, 11 September 1922›. انظر أيضًا ‹ W.O. 106-1501, C.R.A.F./131/5/"GR"/2, "Greco-Turkish Operations Part II, September 3rd to September 11th." See Heath Lowery, "Turkish History", 1988›.

148) مثل كثير من الخلافات التي نشأت من هذه الفترة، ولّد الحريق في إزمير جدلاً، مع أن كثيرين كانوا مقتنعين بإلقاء اللوم على الأتراك من دون معاينة الأدلّة لا أكثر. بخصوص هذا النوع من البحث، أبرز الأعمال هو كتاب ‹ Marjorie Housepian, The Smyrna Affair›. لبحث يأخذ في الحسبان مصادرَ أخرى، انظر ‹ Lowry, "Burning of İzmir"›.

149. Muslims and Minorities, p. 132.
150. F.O. 371-4224, no. 10731 (duplicated in F.O. 608-271, no. 10731), de Robeck to Curzon, Constantinople, 27 December 1919. See also F.O. 286-759, High Commissioner to Curzon, 3 January 1920.
151. F.O. 371-4224, no. 10731 (duplicated in F.O. 608-271, no. 10731), de Robeck to Curzon, Constantinople, 27 December 1919.
152. F.O. 371-5133, no. E3866, Webb to Curzon, Constantinople, 17 April 1920, transmitting military intelligence reports.
153. F.O. 371-5133, no. E5032, Webb to Curzon, Constantinople, 22 April 1920.
154. Second Section of the General Staff of the Western front, *Greek Atrocities in Asia Minor, First Part*, Constantinople, 1922, pp. 109-10.
156. F.O. 371-4220, no. 115562, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 1 August 1919. F.O. 371-4224, no. 170731, Advanced British Headquarters, General Staff, "Intelligence," Smyrna, No. 1021/S.I., "Report on the Situation at Odemish and Tireh by I. O. Odemish dated 5-12-1919," and F.O. 371-4224, no. 170731, Advanced British Headquarters, General Staff, "Intelligence," Smyrna, No. 1023/S.I., "Digest of Report from I.O. Aidin on Visit to Tireh."
157. Les Grecs à Smyrne, Nouveau témoignages sur leurs atrocités, Paris, 1920, pp. 32-37.
158. F.O. 371-9061, no. E969, "Memorandum respecting Turkish Claims against Greece," by M. İsmet, Lausanne, 20 January 1923.
159. F.O. 371-4221. no. 12447, Webb to Curzon, Constantinople, 24 August 1919, enclosure B, Lt. Comdr. Hadkinson to B.N.R. Smyrna, Aivali, 4.7.19, "Aivali Report."
160. F.O. 371-9061, no. E969, "Memorandum respecting Turkish Claims against Greece," by M. İsmet, Lausanne, 20 January 1923.
161. Ottoman Government, Rapports Officiels reçus des autorités militaires Ottomanes sur l'occupation de Smyrne par les troupes Helléniques, Constantinople, 1919, pp. 50 and 51.
162. See F.O. 371-6561, no. E813, Rumbold to Curzon, Constantinople, Jan 3, 1920, for a summary.

163) F.O. 371-9061, no. E969, «Mémorandum relatif aux dévastations grecques en Asie Mineure» by İsmet Paşa (İnönü), Lausanne, 20 January 1923. قدّمت هذه المذكرة أساسًا للمطالبات التركيّة بتعويضات في مؤتمر سلام لوزان. أدرج عصمت باشا في أرقامه عدد المباني المدمّرة في إزمير، بما فيه المباني المدمّرة في حريق سميرنا. لم تُضمّن هذه الأرقام (18,865 مبنى مدمّرًا، 175,905,108 جنيهات) في الأرقام في الجداول.

قدّم الأتراك القيمة الإجماليّة للمباني المدمّرة، كما أُدرجت في الجدول الخامس، على أنها (305,271,214) ليرة تركيّة. لا بدّ من أن هذا تقدير تقريبيّ، مع الأرقام التي تبدو دقيقة. لا يستطيع المرء أن يصدّق أنه كانت هناك طريقة دقيقة لتخمين الممتلكات أو وقت لإجراء معاينة مفصّلة للخسائر. إن ظنّي الشخصيّ هو أنهم وضعوا رقمًا لثمن البيت المفترض في منطقة ما، بين (200–400) ليرة تركيّة عادة، وضربوا هذا الرقم بعدد البيوت، ثمّ أضافوا الكلفة التقديريّة لإعادة بناء المباني الأكبر والنصب التذكاريّة، إلى آخره. ربما تنتج من هذه العمليّة مجموعة معقولة من التقديرات.

164) في المذكرة نفسها. كانت القيمة الإجماليّة المدرجة للمباني الريفيّة المدمّرة (177,310,945) ليرة تركيّة، ولمجموع المباني في المدن والريف (باستثناء إزمير) (482,582,159) ليرة تركيّة.

165) U.S. 767.68116, a copy of Bureau de Presse de la Delegation Turque, «Atrocités et dévastations Grecques en Anatolie, Lausanne, 1923». يحتوي هذا المجلّد على صور المدن والقرى والمباني الحكوميّة، إلى آخره، التي أُحرقت أو دُمّرت، مع صور لقتلى ومدنيّين مصابين بجروح، إلى آخره. انظر أيضًا منشورًا سابقًا للمكتب الإعلاميّ، «Le Régime d'Occupation hellénique en Turquie, Lausanne, 1921»، يقدّم قصصًا وصورًا شخصيّة مفصّلة.

166. F.O. 371-4221, no. 121623, Summary Prepared for Lord Curzon, 26 August 1919. See also F.O. 371-4221, no. 124447, Morgan to High Commissioner, Smyrna, 12 August 1919.

167. See the mistreatment of Ottoman officials detailed in F.O. 371-6561, E813 and F.O. 286-759, High Commissioner to Curzon, 3 January 1920.

168. See, for example, the comments of de Robeck and of Ismail Djenany [*sic*] in F.O. 371-5132, no. E1336, de Robeck to Curzon, Constantinople, 8 February 1920. Also, F.O. 371-4224, no. 168764, de Robeck to Curzon, Constantinople, 20 December 1919.

169. F.O. 371-3658, no. 75891, intercepted telegram from Ethem Bey, Mutessarif of Janik Sandjak to the Minister of the Interiors, 9 April 1919.

170. F.O. 371-6561, no. E813, Rumbold to Curzon, 3 January 1920 and F.O. 286-759, High Commissioner to Curzon, 3 January 1920.

171) «أرسل القائمّقام رفعت بيه في الأشهر خمسة تقارير متعاقبة إلى الآمر اليونانيّ يشكو الاعتداءات المختلفة للقوات اليونانيّة. تلقّى ردًا استرضائيًــــا على شكواه الأولى، مع وعود بالانصاف، ولكن لم يُتّخذ أيّ إجراء إطلاقا، ولم يتلقّ أيّ ردّ على شكواه الأخرى. ومع استمرار تجاوزات القوات اليونانيّة، أرسل كتابًا إلى القنصل الإيطاليّ في سميرنا، وضمّن فيه صورًا عن تقاريره وشرحًا للوضع. فاتح القنصل الإيطاليّ السلطات اليونانيّة في سميرنا، لكنّ الإجراء الوحيد الذي اتّخذته كان اعتقال وترحيل القائمّقام

والمفتي وخمسة وعشرين مواطنًا بارزًا من الأشهر» ‹F.O. 371-6557, no. E10550, "Note by Mrs. Arnold Toynbee", 20 September 1921, no place listed›.

172. U.S. 767.68116/3, Bristol to State, Constantinople, 22 April 1920, transmitting reports from the Society for the Defense of Ottoman Rights-Smyrna.

173) من أولئك المعروفين. وطبعًا، فإن أكثر المُرحَّلين لم يحدَّدوا على نحو منفرد. تذكر البيانات عادةً «14 وجيهًا» أو تحدّد اسم وظيفته (مثلاً، قائمّقام، ناظر محطّة، إلى آخره).

174) هذا الملخّص مبنيّ على وصف عزّت باشا لأنشطة اليونانيّين في رسالة إلى المفوّض السامي البريطاني. علّق المفوّض السامي رمبولد بأن التقرير الذي وصل من القنصل البريطانيّ السير هاري لامب «يبدو أنه يؤيّد عمومًا اتهامات الحكومة التركيّة في هذا الشأن» ‹F.O. 371-7921, no. E3039, Rumbold to Curzon, Constantinople, 14 March 1922, transmitting İzzet Paşa's letter of February 20›.

175. F.O. 371-4219, no. 98615, Appendix L.1, translation of a letter to the Representatives of the Allies in Magnesia.

176. F.O. 371-7931, no. E1433, telegram from General Harrington to War Office, Constantinople, 31 January 1922.

177. F.O. 371-4221, no. 121623, "Memorandum respecting the Greek Occupation of Smyrna,"prepared for Lord Curzon, 26 August 1919.

178. F.O. 371-5214, no. E14889, Rumbold to Curzon, Constantinople, 19 November 1920.

179) ‹Greece, Bureau de la presse du Ministère des Affaires Entrangères [sic], La Grece en Asie-Mineure, Athens, 1921›. هذه الأرقام مشبوهة جدًا إحصائيًـــا، لكنها ربما تعطي فكرة عامة عن عدد اللاجئين المسيحيّين، مطروحًا منه عدد معيّن بسبب المبالغة. حتى ولو لم يعلم المرء بالأخطاء المكتشفة في إحصائيات يونانيّة مماثلة عن آسيا الصغرى (انظر McCarthy, "Greek Statistics") فإنه سيشكّك في هذه الأرقام من الناحية الشكليّة. إن جداول اللاجئين في الكتاب على أساس المكان دقيقة حتى على مستوى الأعداد المفردة، لكنها تتجمع دائمًا إلى أعداد مدوّرة تمامًا. على سبيل المثال (ص 29) يُزعم أن التالي هو تعداد دقيق للسكان:

القرية	الأسر	السكان
يونانيّو قندرلي (Kandirli)	(199)	(868)
يونانيّو فورلاجيك (Fourladjik)	(55)	(285)
يونانيّو أروانيتوخوري (Arvanitokhori)	(48)	(253)
يونانيّو أورتة كوي–كيوة	(50)	(249)
يونانيّو أرموتلو (Armoutlou)	(116)	(534)
يونانيّو جينار (Tchinar)	(109)	(467)

يونانيّو وزير–خان (Vezir-Han)	(92)	(359)
يونانيّو آكية–كيرياكي (Aghia-Kyriaki)	(182)	(939)
يونانيّو خوري (Houri)	(310)	(1148)
يونانيّو كيوبلية (Kyouplia)	(35)	(186)
يونانيّو المالي (Elmali)	(81)	(337)
يونانيّو وبلغار كيز–دروني (Kiz-Derveni)	(606)	(1875) [يونانيّون] (7500)
أتراك بازار (Bazar)	(18)	(110) [أتراك] (110)
أرمن يالوة	(35)	(76)
أرمن كرامت (Keramet)	(45)	(91)
أرمن جنكيرلار (Tchenghirlar)	(138)	(320)
أرمن أورتة كوي	(82)	(156)
أرمن مردكت (Merdeket)	(23)	(51)
أرمن يني كوي	(300)	(967) [أرمن] (1661)
القرويّون الجركس	(10)	(70) [جركس] (70)
أتراك قرة–بنار	(14)	(63)
أتراك آخرون	(596)	[أتراك آخرون] (659)
	(2548)	(10,000) [المجموع]

من المستحيل أن تتجمع أرقام كهذه على نحو ملائم إلى (7500) يونانيّ تمامًا وإلى (10,000) تمامًا عددًا إجماليًا للسكان. على الأرجح أنه تقرّرت الأعداد الإجماليّة أولا ثم جرى تخصيص أرقام لكل قرية على حدة.

180. Ibid., p. 27: "10,000 refugees, of whom 2,500 Turks, Circassians, and Armenians."
181. F.O. 371-9890, no. C21226, "Extracts from a Report by Dr. Nasen," Geneva, 18 November 1922.
182. For a description of the process of granting loans to the Greek government, see Ladas, pp. 633-39. See also Louis P. Cassimatis, *American Influence in Greece 1917-1929*, Kent, Ohio, 1988, chapter 7 and 8.
183. F.O. 371-5140, no. 1448.
184. Toynbee, p. 169.

185. F.O. 371-4220, no. 120245, copy of a letter from M. Fitzmaurice (Commander of the British Aegean Squadron) to the British High Commissioner, in which he forwards Giovannini's letter, Smyrna, 18 July 1919.

186) ظن مورغان أن عدد اللاجئين في صومة كان (40,000)؛ بينما ظن هادكنسون أن العدد كان (50,000) (F.O. 371-4221, no. 124451, letters of 14 August and 29 June 1919).

187. F.O. 371-4236, no. 146926, "Report by Mr. Blair Fish, " Constantinople, 30 September 1919.

188. F.O. 371-5135, Ottoman Foreign Ministry (Damad Ferid Paşa) to de Robeck, 31 January 1920.

189. F.O. 371-4218, no. 94623, Calthorpe to Curzon, Constantinople, 10 June 1919, telegram from Ottoman Officials to the Ottoman Foreign Ministry.

190) ‹F.O. 371-9061, no. 969, İsmet Paşa to the President of the Third Commission, Lausanne, 20 January 1923› «مذكّرة بخصوص الادّعاءات التركيّة ضد اليونان». يحتوي هذا السجلّ على أرقام، قرية قرية، للعديد من المناطق وعلى ثمن الممتلكات والحيوانات التي دُمّرت أو أتلفت؛ إضافة إلى المباني.

191. Eight hundred thousand at five to a building. Of course, many of the buildings destroyed may have belonged to Greeks, who made up approximately 14 percent of the prewar population of the area. However, not all the houses of Muslim refugees were destroyed.

192. F.O. 371-4429, no. 146296.

193. F.O. 371-5824, no. 12031. This figure must include Russian and other refugees as well.

194. League of Nations, *Report of the Work of the High Commission of Refugees presented by Dr. Fridjof Nansen to the Fourth Assembly*, Geneva, 4 September 1923. The refugee numbers in Istanbul had gone down considerably by the end of the war. See Clarence R. Johnson, ed., *Constantinople Today*, New York, 1922, p. 206.

195) للوفيات في الأقاليم التي احتلتها القوات اليونانيّة، انظر الجدول (29). كان عدد الوفيات في أقاليم آيدين وخداوندكار وإزميد (704,283). ومع ذلك، لا بدّ من أن العديد من الناس قُتلوا في إقليم أنقرة التي كانت مركزًا لمعركة في أبعد موضع للغزو اليوناني. إضافة إلى ذلك، كانت هناك وفيات، خصوصًا بين اللاجئين، في إقليم قونية. انتقصتُ (95,000) عشوائيًا من أرقام الوفيات في هذين الإقليمَين لأصل إلى الرقم (800,000) الناجم من الغزو اليوناني. وافترضتُ، عشوائيًا مرة أخرى، أن (20%) من الوفيات حدث في الحرب العالمية الأولى، وفيات الجنود في المقام الأول الذين قاتلوا على الجبهات العثمانيّة المختلفة، ووفيات ناجمة من الأحوال السيئة زمن الحرب (سوء التغذية، مثلاً). لم تحارَب الحرب العالمية الأولى في غربي الأناضول ووسطها، لذلك، يبدو مقدار (20%) من هذه الأرقام العالية للوفيات مبالغًا فيه (ولكن ما دامت تعمل ضد نظريّتي في افتراض وفيات كبيرة في الحرب العالمية، افترضتُ مقدارًا عاليًا، 20%). رقم الوفيات الناجمة من الحرب اليونانيّة التركيّة هو (640,000).

196) صرّح القنصل كيل (Keel) في صوفيا (2 تشرين الثاني عام 1920 م) بأنه جرى تعداد (9000) لكن الأعداد ربما كانت أكبر ‹F.O. 371-5253, no. 613950›.

197) كان الإحصاء اليونانيّ عام (1920 م) أردأ من الإحصائيات اليونانيّة الأخرى في الجمع والنشر على السواء. بحسب علمي، لم تُنشر إحصائيات المنطقة المستولى عليها من تركيا على أساس الدين واللغة الأم قط. جرت طباعة أرقام عامة عن عدد السكان الإجماليّ فقط، وكثيرًا ما كانت تلك الأرقام أقلّ من الحقيقية. نُشر الإحصاء بأنماط مختلفة من عام (1921 م) وحتى عام (1928 م). انظر على نحو خاصّ، Greece, Ministère de l'Economie Nationale, Direction de la Statistique, Population du Royaume de Grece d'après le Récensement du 19 Décember, 1920, Athens, 1921, and Greece, Ministère de l'Economie Nationale, Statistique General de la Grece, Récensement de la Population de la Grece au 19 Décember, 1920, Athens, 1928، تضمّن الأول إحصائيات من مناطق في شرقي ثراقيا احتلّتها اليونان، لكنها أُعيدت إلى تركيا بعد ذلك، أما الثاني فلم يتضمّن تلك الإحصائيات.

198. F.O. 371-5284, no. 12031.

199) هذا رقم تخمينيّ. قدّر البريطانيّون (65,000) «لاجئ مسلم معدم»، F.O. 371-6561, no. 14164 and F.O. 371-7931، في اسطنبول في عام (1921 م) وعام (1922 م) و(75,000) بحلول عام (1923 م) ،F.O. 371-9098, no. 7663،. نظرًا إلى أن أكثر اللاجئين من الأناضول لم يذهبوا إلى اسطنبول، بل إلى مناطق تحت سيطرة القوميّين، فإن العدد (30,000) معقول. نقل الجنرال البريطانيّ هارينغتون إلى وزارة الحرب «فرّ هؤلاء الـــ (65,000) مسلم التعساء من الحكم اليونانيّ في شرقي ثراقيا والسواحل الجنوبيّة لمرمرة» ،F.O. 371-7931, 31 January 1922،.

200) أُخذت أعداد السكان الأصليّين من كتاب <المسلمون والأقليّات> وأعداد المهاجرين إلى الداخل من فصل حروب البلقان. من الأهمية ملاحظة أن أرقام عمود «عدد المفقودين» هي في الحقيقة لأعداد السكان المفقودين وليست لأعداد المتوفين. أي، الأرقام المتبقيّة حين يجري طرح عدد سكان كلّ إقليم في عام (1922 م) من عدد سكانه في عام (1912 م). هذه ليست "وفيات" لكنها أقرب تقدير تقريبيّ ممكن.
أرقام الوفيات هنا أعلى من أرقامها التي تظهر في كتاب<المسلمون والأقليّات> بسبب تضمين أرقام المهاجرين إلى الداخل في معادلة الوفيات. كان عدم تضمين أرقام المهاجرين إلى الداخل إغفالا في كتاب <المسلمون والأقليّات>.

8] نهاية أرض المسلمين

1. For a description of the process of estimating an undercount, see McCarthy, *Muslims and Minorities*, Appendix 4. The 1291 Tuna Vilâyeti figures are listed in Kemal Karpat, *Ottoman Population, 1830-1914*, Madison, Wisconsin, 1985, p. 117. (Note that figures for Muslims and non-Muslims in Sofya Sancaği have been transposed on p. 117.)
2. See Justin McCarthy, "The Population of Ottoman Europe Before and After the Fall of the Empire," *Proceeding of the Third Conference on the Social and Economic History of Turkey*, edited by Heath W. Lowry and Ralph S. Hattox, Istanbul, 1990, pp. 275-98.

3) عدد السكان في إقليم دانوبة (Danube) [إقليم تونا]*.

المسيحيّون		المسلمون	
بلغار	(1,117,000)	أتراك	(757,500)
يونانيّون	(12,000)	مهاجرون تتار	(110,000)
أرمن	(2500)	جركس	(200,000)
آخرون	(65,000)	غجر مسلمون	(35,000)
غجر مسيحيّون	(12,000)		
المجموع	(1,208,500)	المجموع	(1,102,500)
يهود	(12,000)		
المجموع الإجماليّ	(2,323,000)		

* «كما هو مشكّل حاليّـاً، أي، من دون سنجقي صوفيا ونيش، وهما في الجنوب من البلقان، حيث جرى فصلهما عن إقليم دانوبة منذ ستّة أشهر وتشكيلهما تحت الحاكم العام لصوفيا. فيما يلي، عدد سكان السنجقين»:

صوفيا		نيش	
مسلمون	(16,500)	مسلمون	(210,000)
بلغار	(13,000)	بلغار	(140,000)
يهود	(2500)	يهود	(5000)
المجموع	(32,000)	المجموع	(355,000)
مجموع إقليم صوفيا	(387,000)		

(F.O. 195-1077, Reade to Elliot, Constantinople, December 5, 1876)

من الواضح أنه لم يكن لدى الأورُبيّين فكرة تُذكر عن عدد السكان الحقيقي لبلغاريا إلى أن بدأ العثمانيّون بتسجيل السكان هناك بدقة إلى حد ما.

For a detailed example of early efforts at estimation, see F.O. 881-684, no. 9, "Statistical Report on the Province of Bulgaria," by Edward Neale, Varna, March 28, 1858. The most detailed compilation of European estimates of Bulgarian population (and perhaps the most detailed compilation of estimates on any population on earth at any time) is the collection published by N. Michoff [Mikhov], *La Population de la Turquie et de la Bulagarie au XVIII^{e} et XIX^{e} s.: recherches bibliographico-statistiques, Sofia, 1915-1935*. Unfortunately, those whose estimations Mikhov so laboriously collected seldom had anything but guesses as the bases of their estimations, so the work is of little demographic value.

4. The population figures printed in Ottoman provincial salnames were collected years before they were printed (see *Muslims and Minorities*, Appendix 4). I have rather conservatively estimated here that the Edirne and Tuna figures were collected three years before they were printed.
5. McCarthy, "The Population of Ottoman Europe Before and After the Fall of the Empire."
6. Bulgaria, *Annuaire Statistique, 1923-24*, Sophia, 1925, p. 64.
7. See Table 6 in previous Chapter (3).

8) المسلمون في بلغاريا، من › Bulgaria, Annuaire Statistique, 1923-24, Sophia, 1925, p. 64‹:

عام (1887 م)	(676,215)
عام (1892 م)	(693,258)
عام (1900 م)	(643,300)
عام (1905 م)	(603,867)
عام (1910 م)	(602,078)
عام (1920 م)	(690,734)

9. 1313 İstatistik.

10) من غير المعروف إذا جرى إدراج النازحين من روميليا الشرقيّة، وهي قانونيّــا جزء من الإمبراطورية العثمانيّة، على أنهم «مهاجرون دوليون» في إحصاء عام (1313 هـــ).

11) لم يجرِ تعديل الأرقام تحت الحقيقية في المصدرين. افترضتُ أنها تتوازن، كما أنه ليست هناك مجموعة بيانات خاصّة بالعمر يمكن استخدامها لحساب التعداد تحت الحقيقي.

Suudi Arabistan Türkleri derneği

جمعية أتراك السعودية

Turan

الفهارس

Suudi Arabistan Türkleri derneği

جمعية أتراك السعودية

Turan

ثبت الأعلام

أ

ب

ت

ج

ح

خ

د

ك

ل

م

Suudi Arabistan Türkleri derneği

جمعية أتراك السعودية

Turan

ثبت المواقع الجغرافية*

ب

ت

ث

ج

س

ش

ص

ط

ع

ن

هـ

و

ي

*أسماء المواقع الجغرافية الواردة في الكتاب مأخوذة من كتاب كُتب باللغة العثمانية عنوانه Ottoman Empire, Nezaret-i Umur-i Ticaret ve Nafia, İstatistik-i Umumi İdaresi, *Devlet-i Aliye-i Osmaniye'nin 1313 Senesine Mahsus -statistik-i Umumisi*, İstanbul, 1316. pp. 1-6.

ملاحظـــة: تمت تهجئة الأسماء التي تحتها خط وفـــق اجتهاد المترجم إذ لم يعثر على الأصل العثماني.

Library of Congress Cataloging-in-Publication Data

McCarthy, Justin.

Death and exile : the ethnic cleansing of Ottoman Muslims. 1821–1922 / by Justin McCarthy.

p. cm.

Includes bibliographical references and index.

ISBN 0-87850-094-4 : $35.00

1. Muslims—Relocation—History. 2. Turks—Relocation—History. 3. Muslims—Balkan Peninsula—Relocation. 4. Muslims—Caucasus—Relocation. 5. Muslims—Ukraine—Crimes—Relocation. 6. Turkey—Emigration and immigration—History—19th century. 7. Turkey—Emigration and immigration—History—20th century. 8. Muslims—Crimes against. I. Title.

DR27.M87M33 1995

949.61'015—dc20

95-1282

CIP

The paper in this book is acid-free neutral pH stock and meets the guidelines for permanence and durability of the Committee on Production Guidelines for Book Longevity of the Council on Library Resources.



Printed in the United States of America.

Second printing, 1996.

DEATH AND EXILE

The Ethnic Cleansing of Ottoman Muslims 1821–1922

by

Justin McCarthy

THE DARWIN PRESS, INC.
PRINCETON, NEW JERSEY

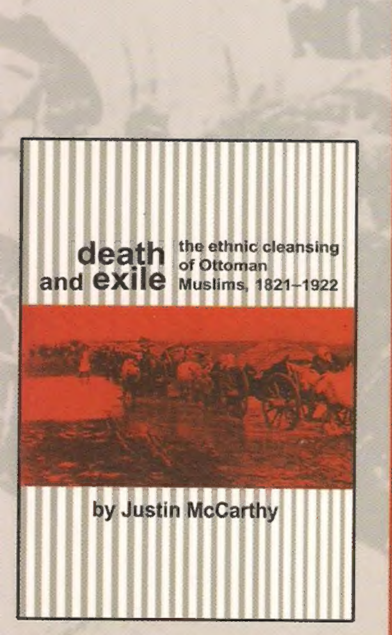


إن المشهد "التقليديّ" لتاريخ البلقان والقفقاس والأناضول أقلّ من كامل، إن لم يكن مضلّلاً، لأن تاريخ الجماعات التي شكّلت الأقلية في الإمبراطورية العثمانيّة استُثني من سياق الكلام . . وهو معاناة المسلمين من طرد وإبادة، التي حدثت في المناطق نفسها وفي الوقت نفسه الذي حدثت فيه معاناة المسيحيّين، والتي كثيرًا ما فاقتها.

سُخر من القلّة التي حاولت أن تعدّل المشهد التقليديّ على أنها "مُنقّحة"، وكأن التنقيح إثم أكاديميّ والدقة التاريخية القرينيّة لا علاقة لها بالموضوع. إن تنقيح تاريخ متحيّز وتغيير حكمة تقليدية مغلوطة هما في الحقيقة من مهمات المؤرِّخ، والتنقيح في بعض مجالات التاريخ، كتاريخ الشعوب العثمانيّة ضروريّ إلى حد بعيد. إن التاريخ الذي ينتج عن عملية التنقيح هو تاريخ غير مفصول فيه، لأنه يروي قصة العثمانيين كونهم ضحايا، وهذا ليس الدور الذي يصوَّرون به عادة. إنه لا يقدّم الصورة التقليدية للأتراك، وكأنهم جلاّدون وليسوا ضحايا قط، تلك الصورة التي استمرت في تاريخ أميركا وأورُبة فترة طويلة في حين كان يجب نبذها منذ زمن بعيد هي والآثار الدخيلة الأخرى على التمييز العنصريّ في القرن التاسع عشر. .

إن خسارة المسلمين جزء مهم من تاريخ الأتراك. لقد كانوا هم أكثر مَن لمس عواقب العصبية والاستعمار. في الوقت الذي كانت فيه الإمبراطورية العثمانيّة تكافح لإصلاح ذاتها والحفاظ على وجودها دولةً حديثةً، اضطرت في البداية إلى أن تستنزف مواردها المحدودة لتحمي شعبها من القتل على يد أعدائها، ثمّ إلى أن تحاول أن تقدّم الرعاية للاجئين الذين تدفقوا إلى الإمبراطورية من بلغاريا واليونان ويوغوسلافيا وإرمينية وجورجيا وروسيا وأوكرانيا وأمكنة أخرى، عندما انتصر هؤلاء الأعداء. .

بعد أن وضعت الحروب أوزارها، كانت مجتمعات مسلمة في منطقة بحجم أورُبة الغربيّة كاملة قُلّصت أو أُبيدت. تقلّصت مجتمعات البلقان العثمانية العظيمة إلى جزء من أعدادها السابقة. في القفقاس، طُرد الجركس واللاز والأبخاز والأتراك وآخرون من جماعات مسلمة صغيرة . . وتمت بذلك إحدى أكبر مآسي التاريخ.



قدمس